الوجوه والنظائر

لأبي هلال العسكري

(ت ٤٠٠ هـ)

حققه وعلق عليه

محمد عثمان

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية



حققه وعلق عليه
محمد عثمان

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

العسكرى، الحسن بن عبد الله بن سعيد ، ٩٠٦-٩٩٣
الوجوه والنظائر / لابى هلال
العسكرى ، حققة وعلق عليه محمد عثمان
ـ ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
٤٢٠ص، ٢٤سم
تدمك : 977-341-341-1
ا- اللغة العربية- المترادفات والاضداد
ا- عثمان ، محمد معلق
ب- العنوان
ديوى : ٤١٢

رقم الايداع :١٤٦٣١ /٢٠٠٧

مقدمة

في علم الوجوه والنظائر

تعريف علم الوجوه والنظائر :

تعرف كلمة الوجوه بأنها اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان .

فإذا كان اللفظ الواحد يحتمل معان متعددة فإنه يُحمَل عليها إذا كانت غير متضادة ، ولا يُقتَصَر به على معنى واحد إلا إذا كان سياق الآية يفرضه .

وأما النظائر فتعرف بأنها الألفاظ المتواطئة ، أي الألفاظ المختلفة التي تعبر عن معنى واحد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وقال شيخ الإسلام بن تيمية : الوجوه في الأسماء المشتركة والنظائر في الأسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك أن الوجوه والنظائر جميعا في الأسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى .

وقال ابن الجوزي في كتابه نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر ، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى هذا ما يسمى الوجوه ، أما النظائر فهو اسم للألفاظ وعلى هذا تكون الوجوه اسما للمعاني ، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر .

وقال السيوطي في الإتقان : الوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ، والنظائر : الألفاظ المتواطئة . وقيل النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعاني .

وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة ، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة ، فيجعلون الوجوه نوعا لأقسام ، والنظائر نوعا لآخر .

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثا مرفوعا : " لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة " .

قلت[1] : هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفا ، ولفظه : " لا يفقه الرجل كل الفقه " .

وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معان متعدد فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد .

وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر .

وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال : " إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها " . قال حماد : فقلت لأيوب : أرأيت قوله : حتى ترى للقرآن وجوها ، أهو أن ترى له وجوها فتهاب الإقدام عليه ؟ قال : نعم هو هذا .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال : اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة .

وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل قال : صدقت ، ولكن القرآن حمال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن

---

(١) أي السيوطي في الإتقان .

خاصمهم بالسنن ، فإنهم لم يجدوا عنها محيصا ، فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة .

أمثلة للوجوه والنظائر :

ومن أمثلة ذلك العلم ما جاء في كتابنا هذا أن " الأمر " في القرآن يأتي على سبعة عشر وجها :

الأول : الدين ، قال الله تعالى : ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾ [سورة التوبة آية ٤٨] . يعني : دينه .

الثاني : القول ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [سورة الكهف آية ٢١] .

الثالث : وقت الوعيد ، قال : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [سورة هود آية ٤٠] . أي : حضر وقت وعيدنا .

الرابع : العذاب ، قال : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٢] . أي : وجب العذاب .

الخامس : تمام العذاب وبلوغ المراد منه ، قال : ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [سورة هود آية ٤٤] .

السادس : بمعنى الشيء ، قال : ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ [سورة البقرة آية ١١٧] . أي : إذا أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه .

السابع : هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ ، ثم قال : ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم .

الثامن : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة غافر آية ٧٨] . يعني : القيامة .

التاسع : فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٢٤] . قالوا : أراد فتح مكة .

العاشر : قتل قريظة وجلاء النضير ، قال الله وحده : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٠٩] .

الحادي عشر : بمعنى القضاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] .

الثاني عشر : الوحي ، قال الله : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] .

الثالث عشر : بمعنى النصر والسلطان ، قال : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٤] . يعني : أن الغلبة لأولياء الله .

الرابع عشر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [سورة الطلاق آية ٩] أي : جزاء ذنبها .

الخامس عشر : الأمر خلاف النهي ، قال الله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٦] . أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا .

السادس عشر : إظهار أمر المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] .

السابع عشر : العلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . قيل : يعني : العلماء[1] .

---

(١)قال أبو هلال العسكري في كتابه هذا : وقيل : يعني : السلطان ، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا . وقال ابن عباس : أولو الفقه في الدين .

وقال أبو علي رحمه الله : هم الأمة وأمراؤهم ، وليس هم العلماء إلا أن يكونوا أمراء . وقال : ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . أي : إلى الكتاب والسنة ؛ لأنهما من الله ورسوله ، وفيه دليل على أن

وكذلك " الأمة " في القرآن جاءت على عشرة أوجه :

أولها : الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٨] ، أي : جماعة ،

الثاني : الملة ، قال الله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] . يعني : أهل أمة واحدة .

الثالث : أهل الإسلام بعينه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ [سورة يونس آية ١٩] ، يعني : حالهم على عهد آدم ، وما كانوا عليه في سفينة نوح .

الرابع : قوله : ﴿ وَإِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٢] . أي : ملتكم ، فهي هاهنا الملة بعينها .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ [سورة هود آية ٨] . يعني : سنين .

الإمامة ليست بحجة ، وفيه دليل أيضا على صحة القياس وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا ، ولكن يوجد أصل كل شيء فيهما أو في أحدهما ، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيهما ليظهر أحكامها ، ولا يأتي ذلك إلا بالقياس .

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته .

والذي يقتضيه فحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه ؛ لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بما فيه احتمال مما لا احتمال فيه .

وأما الأمر في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [سورة الطلاق آية ١] . فهو تفسير الرجعة ، وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها .

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان :

أحدهما : الوقت . والآخر : العدد .

فالوقت : أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها . والعدد : ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة ، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها .

السادس : قوله تعالى : ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل آية ٩٢] ، يعني : قوما يكونون أربى من قوم ؛ أي : أكثر عددا ، ومنه الربا ؛ لأنه زيادة في أصل المال .

السابع : الإمام ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [سورة النحل آية ١٢٠] . أي : إماما يقتدى به في الخير .

الثامن : أمة كل رسول ؛ يعني : من بعث إليه الرسل من أمثال عاد ، وثمود ، وقوم لوط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [سورة الحجر آية ٥ ، المؤمنون ٤٣] ، يعني : من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب .

التاسع : قوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة .

العاشر : قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . يعني : الكفار من أمة محمد صلى الله عليه .

هذان مثالان للوجوه والنظائر في القرآن الكريم والأمثلة كثيرة ولكن نترك ذلك للقارئ ليتعرف على كل هذا عند مطالعته لهذا الكتاب القيم .

المؤلفات التي ألفت في هذا العلم :

ومن المؤلفات في هذا العلم :

١- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠)

٢- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لهارون بن موسى (ت : ١٧٠)

٣- التصاريف ، ليحي بن سلام (ت : ٢٠٠) .

٤- تحصيل نظائر القرآن ، للحكيم الترمذي (ت : ٣٢٠)

٥- وجوه القرآن ، للحيري (ت : ٤٣٠)

٦- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، للدامغاني (ت : ٤٧٨)

٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧)

٨- منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لابن الجوزي (وهو مختصر من الذي قبله) .

٩- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، لابن العماد المصري (ت :٨٨٧) هـ.

ترجمة المصنف

اسمه : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران

كنيته :أبو هلال

نسبه : العسكري نسبة إلى عسكر مكرم[1] .

مولده :

ولد أبو هلال العسكري في عسكر مكرم وهي كورة من كور الأهواز وفيها نشأ وترعرع وتتلمذ على يد خاله أبي أحمد وهو الذي يغلط فيه كثير من المؤرخين .

التفرقة بين أبي هلال وأبي أحمد :

قال الصفدي في الوافي بالوفيات في ذكر بعض الأسماء الملتبسة على المؤرخين : الحسن بن عبد الله أبو أحمد ، والحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال صاحب كتاب الأوائل ، كلاهما الحسن بن عبد الله العسكري ، والأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة والثاني كان موجوداً في سنة خمس وتسعين وثلاث مائة ، فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعلم وتقاربا في الزمان ولم يفرق بينهما إلا بالكنية لأن الأول أبو أحمد والثاني أبو هلال

---

(١) بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراءِ وهو مُفعل من الكرامة وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن مِعزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة وقال حمزة الأصبهاني : رُستقُباذ تعريب رستم كُواد وهو اسم مدينة من مدن خوزستان خربها العرب في صدر الإسلام ثم اختطت بالقرب منها المدينة التي كانت مُعَسكر مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف وقيل بل مكرمٌ مولى كان للحجاج أرسله الحجاج بن يوسف لمحاربة خرّزاد بن باس حين عصى ولحق بإيذَج وتحصن في قلعة تعرف به فلما طال عليه الحصار نزل مستخفياً ليلحق بعبد الملك بن مروان فظفر به مكرم ومعه درّتان في قلنسوته فأخذه وبعث به إلى الحجاج ، وكانت هناك قرية قديمة فبناها مكرم ولم يزل يبني ويزيد حتى جعلها مدينة وسماها عسكر مكرم .

والأول ابن عبد الله ابن سعيد بن إسماعيل والثاني ابن عبد الله بن سهل بن سعيد ولهذا كثير من أهل العلم التاريخ لا يفرقون بينهما ويظنون أنهما واحد .

قال أبو طاهر السلفي : وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه ، واسم أبيه اسم أبيه ، وهو عسكري أيضاً ، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأديب ، فهو أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري ، سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي - رحمه الله - بهمذان عنه ، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال : كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وذك فيه فصلاً هو في سؤالاتي عنه ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

وذكر أن أبا هلال هو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري وتلميذه .

وكان عالماً عفيفاً يتبزَّز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

شيوخه :

أكثر ما أخذ أبو هلال وتعلم على خاله أبي أحمد ، وحمل عنه .

وعن أبي القاسم بن شيران وغير واحد .

وما أظنه رحل من عسكر مكرم .

تلاميذه :

ذكر الصفدي في الوافي بالوفيات أن ممن روى عنه :

أبو سعد السمان الحافظ بالري .

وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاءً .

وأبو حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان العسكري .

ومظفر بن طاهر الآستري . وآخرون

مصنفاته :

١. كتاب التلخيص في اللغة .

٢. وكتاب صناعتي النظم والنثر ؛ وهو مفيد .

٣. وكتاب جمهرة الأمثال .

٤. وكتاب معاني الأدب .

٥. وكتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة .

٦. وكتاب التبصرة وهو كتاب مفيد .

٧. وكتاب شرح الحماسة .

٨. وكتاب الدرهم والدينار .

٩. وكتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات .

١٠. وكتاب العمدة .

١١. وكتاب فضل العطاء على العسر .

١٢. وكتاب ما تلحن فيه الخاصة .

١٣. وكتاب أعلام المعاني في معاني الشعر .

١٤. وكتاب الأوائل .

١٥. وكتاب ديوان شعره .

١٦. وكتاب الفروق بين المعاني .

١٧. وكتاب نوادر الواحد والجمع .

أما كتابنا هذا وهو تصحيح الوجوه والنظائر فقد ذكر أكثر المفهرسين والمؤرخين أن هذا الكتاب لأبي أحمد شيخ أبي هلال فقد ذكر الصفدي في ترجمة أبي أحمد : وكان أحد الأئمة في الأدب ، وهو صاحب أخبارٍ ونوادر . وله رواية متسعة وتصانيف مفيدة منها : كتاب

التصحيف ، وراحة الأرواح ، والحكم والأمثال ، وتصحيح الوجوه والنظائر ، والزواجر والمواعظ ، وصناعة الشعر ، والمختلف والمؤتلف .

وذكر الزركلي في الأعلام : من كتبه (الزواجر والمواعظ) و (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - ط) و (الحكم والامثال) و (راحة الارواح) و (تصحيفات المحدثين - خ) لعله كتابه المطبوع باسم (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) و (تصحيح الوجوه والنظائر) و (المصون - ط) في الادب ، و (صناعة الشعر) وهو خال أبي هلال (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) الآتي ذكره ، وأستاذه .

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : ومن جملته : كتاب صناعة الشعر رأيته ، كتاب الحكم والأمثال ، كتاب راحة الأرواح ، كتاب الزواجر والمواعظ ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وقال أبو طاهر السلفي : إن أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب " صناعة الشعر " . كتاب " الحكم والأمثال " . كتاب " التصحيف " . كتاب " راحة الأرواح " . كتاب " الزواجر والمواعظ " . كتاب " تصحيح الوجوه والنظائر " .

والذي جعلنا ننسب الكتاب لأبي هلال ما وجدناه على نسخته المخطوطة وفي بدايته حيث قال الناسخ : قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمة الله عليه .

وذكر أيضا في متن كتابه عند الكلام على الوجه الرابع في "الجعل" : وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير . وقد كرر ذلك مرارا .

وقال أيضا : وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق . وكتاب الفروق معروف لأبي هلال العسكري .

فكان هذا ما دفعنا أن ننسب الكتاب لأبي هلال ، ولعل ما كتبه المفهرسون والمؤرخون كان لبسا منهم بين مصنفات أبي أحمد ومصنفات أبي هلال . والله أعلم .

شيء من سيرته :

قال الصفدي في الوافي بالوفيات : وكان يتبزز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .

قلت وقد ذكره الباخرزي في كتاب : دمية القصر ، فقال : بلغني أن هذا الفاضل كان يحضر السوق ، ويحمل إليها الوسوق ، ويحلب در الرزق ويمتري ، بأن يبيع الامتعة ويشتري .

ومن شعره :

جلوسي في سوقٍ أبيع وأشتري   دليلٌ على أن الأنام قـــرود
ولا خير في قومٍ يذل كرامهم   ويعظم فيهم نذلهم ويسـود
وتهجوهم عني رثاثة ملبسي   هجاءً قبيحاً ما عليـه مزيد

ومنه :

إذا كان مالي مال من يلقط العجم   وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى   وما ربحت كفي على العلم والحكم
ومن ذا الذي في الدهر يبصر حالتي   فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم

وقال السيوطي في طبقات المفسرين : كان عالماً عفيفاً يتبزّز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل ،وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

وقال أبو طاهر السلفي : سألت أبا المظفر الأبيوردي رحمه الله عن أبي هلال العسكري فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معا ، وقال : كان يتبزز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .

وقال أبو هلال أيضا :

لا يغرنكم علو لئيم   فعلوٌ لا يستحق سفال
فارتفاع الغريق فيه فضوحٌ   وعلو المصلوب فيه نكال

ومن شعره أيضا :

ما بال نفسك لا تهوى سلامتها   وأنت في عرض الدنيا ترغبها
دارٌ إذا جاءت الآمال تعمرها   جاءت مقدمة الآجال تخربها
أراك تطلب دنيا لست تدركها   فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

وفاته :

قال ياقوت : وأما وفاته ؛ فلم يبلغني فيها شيءٌ غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة .

وذكر بعض المؤرخين أنه توفي في حدود الأربعمائة . فالله أعلم .

مصادر الدراسة والترجمة :

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .
٢. الوافي بالوفيات للصفدي .
٣. طبقات المفسرين للسيوطي .
٤. الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقي الغزي .
٥. الأعلام للزركلي .
٦. معجم المؤلفين لعمر كحالة .
٧. تاريخ دمشق لابن عساكر .
٨. تاريخ الإسلام للذهبي .
٩. هدية العارفين للباباني .
١٠. دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي .
١١. كشف الظنون لحاجي خليفة .

١٢. معجم المطبوعات .

وصف النسخة الخطية :

نسخة كتبت بخط نسخ جيلي مشكول تظهر فيها العناوين بخط أسود بارز ولكن يعيبها في بعض الأحيان سوء التخزين حيث نجد بعض الطمس على جوانبها وفي مواضع متفرقة من صفحاتها .

وتقع النسخة في ١٩١ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

وهي نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات بالقوائم غير المفهرسة .

وقد قمنا بنسخ المخطوط ثم مطابقة ما نُسخ على الأصل المخطوط ليتم استدراك ما فات من سهو أو انتقال نظر أثناء النسخ ، ثم عمدنا إلى العمل التحقيقي في الكتاب من إحالة إلى جذور وشرح الكلمات وتخريج الأحاديث والآيات وغير ذلك مما ستجده في الكتاب .

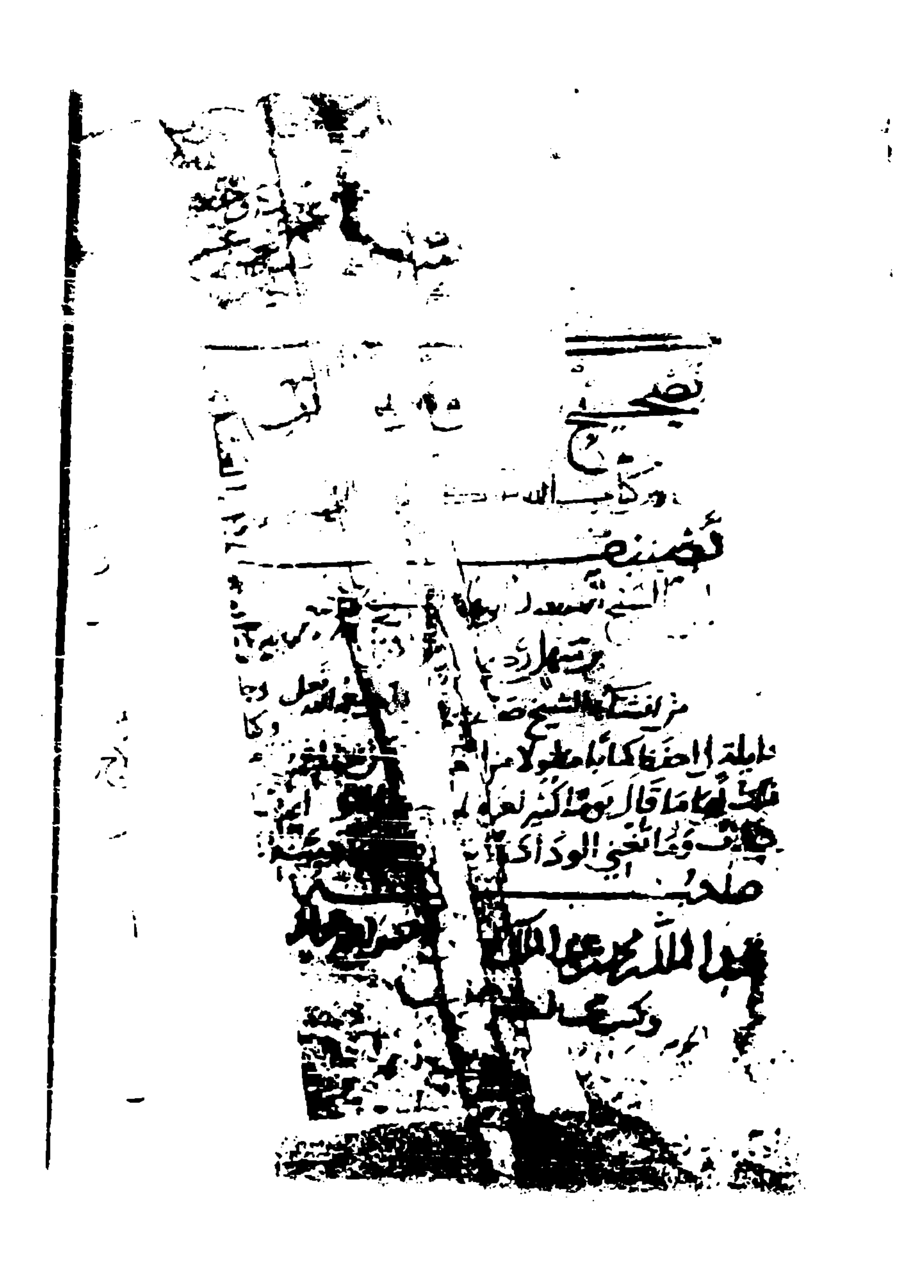
وقدمنا ذلك كله بدراسة لعلم الوجوه والنظائر مشيرين إلى أهم الكتب التي تحدثت في هذا المجال .

ثم ألحقنا ذلك بترجمة لأبي هلال العسكري وفرقنا بينه وبين خاله أبي أحمد والذي قد يخطأ كثير من المؤرخين فيهما كما قدمنا قبل .

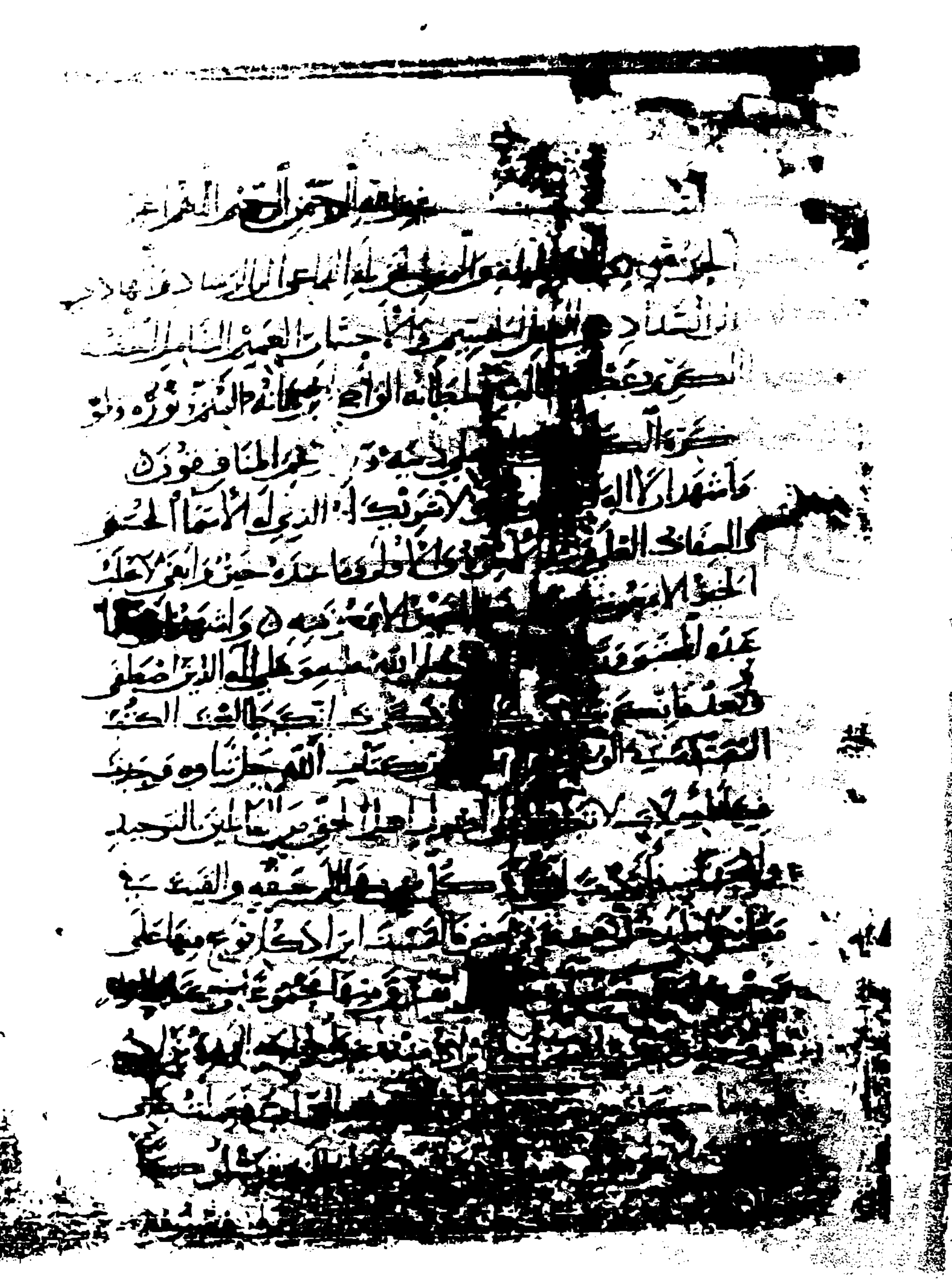
وهذا الكتاب كتاب جليل فيه فوائد جمة نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بها فيه .

آمين

صور المخطوط



ورقة الغلاف من المخطوط



الورقة الأولى من المخطوط

[illegible] وجوه من [illegible] مختصرًا ورتبت أبوابه ترتيبًا [illegible]
[illegible] أواخرها والقرينة [illegible]
[illegible] على [illegible]
مواضعه ويسهل [illegible] منه ما كان
في أوله ألف [illegible] ثم ما كان [illegible] ثم كذلك
إلى آخر الحروف والله المعين على ما فيه رضاه وهو حسبنا ونعم
الوكيل

الباب الأول

فيما جاء من وجوه النظائر أوله ألف

الإمام

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل
رحمه الله: أن الإمام أصله القصد، ثم سمي الإمام إمامًا لأنك
تقصد قصده واتباعه، وقيل للخليفة إمام لأنك تقصد قصده أو
لأنه يتقدم فيتبع أثره، والطريق إمام لأنه يقصد، وقد أممت
إذا قصدت، وأصل [illegible] من ذلك [illegible]
وهو ما بين القرب والبعد، وأم الشيء أصله [illegible]
كل من يؤم الشيء [illegible]
الجبال وأم الدماغ الجلدة الرقيقة [illegible]
[illegible]

الورقة الثانية من المخطوط

به ولهذا لا يقال [illegible] إنه مستغن وهو الغني والفقر
ولا يكون إلا علماً [illegible] الصدق ولهذا يقال الحق اليقين
ولا يقال الحق العلم ومن أجل ذلك أيضاً لا يوصف الله
به وهو أبلغ من العلم لأن العرب يقولون أعلم وأتقن ومن عادتهم
أن يوجدوا [illegible] في القرآن على ثلاثة أوجه
أحدها اليقين قال تعالى وبالآخرة هم يوقنون
أي يعلمون والثاني الموت قال تعالى حتى يأتيك
اليقين يعني الموت قالوا والثالث
القرآن قال تعالى حتى يأتيك اليقين وأضاف الحق
إلى اليقين لاختلاف [illegible] وهما واحد كما قالوا حبل الوريد
[illegible] تعرف أهل العربية وهو عند المحققين غير
حال والصواب أن يقال إن معناه أنه محض اليقين
كما تقول هذا أحق الشيء ولو كان اليقين نعتاً لم يجز أن يضاف
إليه كما لا يقال هذا الرجل الظريف إنما هو كقوله
عين اليقين كما قال تعالى لترونها عين اليقين اليمين أصلها
القوة وقيل اليد اليمنى لقوتها على اليسرى واليمين القسم لأنه قوة
يدفع الدعوى وأصلها أنهم إذا تحالفوا تصافقوا بأيمانهم فسمي الحلف
يميناً وهي في اللغة توكيد القول بذكر معظم عند القائل
كقولك بأبي وأبيك وهي في الشرع توكيد القول بذكر

الورقة قبل الأخيرة من المخطوط

الله أو بإنجاب قرينة في الحال أو على التفسير لا له عن قوله عليه السلام
إذا حلفتم فاحلفوا بالله واصدقوا فإن اليمين خير لما يؤوي فيه
الصدق والكذب من الكلام ودعته وهي في القرآن على
ثلثة أوجه أولها معنى القسم قال تعالى لا يؤاخذكم
الله باللغو في أيمانكم والثاني القوة قال تعالى لأخذنا
منه باليمين أي لانتقمنا منه بقوة ومعنى ذلك أنا قادرون عليه
ومنه قول الشماخ
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
ومنه قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أي بقدرته
ويجوز أن يكون المعنى بالمبالغة كما قال خلقت بيدي
والثالث بمعنى الملك قال تعالى وما
ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يعني ما جعل لك من غنائم ونحوها
وما ملكت أيمانكم. قد أتينا الأبواب التي تقدم بها الشرط في
أول الكتاب وشرحنا مضمونها ما احتاج إلى الشرح وغيره
اختصار ولا إفراط ليقربنا إلى الله عز وجل النفع بها عاجلا
وآجلا وهو ولي المنة بذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم
الوكيل وصلواته على نبيه وآله الطاهرين. وكتب عبد
وفرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعمائة ٩٥
حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه أبي الطيب بن الطاهر بن علي الخيا

الورقة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

وبِهِ أَسْتَعِينُ ، وعَلَيهِ أَتوكلُ

الحمدُ لله ذي النعمِ الجليلةِ والمِنَنِ الجزيلةِ ، الداعي إلى الرشادِ ، والهادِي إلى السدادِ ، ذي الفَضْلِ الجسيمِ والإحسانِ العميمِ ، الشاملِ لطفُه ، الكريمِ عطفُه ، الغالبِ سلطانُه ، الواضحِ برهانُه ، المتم نورَه : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٣٢] ، المعلي دينه ولو رغم المنافقون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وبيده الآخرة والأولى ، وما عنده خير وأبقى ، لا يجلب الخير إلا بمعونته ، ولا يدفع الضر إلا بمغوثته .

وأشهد أن محمدا عبده المجتبى ورسوله المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى ، وبعد

فإنك - سددك الله - ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه ، فوجدت فيها تأويلات تطرد على أصول أهل الحق من القائلين بالتوحيد والعدل .

فأردت أن يرد كل شيء منها إلى حقه ، وألفيت في معانيها ما يدخل بعضه في بعض . فالتمست إيراد كل نوع منها على وجهه ، وتوخيت أن يكون ما تفرق منها مجموعا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما يراد منه عند الحاجة إليه ، ويزاد عليه ما كان من جنسه مما لم تتكلم فيه السلف .

فعملت كتابي هذا مشتملا على أنواع هذا الفن ، محمولا على ما طلبت ، ومسلوكا به طريق ما سألت ، قد نفي اللبس عن جميعه ، وبين الصواب في صنوفه ، وميزت وجوهه تمييزا صحيحا ، وقسمت أبوابه تقسيما مليحا .

وذكر أصل كل كلمة منه واشتقاقها في العربية ؛ لتكثر فائدتك به ، ونظم على نسق حروف المعجم ؛ ليتيسر الوصول إلى المطلوب من أنواعه ، ويتسهل نيل ما ينبغي من أصنافه .

فأبتدئ منه بما كان في أوله ألف أصلية أو زائدة ، ثم بما كان في أوله باء ، ثم كذلك إلى آخر الحروف .

والله المعين على ما فيه رضاه ، وهو حسبنا ونعم الحسيب .

الباب الأول

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

إمـــام

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله :

الإمام أصله : القصد[1] .

(١) الإمام : الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً . ينظر التعريفات للجرجاني (أ م م) .
وأمّا الهمزة والميم فأصلٌ واحدٌ ، يتفرّع منه أربع أبواب ، وهي الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدِّين ، وهذه الأربعة متقاربة ، وبعد ذلك أصولٌ ثلاثة ، وهي القامة ، والحين ، والقَصْد ، قال الخليل : الأُمّ الواحدُ والجمع أمّهات ، وربما قالوا أمٌّ وأمّات . قال شاعرٌ وجَمَع بين اللّغتين :

إذا الأُمّهات قَبَحْنَ الوجوهُ *** فَرَجْتَ الظّلامَ بأمّاتِكا

وتقول العَرَب : "لا أمّ له" في المدح والذمّ جميعاً . قال أبو عبيدة : ما كنتِ أمّاً ولقد أمَمْتِ أُمومةً . وفلانةٌ تـؤمُّ فلاناً أي تغذوه ، أي تكون لـهُ أمّاً تغذوه وتربيّه .
وتقول أمٌّ وأمّةٌ بالهاء . قال :

تَقَبّلتَها من أُمّةٍ لَكَ طالما *** تُنُوزِعَ في الأسواقِ عنها خِمارُها

قال الخليل : كلُّ شيءٍ يُضَمُّ إليه ما سواه مما يليه فإنّ العربَ تسمّي ذلك الشيءَ أُمّاً . ومن ذلك أُمُّ الرأس وهو الدّماغ . تقول أمَمْت فلاناً بالسيف والعَصا أمّاً ، إذا ضربته ضربةً تصل إلى الدماغ . والأميم : المأموم ، وهي أيضاً الحجارة التي تُشْدَخ بها الرؤوس ؛ والشّجةُ الآمّة : التي تبلغ أمَّ الدماغ ، وهي المأمومة أيضاً . قال :

يحُجُّ مأمُومةً في قَعْرِها لَجَفٌ *** فاستُ الطّبيبِ قَذاها كالمَغاريدِ

قال الخليل : أمّ التّنائف أشدُّها وأبعدها . وأُمُّ القرى : مكّة ؛ وكلُّ مدينةٍ هي أمُّ ما حولها من القُرى ، وكذلك أمُّ رُحْمٍ وأمُّ القُرآن : فاتحة الكتاب . وأمُّ الكتاب : ما في اللّوح المحفوظ . وأمّ الرّمح : لواؤه وما لُفَّ عليه . قال :

وسلبنَ الرُّمْحَ فيه أُمُّهُ *** مِنْ يدِ العاصي وما طال الطِّوَلْ

وتقول العَرَبُ للمَرأة التي يُنْزَل عليها : أمُّ مَثوىً ، وللرّجُل أبو مَثوىً . قال ابن الأعرابيّ : أمّ مِرزَم الشّمال ، قال :

إذا هو أمسى بالحَ لاءة شاتياً *** تُقَشِّرُ أعلى أنفِهِ أمُّ مِرزَمِ

وأم كلْبَةٍ الحمّى . ففيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد الخليل : "أبرَحَ فتىً إنْ نجا مِنْ أمّ كَلْبَة" . وكذلك أمُّ مِلْدَم ، وأمُّ النُّجوم : السّماء . قال تأبّط شرّاً :

يرى الوَحْشَةَ الأُنس الأنيسَ ويهتدي *** بحيث اهتدت أُمُّ النُّجومِ الشّوابِكِ

انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس مادة (أ م م) .

وسمي الإمام إماما ؛ لأنك تقصد قصده في أفعاله .

وقيل للخليفة : إمام ؛ لأنك تقصد قصد أوامره ، أو لأنه يتقدم ، فتتبع أثره .

والطريق(١) : إمام ؛ لأنه يقصد . وقد أممت ، إذا قصدت .

وأصل التيمم : التأمم ، وهو تفعل من ذلك . وأمر أمم : قصد ، وهو ما بين القريب والبعيد .

وأم الشيء : أصله ، ترجع إلى هذا ؛ لأن كل من يريد الشيء فإنما يقصد أصله ، فيبتدئ به في أكثر الحال .

وأم الدماغ : الجلدة الرقيقة التي تجمعه .

وسميت الأم أما ؛ لأن ولدها يتبعها .

وسميت سورة الحمد : أم الكتاب ؛ لأنها تتقدم الكتاب ، فهو تابع لها كما يتبع الولد أمه .

والإمام في القرآن على أربعة أوجه :

أولها : بمعنى القائد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، أي : قائدا في الخير مقتدى بك .

---

(١)الإمام : الطريق ، قال تعالى : ﴿ وإنّهما لبإمام مبين ﴾ . والأمام : بمنزلة القُدّام ، وفلانٌ يؤمّ القوم ، أي : يَقدُمُهُمْ . وتقول : صَدْرُك أَمامُك ، تَرْفَعُه ، لأنّك جَعَلته اسْماً ، وتقول : أَخُوك أمامَك ، تنصب ، لأنّ أمامَك صفة ، وهو موْضعٌ للأخ ، يُعْنَى به ما بين يديك من القرار والأرض . العين مادة (أ م م) .
وقال الألوسي في روح البيان ١٠ / ٥٨ : إن القول الأول كذلك أيضاً لأن الأخبار عن مدينة قوم لوط عليه السلام بأنها ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي لبطريق واضح يتكرر مع الأخبار عنها آنفاً ، بأنها لبسبيل مقيم على ما عليه أكثر المفسرين ، وجمع غيرها معها في الأخبار لا يدفع التكرار بالنسبة إليها وكأنه لهذا قال بعضهم : الضمير يعود على لوط وشعيب عليهما السلام أي وانهما لبطريق من الحق واضح .
وقال الجبائي : الضمير لخبر هلاك قوم لوط وخبر هلاك قوم شعيب ، والإمام اسم لما يؤتم به وقد سمي به الطريق واللوح المحفوظ ومطلق اللوح المعد للقراءة وزيج البناء ويراد به على هذا اللوح المحفوظ .

والجعل هاهنا بمعنى القضاء ، أي : قاض لك بالتقدم على الناس بالنبوة ليقتدوا بك .

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، يجوز أن يكون سؤالا : أن يجعل من ذريته أنبياء ، ويجوز أن يكون استخبارا ، فقال : ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، أي : ينال عهدي المؤمنين من ذريتك دون الظالمين لأنفسهم .

والعهد هاهنا : النبوة والوحي ، وقيل : الرحمة ، وقيل : الوعد ، والأول الوجه .

ومثله : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان آية ٧٤] ، أي : الطف بنا حتى نصير من التقوى والصلاح بحيث يقتدي بنا المتقون . ويجوز أن يكون المعنى : حتى نكون يوم القيامة من أئمة المتقين نتقدمهم في المضي إلى الجنة ويتبعوننا .

وقال : إماما ، وأراد أئمة ، سماهم بالمصدر .

أم يؤم إماما وإمامة ، كما تقول : جل جلالا وجلالة ، ومثله : الكتاب والكتابة ، وقيل : معناه : اجعلنا للمتقين بالائتمام بهم ، أي : اجعلنا أتباعا لهم .

ونحوه قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [سورة هود آية ١٧ ، الأحقاف ١٢] ، يعني : التوراة يقتدى بها .

الثاني : الكتاب ، قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٢] ، أي : بكتابهم الذي فيه أعمالهم . وقيل : بداعيهم الذي دعاهم إلى الهدى أو الضلالة . وقيل : بدينهم .

الثالث : قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [سورة يس آية ١٢] ، يعني : اللوح المحفوظ ، والشاهد قوله : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [سورة يس آية ١٢] ، أي : نكتب ما سلف من أعمالهم ، وما أثروه في الدنيا من سنن الخير أو الشر ، ثم قال : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي : وكتبنا كل شيء في اللوح المحفوظ ؛ لتعتبر الملائكة بما يكون من ذلك لأوقاته ، لا لمخافة النسيان ؛ لأن النسيان لا يجوز على الله .

الرابع : الطريق ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة الحجر آية ٧٩] . أي : بطريق واضح تمرون عليها في أسفاركم ، يعني : القريتين المهلكتين ؛ قرية قوم لوط وأصحاب الأيكة .

الأمة[1]

راجعة إلى القصد ، وهي : الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون . وقولنا : أمة محمد صلى الله عليه ، معناه : الجماعة القاصدة لتصديقه ، المتفقة في أصول دينه ، وإن اختلفت في الفروع .

ويجوز أن يكون أصل الكلمة الجمع . فقيل للرجل : أمة ؛ لأنه يسد مسد الجماعة . والإمام : إمام ؛ لاجتماع القوم عليه . والأم ؛ لجمعها أمر الولد[2] .

والأمة : الدهر ؛ لأنها جماعة شهور وأعوام ، وهو قوله : ﴿وَادكَرَ بَعْدَ أُمةٍ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . وقيل : يريد بعد حين أمة فحذف .

وأمه : إذا قصد الاجتماع معه . وفلان حسن الأمة ، أي : القامة ؛ وذلك لاجتماع خلقه على الاستواء .

والأمي : قيل : من الأمة الجماعة ، أي : على أصل ما عليه الأمة ، وقيل : هو من الأم .

وهي في القرآن على عشرة أوجه :

---

(١) الامة : الجماعة ، وتكون واحدا إذا كان يقتدي به في الخير ، ومنه قوله تعالى : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله" ، وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل : (يبعث أمة وحده) لانه لم يشرك في دينه غيره ، والله أعلم .

وقد يطلق لفظ الامة على غير هذا المعنى ، ومنه قوله تعالى : "إنا وجدنا آباءنا على أمة " أي على دين وملة ، ومنه قوله تعالى : " إن هذه أمتكم أمة واحدة " . وقد تكون بمعنى الحين والزمان ، ومنه قوله تعالى : " وادكر بعد أمة " أي بعد حين وزمان . ويقال : هذه أمة زيد ، أي أم زيد .

والامة أيضا : القامة ، يقال : فلان حسن الامة ، أي حسن القامة ، قال : وإن معاوية الاكرمين ؟ حسان الوجوه طوال الامم وقيل : الامة الشجة التي تبلغ أم الدماغ ، يقال : رجل مأموم وأميم .[القرطبي :٢/ ١٢٧] .

(٢)تأويل ذلك كان آدم على الحقّ إمامًا لذريته ، فبعث الله النبيين في ولده . ووجهوا معنى "الأمة" إلى طاعة لله ، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره ، من قول الله عز وجل(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهَِّ حَنِيفًا) [سورة النحل : ١٢٠] ، يعني بقوله"أمة" ، إمامًا في الخير يُقتدى به ، ويُتَّبع عليه . ينظر تفسير الطبريَ ٤/ ٢٧٦ .

أولها : الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٨] ، أي : جماعة ، ومثله : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، وقوله : ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ [سورة المائدة آية ٦٦] ، وقوله : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٩] .

الثاني : الملـة ، قال الله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] . يعني : أهل أمة واحدة ، أي : ملة ؛ فحذف لبيان المعنى(١) ، كما قال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية ٨٢] .

وسميت الملة أمة ؛ لاجتماع أهلها عليها ، ويجوز أن يقال : أنها سميت أمة ؛ لأنها تقصد وتتبع .

والمراد أن الناس كانوا على الكفر فيما بين آدم ونوح ، أو فيما بين نوح وإبراهيم ، فبعث الله النبيين عليهم السلام بالأوامر والنواهي والبشارات والزواجر ، : ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] ، أي : الذي فيه الحق ؛ ليكون فصلا بين المختلفين بما فيه من التمييز بين الصواب والخطأ ، وهو مثل قولك : ذهب به ، وخرج به ، وما أشبهه(٢) .

---

(١)وأصل "الأمة" ، الجماعة تجتمع على دين واحد ، ثم يُكتفى بالخبر عن "الأمة" من الخبر عن "الدين" ، لدلالتها عليه ، كما قال جل ثناؤه :(وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [سورة المائدة :٤٨ سورة النحل : ٩٣] ، يراد به أهل دين واحد وملة واحدة . فوجه ابن عباس في تأويله قوله :" كان الناس أمة واحدة" ، إلى أن الناس كانوا أهل دين واحد حتى اختلفوا .

(٢)جائزٌ أن يكون كان ذلك حين عَرض على آدم خلقه . وجائزٌ أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك- ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة على أيِّ هذه الأوقات كان ذلك . فغيرُ جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل : من أن الناس كانوا أمة واحدة ، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياءَ والرسل . ولا يضرُّنا الجهل بوقت ذلك ، كما لا ينفعُنَا العلمُ به ، إذا لم يكن العلم به لله طاعةً ، غير أنه أي ذلك كان ، فإن دليلَ القرآن واضحٌ على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة ، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به . وذلك إن الله جل وعز قال في السورة التي يذكر فيها"يونس" :(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [يونس : ١٩] . فتوعَّد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع ، ولا على كونهم أمة واحدة ، ولو كان اجتماعُهم قبل الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك ، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان ، ولو كان ذلك كذلك

الثالث : أهل الإسلام بعينه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس آية ١٩] ، يعني : حالهم على عهد آدم ، وما كانوا عليه في سفينة نوح . ومثله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة النحل آية ٩٣] ، ومثله في المائدة ، أي : لو شاء الله لجعلكم متفقين على الإسلام قهرا ، كما قال تعالى : ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ٤] .

الرابع : قوله : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٢] . أي : ملتكم ، فهي هاهنا الملة بعينها ، وفي الأول : الجماعة المتفقة على الملة الواحدة كما بينا .

قال الزجاج : ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ، : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ رفع ؛ لأنه خبر هذه ، المعنى : أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق ، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلا فيها ، فنصب : ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحال .

وقرئ : (أمة واحدة) على أنها خبر بعد خبر ، ومعناه : إن هذه أمة واحدة سورة ليست آية أمما ، ويجوز أن يكون نصب : ﴿أُمَّتَكُمْ﴾على التوكيد كأنه قال : إن أمتكم كلها أمة واحدة .

الخامس : قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَخرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [سورة هود آية ٨] . يعني : سنين .

ومثله قوله تعالى : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . أي : بعد حين .

وسمي الحين أمة ؛ لأنه جماعة أوقات وشهور . وقيل : هو على حذف : أي : بعد حين أمة ، أي : جماعة .

لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته ، ومحالٌ أن يتوعد في حال التوبة والإنابة ، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك .

وقرئ : بعد أمه ، أي : بعد نسيان . وقيل : ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ ، أي : جماعة معدودة ، بأنه ليس فيها من يؤمن ، فإذا صارت كذلك أهلكت بالعذاب .

السادس : قوله تعالى : ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل آية ٩٢] ، يعني : قوما يكونون أربى من قوم ؛ أي : أكثر عددا ، ومنه الربا ؛ لأنه زيادة في أصل المال .

ومثله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [سورة الحج آية :٣٤] . أراد أنه جعل لكل أمة من الأمم التي خلت فيها الرسل منسكا ؛ وهو الذبائح التي كان أمرهم أن يتقربوا بها إلى الله - ونتكلم في ذلك فيما بعد إن شاء الله - ولم يرد جميع الأمم ؛ لأنه لم يجعل للمجوس وعباد الأصنام مناسك(١) .

السابع : الإمام ، قال الله تعالى : ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [سورة النحل آية ١٢٠] . أي : إماما يقتدى به في الخير .

وقيل الأمة : الرجل العظيم ، وسمي بذلك ؛ لأنه يؤم في الحوائج ؛ أي : يقصد .

---

(١)لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة ، والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد ، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا . والمنسك الذبح وإراقة الدم ، قاله مجاهد : يقال : نسك إذا ذبح ينسك نسكا . والذبيحة نسيكة ، وجمعها نسك ، ومنه قوله تعالى : " أو صدقة أو نسك " (١) [البقرة : ١٩٦] .
والنسك أيضا الطاعة .
وقال الازهرى في قوله تعالى : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع ، أراد مكان نسك . ويقال : منسك ومنسك ، لغتان ، وقرئ بهما . قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين ، الباقون بفتحها .
وقال الفراء : المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر . وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى .
وقال ابن عرفة في قوله : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : أي مذهبا من طاعة الله تعالى ، يقال : نسك نسك (٢) قومه إذا سلك مذهبهم . وقيل : منسكا عيدا ، قاله الفراء . وقيل : حجا ، قاله قتادة .
والقول الاول أظهر ، لقوله تعالى : (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبح ما رزقهم .
فأمر تعالى عند الذبح بذكره وأن يكون الذبح له ، لانه رازق ذلك .
ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم ، فكذلك الامر في الذبيحة إنما ينبغى أن تخلص له .

الثامن : أمة كل رسول ؛ يعني : من بعث إليه الرسل من أمثال عاد ، وثمود ، وقوم لوط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَةٍ أَجَلَهَا﴾ [سورة الحجر آية ٥ ، المؤمنون ٤٣] ، يعني : من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن مِنْ أُمةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر آية ٢٤] . يعني : الأمة من هذه الأمم ؛ لأن الفرس والسند والهند والزنج أمم ولم يبعث فيها نذير ، وإنما كانوا متعبدين بتصديق من بعث في غيرهم من الأنبياء ، على حسب ما يعبدوا بتصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ولم يبعث فيهم .

التاسع : قوله : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة .

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة آية ١٤٣] . أي : عدلا . وهو من واسطة القلادة ، وليس من قولهم : هذا شيء وسط . إذا كان بين العالي والمنحط ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله : " أنا أوسط قريش نسبا " .

وله وجه آخر : وهو أن الوسط : العدل ، وسمي بذلك ؛ لأنه بين غلو الغالي وتقصير المقصر[1] .

---

(١) وأما "الوسَط" ، فإنه في كلام العرب الخيارُ . يقال منه : "فلان وَسَطُ الحسب في قومه" ، أي متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، و"هو وَسَطٌ في قومه ، وواسطٌ" ، كما يقال : "شاة يابِسةُ اللبن ويَبَسةُ اللبن" ، وكما قال جل ثناؤه : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) [سورة طه : ٧٧] ، وقال زُهير بن أبي سُلمى في "الوسط" :

هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأنامُ بِحُكْمِهِمْ . . . إِذَا نزلَتْ إِحْدَى الليَالِي بِمُعْظَمِ

قال أبو جعفر : وأنا أرى أن "الوسط" في هذا الموضع ، هو "الوسط" الذي بمعنى : الجزءُ الذي هو بين الطرفين ، مثل "وسَط الدار" محرَّك الوَسط مثقَّله ، غيرَ جائز في "سينه" التخفيف .

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسَط" ، لتوسطهم في الدين ، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه ، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه ، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله ، وقتلوا أنبياءَهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها .

وأما التأويل ، فإنه جاء بأن "الوسط" العدلُ . وذلك معنى الخيار ، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم .

ومعنى الآية على هذا : إنكم لم تغلوا في الأنبياء غلو النصارى في عيسى ، إذ قالوا : إنه إله . ولم تقصروا فيهم تقصير اليهود ، إذ قالوا : إنه كذاب .

ومن الأول قولهم : فلان وسيط في حسبه ، أي : هو الكامل المتناهي .

وفي الآية دليل على أن الأمة لا تجتمع على الباطل .

والوسط بالإسكان : الموضع .

والوسط بالتحريك : ما بين طرفي كل شيء ، وأصل الكلمة العدل ، فالمكان لا يمتد إلى المسافة إلى أطرافه .

والرجل الأوسط في قومه : الذي تكلله الشرف من نواحيه .

العاشر : قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . يعني : الكفار من أمة محمد صلى الله عليه ، وقد تقدم ذكر الأمم والرسل في القرآن ، فعطف قوله : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ . على أولئك الرسل ، فكأنه قال : كما أرسلنا إلى أمم رسلا من قبل أرسلناك إلى أمة ، يعني : هذه الأمة ، و : ﴿خَلَتْ﴾ . أي : مضت ولم تبق منهم باقية .

وفي هذا التزهيد في الدنيا والحث على الاعتبار بمن سلف . ثم قال : ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . أي : لتتلوه عليهم وتدعوهم إلى العمل به فحذف ذلك .

وقوله : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرحْمَنِ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . موصول بقوله : ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمةٍ﴾ . الكفر بالرحمن دينهم .

والأصل في هذا كله واحد إلا أن موضع الاستعمال يختلف[1] .

ذكر من قال :"الوسطُ" العدلُ . ينظر تفسير الطبري ٣/ ١٤٠ – ١٤١ .

(١) قال الخليل : الأمّة : الدِّين ، قال الله تعالى : ﴿إنا وَجَدْنا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف ٢٢] .

وحكى أبو زيد : لا أمّة له ، أي لا دينَ له . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيد بن عمرو بن نُفَيل : "يُبْعَثُ أمّةً وحْدَهُ" .

وهاهنا وجه آخر ، وهو قوله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية :٣٨] . لـما جعلها أمثالهم في الخلق والموت والبعث جعلها أمما .

وكذلك كلُّ مَنْ كان على دينٍ حقٍّ مخالفٍ لسائر الأديان فهو أمّة . وكلُّ قوم نُسبوا إلى شيءٍ وأُضيفوا إليه فهم أمّة ، وكلُّ جيل من النّاس أمّةٌ على حِدَة .

وفي الحديث : "لولا أنّ هذه الكلابَ أمّةٌ من الأمم لأمرْتُ بقتلها ، ولكن اقتُلُوا منها كلّ أسوَدَ بَهيم" .

فأمّا قولـه تعالى : ﴿ كانَ النّاسُ أمّةً واحِدَةً ﴾ [البقرة ٢١٣] ، فقيل كانوا كفّاراً فبعثَ اللهُ النبيّين مبشّرين ومنذرين . وقيل : بل كان جميعُ مَنْ مع نوحٍ عليه السلام في السفينة مؤمناً ثمّ تفرقوا . وقيل : ﴿ إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمّةً ﴾ [النحل ١٢٠] ، أي إماماً يُهتدَى به ، وهو سبب الاجتماع . وقد تكون الأمّة جماعة العلماء ، كقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ ﴾ [آل عمران ١٠٤] .

وقال الخليل : الأمّة القامَة ، تقول العَرَب إنّ فلاناً لَطويل الأُمّة ، وهم طِوال الأُمَم ، قال الأعشى :

وإنَّ مُعاوِيَةَ الأكرَمِينَ *** حِسانُ الوُجوهِ طِوالُ الأُمَمْ

قال الكسائيّ : أمّة الرجل بَدَنه ووجْهه . قال ابن الأعرابيّ : الأمّة الطاعة ، والرّجلُ العالم .

قال أبو زيد : يقال إنّه لحسَنُ أمّة الوجْه ، يغزُون السَّنَة ، ولا أمّة لبني فلانٍ ، أي ليس لهم وجه يقصِدون إليه لكنهم يخبِطُون خَبْط عَشْواءَ .

قال اللّحيانيّ : ما أحسن أمّته أي خَلْقه . قال أبو عُبيد : الأُمّيّ في اللغة المنسوبُ إلى ما عليه جبلة الناس لا يكتُب ، فهو [في] أنّه لا يكتُبُ على ما وُلِدَ عليه .

قال : وأمّا قول النّابغة :

* وهلْ يأْثَمَنْ ذو أمّةٍ وهو طائِعُ *

فمن رفَعه أراد سنّة ملكه ، ومن جعَله مكسوراً جعَله دِيناً من الائتمام ، كقولك ائتم بفلان إمّةً .

والأمة في قوله تعالى : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمّةٍ ﴾ [يوسف ٤٥] ، أي بعد حين .

والإمام : كلُّ من اقتُدِي به وقُدِّم في الأمور . والنبيُّ صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرّعية ، والقرآن إمام المسلمين . قال الخليل : الإمّة النّعمة . قال الأعشى :

* وأصاب غزوُكَ إمّةً فأزالها *

انظر مقاييس اللغة مادة (أم م) .

الأخـذ(١)

أصله : الجمع ، ومنه يقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء السماء : الأخذ ، والجمع إخاذ ، ويقال له : وخذ أيضاً ، ويقال : ولي على الشأم وما أخذ إخذه ؛ أي : اجتمع مع أعماله . ومآخذ الطير : مصائدها ؛ لأنها تجتمع فيها ، والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر .

واستعمل في القرآن على ستة أوجه :

أولها : القبول ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [سورة المائدة آية :٤١] . أي : اقبلوه . وقوله : ﴿وَيَأْخُذُ الصدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة آية :١٠٤] . أي : يقبلها ، ومعنى قبوله لها إثابته عليها . وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُل عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام آية :٧٠] . أي : لا يقبل منها فدية ، والعدل : الفدية ، وسنذكره إن شاء الله .

ومثله قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾(٢) [سورة الأعراف آية ١٩٩] . أي : اقبل الفضل من أموالهم .

---

(١) الفرق بين الاخذ والاتخاذ : أن الاخذ مصدر أخذت بيدي ويستعار فيقال أخذه بلسانه إذا تكلم فيه بمكروه ، وجاء بمعنى العذاب في قوله تعالى " وكذلك أخذ ربك " وقوله تعالى " فأخذتهم الصيحة " وأصله في العربية الجمع ومنه قيل للغدير وخذ وأخذ جعلت الهمزة واوا والجمع وخاذ واخاذ ، والاتخاذ أخذ الشئ لامر يستمر فيه مثل الدار يتخذها مسكنا والدابة يتخذها قعدة ، ويكون الاتخاذ التسمية والحكم ومنه قوله تعالى " واتخذوا من دونه آلهة " أي سموها بذلك وحكموا لها به [الفروق اللغوية : ١/ ٢٩] .

(٢)قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

فقال بعضهم : تأويله :(خذ العفو) من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم . ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، في قوله :(خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله :(خذ العفو) قال : عفو أخلاق الناس ، وعفوَ أمورهم .

حدثنا يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله :(خذ العفو) ، . . الآية . قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس :(خذ العفو وأمر بالعرف) ، الآية .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد :(خذ العفو) ، من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .

- . . . . قال : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير :(خذ العفو) قال : من أخلاق الناس ، والله لآخذنَّه منهم ما صحبتم .

- . . . . قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : إنما أنزل الله :(خذ العفو) ، من أخلاق الناس .

- حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :(خذ العفو) قال : من أخلاقالناس وأعمالهم ، من غير تحسس =أو تجسس ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسِخ . ذكر من قال ذلك :

- حدثني المثنى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله(خذ العفو) ، يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه . فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه .

- حدثني محمد بن الحسين . قال : حدثنا أحمد بن المفضل قال : حدثنا أسباط ، عن السدي :(خذ العفو) ، أما "العفو" : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

- حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله :(خذ العفو) ، يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه . ذكر من قال ذلك :

- حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله :(خذ العفو) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة . قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرْصَد ، وأن يحصرهم ، ثم قال :(فَإِنْ تَابُواوَأَقَامُوا الصَّلاةَ) ، [سورة التوبة : ٥ ، ١١] الآية ، كلها . وقرأ :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) ، [سورة التوبة : ٧٣ / سورة التحريم : ٩] قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) ، [سورة التوبة : ١٢٣] بعدما كان أمرهم بالعفو . وقرأ قول الله :(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) ، [سورة الجاثية : ١٤] ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم وقال : أمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في المشركين . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه صلى الله عليه وسلم محاجَّته المشركين في الكلام ، وذلك قوله :(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) ، وعقَّبه بقوله :(وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا) ، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيَّه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به ، أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين . [جامع البيان :١٣/ ٣٢٧-٣٢٩] .

قال ابن عباس : العفو ما عفا من أموالهم ؛ وهو الفضل منها بعد الكل والعيال ، ثم نزلت آية الزكاة ، وهو قول مقاتل .

وقال الحسن ومجاهد : أمر النبي صلى الله عليه وآله أن نأخذ العفو من أخلاق الناس .

والعفو هو التيسير والتسهيل ، والمعنى : استعمال العفو ، وقبول ما سهل من الأخلاق ، وترك الاستقصاء في المعاملات ، وقبول العذر من المذنب ، وإلى نحو هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه .

وقال بعضهم : خذ ما أتاك عفوا من إيمان قومك وغيرهم ، وينبغي أن يكون هذا قبل فرض السيف .

وقوله : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [سورة الحشر آية ٧] . أي : اقبلوه واعملوا به .

الثاني : الحبس ، قال الله تعالى : ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [سورة يوسف آية ٧٨] . أي : احبس ، : ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ﴾ [سورة يوسف آية ٧٩] . أي : نحبس ، ومثله : ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [سورة يوسف آية ٧٦] . وذلك أنه إذا حبس فقد حصل محصل الأسير ، [والأسير] يقال له : الأخيذ .

الثالث : العقاب ، قال الله تعالى : ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : عاقبتهم . وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ [سورة هود آية ١٠٢] . أي : عقابه . وقوله : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [سورة العنكبوت آية ٤٠] . أي : عاقبنا ، وفي هذا دليل على أن من لم يفعل ما وجب عليه فقد فعل ذنبا .

الرابع : القتل ، قال الله تعالى : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : ليقتلوه . كذا قيل ، والصواب : ليتمكنوا منه ، فإما أن يقتلوه ، أو يخرجوه ، أو يحبسوه ، وذلك أن ما أخذته فقد تمكنت منه .

الخامس : الأسر ، قال الله تعالى : ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ [سورة التوبة آية ٥] . أي : أسروهم واحبسوهم عن وجوههم فإن أسلموا وإلا فاقتلوهم ، وإنما أمر بقتلهم وأسرهم وحبسهم ليخافوا النكال فيؤمنوا .

والأشهر الحرم في هذه الآية : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ؛ فواحد منها فرد ، وثلاثة متوالية ، وليست هذه الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [سورة التوبة آية ٢] . لأن آخر تلك انقضاء عشر من شهر ربيع الأول ، وانقضاء الأشهر الحرم انقضاء المحرم والأربعة الأشهر الأولى ، وهي أشهر العهد ، والكلام في هذا طويل ليس ذا موضع ذكره .

السادس : الإصابة بالمكروه ، قال الله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [سورة الحجر آية ٧٣] . كذا قيل ، والصحيح أنه بمعنى الإهلاك ؛ أي : أهلكتهم هذه الصيحة ، ويجوز أن يكون نظير قوله : ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ؛ لأن الصيحة عقاب .

الاعتداء

أصله تجاوز الحد ، ومنه قيل : عداه جاوزه إذا جاوز قدره ، وسمي العدو عدوا لتجاوز حد السعي والمشي ، ويجوز أن يكون أصله من الميل ، ومنه قيل : عدوة الوادي وهي جانبه ، وفي القرآن : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾(1) [سورة الأنفال آية ٤٢] .

---

(١)قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون ، واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بيَّنه لكم ربكم ، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله "إذ أنتم" ، حينئذ ، "بالعدوة الدنيا" ، يقول : بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة "وهم بالعدوة القصوى" ، يقول : وعدوكم من المشركين نزولٌ بشَفير الوادي الأقصى إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا" ، قال : شفير الوادي الأدنى ، وهم بشفير الوادي الأقصى "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، أسفلَ منهم . حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، وهما شفير الوادي . كان نبيُّ الله بأعلى الوادي ، والمشركون أسفلَه "والركب أسفل منكم" ، يعني : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته] ، حتى قدم بها مكة .

- حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، من الوادي إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، أي : عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشام تجارًا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم كلهم . فاقتتلوا ، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحاق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

واختلفت القرأة في قراءة قوله : "إذ أنتم بالعدوة" . فقرأ ذلك عامة قرأة المدنيين والكوفيين :(بِالعُدْوَةِ) ، بضم العين . وقرأه بعض المكيين والبصريين :(بِالعِدْوَةِ) ، بكسر العين .

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ ، يُنْشَد بيت الراعي :

وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَآقِيهِمَا كَمَا نَظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ بكسر العين من "العدوة" ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر :

وَفَارِس لَوْ تَحُلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَهُ وَلَّوْا سِرَاعًا ، وَمَا هَمُّوا بِإِقْبَالِ [جامع البيان : ١٣/ ٥٦٤-٥٦٥] .

ومن ذلك قيل : العدو لميله عمن يعاديه ، وسمي الظلم اعتداءا ؛ لأنه ميل عن الحق ، كما سمي جورا ؛ لأنه ميل .

وهو في القرآن على وجهين :

أولهما : التجاوز ، قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوهَا ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] . أي : لا تجاوزوها إلى غيرها ، : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] أي : يتجاوزها ، ومثله : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [سورة الطلاق آية ١] .

الثاني : الظلم ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . أي : فمن ظلمكم فجازوه بظلمه ، فسمي الجزاء على الظلم ظلما .

قال الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَـــــدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الجَــــاهِلِينَا

لم يفتخر هذا الشاعر بالجهل وإنما أراد الجزاء على الجهل .

والجهل هاهنا : ركون الرأس في الشر ، وليس هو ضد العلم .

وأول الآية : ﴿ الشَهْرُ الْحَرَامُ بِالشَهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] .

والمعنى : أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن القتال في الشهر الحرام ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [وَصَد عَنْ سَبِيلِ الله] ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٧] . فأرادوا أن يغزوه في الشهر الحرام طمعا أن تكف عنهم فسألوا منه ، فأنزل الله : ﴿ الشَهْرُ الْحَرَامُ بِالشَهْرِ الْحَرَامِ ﴾ . أي : إن استحلوا منك في الشهر الحرام شيئا فاستحل منهم مثله فيه ، وأكده ذلك بقوله : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ . اي : لا يجوز ذلك بالمسلمين إلا قصاصا . ثم قال : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . والمعنى : إنهم إن اعتدوا فقاتلوكم في الشهر الحرام فلا تقصروا عن قتالهم فيهم ، فيكون الاعتداء من المشركين الظلم ، ومن المسلمين الانتقام .

وقوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة المائدة آية ٩٤] . أي : فمن قبل الدية ثم قتل فله العذاب ؛ لأنه ظالم . وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . دليل على أن الحر يقتل بالعبد ؛ لأن من قتل وليه فقد اعتدى عليه .

الأمر بالمعروف(١)

يعبر عن كل شيء بالأمر ، وأصله في اللغة : الظهور ، ومنه قيل للعلامة : أمارة ؛ لظهورها ، والإمرة ؛ لظهور أمرها ، والأمير ظاهر الأمر على ما يعلم ، وأمر الشيء إذا كثر ، ومع الكثرة ظهور الشأن .

والمعروف كله : ما تقبله النفس وتحبه ، والمنكر كل ما تكرهه وترده .

وأصل العرفان والمعروف واحد ؛ وهو الطمأنينة والسكون ، وذلك أنك إذا عرفت الشيء سكنت إليه إن كان محبوبا ، وإن كان مكروها عملت في إزالته لتسكن .

والعرف الريح الطيبة ؛ لأن النفس تسكن إليها .

والعرف الصبر ؛ لأنه يعقب ما يسكن معه ، ورجل عروف : صبور ، والعرف والمعروف سواء ، والعرف ، عرف الدابة معروف .

---

(١) أمر : الأمْرُ : نَقِيضُ النَّهْيِ ، والجَمِيعُ الأُمُورُ . وائْتَمَرَ الرَّجُلُ ائْتِمَاراً : اسْتَبَدَّ بِرَأْيِه . ولا يَأْتَمِرُ رُشْداً : أي لا يَأْتِيه . وأمَرْتُ فلاناً أمْرَه : أي أمَرْتُه بما يَنْبَغِي . وإنَّه لأَمُورٌ بالمَعْرُوْفِ من قَوْمٍ أُمُرٍ .
والأَمَرَةُ : البَرَكَةُ والنَّمَاءُ . وامْرَأَةٌ أَمِرَةٌ : مُبَارَكَةٌ على زَوْجِها .
وأَمِرَ الشَّيْءُ والقَوْمُ : كَثُرُوا ؛ أَمَارَةً وأَمَراً ؛ فهو أَمِرٌ ، وكذلك إذا وَلَدَتْ نَعَمَهُم . وآمَرْتُه : أكْثَرْتُه ؛ وأمَرْتُه : مِثْلُه . ومالَهُم أَمَارَةٌ كَثِيْرَةٌ . وزَرْعٌ إمَّرٌ : كَثِيْرٌ ؛ وإمَّرٌ بالتَّخْفِيفِ ؛ وأَمِرٌ بوَزْنِ كَبِدٍ . و " في وَجْهِ مالِكَ تَعْرِفُ أمَرَتَه " : أي زِيَادَتَه وخَيْرَه ، وفي الدُّعاءِ إذا أرَادُوا بالرَّجُلِ خَيْراً : ألْقى اللهُ في مالِكَ الأَمَرَةَ . وأمَرَ مالَهُ فهو مَأْمُوْرٌ وآمَرَه فهو مُؤْمَرٌ : أي كَثَّرَه . وفي الحَدِيْثِ : " خَيْرُ المالِ سِكَّةٌ مَأْبُوْرَةٌ أو مُهْرَةٌ مَأْمُوْرَةٌ " وهي الكَثِيْرَةُ النِّتَاجِ . ومَثَلٌ : " مَنْ أَمِرَ فَلَّ " أي مَنْ كَثُرَ غَلَبَ .
والأَمَرَةُ بِنَاءٌ كالرَّابِيَةِ ، والجَمِيعُ الأَمَرُ . والإمْرَةُ : الإمَارَةُ ، وأمِيْرٌ مُؤَمَّرٌ ، وأمَرَ علينا فلانٌ : وَلِيَ ، ولكَ عَلَيَّ أَمْرَةٌ مُطَاعَةٌ . والأَمَارُ : المَوْعِدُ . والأَمَارَةُ : العَلاَمَةُ ، والأَمَرَةُ : مِثْلُه . وأَمَرَ أمَرَةً وأمَارَةً : أي صَيَّرَ عَلَماً ، وأمَّرَ تأْمِيْراً : مِثْلُه . والإمْرُ : العَجِيْبُ من الأُمُوْرِ . والإمَّرُ : الصَّغِيْرُ من أوْلاَدِ الضَّأْنِ ، والأُنْثى إمَّرَةٌ .
وقيل : الإمَّرَةُ الرَّجُلُ الذي لا عَقْلَ له ولا رَأْيَ ، ومنه قَوْلُ السَّاجِعِ :
إذا طَلَعَتِ الشِّعْرى سَفَرا *** فلا تُرْسِلْ فيها إمَّرَةً ولا إمَّرا
وقيل : هو الأُنْثى من الحِمْلانِ . وسِنَانٌ مُؤَمَّرٌ : أي مُحَدَّدٌ .
والمُؤَامَرَةُ : المُشَاوَرَةُ ، آمَرْتُ الرَّجُلَ ، ومُرْنِي : أي أشِرْ عَلَيَّ ، ومنه قَوْلُه عَزَّ وجَلَّ : " إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُوْنَ بك " .
والمِئْمَرَةُ : المَشْوَرَةُ . والمُؤْتَمِرُ من أسْماءِ الشُّهُوْرِ : المُحَرَّمُ ، وجَمْعُه مُؤْتَمِرَاتٌ .
والآمِرُ : اسْمُ أوَّلِ يَوْمٍ من أيّامِ العَجُوْزِ ، وسُمِّيَ بذلك لأنَّه يَأْمُرُ النَّاسَ بالحَذَرِ منه . والمُؤْتَمِرُ : اليَوْمُ الثاني ؛ لأنَّه يَأْتَمِرُ بالنّاسِ أي يُؤْذِيهم ببَرْدِه . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٤٤] .

وهو في القرآن على وجهين :

الوجه الأول : الأمر بتوحيد الله ، [سورة والنهي آية عن] الشرك ، قال الله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخرِجَتْ لِلناسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . جاء في التفسير أنه أراد توحيد الله ، : ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : الشرك بالله ، ومثله قوله : ﴿يَا بني أَقِمِ الصلاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : بتوحيد الله : ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : عن الشرك .

الوجه الثاني : قيل : هو اتباع الرسول ، قال الله تعالى : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَيْلِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، ثم قال : ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : باتباع الرسول ، : ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : عن التكذيب به ، هكذا قالوا .

قال أبو هلال رحمه الله : وعندنا أن أحد هذين الوجهين داخل في الآخر ، وهما جميعًا يكونان الأمر بوجوه المحاسن والطاعات كلها .

والنهي عن المنكر : النهي عن المعاصي والقبائح جميعها .

أدنى[1]

أفعل ، من الدنو وهو القرب ، وتأنيث أدنى : دنيا ، وتجمع : دنى ، مثل : كبرى وكبر ، وسميت الدنيا دنيا ؛ لأنها تؤدي إلى آخرة .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : بمعنى : أجدر ، قال الله تعالى : ﴿وَأَدْنَى أَلَا تَرْتَابُوا﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . أي : أجدر أن لا تشكوا إذا رأيتم خطوطكم بخاطب الشهود . وقال : ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . يعني : الكتب . وأقسط : أعدل ؛ لأنه أبعد من التظالم وأقوم للشهادة ؛ يعني : أنها إذا كانت مكتوبة كانت أثبت وأبعد من اعتراض شك فيه ؛ لأن صاحبها إذا رأى خطه بها لم يشك في صحتها في أكثر الحال .

ومثله : ﴿أَدْنَى أَلَا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء آية ٣] . أي : أجدر ألا تجوروا وتميلوا ، والعول : الميل عن الحق ، والعول : النفقة على العيال ، عالهم عولا .

وأول الآية : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء آية ٣] الآية ، والمراد : أن أحدهم كان فيما مضى يتزوج عشر نسوة فتعظم المؤونة عليه ، فيمد يده إلى مال اليتامى الذي يلي أمرهم وهو مشفق من ذلك ، فقيل له : كما خفت على نفسك في أموال اليتامى فخف عليها في حقوق النساء ، فإنهن أيضا إلى الضعف والحاجة إلى مالهن ، ولا يتزوج منهن أكثر مما يتسع له ، ثم قال : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَا تَعُولُوا﴾ . أي : تزوجكم الواحدة أقرب ألا تجوروا .

وقيل : كانوا يتزوجون العشر من اليتامى رغبة في مالهن ، فربما عجزوا عن التسوية بينهن في النفقة والفراش ، فقال الله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [سورة النساء آية

---

(١)(د ن و) : (دَنَا) مِنْهُ قَرُبَ وَأَدْنَاهُ غَيْرُهُ (وَمِنْهُ) أَدْنَتْ الْمَرْأَةُ ثَوْبَهَا عَلَيْهَا إذَا أَرْخَتْهُ وَتَسَتَّرَتْ بِهِ (وَفِي التَّنْزِيلِ) ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى﴾ أَيْ أَوْلَى مِنْ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُتَعَرَّضَ لَهُنَّ (وَرَجُلٌ دَنِيٌّ) خَسِيسٌ (وَالدَّنِيَّةُ) النَّقِيصَةُ (وَمِنْهَا) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنَّ اللهَ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ فَلِمَ نُعْطِي (الدَّنِيَّةَ) فِي دِينِنَا . [المغرب : الدال مع النون] .

٣] . أي : في نكاح اليتامى ؛ فحذف النكاح ودل عليه بقوله : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ٣] . يعني : من هؤلاء اليتامى ، ولم يقل : ما طاب لكم منهن ؛ لأن لا يظن أن الخطاب مقصور عليهن دون سائر النساء ، وأراد أن يبين أن هذا ينبغي أن يستعمل فيهن وفي غيرهن من النساء ، وإذا ذكر النساء دخل اليتامى فيهن ، وإذا ذكر اليتامى لم يدخل فيه غيرهن .

الثاني : بمعنى : أقرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] . يعني : الجوع والضر والخوف في الدنيا ، : ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] في الآخرة وهي النار . هكذا قالوا (١) .

وهو عندنا بمعنى أيسر ؛ لأنه جعله مع أكبر ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم آية ٩] . أي : أقرب لا غير .

الثالث : بمعنى : أقل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ ﴾ [سورة المجادلة آية ٧] . أي : أقل .

الرابع : بمعنى : أدون ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [سورة البقرة آية ٦١] . أي : الأرفع وهو المن والسلوى بالأوضع ، هو ما طلبوه من نبات

---

(١) قوله تعالى : ﴿ ولَنُذيقنَّهم مِنَ العذاب الأدنى ﴾ وفيه ستة أقوال .
أحدها : أنه ما أصابهم يوم بدر ، رواه مسروق عن ابن مسعود ، وبه قال قتادة ، والسدي .
والثاني : سنون أُخذوا بها ، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود ، وبه قال النخعي . وقال مقاتل : أُخذوا بالجوع سبع سنين .
والثالث : مصائب الدنيا ، قاله أُبيُّ بن كعب ، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة ، وأبو العالية ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك .
والرابع : الحدود ، رواه عكرمة عن ابن عباس .
والخامس : عذاب القبر ، قاله البراء .
والسادس : القتل والجوع ، قاله مجاهد .
قوله تعالى : ﴿ دون العذاب الأكبر ﴾ أي : قَبْل العذاب الأكبر ؛ وفيه قولان .
أحدهما : أنه عذاب يوم القيامة ، قاله ابن مسعود .
والثاني : أنه القتل ببدر ، قاله مقاتل . [زاد المسير : ٥/ ١١٧] .

الأرض ، و : ﴿خَيْرٌ﴾ هاهنا بمعنى أفعل ؛ وجعل المن والسلوى أرفع من غيرهما ، إذ لم يكن في نيلهما تعب ولا إثم .

الإسلام(١)

أصله السكون ، ومنه قيل : ألسلم خلاف الحرب ؛ لما فيها من السكون . ثم استعمل في الخضوع ، فقيل : أسلم الرجل واستسلم إذا خضع وتواضع ؛ لأن مع الخضوع سكون الأطراف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] .

---

(١) [سلم] السَلْمُ : ضَرْبٌ من الدِّلاء مُسْتَطِيْلٌ لها عُرْوَةٌ واحِدَةٌ . ولَدْغُ الحَيَةِ ، والمَلْدُوْغُ : سَلِيْم ومَسْلُوْم . ورَجُل سَلِيْمٌ : سالِمٌ ؛ سَلِمَ سَلاَمَةً .
وقَوْلُهم : السلامُ عليكم : أي السلاَمَةُ من اللهِ عليكم . والسلاَمُ : السدَادُ ، من قَوْلِه عَزَ وجَلَّ : " وإذا خاطَبَهم الجاهِلُونَ قالوا سَلاَما " أي صَوَاباً . وقيل : سَلِمَ من العَيْبِ . وقَوْلُه : " اللهُ يَدْعُو إلى دارِ السَّلام " ، السَّلاَمُ : اللهُ ، ودارُه : الجَنَةُ . وقيل : هي السلاَمَةُ .
وقُرِئَ : " ورَجُلاً سالِمَاً لرَجُلٍ " أي خالِصاً . والمُسْلِمُ : المُخلِصُ لله عِبادَتَه . والسلاَمُ : الحِجَارَةُ ، والواحِدَةُ سَلِمَةٌ .
والسلاَمُ : ضَرْبٌ من دِقِ الشَّجَرِ . والسُّلاَمى : عِظَامُ الأصابِعِ والأشاجِعِ والأكارِعِ ، والجَميعُ سُلاَمَيَاتٌ . وهو آخِرُما يَبْقى من المُخِ في السُّلامى والعَيْنِ . والسلَمُ : ضَرْبٌ من الشجَرِ ، الواحِدَةُ سَلَمَةٌ . والمَسْلُوْمُ : المَدْبُوْغُ به . وأرْضٌ مَسْلُوْمَاءُ : كثيرةُ السلَمِ . والإسلاَمُ : الاسْتِسْلامُ لأمْرِ اللهِ والانْقِيادُ لطاعَتِه . ويقولونَ : سَلمْنا للهِ رَبنا : أي اسْتَسْلَمْنا له وأسْلَمْنا . والسلَمُ - أيضاً - : الإسْلاَمُ .
والمُسْلِمُ : المُسْتَسْلِمُ . والمَسالِيْمُ : جَمْعُ المُسْلِمِ . وكانَ كافِراً ثُم تَمَسْلَمَ : أي أسْلَمَ . وأسْلَمْتُ فلاناً : خَذَلْته . وأسْلَمْتُ إليه ثَوْباً ، وسَلَّمْتُ له وإليه . ويقولونَ : المَظْلُوْمُ عِنْدَنا يُسْلَمُ ظُلاَمَتَه : أي يُعْطى ظُلاَمَتَه . وتَسَلمْتُ حاجَتي من فلانٍ : أي نَجَزَتْ وقُضِيَتْ . ولا يُسْتَلَمُ على سُخْطِه : أي لا يُصْطَلَحُ على ما يَكْرَهُه . وكُل تارِك لشَيْءٍ فهو مُسْلِمٌ له . واسْتِلامُ الحَجَرِ : تَنَاوُلُه باليَدِ أو بالقُبْلَةِ . والسلْمُ والسَّلْمُ والسلَمُ والسلامُ والمُسَالَمَةُ : واحِد ؛ وهو الصُّلْحُ . وأخَذَه سِلْماً : أي أسَرَه . وإنّه لحَسَنُ السلْمِ : أي الإسْلام والدِيْنِ .
والسلَمُ - بفَتْحَتَيْنِ - : الأسْرُ . وهوَ الأسِيْرُ أيضاً .
وأسْلَمَ الرجُلُ بعد جُنُوْنِه : إذا تَرَكَ ما كانَ عليه من جُنُوْنِ الشبَابِ . ويقولون للرجُلِ الكاذِب : " ما تَسَالَمُ خَيْلاه كِذْباً " .
وكَلِمَةٌ سالِمَةُ العَيْنَيْنِ : أي حَسَنَةٌ .
والسلَمُ : ما أسْلَفْتَ فيه . وفي الحَدِيْث : " لا باسَ بالسَّلَم " ، يُقال : أسْلَمَ فيه . والسُّلَّمُ : السيْرُ ، والمَرْقى ، والجَميعُ السلاَلِيْمُ . والسُلمُ : كَوَاكِبُ أسْفَل من العَانَة عن يَمِيْنِها . والسلِيْمُ من حافِرِ الفَرَسِ : بَيْنَ الأمْعَرِ والصحْنِ من باطِنِه . والأسَيْلِمُ : عِرْقٌ في اليَدِ . والأسْلُوْمُ : بَطْنٌ من حِمْيَرَ . وامْرَأة سَلِمَة وسَلِيَةٌ : إذا كانَتْ لَيِّنَةَ الأطْرافِ ناعِمَتَها . وفلانٌ مُسْتَلَمُ القَدَمَيْنِ : أي لَيِنُهما . واسْتَسْلَمَ ثَكَمَ الطريقِ : أخَذَه ولم يُخْطِئْه . وأبو سَلْمَانَ : أعْظَمُ الجِعْلاَنِ ذو رَأْسٍ عَظِيم . وأبو سَلْمى : هو الوَزَغُ .
والسَّلاَمَانَةُ : مِثْلُ الألاَءةِ ، وتُجْمَعُ على السلاَمَانِ ، وقد سَمَتِ العَرَبُ سَلاَمَانَ ، وقيل : هو شَجَرٌ أطْوَلُ من الشِيْحِ . والسَّلاَمُ - أيضاً - : شَجَر . [المحيط في اللغة : ٢/ ٢٦٥] .

ثم استعمل في الإخلاص ، فيقال : أسلم الرجل إذا أخلص لله ، وسلم الغلام في صناعة كذا إذا أخلصه لها ، وسلم فلان على فلان كأنه عرفه خلوص سريرته ، وقد سلم العبد أمره لله ؛ أي : فوضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه .

والسلامة : الخلاص من الشر ، وقوله : ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لله﴾ [سورة آل عمران آية ٢٠] . اي : أخلصت ديني .

ومثله : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله﴾ [سورة لقمان آية ٢٢] . اي : يخلص دينه له .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

أولها : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . اي : أخلص ، : ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . اي : أخلصت .

الثاني : الإقرار ، قال الله تعالى : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة آل عمران آية ٨٣] . اي : أقر بالعبادة طوعا باللسان أو كرها ؛ لما فيه من الدلالة على صنع الله فيه ، على سبيل ما قال الحكماء : كل صامت ناطق . وهذا يقوم مقام الإقرار وإن لم يكن به .

وقال تعالى : ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾(١) [سورة التوبة آية ٧٤] . اي : إقرارهم بالإسلام ؛ يعني : المنافقين ، فسمى الإقرار إسلاما ؛ لأنه من شرائط الإسلام .

---

(١) قال أبو حيان : نزلت في أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل وفيهما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فغيروه وكفروا بعد إيمانهم بنبوّته ، قاله الحسن وروى عطية قريباً منه عن ابن عباس وقال مقاتل : في عشرة رهط ارتدوا فيهم الحارث بن سويد الأنصاري ، فندم ورجع ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس ، وذكر مجاهد ، والسدّي : أن الحارث كان يظهر الإسلام ، فلما كان يوم أحد قتل المجذر بن زياد بدم كان له عليه ، وقتل زيد بن قيس ، وارتد ولحق بالمشركين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر أن يقتله إن ظفر به ، ففاته ، ثم بعث إلى أخيه من مكة يطلب التوبة ، فنزلت إلى قوله : ﴿إلا الذين تابوا﴾ فكتب بها قومه ، إليه فرجع تائباً .

ورواه عكرمة عن ابن عباس ، ولم يسمه ، ولم يذكر سوى أنه رجل من الأنصار ارتد فلحق بالمشركين ، وخرجه النسائي عن ابن عباس مطولاً وقيل : لحق بالروم وقيل : ارتد الحارث في أحد عشر رجلاً ، وسمى

الثالث : الخضوع والاستسلام ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] وخضعنا مخافة السبي والقتل ، وهذه الآية خاصة في قوم من الأعراب ، وإن كان لفظها عاما فيهم ، إذ كان منهم من أخلص ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٧٣] . وإنما قال لهم ذلك نفر ، وقيل : بل رجل واحد .

منهم الزمخشري : طعمة بن أبيرق ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووحوح بن الأسلت ، وذكر عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ، وسمى منهم : أبا عامر الراهب ، والحارث ووجوهاً .

وقال النقاش : نزلت في طعمة بن أبيرق . ألفاظ الآية تعم كل من ذكر وغيرهم . وقيل : هي في عامة المشركين وقال مجاهد : حمل الآيات إلى الحارث رجل من قومه فقرأها عليه فقال له الحارث : إنك والله ما علمت لصدوق ، وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله تعالى لأصدق الثلاثة . قال فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه .

كيف : سؤال عن الأحوال ، وهي هنا للتعجيب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان ، أي : كيف يستحق الهداية من أتى بما ينافيها بعد التباسه بها ووضوحها ؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدّة الجرائم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كيف تفلح أمة أدمت وجه نبيها » ؟ .

وقال الزمخشري : كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ؟ انتهى . وهذه نزعة إعتزالية ، إذ ليس المعنى عنده : إن الله يخلق الهداية فيهم كما لا يخلق الضلال فيهم ، بل هما مخلوقان للعبد .

وقيل : الاستفهام هنا يراد به الجحد ، والمعنى : ليس يهدي ، ونظيره قول الشاعر :

فهذي سيوف ، يا صديّ بن مالك *** كثير ، ولَكن : أين بالسيف ضارب ؟

وقول الآخر :

كيف نَومي على الفراش ولما *** يشمل الشام غارة شعواء ؟

والهداية هنا هي إلى الإيمان واتباع الحق ، وأبعد من زعم أن المعنى : لا يهديهم إلى الجنة إلاّ إن تجوّز ، فأطلق المسبب على السبب ، لأن دخول الجنة مسبب عن الإيمان ، فيعود إلى القول الأول . [البحر المحيط : ٣١١/٣] .

الإيمان(١)

أصل الإيمان السكون والطمأنينة ، ومن أمنك فقد سكن إليك ، ولهذا لا يصح أن يقال : إن الله يأتمن أنبيائه إذ لا يوصف بأنه يسكن إليهم ، ولا يوصف الأنبياء بأنهم يأتمنونه ، كما لا يوصفون بأنهم يسكنون إليه .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . اي : بساكن إلينا .

والمؤمن في أسماء الله بمعنى أنه يؤمن عباده من ظلمه ، ويسكن قلوبهم حتى لا يخافوا ذلك منه .

ثم استعمل الإيمان بمعنى التصديق ؛ لأنك لا تصدق الرجل إلا وقد سكنت إلى خبره .

ويكون المؤمن في أسماء الله تعالى بمعنى أنه مصدق لأوليائه ، وتصديقه لهم تسكين عباده إلى قولهم ، ويقال : آمنت لرجل إذا صدقته ، ومنه قول الشاعر :

وَمِنْ قَبْلُ آمَنَّا وَقَدْ كَانَ قَوْ مُنَا يُصَلُّونَ الأَوْثَانَ قَبْلَ مُحَمَّدَا

ويجوز أن يكون معنى قوله : ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بمصدق قولنا .

وقوله تعالى : ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ [سورة طه آية ٧١] مفارق لقوله : ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ [سورة البقرة آية ١٣٧] . معنى : ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ : صدقتموه . ومعنى : ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ : أظهرتم ما أظهرتموه من عجزكم عن معارضته إعانة له لأمر توافقتم عليه ، ولستم تعرفون صدقه .

---

(١) الفرق بين الاسلام والايمان : لا يخفى أن الاسلام أعم من الايمان مطلقا ، كما نطقت به الاخبار الصحاح ، والروايات الصراح المروية عن أهل بيت العصمة ، صلوات الله عليهم ، وهي كثيرة جدا ، فلا يلتفت أحد إلى قول من قال من المتكلمين : إنهما مترادفان ، فمنها ما رواه ثقة الاسلام في موثقة سماعه قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : " إن الايمان يشارك الاسلام ، والاسلام لا يشارك الايمان . [الفروق اللغوية : ١/ ٣١٧] .

وهذا كما تقول : فعلت ذلك لفلان . أي : ميلا إليه وإعانة له ، وإنما قال فرعون هذا القول ليوهم غيرهم أنهم على اعتقاد التكذيب لموسى ؛ لأن لا يكون ما ظهر منهم داعية لغيرهم إلى الإيمان به .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى : الإقرار باللسان من غير اعتقاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ [سورة المنافقون آية ٣] . يعني : أقروا علانية وكفروا سرا . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ [سورة يَأَيُّهَا آية الَّذِينَ آمَنُوا] لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الممتحنة آية ١٣] هكذا جاء في التفسير .

ويجوز عندنا أن تكون المخاطبة في هذه الآية وما قبلها مخاطبة للمؤمنين حقا يأمرهم بخشوع القلوب وترك تولي المغضوب عليهم فيما يستقبل من أعمارهم .

وقيل : قوله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾ [سورة الحديد آية ١٦] أن هؤلاء قوم من المؤمنين قصروا بعض التقصير ولم يظهر عليهم أثر الإسلام ؛ خشوعه ووقاره فاستعتبهم الله بهذه الآية .

وقال بعضهم : كانوا بمكة مجتهدين فلما هاجروا أصابهم الزيف ففتروا عما كانوا عليه ، وأن الشيء يبين ، وأنى يأتي بمعنى دنا .

الثاني : التصديق سرا وعلانية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [سورة البينة آية ٧] .

الثالث : التوحيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ [سورة المائدة آية ٥] ، قالوا : أراد بالتوحيد ، والمعنى على هذا : ومن يكفر بالله الموحد ، ويجوز [أن يكون] الكفر هاهنا الجحد : أي : من جحد الإيمان بهذه الأحكام التي تقدم ذكرها فقد حبط عمله ، وفيه دليل على أن من نذر طاعة ثم ارتد بطل نذره .

الرابع : إقرار المشرك ببعض ما يوافق المسلم ، قال [الله تعالى] : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٦] أي : إذا سألتم عن خالقهم قالوا : الله .

وهم بعد ذلك لا يعبدونه ويعبدون الأصنام ، [ونحو ذلك] قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [سورة لقمان آية ٢٥] ، وسمى بعض المفسرين هذا القول منهم إيمانا .

ونحن لا نطلق عليه اسم الإيمان ؛ لأنه لو كان إيمانا لكان صاحبه مؤمنا بالإطلاق ، ولكنا نقول : إنه إقرار بالله والمقر بالله يجوز أن يكون كافرا ولا يجوز أن يكون المشرك مؤمنا ، وكل ما كان من أسماء الدين مدحا فإنه لا يطلق إلا على من يستحق الثواب ، مثل المؤمن والمسلم والمتقي ويجري على غيره مقيدا ، فيقول : إن اليهودي مؤمن بالله وهو متق لكذا .

الاستغفار(١)

أصله في اللغة الستر ، ومنه قيل : للكمة من الزرد مغفر ؛ لأنها تستر الرأس ، وقد غفرت الشيء سترته ، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه " حصنوا المسجد فإنه أغفر للنخامة" وفي هذا جواز التنخم [في المسجد] .

والغفر منزل من منازل القمر ، وذلك أن القمر إذا نزل به ستره بضوئه .

والغفر أيضا النكس في المرض ؛ لأنه يحول بين صاحبه وبين العافية فكأنه سترها عنه .

والغفارة من الشعر الضفيرة ، عن أبي مالك ؛ لأنها تستر ما تحتها ، وقال غيره : الغفارة خرقة حمراء تشد على العمائم ، والجمع غفائر وهذا أصح .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوبة ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [سورة نوح آية ١٠] . أي : توبوا إليه ، وجعل الاستغفار التوبة ؛ لأن في التوبة الاستغفار .

والتوبة على الحقيقة : هي الندم على ما مضى والعزم على ترك مثله في المستقبل ، ولو قلت : إنَّ الندم توبة . لم تقرنه بشيء آخر صح ؛ لأنه لا يجوز أن يندم على ما فات وهو يعزم

---

(١)غفر : المِغْفَر : وقاية للراس . وغَفِرَ الثَّوْبُ إذا ثار زئبرهُ غَفَراً .
والغِفارةُ : المِغْفَر ، ومِغْفَرُ البيضة : رفرفها من حلق الحديد قال الأعشى .
والشطبةُ القَوْداءُ تط *** فر بالمدجج ذي الغِفارِ
والغِفارةُ : خِرْقةٌ تضَعُها المرأة للدُّهْنِ على هامتها .
والغِفارة : خِرْقةٌ تُلَفُّ على سِيَةِ القَوْسِ لتُلَفَّ فوقها إطنابةُ القَوْسُ ، وهو سَيْرُه الذي يشد به ، وحبل يسمى رأسه غِفارةً . واصل الغَفْر التَّغطية .
والمُغْفُورُ : دُودٌ يخرج من العُرْفُطِ حلو يضيح بالماء فيشرب . وصمغ الإجاصة مُغْفُورٌ . وخرجوا يَتَمغْفَرونَ أي يطلبون المَغافيرَ .
والغِفارةُ : الربابة التي تَغْفِرُ الغَمامَ عليكَ أي تُغَطِّيه لأنَّها تحت الغيث ، فهي تستره عنك . وجاء القوم جماء الغَفير أي بلفهم ولَفيفهم والغُفْرُ : ولد الأروية ، قال ذو الرمة :
وقَحَّ أبة أن يسلكَ الغُفْرُ بينه *** سلكت قرانَى من قراسيةٍ سُمْرا
والمُغْفِرُ : الأُرْوِيَّةُ ، ويقال لها : أُمُّ غُفْر . والغُفْر من مَنازِلِ القَمَرِ .
والله الغَفُور الغَفَّارُ يَغْفِرُ الذنوب مَغْفِرةً وغُفْراناً وغَفْراً . [العين : باب الغين والراء والباء] .

على معاودة مثله ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [سورة هود آية ٣] . الاستغفار هاهنا التوبة وإنما فصل بينهما للتوكيد ، وتكرير الألفاظ على المعنى الواحد توكيد ، و : ﴿ ثُم ﴾ على هذا التأويل بمعنى الواو ، وهو قول الأخفش .

ويجوز [سورة أن آية يكون] قوله : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُم تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ . أي : استغفروه استغفارا بعد استغفار ، وعن علي عليه السلام أنه قال : الحمد لله ثم الحمد لله أي : الحمد لله مرة بعد أخرى .

ويجوز أن يكون المراد : أنكم كلما ذكرتم الذين استغفروا منه ، ويجوز أن يكون المعنى : أن استغفروا مما مضى وتوبوا مما تواقعون في المستقبل .

والفرق بين الاعتذار والتوبة ؛ أن التوبة ندم على ذنب تقر بأنه لم يكن لك في إتيانه عذر ، والاعتذار إظهار ندم على ذنب تذكر أنه كان لك في إتيانه عذر .

الثاني : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٧] ، وقال : ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات آية ١٨] هكذا جاء في التفسير .

ويجوز أن يكون معناه أنهم يصلون الليل ويستغفرون بالأسحار ، فجعل استغفارهم بالأسحار دليلا على صلاتهم بالليل ولم يذكرها .

وقالوا في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٣] أنه يعني : يصلون كذا قيل .

ويجوز أن يكون المراد أن الله لا يبعث عليهم العذاب الذي طلبوه في قوله : ﴿ أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] وأنت فيهم وليس بالصلاح لك ولهم أن يأمرك بالخروج عنهم ولا ينزل بهم العذاب أيضا ، ومنهم من يتوب في المستقبل . والاستغفار التوبة .

قال مجاهد : يستغفرون يسلمون أي : في المستقبل .

الثالث : طلب المغفرة وهو الأصل ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ٩٧] والمعنى : سل الله أن يقبل استغفارنا ؛ لأنه لا يجوز أن يذنبوا هم ويستغفر لهم غيرهم إلا إذا تابوا ، وليس ذلك إلا سؤال قبولهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾[1] [سورة يوسف آية ٢٩] . قالوا : معناه استغفري زوجك ؛ لأنها كانت مشركة ، وكانوا مع الإشراك يحرمون الزنا ، ويجوز عندنا أن يكون أمرها باستغفار الله ذنبها وإن كانت مشركة ؛ لأن المشرك يقال له ذلك لأجل شركه ولغير شركه من ذنوبه ، وعلى أنه لا يقال : استغفرت إلا الله واستغفرت الرجل ليس بمعروف ، وإن كان صحيحا في العربية .

(١)قوله تعالى : ﴿ واستغفري لذنبك ﴾ فيه قولان :
أحدهما : استعفي زوجك لئلا يعاقبَكِ ، قاله ابن عباس .
والثاني : توبي من ذنبكِ فإنكِ قد أثمتِ .
وفي القائل هذا قولان . أحدهما : ابن عمها . والثاني : الزوج . [زاد المسير : ٣/ ٤٢١] .

الأجل(1)

أجل الشيء : وقته ، وحد الأجلَ هو الوقتِ المضروب لانقضاء الأمد ، [فهو أجل يجعل] جاعل له ، وما علم أنه يكون في وقت فلا أجل له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه .

فأجل الإنسان هو وقت انقضاء عمره ، وأجل الدين محله ، وأجل الموت هو وقت حلوله ، وأجل الآخرة هو الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها ، هكذا وجدته عن بعض العلماء .

وأصله من التأخير ، وقد أجلته إذا أخرته .

والآجل نقيض العاجل ، والآجل : القطيع من بقر الوحش ، وذلك لتأخير بعضه على بعض حتى يجتمع .

وآجل المال يأجله أجلا إذا حبسه في المرعى كما يحتبس الآجل من البقر بعضه على بعض حتى يجتمع .

وآجل عليهم شرا : إذا جناه ؛ لأنه حبسه عليهم لإلحاقه بهم ، والمآجل حوض واسع يؤجل فيه الماء حتى يجتمع ثم يفجر في الزرع .

وللأجل في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : أجل الدنيا ، قال تعالى : ﴿ثُم قَضَى أَجَلًا﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : أجل الدنيا ، : ﴿وَأَجَلٌ مُسَمى عِنْدَهُ﴾[سورة الأنعام آية : ٢] يعني : أجل الآخرة ، وقال الحسن

---

(١) [اجل] : الأجَلُ : غَايَةُ الوَقْتِ في المَوْتِ . وأجِلَ الشَّيْءُ يَأْجَلُ ، وهو آجِلٌ : نَقِيْضُ العاجِلِ . والأجِيْلُ : المُرَجّى إلى وَقْتٍ . والأجِلَةُ : الآخِرَةُ . والأَجْلُ : مَصْدَرُ قَوْلِهِم أَجَلُّوا ما لَهم يَأْجِلُوْنَه اجْلاً : أي حَبَسُوْهُ في المَرْعى . وهو الضَّيْقُ ايضاً . ةأجَلَ عليهم شَرّاً : أي جَنَاه وبَحَثه ؛ أجْلاً . وهو يَأْجِلُ لِعيالِه : اي يَكْسِبُ . والتَّأَجُّلُ : الإقْبَالُ والإِدْبَارُ . والمَجِيْءُ والذَّهَابُ في قَوْلِ لَبِيْدٍ . والإجْلُ : وَجَعٌ في العُنُقِ . وأجِلَ يَأْجَلُ أجَلاً . وبي إجْلٌ فَأَجَّلَوْني : أي داوُوْني منه ، وآجِلُوْني : مِثْلُه . والقَطِيْعُ من بَقَرِ الوَحْشِ : إجْلٌ ، والجَميعُ الآجالُ . وتَأَجَّلَ الصَّوَارُ : صارَ قَطيعاً . والأَجْلُ : من قَوْلِكَ من أجْلِ كذا . وفَعَلْتُه من أجْلِ كذا : أي من جَرّاكَ ، ومن إجْلِكَ : لُغَةٌ ، ومن أجْلاَكَ ؛ وأجْلِ أنَّكَ فَعَلْته . والمُوْجَّلُ : شِبْهُ حَوْضٍ واسِعٍ يُؤْجَّلُ فيه ماءُ البِئْرِ أيّاماً ثُمَّ يُفْجَرُ في الزَّرْعِ ، والجَميعُ المآجِلُ . ورُوِيَ قَوْلُ أبي النَّجْمِ : من عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُوْنَ الأُجَّلِ . أي الأيِّلِ . . [المحيط في اللغة : ٢/ ١٣٨] .

والضحاك وقتادة : هو أجل الحياة إلى الموت ، وأجل الموت إلى البعث ، وهذه الآية دليل على صحة البعث ؛ لأن الذي قدر على الابتداء قادر على الإعادة .

وأولها : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾[1] [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلق آدم الذي أنتم ولده من الطين ، كما تقول لقريش اليوم : أنتم أصحاب يوم الفجار ، أي : آباؤكم أصحابه وليس هذا انقضاء ؛ لقوله : ﴿ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [سورة السجدة آية : ٨] ، لأنه أراد بذلك ولد آدم .

وقيل : أجلا أي : وقتا تحيون فيه ، : ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمى عِنْدَهُ ﴾ يعني أجل الساعة ، وجعله عنده ؛ لأنه لا يعرفه غيره ، كما تقول : خبر فلان عندي. أي : أنا العالم به دون غيري .

وقيل : ﴿ أَجَلٌ مُسَمى عِنْدَهُ ﴾ يعني أوقات حياتكم في الآخرة وجعله عنده ؛ لأنه حيث لا يحكم فيه غيره أيضا ، وقيل : قضى أجل الماضين ، وأجل مسمى عنده للباقين .

وقيل : أجل انقضاء الدنيا ، وأجل ابتداء الآخرة ، : ﴿ ثُم أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلقكم من طين ، وجعل الظلمات والنور ، وضرب لكم هذه الآجال وأنتم مع هذا تشكون فيه فيعبدون غيره .

---

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن طِينٍ ﴾ في معناه قولان : أحدهما ، وهو الأشهر ، وبه قال الجمهور أن المراد آدم عليه السلام ، وأخرج مخرج الخطاب للجميع ، لأنهم ولده ونسله . الثاني ، أن يكون المراد جميع البشر باعتبار أن النطفة التي خلقوا منها مخلوقة من الطين ، ذكر الله سبحانه خلق آدم وبنيه بعد خلق السموات والأرض إتباعاً للعالم الأصغر بالعالم الأكبر ، والمطلوب بذكر هذه الأمور دفع كفر الكافرين بالبعث ، وردّ لجحودهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ﴿ هُوَ الذى خَلَقَكُمْ مّن طِينٍ ﴾ يعني آدم ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً ﴾ يعني أجل الموت ﴿ وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ﴾ أجل الساعة والوقوف عند الله . وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، عنه في قوله : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً ﴾ قال : أجل الدنيا ، وفي لفظ أجل موته ﴿ وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ﴾ قال : الآخرة لا يعلمه إلا الله .

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عنه ﴿ قَضَى أَجَلاً ﴾ قال : هو اليوم يقبض فيه الروح ، ثم يرجع إلى صاحبه من اليقظة ﴿ وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ﴾ قال : هو أجل موت الإنسان . [فتح القدير : ٢/ ٣٨٩-٣٩٠] .

والامتراء الشك ، وأصله من المري ؛ وهو استخراج اللبن من الضرع ، مرى الناقة يمريها مريا ، ومنه ماراه إذا استخرج ما عنده بالمناظرة ، وامترى امتراء إذا استخرج الشبه الموجبة له ، ونظيره : ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى [إِلَى أَجَلٍ] مُسَمًى﴾ [سورة الزمر آية ٤٢] . يقول : إلى أجل الموت .

الثاني : أجل العذاب قال : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [سورة الأعراف آية ٣٤] . إن لم يؤمنوا إليه نزل عليهم العذاب . ومثله : ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ﴾ [سورة نوح آية ٤] . أي : أجل العذاب .

ومعنى أجل الله ، أي : الأجل الذي ضربه الله ، ولا يكون الأجل أجلا إلا بالإخبار والتوقيت ، وليس وقت كل شيء أجله ، إنما سمي وقت الشيء أجلا إذا كان على ما وصفنا .

الثالث : قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة لقمان آية ٢٩] . قالوا : يعني : أن مطالع الشمس والقمر لها غاية ، ولا يتجاوزه في شتاء ولا صيف ، ويجوز أن يكون المراد أن لهما أجلا مسمى ينتهيان إليه وهو الساعة .

الرابع : محل الديون ، قال الله تعالى : ﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [سورة البقرة آية ١٨١] . أي : اكتبوا الأجل لأن لا يدعى فيه التقديم والتأخير غلطا أو عمدا ، وقد تكلمنا في ذلك

الخامس : قوله [تعالى] : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الحج آية ٣٣] . يقول : إلى أن تقلد فإذا قلدت لم تركب ولم تشرب ألبانها ، يعني : البدن .

السادس : أجل الولادة . قال [الله] تعالى : ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الحج آية ٥] . أي : إلى وقت الولادة .

السابع : انقضاء العدة ، قال الله تعالى : ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٢] . والمخاطبة لأولياء النساء .

وبلوغ الأجل انقضاء العدة ، أي : لا تمنعوهن التزويج إذا انقضت عدتهن من مطلقتهن .

قال بعض الفقهاء : فيه دلالة على أن النكاح لا يصح إلا بولي ، ولو صح بغير ولي لم يكن لمخاطبة الولي بهذا الخطاب فائدة .

والعضل : المنع من التزويج ثم كثر حتى قيل : عضل الرجل امرأته إذا ضارها ؛ لأن مضارته إياها منع لها مما ينبغي عنده .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣١] . فالأجل هاهنا مقاربة الخروج من العدة ، أي : إذا طلقتموهن تطليقة أو تطليقتين فقارين الخروج من العدة فأمسكوهن بمعروف ، أي : إن أردتم حينئذ مراجعتهن فراجعوهن وأمسكوهن بجميل من الفعل أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن فيتزوجن .

ومثل الأول : ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٥] . والعزم : إيجابك فعل الشيء على غيرك أو على نفسك ، ويقال : عزمت عليك لتفعلن ، وقد وصف الله به ، فقيل : إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه . وهو مفارقة للإرادة عند أبي علي رضي الله عنه ؛ لأنك تريد خروج زيد ولا يجوز أن تعزم على خروجه . والعزم أيضا يصح على الإرادة ولا يجوز أن تريد الإرادة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الشورى آية ١٤] . لأن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال لأنزل بهم العذاب ، والكلمة : الساعة ، وهو قوله : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [سورة القمر آية ٤٦] . والأجل المسمى هو الساعة أيضا ، فكأنه قال : فلولا أني جعلت موعد الانتقام منكم الساعة لانتقمت منكم الآن .

وقال الله تعالى لهم : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [سورة الأعراف آية ٢٦] . قالوا أنزل : ﴿عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] .

إقام الصلاة

الأصل : إقامة الصلاة ، فأسقطوا الهاء تخفيفا ، ولا تسقط إلا عند الإضافة ليس .

يقال : أقام الصلاة إقاما ، ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها ، من قوله تعالى : ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾[1] [سورة آل عمران آية ١٨] . أي : مديما لفعله ، وفلان يقيم أرزاق الجند أي : يجريها على إدامة . ويحتمل أن يكون عنى به اشتغالهم بها دون غيرها من قولهم : قامت الصلاة . أي : وقع الاشتغال بها .

وقيل : إقامتها إتمام الركوع والسجود ومراعاة المواقيت .

وقيل : هو مثل قوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الرحمن آية ٩] . والإقامة والتقويم سواء ، وهما خلاف الميل والاعوجاج .

وأصل الصلاة : الدعاء ، وسميت صلاة ؛ لما فيها من الدعاء .

والصلاة أيضا الترحم ؛ لأنه دعاء ، ومنه : الصلاة على الميت ؛ لأنها دعاء لا ركوع فيها ولا سجود ، وصلى فلان على فلان إذا دعا له .

قال الأعشى :

وقَابَلَهَا الرِّيـــحُ فِي دِنِّهَا ... وصلَّى على دِنِّهَـــا وارْتَسَمْ

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصلاةَ وَآتَوُا الزكَاةَ فَخَلوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية ٥] . أي : فإن أقروا بها ، ولم يرد أنهم إذا أقاموها على اعتقاد صحيح فخلوا سبيلهم ؛ لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، وحقيقة

---

(١) قال الخازن : ﴿ قائماً بالقسط ﴾ أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال : فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد له ومتعهد لأسبابه ، وفلان قائم بحق فلان ، أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بارزاقهم ومجاز لهم بأعمالهم . [لباب التأويل في معاني التنزيل : ١/ ٣٥٢] .

المراد دخولهم في الإسلام ، وإنما ذكر الصلاة والزكاة ؛ لأنهما من أجل شرائع الإسلام وأشهرها ومثله مع قوله : ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [سورة التوبة آية ١١] .

الثاني : إتمام الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [سورة النور آية ٥٦] . أي : أتموها في أوقاتها ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ [سورة البقرة آية ٣] . ونحوه كثير .

الاستطاعة(١)

الاستطاعة : استفعال ، من الطوع ، وهو خلاف الكره ، وذلك أن الفعل يقع بها طوعا ولا يجوز أن يسمى الله مستطيعا ؛ لأنه من قولك : انطاع له الفعل بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا لا يجوز على الله . والطوع بمعنى : الانقياد ، والانقياد بمعنى : الذل ، يقال : طاع له طوعا وأطاعه إطاعة : إذا انقاد له . والطاعة الانقياد لمن يعتقد تعظيمه .

---

(١)[طوع] : طاع يَطُوع طوعاً فهو طائع . والطَّوْعُ : نقيض الكَرْه ، تقول : لَتَفْعَلَنَّهُ طوعاً أو كَرْهاً . طائعاً أو كارِهاً ، وطاع له إذا انقاد له .
إذا مضَى في أمرِك فقد أطاعك ، وافقك فقد طاوعك . قال يصف دلواً :

أحلِفُ بالله لَتَخْرِجِنَّهْ
كارِهةً أو لتطاوِعِنَّهْ
أو لَتَرينَّ بيَ المُرِنَّهْ

أي : الصّائحة .
والطّاعة اسم لما يكون مصدره الإطاعة ، وهو الإنقياد ، والطّواعِيَةُ اسم لما يكون مصدره المطاوعة . يقال طاوعتِ المرأة زوجَها طَواعيةً حَسَنةً ، ولا يقال : للرعيّة ما أحسن طَواعِيَتَهُم للرّاعي ، لأنَّ فعلَهم الإطاعة ، وكذلك الطّاقة اسم الإطاقة والجابة اسم الإجابة ، وكذلك ما أشْبَهَهُ ، قال :

حَلَفْتُ بالبيتِ وما حَوْلَهُ *** من عائذٍ بالبيت أوْ طاعي

أراد : أو طائع فقلبه ، مثل قِسِيّ ، جعل الياء في طائع بعد العين ، ويقال : بل طرح الياءَ أصلاً ، ولم يُعِدْها بعد العين ، إنّما هي : طاع ، كما تقول : رجلٌ مالٌ وقالٌ ، يراد به : مائل ، وقائل ، مثل قول أبي ذؤيب :

وسوّد ماءُ المَرْدِ فاها فلونُهُ *** كلَوْنِ الرّمادِ وهي أدماءُ سارُها

أي : سائرها . وقال أصحابُ التّصريف : هو مثل الحاجة ، أصلها : الحائجة . ألا ترى أنّهم يردّونها إلى الحوائج ، ويقولون : اشتُقّت الاستطاعة من الطّوع .
ويقال : تَطاوَعْ لهذا الأمر حتّى تستطيعه . وتطوّع : تكلّف استطاعته ، وقد تطوّع لك طوعاً إذا انقاد ، والعرب تحذف التّاء من استطاع ، فتقول : اسطاع يَسطيع بفتح الياء ، ومنهم من يضمّ الياء ، فيقول : يُسْطِيعُ ، مثل يُهريق .
والتَّطَوُّعُ : ما تبرّعت به ممّا لا يلزمك فريضته . والمُطَّوِّعة بكسر الواو وتثقيل الحرفين : القوم الذين يتطوّعون بالجهاد يخرجون إلى المُرابَطات . ويقال للإبل وغيرها : أطاعَ لها الكلأ إذا أصابتْ فأكلَتْ منه ما شاءت ، قال الطرمّاح :

فما سرحُ أبكارٍ أطاعَ لِسَرْحِهِ

والفَرَس يكون طوعَ العِنانِ ، أي : سَلِس العِنانِ . وتقول : أنا طَوْعُ يدِكَ ، أي : منقادٌ لكَ ، وإنّها لطوعُ الضّجيع . والطّوْعُ : مصدرُ الطائع . قال :
طَوْعَ الشّوامِتِ مِنْ خَوْفٍ ومِنْ صَرَدِ . [العين : طوع] .

والاستفعال في الأصل للطلب ثم استعمل في غير ذلك ، فقيل : استحسن الشيء واستقبحه . وقيل : فعلته طوعا ، أي : فعلته في سهولة ، ومثله : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] . أي : سهلته عليه ، ومن هذا الوجه أيضا لا يقال لله مستطيع ، كما لا يقال : أن هذا الفعل سهل عليه ، ومن أجل أن استطاع طلب ذلك ولا يوصف الله بأنه يطلب القدرة على الفعل ويطلب السهولة أو انطباع الفعل .

وقيل : طوعت : حسنت وزينت ، وهذا على المعنى وليس على اللفظ .

وقيل : طوعت : شجعت ، وطوعت السقاء ملأته ، وهو طواع الكف ، أي : ملؤها ، وطاع له الشيء إذا أتاه طوعا ، وقيل : طوعت : له أطاعته وتابعته ، وقرئ : ﴿فَطَاوَعَتْ﴾ .

والاستطاعة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السعة في المال ، قال الله تعالى : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة آية ٤٢] . أي : لخرجنا معكم إلى تبوك ، يعنون سعة ذات اليد للخروج وتخفيف النفقة للعيال . وقوله تعالى : ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا﴾ [سورة آل عمران آية ٩٧] . وتدخل في هذا سعة ذات اليد ، وصحة البدن ، وأمن الطريق ، وتمام الوقت .

وقال : ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ [سورة النساء آية ٩٨] . أي : لا يجدون سعة يستعينون بها على الهجرة ، ويجوز أن يكون أراد عدم الصحة والقوة على السفر ، أو عنى أنهم ممنوعون من الخروج ببعض الموانع الكائنة من جهة الكفار .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا﴾ [سورة النساء آية ٢٥] . والطول : السعة ، وتطول الرجل أفضل من سعة وليس فيه طائل يرجع إلى هذا ، أي : إذ لم تستطيعوا نكاح الحرائر لتعذر النفقة عليكم فانكحوا الأيامى ليقع الانتفاع لكم بهن وتكون نفقتهن على مواليهن ويقل مهرهن .

وقال بعضهم : لا يجوز نكاح الأمة مع وجود الطول . وليس كذلك ؛ لأن القدرة على نكاح امرأة لا تحرم نكاح أخرى ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] فعم .

الثاني : الطاقة ، قال تعالى : ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة القلم آية ٤٢] . فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا عاجزين إذ لم يفعلوا ؛ لأن الفعل معدوم ، وإذا عدم الفعل عدم الاستطاعة ، ولكان أيضا من وجد الزاد والراحلة وتمام الوقت ، وهو صحيح البدن وعطل الحج ثم مات لكان معذورا ؛ لأنه كان عاجزا وإنما يكون مستطيعا عند خصومنا في وقت وجود الحج ولا لوم على العاجز .

وقد أخبر الله تعالى أنهم لا يستطيعون السجود في الآخرة ، فدل على أنهم كانوا يستطيعونه في الدنيا ؛ لقوله : ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [سورة القلم آية ٤٣] . وإلا فليس للكلام معنى يفهم .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ [سورة الذاريات آية ٤٥] . أي : لم يطيقوا القيام لعذاب الله ، ومثله : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [سورة الكهف آية ٩٧] .

وقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن آية ١٦] . واسطاعوا : لغة في استطاعوا ، يقال : اسطعت الشيء واستطعته .

وقوله : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . أي : لا تطيقون ذلك في الحد ، هذا في الرجل له زوجتان وثلاث وأربع ، قال : وليس يستطيع أن يسوي بينهن في الشهوة ، فتشتهي هذه كما تشتهي تلك ؛ لأن الشهوة ليست من فعله فعذره فيما لا يستطيع واسع ، وليس كما يذهب إليه المجبرة في أنه تعالى كلفه العدل بينهن ، وهو لا يستطيعه ، ألا ترى أن قوله : ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . دلالة على أنه في بعض الميل معذور ، وهو الذي لا يستطيع خلافه ، والمعنى النهي عن إيثار إحداهن للشهوة فيها والانصراف عن الأخرى حتى تصير كالمعلقة لا المتزوجة ولا المطلقة .

وقال : ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . قال أبو علي رضي الله عنه : الخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين بقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . أي : كذبوك بما تقول من توحيد الله فلا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم والانتصار لها .

وقال غيره : الخطاب للكفار يريد أن هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة إذا سئلوا هل كان عبادتكم إياها بدعاء منكم لها ، : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٨] . فظهر لهم حينئذ أنهم لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا على نصرهم مما يراد إنزاله بهم .

الثالث : الاستثقال ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ [سورة هود آية ٢٠] . أي : كانوا يستثقلون استماع القرآن والأمر بالإيمان ، وهو كقولك : لا أستطيع أن أسمع كلام فلان . أي : يثقل علي ذلك ، وهذا معروف .

الرابع : الاستطاعة ، بمعنى سؤال الفعل وطلبه ، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة المائدة آية ١١٢] . والمعنى : سؤال النزول كما تقول : هل يستطيع فلان أن يقوم معنا . وأنت تعلم أنه يستطيع ولكنك تجعل ذكر الاستطاعة سؤالا للقيام ؛ لأنه ألطف وقرئ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبَّكَ ﴾ . أي : هل تقدر على أن تسأل ربك ، وكانوا يعلمون أنه قادر على سؤال ربه ، ولكن قالوا ذلك ؛ لأنه ألطف في السؤال ومجازه هل يجوز أن تسأل ربك . .

الأحزاب(١)

جمع حزب ، وهو : الجماعة المتعاونة ، ومنه تحزب القوم إذا اجتمعوا وتعاونوا .

قال الراجز :

وكيف أضوي وبلال حزبي

أي : مغيثي .

وأصل الكلمة من الشدة ، ومنه يقال : حزبني إذا استبد علي ، والاسم : حزابة ، وأمر حازب وحزيب أي : شديد .

والأحزاب في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة ، وهو قوله : ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [سورة الرعد آية ٣٦] . هذا قول بعض المفسرين .

وقال غيره : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾[سورة الرعد آية ٣٦] . النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون . والكتاب : القرآن ، أي : هم يفرحون به ، : ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ أي : هم الباقون . وقال : منهم : ﴿مَنْ يُنْكِرُ بعضَهُ﴾ وهو المواضع التي تخالف دينهم ، وكانوا لا ينكرون ما فيه من الحكم والأمثال والدعاء إلى المكارم ، وليس في العقلاء من ينكر ذلك .

وسماهم أحزابا ؛ لاختلاف مذاهبهم ، وذلك أن اليهود فرقة ، والنصارى فرقة وعباد الأوثان فرقة .

---

(١) [حزب] : حَزَبَني الأمْرُ يَحْزُبُني حَزْباً إذا نابَكَ . وأمْرٌ حازِبٌ وحَزِيبٌ أي شَديدٌ . والحِزْبُ أصْحابُ الرَّجُلِ مَعَه على رَأْيِه وأمْرِه ، والجَميعُ الأحْزابُ . وتَحَزَّبَ القَوْمُ اجْتمعوا فصاروا أحْزاباً . وحَزَّبَهُم فلانٌ . وحازَبْتُه كُنْتَ من حِزْبِه . وفلانٌ يُحازِبُ لفلانٍ أي يَتَعَصَّبُ به ويَنْصُرُه . وهُذَيْلٌ تُسَمّي السِّلاَحَ الحِزْبَ ؛ تَشْبِيهاً وسَعَةً . والحِزْبُ الوِرْدُ من القُرآن . والحَيْزَبُوْنُ العَجُوْزُ ، والنُّوْنُ زائدةٌ . وهي من النُّوْقِ الشَّديدةُ . والحِزْباءَةُ أرْضٌ حَزْنَةٌ ، والجَميعُ الحَزَابي . والحَزَابِيَةُ في وَصْفِ الحِمار اسْتِدارَةُ خَلْقِه . ورَكَبٌ حَزَابِيَةٌ ضخمةٌ . [المحيط في اللغة : الحاء والطاء والراء] .

وقوله : ﴿ جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ [سورة ص آية ١١] . جاء في التفسير أنه عنى هؤلاء المذكورين أولا .

والوجه أن يكون من يحارب النبي صلى الله عليه من فرق المخالفين .

وفيه بشارة له عليه السلام ، أي : هؤلاء جند مهزوم بعد قليل ، وأنت هازم لهم وظافر بهم . و" ما " في قوله : ﴿ جُندٌ مَا هُنَالِكَ ﴾ . توكيد ، كأنه قال : هم جند . وأتى جندهم وعظم أمرهم ليكون أعظم لأمر هازمهم ؛ لأن غلب العدو القوي أبلغ في المدح .

الثاني : النصارى ، قال الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ [سورة الزخرف آية ٦٥] .

الثالث : قوم عاد وثمود وشعيب وفرعون ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . ويجوز أن يكون المعني بذلك جميع من كذب الرسل من هؤلاء ومن غيرهم من بعدهم . وقال : ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ ﴾ [سورة ص آية ١٢ ، ١٣] . ومثله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾ [سورة غافر آية ٣٠] . يعني : هؤلاء .

الرابع : أبو سفيان وأصحابه يوم الخندق ، قال : ﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٠] . يعنيهم .

الأمر

قد مضى القول في أصله :

وهو في القرآن على سبعة عشر وجهاً :

الأول : الدين ، قال الله تعالى : ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾ [سورة التوبة آية ٤٨] . يعني : دينه ، وقوله تعالى : ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٣] . أي : الدين الذي جاء به نبيهم ، فنسبته إليهم ؛ لأنهم المتصلون به والمندوبون إليه ، والمعنى : أن الله أعلمهم أن أمر الأمة واحد ، وأن دينه واحد وهو الإسلام وهم قد تقطعوا واختلفوا .

الثاني : القول ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [سورة الكهف آية ٢١] . قال : ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ [سورة طه آية ٦٢] . أي : يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه ؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع وإنما يتنازع القول فيه .

الثالث : وقت الوعيد ، قال : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [سورة هود آية ٤٠] . أي : حضر وقت وعيدنا ، ويجوز أن يكون على ظاهره أي : حتى جاء أمرنا بالعذاب ، أي : حتى أمرنا بتعذيبهم .

الرابع : العذاب ، قال : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٢] . أي : وجب العذاب ، ويجوز أن يكون قضاء الأمر هاهنا فصل الحساب ووقوف كل فريق على ما له عند الله من الخير والشر . ومثله : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[1] [سورة مريم آية ٣٩] . أي : وجب العذاب .

---

(١) قوله تعالى : ﴿وأنذِرهم﴾ أي : خوِّف كفّار مكة ﴿يومَ الحسرة﴾ يعني : يوم القيامة يتحسَّر المسيء إذ لم يُحسِن ، والمقصِّر إذ لم يَزْدَدْ من الخير .
وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرةٌ ، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قيل : يا أهل الجنة ، فيشرئِبُّون وينظرون ، وقيل : يا أهل النار فيشرئبُّون وينظرون ، فيُجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : هذا الموت ، فيُذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وأنذِرهم يومَ الحسرة إذْ قُضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾

الخامس : تمام العذاب وبلوغ المراد منه ، قال : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [سورة هود آية ٤٤] .

السادس : بمعنى الشيء ، قال : ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا ﴾ [سورة البقرة آية ١١٧] . أي : إذا أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه .

ومثله : ﴿ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [سورة الشورى آية ٥٣] أي : تصير الأشياء إلى حيث لا يحكم فيه سواه ولا يقدر عليه غيره .

وجاء في التفسير أنه أراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا ﴾ . عيسى عليه السلام أنه يكون من غير أب .

السابع : هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا ﴾ [سورة الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم .

الثامن : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر آية ٧٨] . يعني : القيامة ، وقيل : أراد به قتل الكفار ببدر . والأول الوجه .

" . قال المفسرون : فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت ، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار .

ومن موجبات الحسرة ، ما روى عديٌّ بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يؤتى يوم القيامة بناسٍ إلى الجنة ، حتى إذا دَنَوْا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها ، نودوا : أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرةٍ ما رَجَعَ الأوّلون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرِيَنا ما أريتَنا كان أهون علينا ؛ قال : ذلك أردتُ بكم ، كنتم إذا خَلَوْتُم بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هِبْتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تُجِلّوني ، تركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أُذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب " . ومن موجبات الحسرة ما روي عن ابن مسعود قال : ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، ثم يقال : يعني لهؤلاء : لو عملتم ، ولأهل الجنة : لولا أن منَّ الله عليكم . ومن موجبات الحسرة : قطع الرجاءِ عند إطباق النار على أهلها . [زاد المسير : ٢/ ٢٧٥-٢٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [سورة النحل آية ١] . يعني : القيامة والإتيان هاهنا بمعنى الدنو كقول الشاعر :

وقيل المنادي أصبح القوم أدلجوا

أي : دنا الإصباح .

ومثله قوله : ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ [سورة الحديد آية ١٤] .

التاسع : فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة آية ٢٤] . قالوا : أراد فتح مكة ، ويجوز أن يكون المراد ظهور الإسلام وقوة أهله .

العاشر : قتل قريظة وجلاء النضير ، قال الله وحده : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة البقرة آية ١٠٩] . جاء في التفسير أنه أراد ذلك ، ويجوز أن يكون المراد القيامة أيضا ، ويجوز أن يكون أراد : اصفحوا عنهم إلى أن يأمركم الله بقتالهم فتنتقموا منهم .

الحادي عشر : بمعنى القضاء ، قال الله تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [سورة السجدة آية ٥] ، وقال : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [سورة يونس آية ٣] . أي : يقضي القضاء .

الثاني عشر : الوحي ، قال الله : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ [سورة السجدة آية ٥] . قال أهل التفسير : يعني : الوحي . وقال : ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق آية ١٢] . يعني : الوحي .

الثالث عشر : بمعنى النصر والسلطان ، قال : ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٤] . يعني : أن الغلبة لأولياء الله .

الرابع عشر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [سورة الطلاق آية ٩] أي : جزاء ذنبها .

وأصل الوبال من الطعام الوبل ، وهو الوخم الذي لا يمري ، وقيل : الوبيل الشديد ، وأصله من الكراهة ، يقال : استوبلت المنزل إذا كرهته لقلة موافقته لك ، قال الله : ﴿فَذَاقُوا

وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ [سورة التغابن آية ٥] . أي : جزاء ذنبهم ، وقال : ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٩٥] .

الخامس عشر : الأمر خلاف النهي ، قال الله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٦] . أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا ، وقرئ : ﴿ أَمَّرْنَا ﴾ . أي : جعلناهم أمراء . وقيل : كثرناهم ، وأمر الشيء : كثر ، وقيل : أمرناه بالتخفيف معناه : كثرنا .

وروى الجرمي عن أبي زيد والأصمعي : أمره وأمره . أي : كثره ، وأمر هو ، فهو آمر ومأمور ومؤمر من آمره ، وأمرته أيضا : كثرته بالتثقيل ، وهو مأخوذ من أمرته بالتخفيف ؛ لأن فعلت بالتثقيل من فعلت بالتخفيف مثل : ضربت وضربت ، قال المبرد : ولا تكون ذلك من أمرت .

السادس عشر : إظهار أمر المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . أي : أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله بإظهار أمر المنافقين فيعاقبوا ، : ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا : ظهور الإسلام .

السابع عشر : العلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . قيل : يعني : العلماء ، وقيل : يعني : السلطان ، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا .

وقال ابن عباس : أولو الفقه في الدين .

وقال أبو علي رحمه الله : هم الأمة وأمراؤهم ، وليس هم العلماء إلا أن يكونوا أمراء . وقال : ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . أي : إلى الكتاب والسنة ؛ لأنهما من الله ورسوله ، وفيه دليل على أن الإمامة ليست بحجة ، وفيه دليل أيضا على صحة القياس وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا ، ولكن يوجد أصل كل شيء فيهما أو في أحدهما ، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيهما ليظهر أحكامها ، ولا يأتى ذلك إلا بالقياس .

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته .

والذي يقتضيه فحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه ؛ لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بما فيه احتمال مما لا احتمال فيه .

وأما الأمر في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق آية ١] . فهو تفسير الرجعة ، وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها .

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان :

أحدهما : الوقت . والآخر : العدد .

فالوقت : أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها . والعدد : ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة ، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها .

الأرض[1]

من الأراضة وهي الخلاقة ، مكان أريض : أي : خليق المنبت . وسميت الأرضة أرضة ؛ لأنها تكون في بطن الأرض ، وسمي الرعدة أرضا من الأرضة ؛ لأنها إذا وقعت في الخشبة أكلتها فخفت فسميت الرعدة أرضا ؛ لأنها خفة تعتري الإنسان .

وتجمع الأرض أرضين على غير قياس . وكان الأصل في الأرض أرضة والشاهد أنها تجمع أرضات ، مثل : تمرة وتمرات ، وأسقطت الأرضة أصلا حتى أنها لا يقال ، وأدخلت الواو والنون في الأرضين عوضا من الساقط وإنما أسقطت ؛ لأن التمر ينفصل كل واحدة منها بنفسها ، والأرض ليست كذلك ، وإنما هي اسم واحد يجمع أشياء لا ينفصل بعضها من بعض . وقولنا : أرض كقولنا : تمر . اسم للجنس ، وربما جمعت على أراض مثل : تمر وأتمار .

وهي في القرآن على تسعة أوجه :

الأول : أرض الجنة ، قال الله تعالى : ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء آية ١٠٥] . يعني : أرض الجنة ، هكذا قيل . وقيل : إنها أرض الدنيا ، ودليل ذلك أن الأرض إذا جاءت مطلقة ، وهي الأرض المعروفة لا غير ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لم يعرف بإطلاق اللفظ شيء .

الثاني : الأرض المقدسة ، قال الله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٧] . أي : مشارق أرض الشام ومغاربها ؛ لأنها تعلم أن بني إسرائيل لم يملكوا أرض فارس ولا أرض خراسان ، ومنه قوله

---

(١) (أرض) : أرْضٌ وأرَضُونَ . ورَوْضَةٌ أرِيضَة : لَينَةُ المَوْطِىءِ واسِعَةٌ . وأرْض أرِيضَةٌ : طَيبَةُ المَقْعَدِ لَيّنَة ، وقيل : خَلِيقَةٌ للمَطَرِ والخيْرِ . وكذلك رَجُل أرِيضٌ ، وما آرَضَه للخَيْرِ . وعليه أرَاضَةُ ذاكَ : أي أمَارَتُه . وتأرَضَ الرَّجُلُ : نَزَلَ ؛ مُشْتَقٌ من الأرض . وهم يَتَارَضُونَ مَنْزِلاً : أي يَتَخَيرُونَ أرْضاً أرِيضَةً للنُّزُول . وما في الحَوْضِ أرُوضٌ : أي شَيْءٌ يُوَاري أرْضَه . والأرَضُ : كَرَمُ الأرضِ ، أرِضَتْ تأرَضُ أرَضاً . والأرْضُ : الرِّعْدَةُ . والزُكامُ أيضاً ، و رَجُلٌ مَأرُوضٌ : اي مَزْكُومٌ . وقيل : هو الذي يُحَركُ رَأسَه وجَسَدَه على غَيْرِ عَمْدٍ . المحيط في اللغة : ٢/ ٢٠٢ .

تعالى : ﴿ الم غُلِبَتِ الرومُ في أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ [سورة الروم آية ١ - ٣] . يعني : أرض الشام ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَجيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ التِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [سورة الأنبياء آية ٧١] . أي : أرض الشام .

الثالث : أرض المدينة خاصة ، قال الله : ﴿ إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة العنكبوت آية ٥٦] . يأمرهم بالهجرة إليها ، ثم فيه دلالة على أن من لا يمكنه عبادة الله في أرض فينبغي أن ينتقل عنها إلى حيث يمكنه ذلك .

والمراد على هذا التأويل أن أرض مكة تسعكم لا تجدون فيها ما تجدون في غيرها من المعاشر فانتقلوا إليها ، ويجوز أن يكون المعنى أن الطرق غير مسدودة عليكم فاخرجوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم . ومثله قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . قالوا : يعني : أرض المدينة . وقال : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزونَكَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٦] . وقال : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ الله يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠] . أي : مذهبا واسعا ، مأخوذ من الرغام ، والمراغمة أيضا المغايظة والمناغضة ، وأصله من الرغام وهو التراب . ويقال : راغمته إذا هاجرته وعاديته ولم لا تبال رغم أنفه أم لا .

الرابع : أرض مكة ، قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا كُنا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . يعني : أرض مكة ، : ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . أي : أليس في أرض المدينة متسع ومحتمل ، فليس لكم عذر في المقام بمكة على ذل وهوان .

الخامس : الأرض التي تفتح لأهل الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [سورة الرعد آية ٤١] . أي : أو لم تروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما يبين لهم صدق الدعوة ، وذلك أنه كان أخبره بفتحها عليهم ، ففتحها كان بعض

المعجزات ، وقيل : ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾(١) موت أهلها وينقص ثمارها ، وقيل : موت العلماء والأول الوجه .

السادس : أرض مصر خاصة ، وهو قوله : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾ [سورة يوسف آية ٥٥] . وإنما طلب ذلك نظرا للناس ليوسع عليهم وينصفهم في القسمة ، وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة يوسف آية ٥٦] . وقال : ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ [سورة يوسف آية ٨٠] . وقال : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ﴾[سورة القصص آية ٤] وقال : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة القصص آية ٥] . وقوله : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر آية ٢٦] . المعنى بهذا كله : أرض مصر . وكذلك قوله : ﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأعراف آية ١٢٨] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا جميع الأرض المسكونة .

السابع : أرض الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] قال أهل التفسير : يقاتلون حيث توجهوا من الأرض ولا يتركون فارين في شيء من أرض المسلمين ، وقيل : معناه أن دمائهم مباحة فمن يقتلهم لم يؤخذ بهم ، ويقال : نفيت الشيء نفيا ، والنفاية ما ينفى مثل : النحاتة والبراية .

الثامن : جميع الأرضين ، قال الله : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود آية : ٦] ، وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ﴾ [سورة

---

(١) قال الشوكاني : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني أهل مكة ، والاستفهام للإنكار ، أي : أولم ينظروا ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي : نأتي أرض الكفر كمكة ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئاً فشيئاً . قال الزجاج : أعلم الله أن بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر ، يقول : أولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم ، فكيف لا يعتبرون ؟ وقيل : إن معنى الآية : موت العلماء والصلحاء . قال القشيري : وعلى هذا فالأطراف الأشراف . وقد قال ابن الأعرابي : الطرف الرجل الكريم . قال القرطبي : وهذا القول بعيد ؛ لأن مقصود الآية : أنا أريناهم النقصان في أمرهم ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز إلاّ أن يحمل على موت أحبار اليهود والنصارى . وقيل : المراد من الآية خراب الأرض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها . وقيل : المراد بالآية هلاك من هلك من الأمم . وقيل : المراد نقص ثمرات الأرض . وقيل : المراد جور ولاتها حتى تنقص . [فتح القدير : ٤/ ١٢٣] .

لقمان آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿إنا مَكنا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٤] ، والفرق بين مكنا له ومكناه أن معنى مكنا له : جعلنا له ما يتمكن به في الأرض ، ومعنى مكناه : أقدرناه على ملك الأرض .

وقوله : ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] والمراد : أنا نسير الجبال فيحلوا منها وجه الأرض فتراها بارزة أي : ظاهرة لا شيء فيها ، ويجوز أن تكون بارزة بمعنى : مبرزة أي : قد أبرز جميع ما في بطنها ، وجاءت على فاعلة على النسبة كما قيل : الحاسة وهي من أحسست على النسبة لا على طلب الفعل ، أي : هي ذات كفا ، ويجوز أن يكون المعنى أنك ترى أهل الأرض بارزين كما قال : ﴿وَبَرَزُوا لله جَمِيعًا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢١] ، وقال : ﴿وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٤٨] .

التاسع : محي الأرض مثلا ، وهو قوله : ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [سورة هود آية : ١٠٧ ، ١٠٨] . لم يرد أرضا بعينها وإنما هو على حسب قول العرب في معنى الأبد : لا أفعل ذاك ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وما أقام الجبل ومَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ .

هذا وإن كان اللفظ الليل والنهار والجبل والأرض والسماء ، فإنما المراد به الأبد ، وإنما جعلوا هذه الأشياء أمثالا في الأبد ؛ لأنها عندهم لا تتغير ، ويجوز أن يكون المراد أرض الجنة والنار .

الاشتراء

أصل الشراء من الإمالة ومنه الشرى وهو الناحية ، فقولهم : اشتريت الشيء . كأنك جعلته في شراءك ، أي : ناحيتك ، كما تقول : احتقبته إذا جعلته في حقيبتك ، وهو من الأضداد ، اشتريته إذا أخذته بثمن واشتريته إذا بعته ، وكذلك شريته إنما سمي المشتري والبائع باسم واحد ؛ لأن كل واحد منهما يأخذ شيئا ويعطي شيئا فلتماثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد ، ويجوز أن يكون من قولك : شريت به . إذا لمحت به ، ومنه يقال : شرى البرق إذا كثر لمعانه كأنه لهج بذلك .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الاختيار ، قال : ﴿اشْتَرَوُا الضلالَةَ بِالْهُدَى﴾(1) [سورة البقرة آية : ١٦ ، ١٧٥] . أي : اختاروا الكفر على الإيمان ، ومنه : ﴿وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٤] . أي : اختاروا على الإيمان ما نالوه من حطام الدنيا ، وسماه قليلا ؛ لأن كل شيء من الدنيا قليل لانقطاعه .

وقال : ﴿وَمِنَ الناسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[سورة لقمان آية : ٦] . يعني : يختار باطل الحديث على القرآن .

وعلى هذا التقدير يصح هذا التأويل ؛ لأن الاختيار : إيثار الشيء على غيره وهو ضرب من الإرادة واقع على هذا الوجه ، وإذا لم يقع كذلك لم يسم اختيارا .

---

(١) قال الخازن : ﴿الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . فإن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى ؟ قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها . والضلالة الجوز عن القصد وفقد الاهتداء ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أي مصيبين في تجارتهم ، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى . وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم . [لباب التأويل : ١/ ١٦] .

وأصله من الخير كأنك تؤثر خير الشيئين عندك ، وقالوا : هو الحديث الغناء ؛ لأنه يلهي عن الذكر ، قالوا : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرى المرأة المغنية .

وقيل : هو جميع ما يلهي عن الذكر ، وقيل : نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة الداري وكان يشتري من كتب الأعاجم فارس والروم ويقرأوها على قريش فيستحسنونها ويعجبهم ما يسمعون من أخبارهم فيها فيشتغلون بها عن استماع القرآن .

وقوله : ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [سورة لقمان آية : ٦] . يعني : سبيل الله ، ومعناه الإسلام .

الثاني : الابتياع ، قال الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [سورة التوبة آية : ١١١] . هكذا قيل ، وهو مجاز وحقيقته أنه جعل الجنة ثوابا لهم على بذلهم نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ، وسمي ذلك اشتراء ؛ لأنه جعل الجنة بدلا من ذلك كما أن ثمن السلعة بدل منها .

الثالث : بمعنى البيع ، قال تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : باعوها ، وهذا أيضا مجاز ، ومعناه أنهم أذنبوا فاستحقوا النار فإذا صاروا إليها لم ينتفعوا بنفوسهم فكأنهم باعوها ؛ لأن من باع الشيء حرم الانتفاع به .

الأحد[1]

أصله الانفراد ، يقال : رجل وَحد إذا كان منفردا ، ولهذا قالوا : مررت برجل وحده . لما أرادوا معنى الانفراد ، كأنهم أرادوا برجل أفرادا ، وأفرادا منصوب نصب المصدر فنصبوا وحده ؛ لأنه جعل موضع أفراد .

---

(١) [وحد] : الوَحَدُ : المُنْفَرِدُ . رجلٌ وَحَدٌ ، وثورٌ وَحَدٌ . وتفسير الرَّجلِ الوَحِد : الذي لا يُعْرَفُ له أصْلٌ . قال :

بذي الليل على مُسْتَأنِسٍ وَحَدِ

والوَحْدُ - خفيفٌ - : حِدَةُ كل شيءٍ . والوَحْدُ : منصوب في كلّ شيء لأنّه يجري مَجْرَى المصدر خلوجاً من الوَصْف ، ليس بنعتٍ فيتبَعُ الاسْمَ . وليس بخبرٍ فيُقْصَدَ إليه دون ما أضيف إليه ، فكان النّصب أولى به ، إلاّ أنّ العربَ قد أضافتْ إليه ، فقالت : هو نَسِيجُ وَحْدِه ، وهما نسيجا وَحْدِهما ، وهم نُسَجاءُ وَحْدِهِمْ ، وهي نسيجةُ وَحْدِها ، وهنّ نَسائجُ وَحْدِهِنَّ : وهو الرّجل المصيب الرأي . وكذلك قريعُ وَحْدِهِ وكذلك صَرْفُه ، وهو الذي لا يقارعه في الفضل أحد .

ووَحَدَ الشَّيْءُ فهو يَحِدُ حِدَةً ، وكل شيء على حدةٍ بائنٌ من آخر . يقال : ذلك على حِدَتِه وهما على حِدَتِهما ، وهم على حِدَتهم ، والرّجلُ الوحيد ذو الوَحْدَة ، وهو المنفرد لا أنيس معه ، وقد وَحُدَ يَوْحُدُ وحادَةً وَوَحْدَةً ووَحَداً .

والتَّوْحِيدُ : الإيمانُ بالله وحدَهُ لا شَريكَ له ، واللهُ الواحدُ الأحَدُ ذو التَّوَحُّدِ والوَحْدانيّة . والواحدُ : أوّلُ عَدَدٍ منَ الحِسابِ . تقولُ في ابتداء العدد : واحد ، اثنان ، ثلاثة إلى عَشَرَة . وإن شئت قلت : أحَد ، اثنان ، ثلاثة ، وفي التّأنيث : واحدة وإحدى . ولا يقال غير أحد ، وإحدى في أحَدَ عَشَرَ ، وإحدَى عَشْرَةَ . ويقال : واحدٌ وعشرون ، وواحدة وعشرون ، فإذا حلوا الأحَدَ على الفاعل أجري مُجْرَى الثّاني والثالث ، وقالوا : هذا حاديَ عَشَرهم ، وثانيَ عَشَرهم وهذه الليلةُ الحاديةَ عَشْرَةَ واليومُ الحادي عَشَرَ . وهذا مَقْلوبٌ كجَذَبَ وجَبَذَ .

والوُحْدانُ : جماعةُ الواحِدِ .

وتقول : هو أحَدُهُم ، وهي إحداهُنّ ، فإذا كانت امرأةٌ مع رِجال لم يستقم أن تقولَ : إحداهم ، ولا أحدهم ، إلا أن تقولَ : هي كأحَدِهم ، أو هي واحدة منهم .

وتقول : الجلوس والقعود واحد ، وأصحابك وأصحابي واحد .

والمَوْحَد كالمَثْنَى والمَثْلَث ، تقول : جاءوا مَثْنَى ومَثْلَثَ ومَوْحَد ، وجاءوا ثُناءَ وثُلاثَ وأُحادَ . والميحادُ كالمِعْشارِ ، وهو جُزءٌ واحد ، كما أنّ المِعْشارَ عُشْرٌ .

والمَواحيدُ : جماعة الميحاد ، ولو رأيت أكَماتٍ مُنْفَرداتٍ كلّ واحدةٍ بائنةٌ عن الأُخرَى كانت ميحاداً أو مواحيد .

وتقول : ذاك أمرٌ لستُ فيه بأوحدَ ، أي : لستُ على حِدَتِهِ . والحدة أصلها الواو . [العين : وحد] .

وجاء في كلامهم نسيج وحده ، وعيير وحده ، وجحيش وحده بالجر ، وإنما هذا مضاف إلى المصدر كأنهم قالوا : نسيج إفرادا لا يوجد مثله ؛ لانفراده بدأبه وعمله .

وقالوا : في جمع أحد آحاد ، وجمع واحد وحدان وأحدان ، ويقولون : أحد الرجلين ولا يقولون : واحد الرجلين ، ولزموا أحدا وإحدى في العدد .

ولو استعملوا في أحد وعشرين وإحدى وعشرين واحدا وعشرين وواحدة وعشرين كان جائزا ولكن لما كان باب العدد وباب التعبير لزموا فيه أحدا وإحدى وهما مغيران عن الأصل ، وقالوا : واحد ولم يقولوا في التثنية : واحدان ؛ لأن واحدا اسم لما لا ثاني له ، وقالوا : اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر .

وأحد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : يعني : الله سبحانه وتعالى ، وهو قوله : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [سورة البلد آية : ٥] يعني : أن لن يقدر عليه الله ، أو أن يحسب أن لن يقدر الله أن يبعثه .

وكذا قوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [سورة البلد آية : ٧] وأول الآية : ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا﴾ [سورة البلد آية : ٦] أي : أنفقت المال الكثير في وجوه كثيرة ، ومن أحصاه علي فيحاسبني به ، فقال الله : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أي : لم يره الله .

الثاني : النبي صلى الله عليه وآله ، قال : ﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [سورة الحشر آية : ١١] يعنون النبي صلى الله عليه ، وكذلك قوله : ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٣] يعني : على النبي عليه السلام ؛ لأنه ثبت حين انهزموا فمروا على وجوههم ، ولم يقيموا عليه ، ويجوز أن يكون المعنى أن بعضكم لم يقم على بعض .

الثالث : قوله : ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [سورة الليل آية : ١٩] جاء في التفسير أنه عني بلالا مولى أبي بكر رضي الله عنه وأراد أنه لم تكن لبلال نعمة عند أبي بكر يعتقه من أجلها ، وإنما أعتقه لوجه الله ، ويجوز أن تكون الآية فيه وفي غيره ممن يفعل الخير لا ليد يجازي بها ولكنها لله تعالى .

الآل(١)

أصل الآل من الأول وهو الرجوع ، والآل الشخص يرفع في الصحاري للناظر فيراه ليس بشيء ، وسمي آلاء ؛ لأنه يخفى ثم يرجع فيظهر ، وبه سمي شخص الرجل آلاء ، والأله الشدة من شدائد الدهر ؛ لأنها تذهب ثم ترجع ، قالت الخنساء :

سَأَحِلُ نَفْسِي عَلَى آلَــــةٍ فَـ ـإمَّا عَلَيهَا وَإمَّا لَهَـــا

والآلة : الحالة ؛ لأنها لا تبقى .

والآل ربما جاء بمعنى الأهل ، وبينهما فرق يقال : أهل العلم وأهل البلد ، ولا يقال : آل العلم وآل البلد ، ويقال : أهل الرجل لأقاربه وهم آله أيضا وآله أتباعه ، فكان الآل من جهة القرابة والصحبة ، والأهل من جهة النسب والاختصاص .

وقيل : العرب تقول في تصغير آل : أهيل فهذا يدل على أن أصل الهمزة في آل هاء .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى الأتباع ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [سورة القمر آية : ٤١] يعني : أتباعه ، والمعنى : جاءته النذر وجاءتهم أيضا ، ومثله : ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر آية : ٤٦] فاكتفى بذكرهم عن ذكره لدلالته عليه ، ومعلوم أنها إذا جاءتهم لأجل كفرهم وهو كافر مثلهم ، فقد جاء به وهذا من الإيجاز المحمود .

الثاني : أهل بيت الرجل ، قال الله تعالى : ﴿إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [سورة القمر آية : ٣٤] وهذا مثل الأول ؛ لأنه نجاه ونجى أهل بيته فاكتفى بذكر أهل بيته لبيان المعنى ، ومثله : ﴿إِلا آلَ لُوطٍ إِنا لَمُنَجوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٥٩] .

---

(١) الفرق بين الآل والشخص : أن الآل هو الشخص الذى يظهر لك من بعيد ، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحاري ، وهو غير السراب وإنما السراب سبخة تطلع عليها الشمس فتبرق كأنها ماء ، والآل شخوص ترتفع في الصحاري للناظر وليست بشيء ، وقيل الآل من الشخوص ما لم يشتبه وقال بعضهم " الآل من الاجسام ما طال ولهذا سمي الخشب آلا " . [الفروق اللغوية : ١/٧] .

الثالث : الذرية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، و : ﴿ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : موسى وهارون ؛ اختارهم على عالمي زمانهم .

والفرق بين الولد والذرية : أن الذرية يقع على أولاد الرجل الذكور والإناث ، وعلى أولاد بنيه وبناته من الذكور والإناث ، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٤] ثم عد عيسى مع المذكورين ، وولد الرجل هم من ولدهم لا يدخل أولاد البنات فيهم ؛ لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم ، قال الشاعر :

بَنُونَا بنــــــــو أبنَائِنَا وبَنَاتِنَا ... بَنُوهُنَّ أبنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِـــــدِ

فأما تسميته الحسن والحسين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك شيء خصا به دون غيرهما تكريما لهما واختصاصا .

أوى(1)

أصله الميل ، ومأوى الرجل منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه ، أويت أنا وأويت غيري إذا ضممته إليك كأنك أملته إليك بعطفك ورحمتك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الضم ، قال : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : ضممها .

الثاني : الانتهاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصخْرَةِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٦٣] ، وقال : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [سورة الكهف آية : ١٦] أي : انتهوا ، ويجوز أن يكون أراد الميل في الوجهين ، : ﴿ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ أملناهما ، : ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصخْرَةِ ﴾ ملنا ، : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ مالوا .والمعين : الماء الطاهر التي تناله العين وهو من قولك : عنته إذا أبصرته واختار لهم الربوة ؛ لأنها أبعد من اللثق وما يكون فيها من الماء والخضرة فهو أحسن والعرب تقول : أحسن من رياض الحزن ، قال الأعشى :

مَا رَوضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشَبَةٌ خَضْرَاء جَارَ عليهَا مِسْبَلٌ هَطِلُ

والحزن : ما ارتفع من الأرض في غلظ .

---

(١) [أوى] : تقول العرب : أوى الإنسان إلى منزله يأوي أوياً وإواء والأُوِيُّ : أحسن ، وآويتُهُ إيواءً . والتآوي : التجمّع . . . وتأوّتِ الطَّير ، إذا انضمّ بعضُها إلى بعض ، فهنّ أُوِيٌّ ، ومُتأوِّيات قال العجاج : كما تَدانَى الحِدَأُ الأُوِيُّ يصف الأثافي ، وقد شبّه كلّ أثفيةٍ بحِدَأة بوزن فِعَلة .
وتقول : أويت لفلانٍ آوي أويةً وأيّةً ومأويةً ومأواةً إذا رحمته ورثيت له ، قال :

على أمرِ من لم يُشوِني ضَرُّ أمره *** ولو أنّني استأويتُه ما أوى ليا

وابن آوى : لا يصرف على حال ، ويُحْمَلُ على أفعل مثل : أَحْوَى . [العين : أوى] .

الأول[١]

أول كل شيء ما ابتدئ فيه واشتقاقه من الأول ، وهو الرجوع ، كأن كل شيء ترجع صفته إلى ما بدئ منه ، والأول في أسماء الله تعالى بمعنى أنه لا شيء قبله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : أول من كفر من أهل الكتاب ، وهو قوله : ﴿ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤١] أي : أول من كفر به من أهل الكتاب ؛ لأن قريشا كفروا به قبلهم ، ودلهم هذا على أن جميع من كفر منهم بعد فإنه سببه ويلزمهم مثل وزره .

قال أبو العباس المبرد : أول يضاف إلى ما بعده على وجهين :

أحدهما : أن يكون ما بعده متصلا به .

والآخر : أن يكون مقدرا لذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ إنما قال هذا للمخاطبين ؛ لأنهم قبل غيرهم ممن يلزمهم ما لزمهم فقيل لهم : أنتم أيها المخاطبون لا تكفروا بما سمعتم فيكون بعدكم الكافر والمؤمن فلا تكونوا أول الكفار ، وكافر في موضع الجماعة إذا كانوا واحدا واحدا ، وقبيلا قبيلا ، يقول : كل رجل في الدار فأعطه درهما ، أي : أعطهم رجلا رجلا حتى يعطي كلهم ، ولو قال قائل : أول من يأتني فله درهم فأتاه واحد ولم يأت غيره لوقع عليه اسم الأول ؛ لأنه في التقدير أن يأتي غيره ، ولو قال : آخر رجل يأتيني وآخر عبدا ملكه لم يعلم إلا بعد موته ؛ لأن الأول مقدر لما بعده ، والآخر لا يقع عليه هذا الاسم ، وكذلك إذا قال : أول عبد لي حر فأول عبد يشتريه يعتق ، فإذا قال : آخر عبد لم يعلم ذلك إلا بعد موته .

---

(١)(أ و ل) : (الْأَوْلُ) الرُّجُوعُ وَقَوْلُهُمْ آلَتْ الضَّرْبَةُ إلَى النَّفْسِ أَيْ رَجَعَتْ إلَى إهْلَاكِهَا يَعْنِي أَدَّى أَثَرُهَا إلَى الْقَتْلِ يُقَالُ طَبَخْتُ النَّبِيذَ حَتَّى آلَ الْمَنَّانِ مَنًّا وَاحِدًا أَيْ صَارَ وَفَعَلْتُ هَذَا عَامًا أَوَّلَ عَلَى الْوَصْفِ وَعَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَقَوْلُهُ أَيُّ رَجُلٍ دَخَلَ أَوَّلُ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ كَمَا فِي مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَمَعْنَاهُ دَخَلَ أَوَّلَ كُلِّ أَحَدٍ وَقَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ وَمَوْضِعُهُ بَابُ الْوَاوِ وَأَلِنَا فِي (ف ج) . [المغرب : الهمزة مع الواو] .

الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَولُ الْعَابِدِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨١] قيل : أول الموحدين لله من أهل زمانه ، ومثله : ﴿ قُلْ إِني أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَولَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَولَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢] أي : ابتدئ بإظهار الإسلام ليتلو في الناس .

الثالث : أول المؤمنين ، أي : أول المؤمنين بذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه أول المؤمنين بهذا وبغيره مما هو من دين الله ليس أنه لم يكن مؤمنا به قبل ذلك وإنما أراد أنه يجدد له إيمان بعد إيمان قبل أن يتجدد ذلك لغيره فهو أول فيه .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ إِنا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنا أَولَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٥١] أي : أول المؤمنين من اتباع فرعون ، وقيل : كانوا أول مؤمني أهل دهرهم ، وذلك غلط ؛ لأن موسى وهارون عليهما السلام كانا مؤمنين قبلهم ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بني إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٥] دليل على أن موسى كان قد علم أن من بني إسرائيل من هو مؤمن ، وكان فرعون يتعبدهم فطلب منه إرساله إياه .

الاستئناس(١)

أصله طلب الأنس ، والإيناس من الرؤية يفيد الأنس بما يراه المؤنس ، ولهذا لا يقال لله تعالى يؤنس كما يقال : أنه يرى .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الاستئذان ، قال الله تعالى : ﴿ حَتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [سورة النور آية : ٢٧] ونسق التلاوة يدل على أنه أراد الاستئذان ، وهو قوله : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة النور آية : ٥٩] .

وقرأ ابن عباس رحمه الله : ﴿ حَتَّى تستأذِنُوا ﴾ ، وقال : غلط الكاتب وإنما سمي استئذانهم استئناسا ؛ لأنهم إذا استأنسوا أنس بعضهم ببعض .

(١) الأَنَسُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وهُمُ الإِنسُ . والانَاسُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ؛ وجَمْعُ الإنسِ أيضاً - بمنزلَةِ إجْلٍ وآجَالٍ - .
وقيل : سُمِيَ الإنسانُ إنْسَاناً لظُهُورِهِم وإدراكِ البَصَرِ إيَّاهم ، وهو فِعْلاَن ، ويُصَغَّرُ : أُنَيْسِيَانٌ وأنَيْسِيْنٌ .
ويقولون : هذه إنْسَانَةٌ للمَرْأةِ . وطَيِّءٌ تقولُ في الإنسانِ : إيْسَانٌ - بالياء - ، ويُجْمَعُ أياسِيْنَ .
وقَوْلُه عزّ وجَل : " ياسِيْنُ والقُرآنِ الحَكِيمِ " يُرِيْدُ : يا إنْسَان . وقَوْلُه : " يا أيُّها الإنْسَانُ ما غَرَّكَ " أي يا أيُّها النَّاسُ ، يُقَال : ما هو من الإنْسَانِ : أي من النَّاسِ . وتَأنَّسَتِ الأرْضُ : نَبَتَتْ .
وفي المَثَل الخاص بأخِيْه قَوْلُهم : " فلانٌ ابنُ أُنْسِ فلانٍ " . والإنْسَانُ : الأنْمُلَةُ . إنْسِيُّ القَدَم : ما أقْبَلَ عَلَيْكَ .
وإنْسِيُّ الإنْسَانِ : شِقُّه الأيْسَرُ . والأنْسُ : الاسْتِئْنَاسُ والتَّأنُّسُ ، وقد أنِسْتُ بفلانٍ وأنَسْتُ به - بفَتْحِ النُّوْنِ -
والأنِيْسَةُ : الجارِيَةُ الطَّيِّبَةُ النَّفْسِ التي تُحِب حَدِيْثَها . ويقولون : كَيْفَ أُنْسُكَ وإنْسُكَ ، و " كَيْفَ تَرى ابْنَ أُنْسِكَ " أي نَفْسَك ، وقيل : هو خاصته وخَلِيْلُه . ويُقال للسِّلاحِ : المُؤْنِسَاتُ ؛ لأنَ الرَّجُلَ يَسْتَأْنِسُ بسِلاَحِه .
وآنَسْتُ فَزَعاً وشَخْصاً وضعفاً من مَكانٍ : أي رَأيْتُ . وكذلك آنَسْتُ : إذا أحْسَسْت شَيْئاً .
والبازِيُّ يَتَأنَّسُ : إذا جَلّى ونَظَرَ رافِعاً رَأْسَه . والأنِيْسَةُ : النَّارُ ؛ لأنَّها آنَسُ الأشْياءِ ، وقيل : هو من أنَّها تُؤْنَسُ أي تبصر .
ومَوْضِعٌ مَأْنُوسٌ : فيه إنْسٌ والاسْتِئْنَاسُ : الاسْتِئْذَانُ . وتَأنَّسَ للشَّيْءِ : إذا تَسَمعَ له . [المحيط في اللغة : ٢/ ٢٧٩] .

وفي قوله تعالى : ﴿ حَتى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ جواز الدخول بعد الاستئذان وإن لم يكن صاحب الدار أذن ، ولذلك قال مجاهد : هو التنحم والتنحنح كأنه أراد أن يعلمهم بدخوله .

وهذا الحكم ثابت فيمن جرت عادته بالدخول من غير إذن ومعلوم أن الإذن مشروط في إباحة الدخول ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتى يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٢٨] فحظر الدخول إلا بالإذن .

الثاني : طلب الأنس بالحديث ، قال الله تعالى : ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ، وقال عمر رضي الله عنه : أأستأنس يا رسول الله ، فقال له : استأنس يعني : استئناس الحديث .

ومستأنسين نصب على الحال من محذوف ، أي : فلا تدخلوها مستأنسين أو لا تجلسوا بعد الفراغ من الأكل ، وقيل : موضعه خفض مستأنسين على اتباع : ﴿ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ .

الآية(١)

أصل الآية العلامة الثابتة من قولك : تأييت بالمكان إذا أقمت به وثبت فيه ، ومن ثم يقال : لأجعلنك آية ، أي : علامة ، وسميت الآية من القرآن آية ؛ لأنها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة ، وقيل : الآية جماعة حروف من قولهم : خرج القوم على آيتهم أي : بجماعتهم .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : العبرة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : عبرة يعتبر بها ، وتكون علامة لصدقه وشاهدا على أن الله تعالى قادر على ما يريده ، ويجوز أن يكون قولهم : لأجعلنك آية من ذلك أي : عبرة ، ومثله : ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٥] ولم يقل : وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين ؛ لأن الأمر فيهما يؤول إلى شيء واحد .

الثاني : العلامة ، قال : ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [سورة يس آية : ٤١] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة الروم آية : ٢٥] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٩ ، الروم :

---

(١) الآيَةُ : العَلامَةُ ، وجَمْعُها آيٌ ثُمَّ آيَاتٌ . والجَمَاعَةُ من النّاسِ ، وخَرَجَ القَوْمُ بآيَتِهم . والغَايَةُ . والآيَاتُ من القُرْآنِ ، والجَمِيْعُ الآيُ ، وآيَةٌ مُؤَيَّاةٌ وقد أُيِّيَتْ ، وسُمِّيَتْ آيَةً لأنَّها عَلامَةٌ لانْقِطَاعِ الكلامِ ، وقيل : لأنَّها عَجَبٌ ، وإذا أضَفْتَ إلى آيَةٍ قُلْتَ : آوِيٌّ وآيِيٌّ .
وآيَةُ الرَّجُلِ : شَخْصُه ، يُقال : تَآيَيْتُ آيَتَه : أي تَعَمَّدْت شَخْصَه .
وآيُ الدّارِ : عَلامَاتُها .
والآءُ : الواحِدَةُ آءَةٌ شَجَرَةٌ لها حَمْلٌ تَأْكُلُه النَّعَامُ ، ونَمَرَتُها الآءُ ، وتَصْغِيرُها أُوَيْأَةٌ بوَزْنِ عُوَيْعَةٍ . وأرْضٌ مَآءَةٌ على مَفْعَلَةٍ .
والتَّأَيِّي : التَّنَظُّرُ والتُّؤَدَةُ ، تَأَيَّا الرَّجُلُ يَتَأَيَّا ، ولَيْسَتْ بِدَارِتَئِيَّةٍ : أي انْتِظَارٍ للمَقَامِ بها .
وتَأَيَّيْتُ بالمَدِّ : تَعَمَّدْت .
وتَآيَيْتُ القَوْمَ : لَحِقْتُهم وأدْرَكْتُهم وتَلاَقَيْتُهم .
وتَأَيَّيْتُ الأثَرَ : الْتَمَسْتُه وتَعَرَّفْتُه .
وأَيَايَا : في الزَّجْرِ ، أَيَّيْتُ بالإبِلِ أُيَيِّي تَأْيِيَةً ، وأيَا يُأَيِّي تَأْيِيَةً . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٩٠] .

٢٢] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾(١) [سورة الروم آية : ٢١] أي : ومن العلامات على ربوبيته . .

والوجهان متقاربان يصلح استعمال أحدهما في موضع الآخر ، وإنما أوردناهما على حسب ما جاء في التفسير .

(١) قال الشوكاني : ﴿والله جَعَلَ لَكُمْ مَنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ قال المفسرون : يعني النساء فإنه خلق حوّاء من ضلع آدم . أو المعنى : خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتستأنسوا بها ، لأن الجنس يأنس إلى جنسه ، ويستوحش من غير جنسه ، ويسبب هذه الأنسة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب للنسل الذي هو المقصود بالزواج ، ولهذا قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مَنْ أزواجكم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ . [فتح القدير : ٤/ ٢٤٢] .

الآخرة

سميت الآخرة آخرة ؛ لأن الدنيا تؤدي إليها ، وآخر الشيء خلاف أوله ، فأوله ما بدئ منه وآخره ما يقطع عند تمامه .

وقد يجوز مع ذلك أن يجعل أول الشيء آخره ، وآخر الشيء أوله إذ قدر غير التقدير الأول ، وقد استقصينا ذلك في كتاب الفرق .

وآخر الشيء منه كما أن أوله منه ، وليست الآخرة من الدنيا على أنه لولا الدنيا لم يقل آخره ، وأنثت الآخرة على تأنيث الدار .

وهي في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿وإِنَّ الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٠ ، المؤمنون : ٧٤] يعني : القيامة .

الثاني : الجنة بعينها ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] أي : ما لهم في الجنة من نصيب ، والخلاق النصيب وسمي خلاقا ؛ لأنه قدر لصاحبه ، وأصل الخلق التقدير وسنذكره ، وقال تعالى : ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبكَ لِلْمُتقِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿تِلْكَ الدارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [سورة القصص آية : ٨٣] ، ونظير الأول قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٠] .

الثالث : جهنم خاصة ، قال : ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِهِ﴾ [سورة الزمر آية : ٩] أي : يحذر جهنم .

الرابع : قوله تعالى : ﴿يُثَبتُ اللهُ الذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] وجاء في التفسير أنه أراد القبر حين يأتيه منكر ونكير ، ويجوز أن يكون معناه القيامة يثبته الله فيها على الصراط .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾(١) [سورة ص آية : ٧] وهي ملة عيسى عليه السلام ، كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون معناه : ما سمعنا أن مثل ما تأتي به يكون في آخر الزمان .

(١) قال ابن الجوزي : ﴿ في المِلَّة الآخِرة ﴾ وفيها ثلاثة أقوال :
أحدها : النصرانية ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد ، وبه قال محمد بن كعب القرظي ، ومقاتل .
والثاني : أنها مِلَّة قريش ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وبه قال قتادة .
والثالث : اليهودية والنصرانية ، قاله الفراء ، والزجاج ؛ والمعنى أن اليهود أشركت بعُزَير ، والنصارى قالت : ثالث ثلاثة ، فلهذا أنكَرَتِ التوحيدَ . [زاد المسير : ٥/ ٢٢٧] .

الأخ[1]

أصل الأخ أخو على وزن فعل ، ودليل ذلك أنك تقول في التثنية أخوان ، وكذلك الأب ؛ لأنك تقول في تثنيته أبوان .

قال المبرد : إنما حذفوا الواو من أخ علامة للتضمين ، ومعنى التضمين عندنا أنك إذا قلت : أخ فقد ضمنت شيئا معلوما وهو أخ آخر ، وكذلك إذا قلت : أب وابن وليس كذلك في مثل قولك : رأس ؛ لأنك إذا قلت : رأس جاز أن تريد رأس عصا ورأس رجل ورأس بقرة ، وليس يدل قولك : رأس على شيء بعينه ، والمضمون في قولك : أخ وابن معلوم ، وأصل اشتقاق الأخ من القصد ، ومن ثم قيل : توخيت الشيء إذا قصدته وأصله تأخيت

---

(١) الأخ ، وكان أصل تأليف بنائه على بناء فعل بثلاث حركات ، وكذلك : الأب ، فاستثقلوا ذلك وفيها ثلاثة أشياء : حرف وصوت وصرف ، فربما ألقوا الواو والياء لصرفها وابقوا منها الصوت فاعتمد الصوت على حركة ما قبله فإذا كانتِ الحركة فتحةً صار الصوت معها ألفاً ليفة ، وإن كانت ضمة صار معها واو لينة ، وإن كانت كسرةً صار معها ياءً لينةً ، فاعتمد صوت واو الأخ على فتحةٍ فصار معها ألفاً لينة : أخا ، وكذلك أبا كألف رمى وغزا ونحوهما .

ثم ألقوا الألفَ استخفافاً لكثرة استعمالهم إياها وبقيت الخاء على حركتها فَجَرَتْ على وجوه النحو لقصر الأسم .

فإذا لم يُضيفوه قَوَّوْه بالتنوين ، وإذا أضافُوه لم يحسن التنوين فقوَّوْه بالمد في حالات الإضافة ، فإذا ثنوا قالوا أَخوان وأَبوان ، لأن الأسم متحرك الحشو فلو تصر حركته خلفاً من الواو والساقطة كما صارت حركة الدالِ في اليد ، وحركة الميم في الدم ، فقالوا يدانِ ودمانِ ، لأن حشوهما ساكن فصار تحرك الدال والميم خلفاً من الحرف الساقط ، فقالوا : دَمان ويدان ، وجاء في الشعر دميان ، قال :

فلو أنّا على حَجَر ذُبّحنا *** جَرَى الدَّمَيان بِالخَبَرِ اليَقينِ

وإنما قالوا : دَمَيان على الدَّماء كقولك : دَمِيَ وَجْهُ فلانٍ أشد الدَّماء ، فحرك الحشو ، وكذلك قالوا إخوان ، وهم الإخوةُ إذا كانوا لأبٍ ، وهم الإخوانُ إذا لم يكونوا لأبٍ . وفي القرآن : " فأصلحوا بينَ أَخَوَيْكُم " .

والتَّآخي : اتِّخاذُ الأَخوانِ بينهما إخاءً وأُخُوَّةً .

والأُختُ : كانَ حَدُّها أَخَة والأعرابُ على الهاء والخاء في موضع الرفع ولكنها انفتحت لحال هاء التأنيث ، لأنها لا تعتمد إلا على حرفٍ متحركٍ بالفتحة ، وأسكنت الخاء فحول صرفها على الألف ، وصارت الهاء تاء كانها من أصلِ الكلمة ، ووقع الإعراب على التاء ، وألزمت الضمة التي كانت في الخاء الألف ، وكذلك نحو ذلك .

أخخ : أَخّ : فارسيةٌ يتوجع بها عند التوجع من شيء . [العين : الخاء والقاف] .

الشيء وتأخيت أخا للفرق بين المعنيين ، ويجوز أن يكون توخيت الشيء مأخوذا من الوحي ، وهو الطريق القاصد وهذا أجود الوجهين .

وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الأخ من الأب والأم ، قال : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] ، وقال : ﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [سورة المائدة آية : ٣١] ونحوه كثير ، وسماها سوأة ؛ لأنها جيفة .

الثاني : الأخ في النسب ، قال الله تعالى : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، وقوله : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[سورة الأعراف آية : ٧٣] ، وقوله : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٥] ، وقال : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] فإن قيل : فلم سمي ولي الدم أخا القاتل في هذه الآية ، والقاتل فاسق والفاسق لا يكون أخا لمؤمن ، قلنا : سماه بذلك كما سمي هودا أخا عاد ، والقوم إذا كانوا من جيل واحد وقبيلة واحدة سموا أخوة ؛ لأنهم ينتهون إلى أب واحد قريب أو بعيد ، وسنفسر هذه الآية فيما بعد إن شاء الله .

الثالث : الأخ في الكفر والشرك ، قال الله : ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾[1] [سورة الأعراف آية : ٢٠٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٧] ، ونحوه : ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] .

---

(١) قال الخازن : ﴿وإخوانهم﴾ يعني وإخوان الشياطين من المشركين ﴿يمدونهم﴾ أي يمدهم الشياطين ﴿في الغي﴾ قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أي يطيلون لهم في الإغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة ﴿ثم لا يقصرون﴾ يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي . وقال ابن عباس : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الإنس والشياطين جميعاً . [لباب التأويل : ٣/ ١٥٠] .

الرابع : الأخ في الإسلام ، قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٠] ، وقال : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٣] .

الخامس : الأخ في المودة ، قال في وصف أهل الجنة : ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٧] .

السادس : الأخ بمعنى الصاحب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ [سورة ص آية : ٢٣] ، وقوله : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٢] أي : لحم صاحبه .

ويجوز أن يكون معناه الأخ في الدين ، فجعل الغيبة أكل اللحم ، قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : "ذكر أخيك بما يكره" ، قال : قلت : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته "(1) .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٥٩١) ، وأخرجه الترمذي أيضا (١٩٣٤) ، وأخرجه أبو داود (٤٨٧٤) ، وأخرجه أحمد (٨٧٥٩) ، وأخرجه الدارمي (٢٧١٤) .

الإثم[1]

الإثم عند العرب الذنب ، وسميت الخمر إثما لأنها توقع في الذنوب ، ويقال : أثم فهو آثم وأثيم مبالغة كما تقول : علم فهو عالم وعليم مبالغة .

وقال ابن السكيت : إن الإثم في قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] يعني : به : الخمر ، وأنشد :

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ

وجاء في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الكذب ، قال تعالى : ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الربانيونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٣] أي : الكذب بأن عزيرا ابن الله وأن يد الله مغلولة .

الثاني : المعصية ، قال الله تعالى : ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] أي : مائل إلى المعصية ، والجنف الميل .

وقال بعض الفقهاء : الإثم أن يأكل منه أكثر مما يحتاج إليه لسد جوعه ، وقال غيره : له أن يأكل منه ما يريد ويتزوده فإذا استغنى عنه طرحه ، والضرورة المذكورة في الآية تدفع ذلك ، والأول قول أصحابنا .

وقال : ﴿وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] ولا يكون البغي إلا بالحق ، وإنما هو مثل قولك : بغى علي ظلما ، ولا يجوز أن يبغي عليه عدلا ، وإنما هو تأكيد في الكلام .

---

(١) [أثم] : أَثِمَ : وَقَعَ في الإِثْمِ . وتَأَثَّمَ : تَحَرَّجَ منه وكَفَّ عنه . والأَثَامُ : عُقُوبَةُ الإِثْمِ ، والآثامُ جَمْعُه . وفلانٌ مُؤْثِمٌ : أي ادَّعى الإثمَ . والأَثِيمُ والأَثِيمَةُ : في كَثْرَةِ رُكُوْبِ الإِثْمِ . والآثِمُ : الفاعِلُ . ويَقُولُونَ : لا يَأْثِمُني اللهُ في كذا ولا يُؤْثِمُني بمَعْنىً واحِدٍ : أي لا يَجْزِيْني الأثَامَ .
والإِثْمُ : من أَسْماءِ الخَمْرِ ؛ في قَوْلِه عَزَّ وجَلَّ : " ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ والإِثْمَ " .
والمُوَاثِمُ : الذي يَكْذِبُ في السَّيْرِ . [المحيط في اللغة : ٢/ ٤٢٤] .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[سورة المائدة آية : ٢] هو الإثم وكذلك البغي .

وإنما كرر المعنى بغير لفظه أراد التأكيد على ما بينا ، ومثله : ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾[سورة الأنعام آية : ١٢٠] يعني : ظاهر المعصية وباطنها .

وقال بعضهم : أراد الزنا وليس له أن يقصره على الزنا وحده إلا بدليل ولدليل فإن كان ما روي أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا فأخبر الله تعالى بأن ذلك كله محرم صحيحا فهو الدليل .

الثالث : الحرج والضيق ، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٠٣] أي : إن نفر الحاج من مكة اليوم الأول من أيام التشريق أو الثاني أو تأخر بمنى إلى اليوم الثالث فلا حرج عليه : ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ أي : لمن توخى التقوى .

وهذا دليل على أن أعمال البر لا تنفع إلا مع الإيمان والتقوى والإثم الحرام ، قال الله تعالى : ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[سورة النساء آية : ٢٠] أي : حراما بينا ، والبهتان : الباطل الذي يتحير في بطلانه ، وأصله من قولهم : بهت الرجل إذا تحير ، وقال الله : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٨] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾[سورة البقرة آية : ١٨٢] جاء في بعض التفسير أنه أراد بالإثم الخطأ ، وقيل : الجنف هاهنا الخطأ ، وقيل : المعنى من علم من الموصي ميلا إلى ما هو إثم وجور في الوصية مما يعود بالضرر على ورثته فسبيله أن يصلح بينه وبينهم حتى يرجع أمرهم إلى السداد ، ولما قال : ﴿جَنَفًا﴾ دل على معدول عنه ومعدول إليه ، وهم الموصي والورثة ، فقال تعالى : ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٢]

والفرق بين الجنف والحيف : أن الجنف هو العدول عن الحق والحيف الحمل على الشيء حتى تنقصه ، وتحيفت الشيء تنقصته من حافاته[1] .

فإن قيل : لم قال : ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] وهو محسن ؟ قلنا : لأن المتوسط من أنهن لا يعدم أن ينقص أحدهما بعض حقه الذي في ذلك من الصلاح ، والصلح لا يكون إلا كذلك فبين أنه لا إثم عليه في النقصان والزيادة .

(١) الجَنَف : المَيْلُ في الكلام ، وفي الأمور كُلِّها ، تقول : جَنَفَ فلانٌ علينا ، وأجنَفَ في حُكمه ، وهو شبيهٌ بالحَيْفِ ، إلا أنَّ الحَيفَ من الحاكِم خاصَّةً ، والجَنَفُ عامٌّ . ومنه قول الله عز وجلَّ : " فمن خافَ من مُوصٍ جَنَفاً" . وقوله جلَّ وعزَّ " " غيرُ مُتجانِفٍ لإثمٍ ، أي مُتمايلٍ مُتعمدٍ " . [العين : الجنف] .

أنى[1]

يكون على وجهين :

يكون بمعنى كيف في قوله تعالى : ﴿أنى يُحيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٩] أي : كيف يحييها ؟ ! ، وقوله : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أنى شِئْتُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٣] إلا أنه في القبل لقوله : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ ، ولقوله : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٣] إذ لا تعبر عن الدبر بالحرث ، ويكون المعنى من أين في قولك : أنى لك هذا ، أي : من أين لك هذا ، وقوله : ﴿أنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾[سورة الأنعام آية : ١٠١] ، وقوله : ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ أنى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٠] .

والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما على ما يتأول عليه الآخر .

قال الكميت :

أنّى ومِنْ أينَ آبَكِ الطَّـــرَبُ ... مِنْ حيثُ لا صَبْـــوَة ولا رَيَبُ

فجاء بالمعنيين .

(١) " أنّى " بمعنى " كَيْفَ " كقوله جلّ ثناؤه : " أنّى يُحيِي هذِهِ اللهُ ؟ " .
وتكون بمعنى : " مِنْ أينَ " كقوله : " أنّى يكون لَهُ ولد ؟ " أي من أين . والأجودُ أن يقال في هَذَا أيضاً كَيْفَ . قال الكميت :

أنّى ومن أَيْنَ آبَكَ الطربُ *** من حَيْثُ لا صَبْوةٌ ولا رِيَبُ

فجاء بالمعنيين جميعاً . [الصاحبي في فقه اللغة : باب أنى] .

أو

قالوا : تجيء في القرآن على ثلاثة أوجه ، وتأتي في غير القرآن للشك تقول : رأيت عبد الله أو محمدا ، أو تكون للتخيير بين الشيئين كقوله : ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٩] ، وقوله : ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] .

قالوا : وتجيء بمعنى واو النسق ، قال الله : ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [سورة المرسلات آية : ٥ ، ٦] ، وقوله : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان آية : ٢٤] ، وليس كذلك .

قال المبرد : أصل أو في الكلام واحد ثم تنقسم قسمين التخيير والإباحة ، والتخيير قولك : خذ مني دينارا أو ثوبا فإنه وفاء بحقك وليس لك أن تأخذهما ، وقولك : اضرب زيدا أو عمرا أي : كل واحد منهما أهل أن يضرب وأنت مخير في واحد لا تزيد عليه ، وكذلك إذا شك المخير فقال : جاءني زيد وعمرو ولم يرد أنهما جاءه إلا أنه يعلم أن أحدهما جاء فهذا باب واحد .

والإباحة قولك : جالس زيدا أو عمرا أو خالدا وارو عن الحسن أو ابن سيرين ، أي : جالس هذا الضرب وارو عن هذا الضرب من الناس ، وإذا جالس واحدا منهم أو جالسهم جميعا فقد أطاعني ؛ لأني أردت هذا الضرب ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ولو قال : وكفورا فأطاع أحدهما ولم يطع الآخر لم يكن عاصيا ، وإذا قال : أو كفورا صار كل واحد منهما لا يطاع على حياله ، وأما قوله : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ فمعناه أن الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا تجمع بين الإعذار والإنذار فتعذر في وقت وتنذر في وقت كما تقول : جاءني زيد وعمرو فتعلم بذلك أن كل واحد يجوز أن يجيء إلا أن قصدي في هذه الحال واحد منهما ﴿عُرْفًا﴾ [سورة المرسلات آية : ١] أي : تباعا بعرف الفرس ، و : ﴿الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة ، وقيل : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ جمع عذير ونذير ، قال حاتم :

وقدْ عَذَرَتْني في طِلَابِكُمُ العُذُرُ

قال : وتقول في الاستفهام : أتأخذ دينارا أو ثوبا ، وليس معناه أن يلزمه أحدهما ، ولكن معناه أتأخذ هذين ؟ فجواب هذا لا أو نعم ، ولو أراد أن يلزمه واحدا لا محالة ، يقال : أتأخذ دينارا أو درهما فجواب هذا لا يكون لا ولا نعم ، ولكن تقول : دينارا أو درهما ، وتقول : لا دينارا آخذ ولا درهما ، وتكون أو بمعنى بل في قول الفراء وأبي عبيدة قال : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٧] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [سورة النحل آية : ٧٧] ، وقوله : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم آية : ٩] ، وأنشد شاهدا على ما تقدم :

قَضَى عنكُما شَهْـــرَينِ أو نِصْفَ ثَا لِثٍ إلى ذَاكَ مَا قَدْ غَيَّبَتْني غِيابِيـــا

أي : ونصف ثالث لا يجوز هاهنا بل وكذلك في قوله : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ، وقيل : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي : أو يزيدون في تقديركم إذ رآهم رائي ، قال هولا : ﴿مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فهذا هو القول ؛ لأنه على أصل ، أو وكذلك قوله : ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [سورة النحل آية ٧٧] أي : لو رأى الرائي قدرة الله على إماتة الخلق وإحيائهم ، لقال : وذلك يكون في قدر لمح البصر أو أقل ، والساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم وليس يذكر أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر .

وكذلك يقال : أو أدنى أقل عندكم لو رأيتموه لقلتم أنه كذلك ، والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يرى جبريل صلوات الله عليه على صورته الحقيقية ، وكان يهبط للوحي على صورة رجل فاستوى جبريل في الأفق على صورته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ثُم دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [سورة النجم آية : ٨] جبريل فصار بينه وبين النبي صلوات الله عليهما القدر المذكور .

والمراد أنه دنا فتدلى فزاد قربا ، وقيل : دنا فتدلى أي : تدلى فدنا على القلب ، وهو في كلامهم واسع .

أم(١)

إذا قلت : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فأنت لا تدري أيهما في الدار ، ولا تدري أن أحدهما فيها أو لا ، ويصلح في جوابه لا ونعم ؛ لأنك تسأل عن الكينونة هل حصلت في الدار أم لا فإذا علمت أن أحدهما في الدار ولست تدري أيهما هو قلت : أزيد في الدار أم عمرو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم ؛ لأنك تسأل عن أحد الكائنين ففيه معنى أيهما .

قيل : وأم في القرآن على وجهين :

الأول : يكون بمعنى أو ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٩] . وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [سورة الملك آية : ١٧] .

قال بعض أهل العربية : هي في هذين الموضعين بمعنى أو ، والمراد التحذير ، أي : لا تأمنوا ذلك واحذروه ما دمتم على الشرك .

الثاني : مجيئه بمعنى ألف الاستفهام ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، والاستفهام هاهنا بمعنى النهي ، وقال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[سورة الطور آية : ٣٩] أراد له البنات ، وهذا الاستفهام بمعنى الزجر والتبكيت ، قال : وليس من هذا : ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ [سورة ص آية : ٦٣] فإن قيل : لم سوى بين السخري وبين زاغت الأبصار عنهم ؟ ، قلنا : لأن المعنى أظلمناهم بما قلنا فيهم وبما سخرنا منهم أم هم مستحقون له وقد زاغت أبصارنا عنهم وهم في النار ، فهذا حق التسوية .

والصحيح في هذه الآيات أنه لما جاء بلفظ الاستفهام في أول الكلام جاء بأم بعده لأنه للاستفهام ، والمراد بالاستفهام فيها التبكيت أو التعريف والتوقيف على ما ذكرناه ، وقال :

---

(١)" أم " : حَرْفٌ في مَعْنى " أوْ " ، ويكونُ في المَعْنى كأنّه اسْتِفْهامٌ بَعْدَ اسْتِفْهام . ويكونُ في مَعْنى "بَلْ" . ويقولونَ : أمْ عِنْدَكَ غَدَاءٌ حاضِرٌ : وأنْتَ تُرِيْدُ : أعِنْدَكَ ؟ . ويكونُ مُبْتَدَأً الكَلَامِ في الخَبَرِ . ويكونُ زائداً كقَوْلِكَ : جاءَكَ أمْ زَيْدٌ : مَعْناه جاءَكَ زَيْدٌ . [المحيط في اللغة : ما أوله الألف] .

﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُ مِنْ رَبِكَ﴾ [سورة السجدة آية : ١ – ٣] ، ولم يتقدم في الكلام أيقولون كذا فنرد عليه أم يقولون ، وقيل : إنما أراد أيقولون افتراه ، والصحيح أن أم هاهنا بمعنى بل فرد قولهم ، ثم قال : ﴿هُوَ الْحَقُ﴾ .

قال المبرد : لأم موضعان ، وكلاهما استفهام ، فأحدهما : أن تسأل عن شيء من شيئين أو أكثر من ذلك تدعي من الاثنين والجميع واحدا ولا تدري أيهما هو وذلك قولك : أزيد في الدار أم عمرو ، وأزيد أفضل أم خالد ، وعبد الله عندك أم عمرو وأنت الآن مدع أن أحدهما عنده ولا تدري أيهما هو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم على ما تقدم قبل ، وإنما جوابه أن تقول : فلان عندي أو تقول : كلاهما عندي ، أو تقول : لا زيد عندي ولا عمرو فإذا قلت : ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو فإنما أخبرت أنهما قد استويا عندك في الكون هناك ، وكذلك قولك : لا أبالي عمرا ضربت أم زيدا وسواء ذلك علي إن أدبر زيد أم أقبل .

وكل هذا تسوية وعلم في تقديره أنه سيقع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمِ السَمَاءُ بنَاهَا﴾ [سورة النازعات آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبعٍ﴾[سورة الدخان آية : ٣٧] خرج مخرج التوقيف والتوبيخ ، قال : واعتبر هذا يأتي فإنها تكون لأحد شيئين أو لأحد أشياء تقول : ما أبالي أي : ذلك كان وسواء علي أي : ذلك كان ، وعلمت أي : ذلك كان ، وأتى غير عامل فيها ما قبلها وإنما هي كقولك قد علمت أزيد في الدار أم عمرو .

وإذا قلت : أيهما في الدار فمعناه هذا أم هذا فمن ذلك قوله تعالى : ﴿أي : الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [سورة الكهف آية : ١٢] ، وأما قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أي مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[سورة الشعراء آية : ٢٢٧] فأي منصوبة بينقلبون ، كما يقول : علمت أيهم في الدار .

والوجه الثاني : أن أم تجيء للإضراب عن الشيء إلى الشيء فتكون منقطعة عما قبلها خبرا كان أو استفهاما وذلك يكون لوجهين :

أحدهما : الشك .

والآخر : ترك خبر إلى خبر من غير شك أو غلط ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ، وقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، وقوله : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾[سورة الطور آية : ٣٢] وقوله : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾[سورة الطور آية : ٤٠] ، وقوله : ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ﴾[سورة الزخرف آية : ١٦] ، وفي هذه الوجوه ومع ما ذكرنا أنه يترك خبراً إلى خبر آخر معنى التوبيخ والتوقيف .

ومثله قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة فصلت آية : ٤٠] .

ومثله قولك للرجل : السعادة خير أم الشقاء ، وإنما يراد بذلك التنبيه على ترك اختيار ما يصيره إلى الشقاء .

الإذن(١)

أصله من العلم ، أذنت الشيء إذا علمته ، وآذنته غيري أي : أعلمته ، وفي القرآن : ﴿ فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٩] ، ثم استعمل في الاستفهام لما يقع من الاستماع من العلم ، أذن له إذا استمع له ، قال الشاعر وهو عدي بن زيد :

وسَماعٍ يأذَنُ الشيخُ لَـــــهُ وحديثٍ مثلِ ماذِيٍّ مُشَــــارْ

ومن الأول : الآذان ؛ لأنه إعلام بالصلاة .

وهو في القرآن على وجهين :

(١) أذن : الأُذُنُ : مَوْضِعُ السَّمْعِ . وأذَنْتُه أَذْناً : ضَرَبْتُ أُذُنَه . ورَجُلٌ أُذُنٌ وامْرَأَةٌ كذلك : إذا اسْتَمَعَ من كُلّ أحَدٍ .
والأُذُنُ : عُرْوَةُ الكُوزِ ونَحْوِه . وسُمِعَ من العَرَبِ : أُذُنَةٌ ؛ في الأُذُنِ .
ورَجُلٌ أُذَانِيٌّ : عَظِيمُ الأُذُنِ . وكَبْشٌ آذَنُ ونَعْجَةٌ أذْنَاءُ .
وفي القَلْبِ أُذُنَانِ : وهُما زَنَمَتانِ في أعْلاه . وجاءَ ناشِراً أُذُنَيْه : إذا جاءَ طامِعاً .
وفي مَثَلٍ : " أنا أعْرِفُ الأرْنَبَ وأُذُنَيْها " .
والأَذَنُ : مَصْدَرُ قَوْلِكَ أَذِنْتُ للشَّيْءِ أَذَناً : إذا تَسَمَّعْتَ له وأصْغَيْتَ إليه .
وأَذِنْتُ أيضاً : عَلِمْتُ ، وما آذَنَني : أي ما أعْلَمَني ، وفَعَلَه بأَذَنِي .
وإذا أَذِنْتَ له في الدُّخُول ، والآذِنُ : الحاجِبُ .
والأَذَانُ : اسْمُ التَّأْذِين . والمِئْذَنَةُ : المَنارَةُ .
والتَّأَذُّنُ : من قَوْلِكَ لأَفْعَلَنَّ كذا ، من قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ : " وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم " .
والأَذَنَةُ : نَسْلُ المالِ وصِغارُ الماشِيَةِ والصِّبْيانُ ما داموا يَرْضَعُونَ .
وأَذَنَةُ من ثُمامٍ : غَضُّ النَّبْتِ .
وفي المَثَلِ : " لكُلِّ جَابِهٍ جَوْزَةٌ ثُمَّ يُؤْذَنُ " اي يُمْنَعُ ، ويُرْوى : يُؤَذَّنُ .
وتَأَذَّنَ القَوْمُ بإرْسالِ إبِلِهم : أي تَكَلَّمُوا به ، وهو التَّأْذِينُ . وآذَنُوا به أيضاً .
وكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ : فَقَدْ تَأَذَّنَ . والأَذِينُ : الزَّعِيمُ . وأُذَيْنَةُ : اسْمُ مَلِكِ العَمالِيقِ .
ذين : مُهْمَلٌ عنده .
الخارزنجيُّ : ذانَه يَذِينُه : إذا عابَهُ . وهو الذّانُ والذّامُ .
ذون : أيضاً مُهْمَلٌ عنده .
الذُّؤْنُونُ : نَبْتٌ مُسْتَطِيلٌ ، وجَمْعُه ذَآنِينُ . وخَرَجُوا يَتَذَأْنَنُونَ . ومن أمْثالِهم : " أطُرْثُوثَ ولا رَمْلَةَ ، أذُونُونَ ولا شَوْكَ له " ، وله حَدِيثٌ . [المحيط في اللغة : الذال والباء] .

الأول : العلم ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة البقرة آية : ١٠٢] يعني : والله يعلم ذلك ، وهو مجاز لهم عليه .

الثاني : الأمر ، قال الله تعالى : ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢١٣] أي : فدل الله المؤمنين إلى الحق من جملة ما اختلفوا فيه فلزموه بأمره ، وقيل : بعلمه ، وقال أبو علي رحمه الله : هداهم بإذنه أي : هداهم فاهتدوا بإذنه ؛ لأن هدايته فعله ، والله لا يفعل بإذن فحذف فاهتدوا لدلالة قوله : ﴿بِإِذْنِهِ﴾ عليه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة آل عمران آية : ١٤٥] والمعنى : أنهم لا يموتون دون الأجل فلا تجنبوا عن الجهاد ، وفي الآية دليل على أن غير الله لا يقدر على الموت ، وقال : ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢١] أي : بأمره الذي امتثلوه ، وقال : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة الرعد آية : ٣٨] ، وقوله : ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[سورة إبراهيم آية : ١] ، وقال : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٣] أي : بأمره وإذنه في ذلك ، وقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[سورة النساء آية : ٦٤] أي : بأمره ، وذلك أنه أمر أن يطاع ، وقيل : أرسله لأن يطاع ؛ لأنه يقول ما يقول بإذن الله ، وقيل : بإذنه بجميل صنعه وحسن توفيقه .

إلا

قالوا : هي على أربعة أوجه :

أولها : الاستثناء ، كقوله تعالى : ﴿الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُو إِلا المُتقِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٦٧] فاستثنى المتقين ؛ لأنهم ليسوا بأعداء .

الثاني : بمعنى لكن ، في قوله تعالى : ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلناسِ عَلَيكُمْ حُجةٌ إِلا الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] أي : لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة لجهلهم ، وقيل : معناه لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم .

قال أبو عبيدة : إلا هاهنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله ، أي : ولا الذين ظلموا عليكم حجة وهم من جملة الناس إلا أنه خصهم لشدة عبادهم كما خص النخل والرمان لفضلهما على غيرهما ، وقال المبرد : هذا خطأ ؛ لأن الولو للعطف ، والإشراك ، وإلا للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر .

قال : والأول صحيح ؛ لأن حق الاستثناء أن يكون كله على معنى لكن ، وفيه كلام كثير ليس هذا موضع ذكره .

واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

إلا كَنَاشِرَةَ الَّـــــذِي ضَيَّعْتُمُ كالغُصْنِ في غُلَوَائِـــــهِ المُتَنَبِّتِ

قال المبرد : معنى هذا لكن ناشرة الذي ضيعتم والكاف زائدة ، وناشرة اسم رجل أي : خرج عنكم وادعى في بني أسد فتركتموه يخاطب بني مازن .

واحتج أبو عبيدة أيضا بقول الأعشى :

إلا كخَارِجَةَ المُكَلِّفِ نَفْسِـــــهِ وابْنَي قُبَيصَةَ أنْ أَغِيبَ وتَشْهَـــدَا

قال : يعني وكخارجة ، وقال المبرد : أراد ولكن كخارجة المتكلف خلاف ما عليه العشيرة .

وقال في قوله : ﴿إلا الذِينَ ظَلَمُوا﴾ لِكن الذين ظلموا أيقولون أن لهم حجة فالمعنى أنه لا أحد له حجة ، والظالم يحتج بها لا حجة له فيه ، قال : ومن كلامهم : ما لأحد علي سبيل إلا من بغى فتأويله أنه لم يستثنه من باب سبيل ، ولكن معناه لكن من بغى مخطئ ببغيه فلا يكون هذا الباب منفردا من الأول البتة .

وقوله تعالى : ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إلا قَوْمَ يُونُسَ﴾(١) [سورة يونس آية : ٩٨] ، وقوله : ﴿لا يُحِب اللهُ الجَهْرَ بِالسوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلا مَنْ ظُلِمَ﴾ [سورة النساء آية : ١٤٨] أي : لِكن من ظلم ، ومثله كثير .

الثالث : بمعنى غير ، قال الله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : غير الله ، وقوله : ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ أي : لا إله غيره ، هكذا جاء في التفسير .

والفرق بين إلا وغير أن إلا حرف وغير اسم وينوب مناب إلا في الاستثناء ، وقد يكون صفة ، تقول : هذا درهم غير قيراط معناه : إلا قيراطا ، وغير قيراط على الصفة ولا يكون إلا مضافا ، ولا معنى له إلا مخالفة ما يضاف إليه ، ويكون فاعلا ومفعولا وظرفا ووصفا

---

(١) قال ابن الجوزي : قوله تعالى : ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ أي : أهل قرية . وفي «لولا» قولان :
أحدهما : أنه بمعنى : لم تكن قرية آمنت ﴿فنفعها إيمانها﴾ أي : قُبِلَ منها ﴿إلا قوم يونس﴾ ، قاله ابن عباس . وقال قتادة : لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب ، إلا لقوم يونس .
والثاني : أنها بمعنى : فهلاّ ، قاله أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال الزجاج : والمعنى : فهلاّ كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها ، إلا قوم يونس ؟ و «إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول ، كأنه قال : لكن قومُ يونس . قال الفراء : نُصب القوم على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها ؟ تقول : ما قام أحد إلا أخوك ، فإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً ، نصبتَ ، لانقطاعهم من الجنس ، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء ، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً . وذكر ابن الأنباري في قوله : «إلا» قولين آخرين :
أحدهما : أنها بمعنى الواو ، والمعنى : وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا ، وهذا مروي عن أبي عبيدة ، والفراء ينكره .
والثاني : أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه ، تقديره : حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس ، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع . [زاد المسير : ٣/ ٣١٠] .

واستثناء ، تقول : جاءني غيرك فيكون فاعلا ، وضربت غيرك يكون مفعول ، ومررت برجل غيرك وصف ، وجاءني زيد غير راكب حال ، وجئتك غير يوم ظرف زمان ، أما من المكان فطلبتك غير موضع ، وجاءني القوم غير زيد ، وما جاءني أحد غير زيد استثناء فتجريها في الإعراب مجرى الاسم الذي يجيء بعد إلا .

الرابع : ابتداء الكلام ، قال : ﴿ثُم رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ﴾[سورة التين آية : ٥ ، ٦] وأسفل السافلين مثل أرذل العمر أي : الكبر ، والمعنى : والذين آمنوا فلهم أجر غير ممنون ، ولا يكون مستثنى ؛ لأن الذين آمنوا قد رد بعضهم إلى الكبر ، وقيل : معنى أسفل سافلين : جهنم ، والذين آمنوا مستثنون ، فأما قوله تعالى : ﴿فَإِنهُمْ عَدُو لِي إلا رَب الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٧٧] . فمعناه لكن ؛ لأن الله لا يستثنى من المخلوقين ، وكذلك : ﴿إِنني بَرَاءٌ مِما تَعْبُدُونَ إلا الذِي فَطَرَنِي﴾[سورة الزخرف آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وكذلك : ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلهُمْ أَجْمَعُونَ إلا إِبْلِيسَ﴾ [سورة الحجر آية : ٣٠ ، ٣١] ويجوز أن يقال : استثنى إبليس منهم ؛ لأنه كان معهم في الأمر ، وقوله : ﴿لا يَخَافُ لَدَي الْمُرْسَلُونَ إلا مَنْ ظَلَمَ ثُم بَدلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [سورة النمل آية : ١٠ ، ١١] . أي : لكن من ظلم ، وثم هاهنا بمعنى الابتداء كما تقول : أريد أن أحسن إليك ثم أكرمك ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إلا خَطَأً﴾[سورة النساء آية : ٩٢] .

قال قطرب : معناه إلا ما يسعه ؛ لأن الخطأ واسع له ؛ لأنه لا حيلة له فيه ، وقوله : ﴿إِلا اللمَمَ﴾[1] [سورة النجم آية : ٣٢] مستثنى صحيح ومعناه إلا أن يكون العبد قد ألم

---

(١) قال ابن الجوزي : اللَّمم في كلام العرب : المُقارَبة للشيء . وفي المراد به هاهنا ستة أقوال .
أحدها : ما أَلَمُّوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية ، فإنه يُغْفَر في الإسلام ، قاله زيد بن ثابت .
والثاني : أن يُلِمَّ بالذَّنب مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والسدي .
والثالث : أنه صِغار الذُّنوب ، كالنَّظرة والقُبلة وما كان دون الزِّنا ، قاله ابن مسعود ، وأبو هريرة ، والشعبي ، ومسروق ، ويؤيِّد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنَّ الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزِّنا ، فزِنا العينين النَّظر ، وزِنا اللسان النُّطق ، والنفس تشتهي وتتمنَّى ، ويصدِّق ذلك ويكذِّبه الفَرْج ، فإن تقدَّم بفَرْجه كان الزِّنا ، وإلا فهو اللَّمم " . والرابع : أنه ما يَهُمُّ به الإنسان ، قاله محمد بن الحنفية .

بفاحشة ثم تاب ، ويجوز أن يكون معناه إلا أن يلم بذنب ويحسب أنه صغير أو يلم بذنب ويحسب أنه ليس بذنب ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ثم قال : ﴿ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ ﴾[سورة الممتحنة آية : ٤] معناه أن أصحاب إبراهيم تبرأوا من كفار قومهم وعادوهم على الدين ما خلا : ﴿ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَ لَكَ ﴾ فإن ذلك كان : ﴿ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُو لله تَبَرَأَ مِنْهُ ﴾ [سورة التوبة آية : ١١٤] فقول إبراهيم هو استثناء من قول أصحابه ، كأن معنى قوله : إذ قالوا لقومهم قولهم لقومهم .

وقيل : معناه لكن قال إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، المعنى أن إبراهيم لم يقل ما قالوه ولكن قال : ﴿ لأَسْتَغْفِرَن لَكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٦] والموتة الأولى لم تكن في الجنة ، ولكن المعنى على البدل كأنه قال : لا يذوقون إلا الموتة الأولى كما تقول : لقيت زيدا في الدار ولقيت عمرا فلما كررت الفعل جاز أن لا يكون عمرو ملقيا في الدار وإذا لم تكرر وقلت : ظننت زيدا في الدار وعمرا لم يجز أن يكون عمرو إلا مظنونا في الدار كذلك .

قال قطرب : وفيه نظر .

وأما قوله تعالى : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا ﴾[سورة مريم آية : ٦٢] وهذا أيضا يدل على البدل ولا يكون استثناء ؛ لأن اللغو ليس بسلام كأنه قال : لا يسمعون فيها إلا سلاما .

ومثله قول سعد بن مالك :

والحربُ لا يبقَى لجَـــــــا حِـمِهَا التـخَيُّلُ والمـــــــرَاحُ
إلا الفَتَى الصَبَّــــــارُ في النَّـ ـجَدَاتِ والفَرَسُ الوَقَّـــــاحُ

والخامس : أنه ألَمَّ بالقلب ، أي : خَطَر ، قاله سعيد بن المسيّب .
والسادس : أنه النَّظر من غير تعمُّد ، قاله الحسين بن الفضل . فعلى القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس ، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس . [زاد المسير : ٥/ ٤٤٤] .

كأنه قال : لا يبقى إلا الفتى وليس باستثناء ؛ لأن الفتى ليس من التخيل والمراح ، وأما قوله تعالى : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتبَاعَ الظن﴾ [سورة النساء آية : ١٥٧] وليس العلم من اتباع الظن فمعناه إلا أنهم يتبعون الظن ، وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ إِلا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[سورة يوسف آية : ٦٨] فمعنى ذلك : لكن حاجة ، وكذلك قوله : ﴿وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلا رَحْمَةً مِنا﴾ [سورة يس آية : ٤٣ ، ٤٤] أي : لكن رحمة .

وقال المبرد : لكن أن يرحمهم ، وقوله : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلا مَنْ تَوَلى وَكَفَرَ﴾ [سورة الغاشية آية : ٢٢ ، ٢٣] أي : لكن من تولى فإنك مسلط عليه بالقتل ، وكذلك قوله : ﴿إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتبَعَكَ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] أي : لكن لك على من اتبعك سلطان ، ويجوز أن تكون إلا في قوله تعالى : ﴿إِلا مَنْ تَوَلى وَكَفَرَ﴾ بمعنى الواو عند من يقول بذلك ، وقوله : ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلا مَنْ رَحِمَ﴾ [سورة هود آية : ٤٣] معناه : لا معصوم من أمر الله إلا من رحم يريد المؤمنين الذين مع نوح عليه السلام في السفينة كأنه قال : لا معصوم اليوم : ﴿مِنْ أَمرِ الله﴾ أي : من عذابه إلا المؤمن ، وفاعل بمعنى مفعول كثير في العربية يقولون : سر كاتم أي : مكتوم ، والراحلة بمعنى مرحولة ، وأمر عارف بمعنى معروف ، ويقولون : العارضة لما تعرض له داء من الذكارة والإناث وإنما هي معروض لها ، وكذلك تطليقة بائنة أي : مبانة ، والعائذ الذي يعوذ بها ولدها ، وعيشة راضية أي : مرضية ، وجاء الأشر بمعنى الماشورة ، ومثل هذا يجيء في مواضع لا يقع فيها إلتباس ، ويجوز أن يكون المراد بإلا من رحمه الله أي : لا عاصم غير الله ، ويجوز أن يكون المراد به نوح ؛ لأنه يعصم بأمر الله كما قال عيسى عليه السلام : ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٩] .

قال المبرد : ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلا مَنْ رَحِمَ﴾ أي : لا عاصم يعصم الناس من أمر الله إلا من رحم فإنه تناله الرحمة ، والعاصم الفاعل ، ومن رحم معصوم ، ولكن لذكره العصمة فهم المعنى ، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَن بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾

[سورة النساء آية : ١٥٩] فاستثنى من لفظه ، والمعنى : إن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ، قال الراجز :

لَوْ قُلتَ مَا في قومِهَـــا لم تِيثَمِ يَفْضُلُهَا في حَسَبٍ ومَيْسَمِ

أي : لو قلت ما في قومها أحد يفضلها ، وقال تعالى : ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِهِ الأَعْلَى﴾ [سورة الليل آية : ١٩ ، ٢٠] أي : لا يقصد لذلك ، ولكنه يقصد ابتغاء وجه ربه .

ومما يجري مع هذا الباب ما قاله المبرد : أن الاختيار في قوله : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبنَا اغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[سورة آل عمران آية : ١٤٧] أن يكون الاسم ما بعد إلا وليس مثل قوله : ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[سورة الأنفال آية : ٣٥] ؛ لأن مكاء نكرة مصدر ، والاسم فيما مضى معرفة والخبر معرفة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ حُجتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا﴾ [سورة الجاثية آية : ٢٥] : ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا﴾[سورة الأعراف آية : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ثم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] وذلك أن إلا موجبة فاختاروا أن يجعلوا الموجب الاسم وهذا كله جائز إلا إذا كان الاسم والخبر معرفتين ، وينشدون بيت الفرزدق :

وقد شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَـــا قُتَيبَةَ إلاّ عَضَّهَا بالأَبَاهِـــمِ

على الوجهين .

إلى

قال سيبويه : إلى منتهى لابتداء الغاية ، تقول : من كذا إلى كذا ، ويقول الرجل : إنما أنا إليك أي : أنت غايتي ، وتقول : قمت إليه فتجعله منتهاك من مكانك .

وقال غيره : تقول : سرت إلى الكوفة فجائز أن تكون بلغت إليها ولم تدخلها ، وجائز أن تدخلها ولم تجاوزها ؛ لأن إلى غاية وما بعده شيء فليس بغاية .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : غاية ، كقوله تعالى : ﴿أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(١) [سورة الشورى آية : ٥٣] أي : تصير إلى حيث لا يحكم غيره .

الثاني : على ما قيل : بمعنى مع ، قال : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾[سورة النساء آية : ٢] أي : مع أموالكم كذا قيل .

والوجه أن يقال : لا تضيفوها إلى أموالكم فتأكلوها معها ولم يتح لهم أن يأكلوها مفردة وإنما هو نهي عام كما تقول : لا تشتم زيدا فيمن يشتمه ، والمعنى : لا تشتمه مشاركا في شتمه ولا منفردا به ، وأنه راجع إلى الأكل أي : أكله حوب كبير ، والحوب : الإثم والمصدر الحوب حاب يحوب حوبا ، وذكر الأكل وأراد النفقة ؛ لأن أكثر النفقة وأشهرها يكون فيما يؤكل ، وسماهم بعد البلوغ يتامى بالاسم الأول .

والأصل أن يسقط عنه اسم اليتيم عند البلوغ ، واليتم في الناس من قبل الأباء وفي البهائم من قبل الأمهات .

(١) قال الطبري : قوله جلّ ثناؤه :(أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ) يقول جلّ ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة ، فيقضي بينكم بالعدل .
فإن قال قائل : أو ليست أمورهم في الدنيا إليه ؟ قيل : هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كلّ حال . [جامع البيان : ٢١/ ٥٦١] .

الاستواء(١)

أكثر ما يستعمل في الاستقامة ونتكلم في أصله بعد إن شاء الله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القصد ، قال الله تعالى : ﴿ثُم اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾(٢) [سورة فصلت آية : ١١] أي : قصد لإخراجها من كونها دخانا إلى ما هي عليه من صلابة الخلقة ، قال ابن عباس : استوى هاهنا علا أمره .

---

(١) [سوي] : سوَيت الشَّيء فاستوى وقوله في البيع : لا يَسوَى ولا يساوي ، أي : لا يكون هذا مع هذا سيِّئِن من السّواء . وساويت هذا بهذا ، أي : رفعته حتّى بلغ قدرَهُ ومَبلَغَه ، كما قال الله عزّ وجلّ : " حتّى إذا ساوى بين الصَّدَفَيْنِ " ، أي : الجَبَلين ، أي : ردم طريقي يأجوج وماجوج بالقِطر ، أي سوّى أحَدَهما بالآخر ، أيك رفعه حتّى بلغ طولُه طُولَها .
والمساواةُ والاستواءُ واحدٌ ، فأمّا يَسْوَى فإنّها نادرة ، لا يقال منه سَوِي ولا سَوَى ، وكما أنّ نكَرَ جاءت نادرة ، ولا يُقال منه ينكر ، وإذا رجعوا إلى الفِعل قالوا : يُنْكِرُ ، كذلك إذا رجعوا إلى الفعل من يَسْوَى قالوا : ساوَى ، وقال بعضهم : يُساوي ويَسْوَى واحد ، إلاّ أنّ يَسوى مُوَلَّد ، ولا يقال منه فَعَل ولا يفعل ، ولا يصَرّف ويُجْمَع السِّيّ : أسواء ، كما قال :

النّاس أسواءٌ وشتّى في الشِّيَمْ *** وكلّهم يجمعهم بَيتُ الأَدَمْ

أي : على اختلاف أخلاقهم ، أي : هم كبيت فيه الأَدَم فمنه الجيّد والوسط والرّديء .
والسَّواء ، ممدود : وسط كلّ شيء .
وسوى ، مقصور ، إذا كان في موضع غير ففيها لغتان بكسر السّين ، مقصور ، وبفتحها ممدود .
ويقال : هما على سَوِيّةٍ من الأمر ، أي : على سَواء وتَسوِيةٍ واستواء .
والسِّيّ : موضع بالبادية أملس .
والسَوِيّة : قَتَبٌ أعجميٌّ للبعير ، والجميعُ : السَّوايا .
والسَّوِيّ : الذي سوّى الله خَلقَه ، لا دَمامةَ فيه ولا داء .
وقوله جلّ وعز : " مكاناً سُوَى " ، أي : معلما قد عَلِمَ القومُ به ، وقال الضّرير في قوله تعالى : " مكاناً سوى " : سُوى وسِوَى واحد ، أي : مُستَوياً تُدرِكُه الأبصار .
وتصغير سواء وسوى : سُوَيّ ، ويُجمَع على سواسية وأسواء . [العين : سوى] .
(٢) قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله :"ثم استوى إلى السَّماء" .
فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلا على فلان ، ثم استوَى عليّ يشاتمني - واستوَى إليّ يشاتمني . بمعنى : أقبل عليّ وإليّ يشاتمني . واستُشْهِد على أنّ الاستواء بمعنى الإقبال .

الثاني : الاستيلاء ، قال الله : ﴿الرحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[سورة طه آية : ٥] ، ومنه قول الشاعر :

فَلَمَّا عَلَونا واستَوَيْنَـــــا عَلَيهِمْ   تَرَكْنَاهُم صَرْعَى لِنَسْرٍ وكَـــاسِرِ

الثالث : الاستقرار ، قال الله : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِ﴾[سورة هود آية : ٤٤] أي : استقرت .

الرابع : التماثل ، قال الله : ﴿لا يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطيبُ﴾[سورة المائدة آية : ١٠٠] أي : ليسا مثلين ، وأما قوله تعالى : ﴿ذُو مِرةٍ فَاسْتَوَى﴾[سورة النجم آية : ٦] أي : استوت

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ، ثم تحوَّل إلى الشام . إنما يريد : تحوّل فِعله . [وقال بعضهم : قوله :"ثم استوى إلى السماء" يعني به : استوت]

وقال بعضهم :"ثم استوى إلى السماء" ، عمدَ لها . وقال : بل كلُّ تارك عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مستو لما عمد له ، ومستوٍ إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوّ هو الارتفاع . وممن قال ذلك الربيع بن أنس . ثم اختلف متأوّلو الاستواء بمعنى العلوّ والارتفاع ، في الذي استوى إلى السّماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخَانُ الذي جعله الله للأرض سماء (٥) .

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاءُ شباب الرجل وقوّته ، فيقال ، إذا صار كذلك : قد استوى الرّجُل . ومنها استقامة ما كان فيه أَوَدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمرُه . إذا استقام بعد أَوَدٍ .

وأوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه :"ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن" ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهنّ بقدرته ، وخلقهنّ سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله :"ثم استوى إلى السماء" ، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع ، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستكر . ثم لم يَنْجُ مما هرَب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله"استوى" أقبلَ ، أفكان مُدْبِرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنّ ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقُلْ : علا عليها علوّ مُلْك وسُلْطان ، لا علوّ انتقال وزَوال . ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفًا . وفيما بينا منه ما يُشرِف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى . [جامع البيان : ١/ ٤٣٠] .

صورته يعني : جبريل فرآه النبي صلى الله عليه على ما هو عليه من استواء الصورة إلا كما ينزل بالوحي على صورة رجل .

الاستفهام(١)

أصل الاستفهام الاستخبار بما جاء بمعنى التوقيف والإنكار فأما الإنكار(٢) فقوله تعالى : ﴿ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[سورة الكهف آية : ٧١] والدليل على أنه إنكار قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾[سورة الكهف آية : ٧١] ، وهكذا قوله : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾[سورة الكهف آية : ٧٤] ، ومثله كثير .

وأما التوقيف والتعريف فقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[سورة الشرح آية : ١] وتأويله أنا قد فعلنا ذلك ، ولولا ذلك لم يعطف على : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ، قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[سورة الشرح آية : ٢] ؛ لأن لم عامله لا يقع على الفعل الماضي .

ومن التقرير قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ﴾[سورة النحل آية : ١٧] ، وأنزل تعالى قبل ذلك : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[سورة الزخرف آية : ٨٧] ثم قال : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ﴾ وجاء على وجه التوبيخ ، وذلك أنه لما كان البنون مرغوبا فيهم والبنات مكروهات ونسبوا إلى الخالق ما يكرهون ويحهم فقال : ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا

---

(١) قال الجرجاني : الاستفهام : استعلام ما في ضمير المخاطب ، وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين ، أو لا وقوعها ، فحصولها هو التصديق ، وإلا فهو التصور . [التعريفات : أسماء الأفعال] .

(٢)قال المناوى : التوقيف العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو صفة توجب تميز الا يحتمل النقيض أو هو حصول صورة الشئ في العقل والاول أخص وفي البصائر المعرفة ادراك الشئ بتفكر وتدبر لاثره وهى أخص من العلم والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظا ومعنى أما اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد وفعل العلم يقتضى مفعولين وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة وأما من جهة المعنى فمن وجوه أحدها ان المعرفة تتعلق بذات الشئ والعلم يتعلق بأحواله والثانى أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه فإذا أدركه قيل عرفه بخلاف العلم فالمعرفة نسبة الذكر النفسي وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر ولهذا كان ضدها الانكار وضد العلم الجهل والثالث أن المعرفة علم لعين الشئ مفصلا عما سواه بخلاف العلم فانه قد يتعلق بالشئ مجملا ولهم فروق أخر غير ما ذكرنا وقوله (وعلم هو في نفسه) هكذا في سائر النسخ وصريحه انه كسمع لانه لم يضبطه فهو كالاول وعليه مشى شيخنا في حاشيته فانه قال وانه يتعدى بنفسه في المعنيين الاولين والصواب أنه من حد كرم كما هو في المحكم و نصه وعلم هو نفسه . انظر تاج العروس (ع ل م) .

يَخْلُقُ بناتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾[سورة الزخرف آية : ١٦] والدليل على أنه أراد التوبيخ قوله في مثل هذه القصة : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الصافات آية : ١٥٤ ، ١٥٥] .

وقوله للمسيح : ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلناسِ اتخِذُونِي﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] تقرير وتوبيخ لقومه ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حَاج إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِهِ ﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٨] توقيف له وإخبار ببطلان دعوى هذا المحاج .

الباب الثاني

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

البوء[1]

باؤوا : أصل البواء الرجوع ، ومبوأ الرجل : منزله الذي يرجع إليه إذا فرغ من أموره ، ثم كثر حتى سمي الإنزال التبوئة ، قال الله تعالى : ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال عمر بن معدي كرب :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِـــــــحٍ ... بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْـــــــدا

ثم كثر حتى سمي التسوية بين الشيئين : بواء ، يقال : هذا بواء لهذا إذا كان مثله ، وفلان بواء بفلان ، إذا قتل به فرضي .

وجاءت هذه الكلمة وما يتصرف منها في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : احتملوا وزرا على وزر .وقيل : استوجبوا غضب الله والغضب من الله : العقاب ، وقال : ﴿ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ ﴾[سورة آل عمران آية : ١٦٢]

الثاني : الرجوع ، قال الله تعالى : ﴿ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٩] أي ترجع إلى الله بإثم قتلي ، وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك .

---

(١)(ب و ء) : بَاءَ يَبُوءُ رَجَعَ وَبَاءَ بِحَقِّهِ اعْتَرَفَ بِهِ وَبَاءَ بِذَنْبِهِ ثَقُلَ بِهِ وَالْبَاءَةُ بِالْمَدِّ النِّكَاحُ وَالتَّزَوُّجُ وَقَدْ تُطْلَقُ الْبَاءَةُ عَلَى الْجِمَاعِ نَفْسِهِ وَيُقَالُ أَيْضًا الْبَاهَةُ وِزَانُ الْعَاهَةِ وَالْبَاهُ بِالْأَلِفِ مَعَ الْهَاءِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ يَجْعَلُ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ تَصْحِيفًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ حَكَاهَا الْأَزْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : الْهَاءُ مُبْدَلَةٌ مِنْ الْهَمْزَةِ يُقَالُ فُلَانٌ حَرِيصٌ عَلَى الْبَاءَةِ وَالْبَاءِ وَالْبَاهِ بِالْهَاءِ وَالْقَصْرِ أَيْ عَلَى النِّكَاحِ قَالَ يَعْنِي ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ الْبَاهُ الْوَاحِدَةُ وَالْبَاهُ الْجَمْعُ ثُمَّ حَكَاهَا عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا وَيُقَالُ إنَّ الْبَاءَةَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبُوءُ إلَيْهِ الْإِبِلُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ الْمَنْزِلِ ثُمَّ كُنِيَ بِهِ عَنْ الْجِمَاعِ إمَّا لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إلَّا فِي الْبَاءَةِ غَالِبًا أَوْ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَبَوَّأُ مِنْ أَهْلِهِ أَيْ يَسْتَكِنُّ كَمَا يَتَبَوَّأُ مِنْ دَارِهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ وَالتَّقْدِيرُ مَنْ وَجَدَ مُؤَنَ النِّكَاحِ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَيْ مَنْ لَمْ يَجِدْ أُهْبَةً فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ . [المصباح المنير : الباء مع الواو] .

ويجوز أن يكون المعنى في هذا ، وفي قوله : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] واحدا وسمي الحصول في القيامة جوعا إلى الله تعالى ، وحقيقة ذلك الرجوع في الخلقة ، لأنهم يخلقون في القيامة بعد الفناء .

الثالث : التبوء من النزول قال تعالى : ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال : ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٦] ، في"الحشر" : ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾[سورة الحشر آية : ٩] ، قالوا :معناه أوطنوا ، وهذا قريب من الأول

البصر(١)

أصله من الوضوح . ومنه : أبصرته لمحا باصرا ، أي : بصرا واضحا ، وقيل : نظرا صائبا بتحدق . ومن ثم سمي ضرب من الحجارة أبيض رخو بصرة ، لما في البياض من الوضوح . وبه سميت البصرة .

والبصرة : العلم لأن الأشياء تتبين بها وتصح وجوهها عند العالم . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] أي : مشرقه واضحة . وقيل : معناه : مبصرا ، أي : مضيئا .

---

(١) [بصر] : البَصَرُ : العَيْنُ - مُذَكَّرٌ - . ونَفَاذٌ في القَلْب . والبَصَارَةُ : مَصْدَرُ البَصِيرِ ، أبصَرَ يُبْصِرُ ، وأبصَرْتُ الشَّيْءَ ، وبَصُرْتُ به وبَصِرْتُ . وأبصَرَ الطَّرِيْقُ والصُّبْحُ والنَّهارُ : إذا أبصَرْتَه . وتَبصَرْتُه : أي رَمَقْته .
واسْتَبصَرَ في أمْرِه ودِيْنِه : إذا كانَ ذا بَصِيْرَةٍ وتَحْقِيْقٍ من أمْرِه . واجْعَلْني بَصِيْرَةً عليهم : أي شَهِيداً .
ورَأى لَمحاً باصِراً : أي أمْراً مُفْزِعاً . وإذا فَتَحَ الجِرْوُ عَيْنَه قُلْتَ : بَصَّرَ تَبْصِيراً . ويقال للفِرَاسَةِ الصّادِقَةِ : ذاتُ البَصائِرِ وذاتُ البَصِيْرَةِ . والبُصْرُ : القُطْنُ . والقِشْر أيضاً . والبَصَرُ : العَيْن نَفْسُها في قَوْلِ أبي زُبَيْدٍ :
كالجَمْرَتَيْنِ البَصْرُ
ويقولون : لَقِيْته بين سَمْعِ الأرْض وبَصرِها : أي بارْضٍ خَلاَءٍ ما بها أَحَدٌ . ويُسَمُّوْنَ اللخْمَ : الباصُوْرَ ، أي أنه جَيدٌ للبَصَرِ يَزِيْدُ فيه . والمُبصِرُ : الذي يُوَشُّ بِحِفْظِ الثمارِ . والبَصِيْرَةُ : الدِّرْعُ . وبَصَائرُ الدَّمِ : طَرائقُها على الجَسَدِ . والبَصِيْرَةُ : ما بَيْنَ شَقَّي البابِ ، وجَمْعُها بَصَائِرُ . وهي العِبْرَةُ - أيضاً - في قوله :
في الذاهِبِينَ الأوَّلين ***منَ من القُرُوْنِ لنا بَصائِرْ
وهي الفِرَاسَةُ أيضاً .
والبُصْرُ : غِلَظُ الشَيْءِ ؛ كبُصْرِ الجَبَلِ والسَّماء . وهو جِلْدُ كُلِّ شَيْءٍ ، وجَمْعُه أبصارٌ . ويقال : إنَه لَغَلِيْظُ البُصْرِ : أي جِلْد الوَجْهِ . وهو مَغْضُوْبُ البُصْرِ والبِصْرِ .
والبَصْرُ : أنْ يضَمَّ أدِيمٌ إلى أدِيْمَيْنِ يُخَاطانِ ، يُقال : بَصَرْتُ الأدِيْمَيْنِ أبصُرُهما .
وبَصَرَه بالسيْفِ : قَطَعَه .
والبَصْرَة : أرْض حِجَارَتُها جص ، وهي البَصَرَةُ والبَصِرَةُ أيضاً ، وجَمْعُها بِصَار . فإذا حَذَفْتَ الهاءَ قُلْتَ : بِصْر - بالكَسْرِ - ؛ وبُصْرٌ : لُغَةٌ فيه . وأرْضُ بني فلانٍ بُصْرَةٌ : إذا كانت طَيَةً حَمْراءَ . والمبصِرَاتُ : الأرَضُوْنَ ذاتُ البَصْرَةِ . وأرْض بَصِرَة : فيها حِجَارَةٌ بِيْضٌ . وبَصرْتُ وأبصَرْتُ : أتَيت البَصْرَةَ . والبَصْرَتانِ : الكُوْفَةُ والبَصْرَةُ . والباصُوْرُ : رَحْلٌ دُوْنَ القِطْعِ ؛ وهي عِيْدَانٌ تُقابَل شَبِيْهَة بأقْتابِ البُخْتِ .
والباصِرُ : قَتَب صَغِيْر ، ويُجْمَعُ بَوَاصِرَ . [المحيط في اللغة : بصر] .

وقيل إذا صار الناس يبصرون فيه ، فهو مبصر ، كقولك : رجل مخبث ، إذا كان أهله خبثاء ، ورجل مضعف : دوابه ضعاف ، والنهار مبصر : أهله بصراء . ومبصر فيه أجود . وهو كقولهم : أحمق الرجل ، إذا جاء بأولاد حمقى ، وأصرم النخل ، إذا أذن بالصرام وألبن الرجل صار ذا لبن .

ويجوز أن يكون أصل الكلمة من الصلابة وبصر الشيء : حيث يغلظ ، تقول : هذا بصر الجبل والحائط ، وبصر السماء ؛ لأنه أقرب ما يبصر منها وهو أغلظها في رأى العين . وبصائر الدم : طرائقه على الجسد .

والبصر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول :البصر بالقلب ، قال الله : ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾[سورة يونس آية : ٤٣] يعني : عمى القلب وبصر القلب .

ونحوه قوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر آية : ٥٨] ، يعني : المؤمن الذي يعلم والكافر الذي لا يعلم ، ويجوز أن يكون بصر العين وعماها ، ويكون المراد التنبيه على المنفعة بالإيمان ، لأنه مشبه بالبصر ، والمضرة بالكفر ، لأنه مشبه بالعمى .

الثاني : بصر العين ، قال : ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان آية : ٢] . وقال : ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [سورة يوسف آية : ٩٠] .

الثالث : البصر بالحجة ، وهو راجع إلى الوجه الأول ، قال تعالى : ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[سورة طه آية : ١٢٥] . جاء في التفسير أنه أراد : لم جعلتني أعمى عن الحجة ، وكنت في الدنيا بصيرا بها ، ويجوز أن يكون من بصر العين ، وأن الله يحشره أعمى العين ليجعله نكالا لمن خلفه .

الباء

هي لإلصاق الشيء بالشيء وخلطه به ، فإذا قلت : مررت بزيد ، فقد أضفت المرور إلى زيد ، وألصقته به . وجائز أن يكون معه استعانة كقوله : كتب بالقلم .

وتزاد في خبر المنفي توكيدا وتثبيتا ، كقولك : ليس زيد بقائم . وجاءت زيادة في قولك : حسبك بزيد . هذا قول الفراء ومن يقول بقوله .

وعندنا أنها دخلت على معنى قولك : اكتف بزيد ، لأن معنى قولك : حسبك هذا ، أي : اكتف به ، وأحسبني الشيء : كفاني . وستكلم في ذلك .

قالوا : وهو في القرآن على الوجهين :

الإلصاق ، والزيادة في قول الفراء .

وعلى تقدير الإلصاق كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[سورة الفلق آية : ١] ، كأنك ألصقت الاستعانة به ، وقوله : ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ٤] ، كأن إيقانهم التصق بالآخرة . ومثله كثير .

وأما الزيادة على قول من يقول بذلك ، فقوله : ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء آية : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الحج آية : ٢٥] ، قال : المعنى : ومن يرد فيه إلحادا ، وقوله : ﴿تَنْبُتُ بِالدهْنِ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٠] معناه : تنبت الدهن .

والصحيح أن ذلك لمعان ، وليس بزيادة . فأما قوله : ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ فمعناه : اكتف بالله شهيدا ، وكذلك : حسبك بزيد ، أي : اكتف بزيد ؛ لأن حسبك بمعنى يكفيك فالباء تدخل في هذا على التقدير . وقوله : ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ فإنما تحمل هذا على مصدره ، والمراد : من كانت إرادته واقعة بالإلحاد ، فدخلت الباء للمصدر . وكذلك : ﴿تَنْبُتُ بِالدهْنِ﴾ معناه : تنبت نبتها بالدهن ، وقوله : ﴿وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢]أي وقع الأمر لأن أكون .

وقال سيبويه : بحسبك زيد . ومعنا ـ على ما ذكرنا ـ أي : اكتف بزيد ، ويجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿تَنْبُتُ بِالدهْنِ﴾ : إنما تنبت ما يكون منه الدهن ، وهو ثمرها ، والتقدير : تنبت ثمرها بالدهن ، أي : ومعه الدهن .

ومعنى الباء هناك كمعناه في قولك : أذهبته ، إذا حملته على أن يذهب به . ويجوز أن يجعل أنبت هاهنا بمعنى نبت على ما يقوله أهل اللغه ، كما قال زهير :

حتَّى إذَا أنبَتَ البَقْلُ

و أنبت ونبت عندنا لغتان فصيحتان .

البأس(١)

أصله : الشدة . وفي القرآن : عذابا بئيسا ، أي : شديدا .

وأكثر ما جاء عن العرب : البأس في الحرب ، والبؤس : الشدة في المعيشة . وكذلك البأساء .

وفي القرآن : ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضراءُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٤] ذكرهما للتوكيد ، وهما واحد ، كما قال : العدل والإحسان . هذا قول .

وأجود منه أن يقال : البأساء : الشدة في الحرب ، والضراء : الشدة في المعيشة ، والعدل : الإنصاف في الحكم والإحسان في ذلك ، وفي غيره من الأفعال الحسنة .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[سورة هود آية : ٣٦ ، وسورة يوسف آية : ٦٩] أي : لا تغتم . والابتئاس : حزن في استكانة .

والبأس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : العذاب ، قال تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [سورة المؤمن آية : ٨٤] أي : عذابنا ، وقال : ﴿فَلَمَّا أَحَسوا بَأْسَنَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٢]وقال : ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ﴾[سورة غافر آية : ٢٩]

الثاني : الحرب ، قال الله في البقرة : ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[سورة البقرة آية : ١٧٧] يعني : الحرب .

(١) [بأس] : البَأْسُ : الحَرْبُ ، رَجُلٌ بَئِيْسٌ ؛ قد بَؤُسَ بَآسَةً : وهو الشُّجاعُ . والبَأسَاءُ : اسْمٌ للحَرْبِ ، والمَشَقَّةِ ، والفَقْرِ . [المحيط في اللغة : بأس] .

الفرق بين البأس والخوف : أن البأس يجري على العدة من السلاح وغيرها ونحوه قوله تعالى " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " ويستعمل في موضع الخوف مجازا فيقال لا بأس عليك ولا بأس في هذا الفعل أي لا كراهة فيه[الفروق اللغوية : ١/ ٨٩] .

الثالث : السطوة والنكاية ، قال تعالى : ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[سورة النساء آية : ٨٤].. وقوله : ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[سورة النمل آية : ٣٣] أي : أولو سطوة ونكاية في العدو .

البطلان(١)

أصله من الذهاب . وسمي الباطل باطلا ؛ لأنه لا ثبات له مع الحق ، على حسب قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[سورة الإسراء آية : ٨١] . ورجل بطل : شجاع ، لأنه إذا قاوم قرنا لم يقم له القرن . والبطل والباطل سواء .

وهذا الحرف وما يتشعب منه في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الكذب ، قال : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[سورة فصلت آية : ٤٢] يعني : الكذب ، إذا لم يكن قبله كتاب يشهد بتكذيبه ، ولا يجيء بعده كتاب يكذبه .ويجوز أن يكون معناه : إن الله يحفظه من أن ينقص ، فيأتيه الباطل من بين يديه ، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه . وعلى هذا تأويل قوله تعالى : ﴿إِنا نَحْنُ نَزَلْنَا الذكْرَ وَإِنا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر آية : ٩] .

الثاني : الإحباط ، قال : ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦٤] [أي : لا تحبطوها] بالمن والأذى وقال : ﴿لا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة محمد آية : ٣٣]

والثالث : خلاف الحق ، قال الله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٨١] وقيل : يعني : به هاهنا الشرك . فإذا جعلته خلاف الحق كان أعم .

والمراد على القول الأول أن الإسلام قد جاء فهلك الكفر وذهب . والزهوق والزهق : الهلاك ، : ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] أي : من شأن الباطل إذا جاء الحق أن يذهب ويبطل ولا يثبت ، وذلك من شأنه في ما تقدم ، فكان هنا يفيد ما قلناه .

---

(١) [بطل] : بَطَلَ الشيء يَبطُلُ بُطْلاً ، أي : ذهب باطلاً .
والباطلُ : نقيضُ الحقّ ، قال النّابغة :

لعَمري ، وما عَمْري عليّ بهيِّنٍ . . . لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليّ الأقارعُ

وأبطلته : جعلته باطلاً . وأبطَلتُ : جئت بكَذِبٍ ، وادّعيتُ غيْرَ الحقّ .
والتّبطُّل : فِعْلُ البَطالة ، وهو اتّباعُ اللهو والجَهالة . [العين : بطل] .

الرابع : ما يعبد من دون الله ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٥٢] . وقال : ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة النحل آية : ٧٢] وسماه باطلا ، لأنه لا حجة لأهله يثبتون عبادتهم إياه بها .

والخامس : الظلم ، قال : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٨] أي : بالظلم . وبطلان الشيء : ذهابه ، فسمي الظلم باطلا ، لأن الله حكم فيه بأن يبطل ولا يثبت .

والمعنى على ما قال الحسن : هو أن يكون للرجل على صاحبه حق فإذا طالبه دعاه إلى الحاكم ، فيحلف له ، ويبطل حقه ، والحاكم يحكم على الظاهر . وأصل الإدلاء : إلقاء الدلو في البئر . ويقال : أدليت الدلو ، إذ أنزلتها في البئر ، وفي القرآن : ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾[سورة يوسف آية : ١٩] ثم صار كل إلقاء إدلاء ، يقال : أدلى فلان حجته ، إذا أرسلها على صحة ، ودلوت الدلو ، إذا أخرجتها من البئر ، ومنه دلى فلانة إلى فلان ، إذا توسل به ، قال الشاعر :

فَقَدْ جَعَلت إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ ... بِبَابِ دَارِكَ أَدْلُوهَا بِأَقْوَامِ

البر[1]

أصله : السعة . ومنه : البر ، خلاف البحر . ثم استعمل في الزيادة ، فقيل : أبر فلان على فلان ، إذا زاد عليه . والجواد المبر : السابق لكل ما سابقه ، كأنه اتسع لما يتسع له غيره .

وقيل : رجل بار وبر . وفعل بمعنى فاعل معروف . مثل رجل سمح ، ويوم قر ونحوه : رجل ندب ، أي : منتدب للأمور . ثم استعمل في القبول ، فقيل : بر حجك ، أي : قبل ، وصدقت وبررت تأكيد للصدق .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الصلة ، قال تعالى : ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٤] يعني أن تصلوا القرابة . وقيل : معنى : ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ أن لا تبروا . وقيل : لا يجوز أن يكون حذف لا وإثباتها سواء في شيء في الكلام .

وإنما المعنى أنه نهاهم عن كثرة الإيمان ، وعن الجرأة على الله ، ليكونوا بررة أتقياء ، والمعنى : لأن تبروا . وكانوا ربما حلفوا ألا يبروا أقرباءهم ، ولا يتكلموا في صلح لأمر معرض لهم . فالذي تشتمل عليه الآية أمران :

أحدهما : النهي عن أن يجعل يمينه مانعة من البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، فإذا طلب منه ذلك قال : قد حلفت ، والذي ينبغي في هذا أن يفعل ما حلف عليه ، ويكفر عن يمينه .

---

(١) [بر] : البَرُّ : خِلاَفُ البَحْرِ . وإنَّه لَمُبحِرٌ مُبِرٌّ . وأبَرَّ وأبْحَرَ : رَكِبَ البَرَّ والبَحْرَ . والبَرِّيَّةُ : الصَّحْرَاءُ . وخَرَجْتُ بَرّاً : وهو ضِدُّ الكِنِّ .
وَيَقُولُوْنَ : " مَنْ أَصْلَحَ جَوّانِيَّهُ أصْلَحَ اللهُ بَرّانِيَّهُ " أي مَنْ أصْلَحَ سَرِيْرَتَه أصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَتَه .
والبَرُّ : البَارُّ بذَوِي قَرَابَتِه ، وقَوْمٌ بَرَرَةٌ وأبْرَارٌ ، والمَصْدَرُ : البِرُّ .
وصَدَقْتَ وبَرَرْتَ ، وبَرَّتْ يَمِيْنُه ، وأبَرَّها اللهُ : أي أمْضَاها على الصِّدْقِ . وبَرَّ حَجُّكَ فهو مَبْرُوْرٌ . وهو يَبَرُّ رَبَّه : أي يُطِيْعُه .
والبِرُّ : الحَجُّ ؛ في قَوْلِه : عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ عامِدُوْنَ لبِرِّهم
وبَرَّةُ : اسْمٌ للبِرِّ مَعْرِفَةٌ . [المحيط في اللغة : ٢/٤٢٨] .

و ثانيهما : كثرة الأيمان ، وهو ضرب من الجرأة على الله ، وابتذال لاسمه في كل حق وباطل ، وتقول : هذا الشيء عرضتي ، إذا كنت لا تزال معرض له ، وهو عرضة للناس ، إذا كانوا لا يزالون يقعون فيه ، والناقة عرضة أسفار ؛ إذا كان صاحبها لا يزال يسافر عليها ، وقال حسان :

هُمُ الأَنْظَارُ عُرضَتُهَا اللِّقَاءُ

وقال الله في الممتحنة : ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٨] .

الثاني : بمعنى الطاعة ؛ قال الله : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، أي : على طاعة الله ، ومثله : ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المجادلة آية : ٩] ، أي : بالطاعة دون المعصية ، وقال : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] ، أي : مطيعا لها ، وقال : ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس آية : ١٦] ، أي : مطيعون ، وقال : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾ [سورة المطففين آية : ١٨] ، أي : المطيعين ، كذا جاء في التفسير ، وهو وجه ، ولو جعلت ذلك بمعنى الصلة واللطف .

الثالث : بمعنى الثواب ، قال الله : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٩٢] ، يعني : الثواب .

الرابع : التقوى ، قال : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، يعني : التقوى ، وأراد توكيد ما احتج به على سفهاء أهل الكتاب في إنكارهم على المسلمين توجههم إلى الكعبة بعد توجههم إلى بيت المقدس ، فقال : ليس البر كله في التوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، أي : البر بر من آمن بالله ، وهو التقوى ، هكذا جاء في التفسير .

وليس ببعيد أن يكون البر هاهنا بمعنى الطاعة ، ويسمى الطاعة برا في قولهم : هذا من أعمال البر ، أي : مما يطاع الله به ، وحذف لبر الثاني لبيان المعنى ، كما قال الشاعر :

وَكَيْفَ تُخَالِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ ‏‏‏‏ خِلالَتُهُ كَأَبِي مرجب

أي كخلال أبي مرجب .

وهكذا في قوله : ﴿ وَلَكِنَ الْبِرَ مَنِ اتَّقَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : ولكن البر بر من اتقى ،

وأول الآية : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرَ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، وهو مثل ضربه الله للمشركين في تأخيرهم أشهر الحرم فأخبر الله أن ذلك عكس البر ، كما أن من أتى البيت من ظهوره ؛ فقد عكس أمر الدخول .

وقيل : إن قوما من قريش وثقيف وخزاعة وطائفة من عامر بن صعصعة ؛ كانوا إذا حرموا لا يأقطون الأقط ، ولا يأكلون السمن ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ؛ ولكن من ظهورها وأدبارها ، وظهورها : سطوحها ، فسموا حماه ، والأحمى : المتشدد في دينه ، فأخبر الله أن ذلك ليس من البر ، وأن البر بر من اتقى معاصي الله .

البرهان[1]

قال علي بن عيسى -رحمه الله- : البرهان : شاهد صدق في نفسه وشهادته .

والبرهان : حق في نفسه وشهادته .

والبرهان : بيان صدق يظهر به صحة أمر .

والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس على ثقة به ، وذلك بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما فصل الحق من الباطل ، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوجب الثقة وأزال التهمة بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوصل النفس إلى إدراك الحق بالبيان الذي فيه ؛ فكأن البرهان آلة بها يتم إدراك النفس للحق .

وقيل : جاء البرهان بمعنى الدليل والدلالة .

والفرق بين الدلالة والبرهان أن الدلالة : ما أحضر المعنى النفس ، والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس بالبيان الذي فيه ؛ فكأن الدلالة آلة الإحضار ، والبرهان آلة لتثبيته في النفس

---

(١) قال الجرجاني : البرهان : هو القياس المؤلف من اليقينيات ، سواء كانت ابتداءً ، وهي الضروريات أو بواسطة ، وهي النظريات . والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر ، فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضاً ، فهو برهان لمّي ، كقولنا : هذا متعفن الأخلاط ، وكل متعفن الأخلاط محموم ، فهذا محموم ، فتعفن الأخلاط ، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن ، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج ، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن ، فهو برهان إنّي ، كقولنا : هذا محموم ، متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط ، فالحمى ، وإن كانت علةً لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن ، إلا أنها ليست علة له في الخارج ، بل الأمر بالعكس .

وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول : برهان لمّيّ ، ومن المعلول إلى العلة : برهان إنّي .

البرهان التطبيقي : هو أن تفرض من المعلول الأخير إلى غير النهاية جملةً ، ومما قبله ، بواحد مثلاً ، إلى غير النهاية ، جملة أخرى ، ثم تطبق الجملتين ، بأن تجعل الأول من الجملة الأولى بإزاء الأول من الجملة الثانية ، والثاني بالثاني ، وهلم جرًّا ، فإن كان بإزاء كل واحد من الأولى واحد من الثانية ، كان الناقص كالزائد ، وهو محال ، وإن لم يكن فقد يوجد في الأولى ما لا يوجد في إزائه شيء في الثانية ، فتنقطع الثانية وتتناهى ، ويلزم منه تناهي الأولى ، لأنها لا تزيد على الثانية بقدر متناهٍ ، والزائد على المتناهي بقدرٍ متناهٍ يكون متناهياً بالضرورة . . [التعريفات : البرهان] .

على جهة الثقة به ، وكل برهان ففيه معنى الدلالة ، وليس كل دلالة فيها معنى البرهان ، ألا ترى أن الاسم دلالة على معناه ؛ وليس ببرهان على معناه ، وكذلك هداية الطريق دلالة عليه وليس ببرهان عليه ، وسمعت من يقول إنه فارس معرب ، ولا أعرف ما صحة ذلك .

ويجوز أن يكون أصله من البرهة ، وهي القطعة من الدهر ، كأن البرهان قطعة من القول ، أو هو قطع بين الحق والباطل وفصل ، كما أن البرهة فصل بين الزمانين ، والنون فيه زائدة ، كما زيدت في "السلطان" ؛ وهو من السليط .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحجة ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ١١١] ، أي : حجتكم بأن معه آلهة ، وفي النمل : ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة النمل آية : ٦٤] .

الثاني : الآية ، قال الله تعالى : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة القصص آية : ٣٢] ، أي : آيتان ، وقال : ﴿لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٤] ، يعني آية من آيات ربه .

البعل[1]

أصله من القيام بالأمر ، ومن ثم قيل للنخلة التي تستغني بماء السماء عن سقي العيون : بعل . وقد استبعل النخل : صار بعلا .

وهو في القرآن على وجهين :

أحدهما : الزوج[2] ، قال : ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [سورة هود آية : ٧٢] ، والزوجة : بعلة ، ولا يقال : هو بعلها حتى يدخل بها ، وهو زوجها على كل حال . وكذلك القول

---

(١) [بعل] : البَعْلُ : الزَّوجُ . يقال : بَعَلَ يَبْعَلُ بَعْلاً وبُعولة فهو بَعْل مستبعل ، وامرأة مستبعل ، إذا كانت تحظَى عند زوجها ، والرّجل يتعرّس لامرأته يطلب الحُظْوَة عندها . والمرأة تتبعّل لزوجها إذا كانت مطيعةً له .

والبَعْلُ : أرضٌ مرتفعة لا يُصيبُها مطر إلاّ مرّةً في السّنة . قال سلامة بن جندل :

إذا ما عَلَوْنا ظهرَ بَعْلٍ عَريضَةٍ *** تَخالُ علينا قَيْضَ بَيْضٍ مُفلّقِ

ويقال : البَعْلُ من الأرضِ التي لا يَبْلُغُها الماءُ إنْ سيق إليها لارتفاعها .

ورجل بَعِلٌ ، وقد بَعِل يَبْعَلُ بَعَلاً إذا كان يصير عند الحرب كالمبهوت من الفرق والدّهش . قال أعشى هَمْدان :

فجاهَدَ في فُرسانِهِ ورجالِهِ *** وناهَضَ لم يَبْعَلْ ولم يتهيّب

وامرأة بَعْلَةٌ : لا تُحسنُ لبسَ الثّياب .

والبَعْلُ من النّخل : ما شرب بعروقه من غير سقي سماء ولا غيرها . قال عبد الله بن رَواحة :

هنالك لا أبالي سقيَ نَخْلٍ *** ولا بَعْلٍ وإنْ عَظُمَ الإتاءُ

الإتاء : الثّمرة . والبَعْلُ : الذّكر من النّخل ، والنّاس يسمّونه : الفَحْل . قال النّابغة :

من الواردات الماء بالقاعِ تستقي *** بأذنابِها قبلَ استقاءِ الحناجِرِ

أراد بأذنابها : العروق .

والبَعْلُ : صَنَمٌ كان لقوم إلياس . قال الله عزّ وجلّ : أتدعون بَعْلاً .

والتّباعُلُ والمُباعَلَةُ والبِعالُ : مُلاعَبَة الرّجلِ أهلَه ، تقول : باعَلَها مُباعَلة ، وفي الحديث : أيّام شرب وبِعالٍ . [العين : بعل] .

(٢) الفرق بين البعل والزوج : أن الرجل لا يكون بعلا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعال النكاح والملاعبة ومنه قوله عليه السلام " أيام أكل وشرب وبعال " وقال الشاعر :

وكم من حصان ذات بعل تركتها *** إذا الليل أدجى لم تجد من تباعله

وأصل الكلمة القيام بالامر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه . [الفروق اللغوية : ١/ ١٠٤] .

فيها ، والشاهد قولهم : باعلها ، أي : جامعها ، وفي الحديث : "أيام أكل وشرب وبعال"[1] ، أي : جماع .

والآخر : بمعنى الرب ، قال : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ [سورة الصافات آية : ١٢٥] ، أي : ربا غير الله .

(١) أخرجه مسلم من حديث نبيشة بن عبد الله وكعب بن مالك (١١٤٤) ، من غير كلمة " بعال" ، وأخرجه الترمذي من حديث عقبة بن عامر (٧٧٣) ، وأخرجه أبو داود من حديث عقبة (٢٤١٩) ، وأخرجه الدارقطني بلفظه في السنن من حديث عبد الله بن حذافة (٢٣٨٢) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده من حديث أم عمرو بن سليم (٢٤٢٠) .

بل

أصلها في العربية : الإضراب عن الاول ، وإثبات الثاني ، تقول : لقيت زيدا بل عمرا فتركت الأول ، وأخذت تذكر شيئا آخر ، غلطت في الأول ، أو بدا لك فيه ، فتداركت كلامك بـ "بل" فجعلت الأمر للثاني ، وأخرجت الأول مما دخل فيه الثاني .

ثم جاء في القرآن لغير الغلط والاستدراك والبداء ، ولكن لترك قصة إلى أخرى ، كأنه قال : دع هذا مع تمام فائدته إلى فائدة أخرى ، ومثل هذا يكون منا أيضا ، يقول أحدنا : جاءني الحاجب بل الأمير ، أي : دع مجيء الحاجب مع أفدتك به ، فالأمير هذا أمره .

وينقسم في القرآن على وجهين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من أمرهم ، وخذ في أنهم قالوا : إن القرآن أضغاث أحلام ، وأضغاث الأحلام : مختلطاتها التي لا تأويل لها ، ثم حكى عنهم فقال تعالى : ﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، والمراد أنه اختلط عليهم أمرهم ، فكذبوا أنفسهم ، وخرجوا من شيء إلى شيء ، وهذا على سبيل الإضراب عن الأول وإثبات الثاني .

ومثل الوجه الأول قوله : ﴿بَلِ ادارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[1] [سورة النمل آية : ٦٦] ، فـ : ﴿ادارَكَ﴾ لفظ ماض ومعناه الاستقبال ، أي : بل يتكامل علمهم في الآخرة إذا حصلوا فيها ، ويوقنون أن ما وعدوا منها في الدنيا حق .

---

(١) قال الطبري : قوله :(بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قرّاء أهل الكوفة :(بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام من "بل" وتشديد الدال من "ادراك" ، بمعنى : بل تدارك علمهم أي تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل :(اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ) .
وقرأته عامة قرّاء أهل مكة : "بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ" بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ : "بَلْ أَدْرَكَ" ويقول : إن "بل" إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك "بَلْ أَدْرَكَ" لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره .
وبنحو الذي ذكرت عن المكيين أنهم قرءوه ، ذُكر عن مجاهد أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع بل : أم .

وأصل : ﴿ ادارَكَ ﴾ : تدارك كأنه قال : قد يدرك بعض علمهم بعضا في الآخرة حتى يتكامل ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا إخبار عن الدنيا ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من تكامل علمهم في الآخرة بأن ما وعدوا منها حق مع ما أفدتك بذلك ، وخذ في أنهم في الدنيا شاكون في البعث ، ثم قال : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، أي : دع ما تقدم من ذكر شكهم ، وخذ في أنهم عمون عنه ، أي : جاهلون ، والشاك في الشيء بمنزلة الجاهل به ، وقوله : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، توكيد لقوله : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا كقولك : فلان جاهل بكذا ، بل هو أعمى عنه ، تريد توكيد ما وصفته به من الجهل .

وأما "بلى" فليس من "بل" في شيء ، و"بلى" لا يكون إلا جوابا لما كان فيه حرف جحد ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠ ، الزمر : ٧١] ، ثم قال في الجواب : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وهو مخالف لنعم لأن نعم لا يكون إلا جوابا للاستفهام بلا جحد ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا قَالُوا نَعَمْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٤] ، وكذلك جواب الخبر ، إذا قال : فعلت ذلك ، قلت : نعم لعمري قد فعلته .

وقال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ "بَلْ أَدْرَكَ" القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك(وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شكّ ، بل هم منها عمون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذُكِرَت ؛ لأن ذلك أظهر معانيه . وإذ كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه ، وذلك أن معنى الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه(بَلِ ادَّارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل : أم ، إذا كان في أول الكلام استفهام . [جامع البيان :١٩/ ٤٨٨-٤٨٩] .

وقال الفراء : وإنما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحود نعم لأنه إذا قال الرجل لصاحبه : أمالك علي شيء ؛ فلو قال الآخر : نعم ، كان كأنه صدقه ، كأنه قال : نعم ليس لي عليك شيء ، فإذا قال : بلى ؛ فإنما هو رد لكلام صاحبه ، أي : بلى لي عليك شيء . فلذلك اختلف نعم وبلى .

الباب الثالث

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء

التأويل(١)

أصل التأويل من الأول ، وهو : الرجوع ، يقال : آل الشيء ؛ إذا رجع ، وأول الكلام تأويلا ، إذا رده إلى الوجه الذي يعرف منه معناه ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، أي : يأتي ما يؤول إليه أمرهم في البعث ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : ما يرجع إليه معناه ، وقيل : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : بالبعث ، وليس بالوجه ؛ لأنه ليس للبعث هاهنا ذكر .

والتأويل في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، قال أبو علي رضي الله عنه يعني تفسير المتشابه به كله على حقائقه ، وذلك أن في القرآن أمورا مجملة ، مثل أمر الساعة وأمر صغائر الذنوب التي شرط غفرانها باجتناب الكبائر ، واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، فجعل الموعود الذي وعدهم إياه في القرآن تأويلا للقرآن .

---

(١) قال الجرجاني : التأويل في الأصل : الترجيع . وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى : " يخرج الحيَّ من الميت " إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل ، كان تأويلاً .

وقال أيضا في موضع آخر : والفرق بين التأويل والبيان ، أن التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنًى محصل في أول وهلة ، والبيان ما يذكر فيما يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض . [التعريفات :التأويل ، وبيان التفسير] .

وجاء في التفسير أن التأويل هاهنا منتهى مدة ملك أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن اليهود حسبوا ليعلموا ذلك ، فأعلمهم الله أنه لا يعرف ذلك بالحساب ، وإنما يعرف من قبل الله تعالى .

والتأويل والتفسير واحد ، لأن معنى التأويل يعود إلى التفسير ، ويفرق بينهما من وجه ذكرناه في "كتاب الفروق" وهو أن التفسير هو الإخبار عن إفراد أحاد الجملة ، والتأويل : الإخبار بمعنى الكلام ، وقيل : التفسير إفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل : الإخبار عن غرض المتكلم بكلامه .

والثاني : عاقبة الأمر وما يؤول إليه ، وهو قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، يذكر قوما أوعدوا بالعذاب ، فتطلعوا عاقبة ما أوعدوا به رادين له ، فقال : هل ينظرون إلا تأويل ذلك المصير وتلك العاقبة ، أي : مرجعه ومآبه .

وقوله : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [سورة يونس آية : ٣٩] ، أي : لم تأتهم عاقبة ما وعدهم في القرآن أنه كائن في الآخرة من الوعيد ، ولم يعن أنه لم يأتهم العلم وتفسيره ، لأن جميع ما في القرآن مفهوم المعنى ، ولو كان فيه شيء لا يفهم معناه لم يكن لإنزاله وجه .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٥٩ ، الإسراء : ٣٥] ، أي : عاقبة .

والثالث : تعبير الرؤيا ، قال : ﴿يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف آية : ٦] ، يعني : تعبير الرؤيا . وقال : ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٦] ، وقال : ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٥] ، وقال : ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠١] ، يعني : بجميع ذلك تعبير الرؤيا ، وسميت الرؤيا أحاديث ؛ لأن منها ما يصح ، ومنها ما لا يصح ، مثل الأحاديث التي يتحدث بها صدقا وكذبا . فأما رؤيا الأنبياء عليهم السلام خاصة فيقين .

الرابع : التحقيق ، قال : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] ، جاء في التفسير أنه أراد : تحقيق رؤياي ، وهو حسن ، ويجوز أن يكون معناه : تفسير رؤيا و : ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر على حذف ياء الإضافة ، ويجوز بالفتح على حذف الألف المنقلبة عن ياء الإضافة ، وأجاز الفراء الضم ، ولم يجزه الزجاج ، إلا أن التاء عوض عن ياء الإضافة ، وقال علي بن عيسى : هو جائز ، لأن العوض لا يمنع من الحذف .

الخامس : قوله : ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، جاء في التفسير أنه أراد بألوانه قبل أن يأتيكما ، والمراد بتسميته بألوانه وصفاته ؛ كأنه يفسره لهما ، فلهذا سماه تأويلا ، وسمي تفسير الشيء تأويلا ، لأنه مآل لبيان معناه ، و : ﴿نَبَّأْتُكُمَا﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، أخبرتكما ، والنبأ : الخبر العظيم ، لا يكون إلا كذلك .

وخرج لنا بعد وجه آخر ، وهو قوله : ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٥٩ ، الإسراء : ٣٥] ، قال مجاهد : أي : جزاء قلنا : وذلك أن الجزاء هو الشيء الذي آلوا إليه .

تولى

يقال : ولي الشيء يليه ، إذا قرب منه ، وداري يلي دارك ، وولاية الأعمال ، من ذلك ، وكذلك : الولي ، وهو : المطر الذي يلي الوسمي ، والوسمي أول مطر يجيء ، والولي : الذي يليه ، ومنه : الولي ، خلاف العدد ، لأنه يقرب منك ، ثم قيل : ولى عنه ، وتولى عنه ، إذا أعرض وبعد .

والتولي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الانصراف ، قال : ﴿ثُم تَوَلى إِلَى الظل﴾ [سورة القصص آية : ٢٤] ، دل على أنه كان في الشمس فانصرف إلى الظل ، ومثله : ﴿ثُم تَوَل عَنهُمْ﴾ [سورة النمل آية : ٢٨] ، أي : انصرف ، ومثله : ﴿تَوَلوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدمْعِ﴾ [سورة التوبة آية : ٩٢] .

والثاني : بمعنى الامتناع ، قال : ﴿فَإِنْ تَوَلوْا فَاعْلَمْ أَنمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، معناه : فإن امتنعوا من الإيمان بك والرضا بحكمك ، وقوله : ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، أي : لما امتنعوا من ذلك أراد الله عقوبتهم ، فعجل بعضها لهم في الدنيا ، والإصابة بالذنب : الإصابة بعقوبة الذنب ، كما قال : ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة هود آية : ٨] ، أي : حاق بهم جزاؤه ، وقوله : ﴿حَتى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلوْا﴾ [سورة النساء آية : ٨٩] ، أي : فإن امتنعوا من الإيمان والهجرة ، وكان هؤلاء قوم من المنافقين زعموا أنهم احتووا المدينة واستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الخروج منها إلى البدو ، فأذن لهم ، فخرجوا ولحقوا بالمشركين ، فأمر الله أن يؤخذوا ويقتلوا حيث وجدوا ، لأنهم كفار ، إلا أن يرجعوا إلى المدينة .

والثالث : الإعراض ، قال الله : ﴿وَمَنْ تَوَلى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء آية : ٨٠] ، وقال : ﴿فَإِنْ تَوَليْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [سورة يونس آية : ٧٢] ، وقال : ﴿فَتَوَل عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٤] ، كل هذا بمعنى الإعراض على ما قالوا وهو الأصل ، ويكون الإتيان الأوليان من هذا الوجه بمعنى الامتناع .

والرابع : قالوا : الهزيمة ، قال تعالى : ﴿ فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٥-١٦] ، يعني : الهزيمة عنهم ، ومصدر هذا التولية ، وليس بالتولي ، نهى الله تعالى المؤمنين أن يولوا الكفار أدبارهم في القتال إلا أن ينحرف أحدهم من موضع لا يمكنه فيه الضرب والطعن إلى موضع يمكنه فيه ذلك ، أو أن يضيق عليه فليلتجئ إلى جماعة من المسلمين ، فينضافوا معه على مدافعة العدو ، ومن يولي عن العدو على غير هذين الوجهين فقد باء بغضب من الله ، أي : استحق الغضب من الله مقابلة بقبيح فعله ، وهو من البواء في القتل ، وهو أن يقتل بالرجل كفوه .

قال أبو بكر الرازي رحمه الله : "وهذا الحكم عندنا ثابت ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثنى عشر ألفا ، فإذا بلغ ذلك فليس لهم أن ينهزموا عن مثلهم إلا متحرفين لقتال" ، والحجة حديث ابن عباس عنه عليه السلام "خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربعة مائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة"(١) ، وسأل رجل مالكا ، فقال : أيسعنا قتال من خرج من أحكام الله وحكم بغيرها ، فقال مالك : إن كان معك اثنا عشر ألفا مثلك لم يسعك التخلف ، وإلا فأنت في سعة من ذلك .

وقال بعضهم : هذه الآية في أهل بدر ؛ وليس الفرار من الزحف كبيرة ، وهذا غلط ، لأن النفي عام ، وليس لأحد تخصيصه ، ولا يكون المجمل إلا على العموم ، وقيل : هذا الوعيد لازم لمن فر عن الزحف حبا للحياة ، فأما من لم يجد بدا من الفرار فهو في سعة .

والزحف : السير الثقيل ، وبه يوصف العساكر ، لأنها إذا دنت من العدو ، سارت على تعبئة ، وسير الجماعة المعبأة رويدا .

الخامس : بمعنى ولاية الأمر ، قال : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النور آية : ١١] ، بالكسر ، أي : تولى الإثم فيه ، كأنه صار صاحب الإثم فيه ، وقرئ كبره ، أي : معظمه ، وكبر الشيء : معظمه ، وكذلك كبره : لغتان ، وقيل كبر : مصدر الكبير من الأمور ، وكبر : مصدر الكبير السن ، مثل : الكبر ، والكبر : الكبير أيضا .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (٢٧١٣) ، والدارمي (٢٤٣٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٩/ ١٥٦ .

والسادس : بمعنى الولاية ، خلاف العداوة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم ﴾ [سورة المائدة آية : ٥١] ، وقوله : ﴿ لا تَتَوَلوا قَومًا غَضِبَ اللهُ عَلَيهِم ﴾ [سورة الممتحنة آية : ١٣] ، يأمرهم بعداوتهم أن لا يناصحوهم .

التقى(١)

أصل التقى : أن تجعل بينك وبين من تخافه حاجزا ، قال النابغة :

سَقَطَ النَّصيفُ وَلم تُرِد إسقَاطَه فتناولَتـــــه واتَّقتنَا باليَـد

ثم كثر حتى قيل : توقيته ، إذا هبت الإقدام عليه ، ويقال : تقاه يتقيه ، واتقاه يتقيه وتوقاه يتوقاه ، والمتقي في أسماء الدنين : هو الذي يؤدي الفرائض ، ويجتنب المحارم ، ويجعل ذلك بينه وبين النار جنة ، ولا يستحقه مطلقا إلا المستحق للثواب ، ويجري على غيره مقيدا ، وقال الشاعر يصف سيوفا :

جَلاهَا الصَّيقلونَ فَأخلصُوا جعاقًا كـلُّـــــــهَـا يُـتَّـقَـى بـأثَـرِ

والأثر : والأثر ماء السيف وفرنده ، كأنها تجعل ذلك بينها وبين من يريد عيبها ، والإقدام عليها حاجزا ، وذلك أنه إذا رأى أثرها لم يعبها ، أو ترك الإقدام على أصحابها .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الخشية ، قال الله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتقُوا رَبكُمُ﴾ [سورة النساء آية : ١ ، الحج : ١ ، لقمان : ٣٣] ، أي : اخشوا عقابه ، واجعلوا الإيمان بينكم وبينه ، وقال : ﴿إذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم نُوحٌ أَلا تَتقُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٠٦] ، ومثله كثير .

الثاني : بمعنى العبادة ، قال الله تعالى : ﴿مَا لَكُم مِن إِلَهٍ غَيرُهُ أَفَلا تَتقُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، أي : أفلا تعبدون ، وقال : ﴿وَأَنَا رَبكُم فَاتقُونِ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٢] ، هكذا جاء في التفسير ، ويكون ذلك أيضا بمعنى الخشية ؛ لأنه إذا قال :

---

(١)(ت ق ي) : رَجُلٌ تَقِيٌّ أَيْ زَكِيٌّ وَقَوْمٌ أَتْقِيَاءُ وَتَقِيَ يَتْقَى مِنْ بَابِ تَعِبَ تُقَاةً وَالتُّقَى جَمْعُهَا فِي تَقْدِيرِ رُطَبَةٍ وَرُطَبٍ وَاتَّقَاهُ اتِّقَاءً وَالِاسْمُ التَّقْوَى وَأَصْلُ التَّاءِ وَاوٌ لَكِنَّهُمْ قَلَبُوا . [المصباح المنير : التاء مع القاف]
والفرق بين التقي والمتقي والمؤمن : أن الصفة بالتقي أمدح من الصفة بالمتقي لانه عدل عن الصفة الجارية على الفعل للمبالغة والمتقي أمدح من المؤمن لان المؤمن يطلق بظاهر الحال والمتقي لا يطلق إلا بعد الخبرة وهذا من جهة الشريعة والاول من جهة دلالة اللغة ، والايمان نقيض الكفر والفسق جميعا لانه لا يجوز أن يكون الفعل إيمانا فسقا كما لا يجوز أن يكون إيمانا كفرا إلا أن يقابل النقيض في اللفظ بين الايمان والكفر أظهر .[الفروق اللغوية :١/ ١٣٧] .

أنا ربكم ، فقد أخبر أنه القادر عليهم ، وإذا كان كذلك فينبغي أن يخشى عقابه ، ولا يعصى ، ويرغب في ثوابه ، فيعبد ويطاع .

الثالث : الإيمان قال تعالى : ﴿ أَنِ اعبُدُوا اللهَ وَاتقُوهُ ﴾ [سورة نوح آية : ٣] ، أي : أن توحدوه ، ودليل ذلك قوله : ﴿ وَإِن تَكفُرُوا فَإِن لله مَا فِي السمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ ﴾ [سورة النساء آية : ١٣١] ، ووضعه الكفر بإزاء التقوى دليل على أن المراد بالتقوى : الإيمان .

والرابع : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنهَا مِن تَقوَى القُلُوبِ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٢] .

والخامس : الانتهاء إلى المأمور به ، وترك تجاوزه ، قال : ﴿ وَأتُوا البُيُوتَ مِن أَبوَابِهَا وَاتقُوا اللهَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : انتهوا إلى أمره في ذلك ، ولا تجاوزوه .

وكل هذه الوجوه متقاربة ، يجوز قيام بعضها مقام بعض .

التمني[1]

يقال : تمنى الرجل الشيء ، إذا قدر في نفسه بلوغه ، ومنه : منى الله لك كذا ، أي : قدره ، وقال الشاعر :

ما تمني لك الأماني

ومنينا من فلان بكذا ، أي : ابتلينا ، ولا يقال ذلك إلا في المكروه .

وسميت المنية منية ، لأنها مقدرة ، وقيل للمني مني ، لأن الولد مقدر منه ، والتمني : قول الرجل : يا ليتني كنت كذا .

والتمني في القرآن على وجهين :

---

(١) قال الجرجاني : التمني : طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً .[التعريفات :١/ ٢١] .
الفرق بين التمني والارادة : أن التمني معنى في النفس يقع عند فوت فعل كان للمتمني في وقوعه نفع أو في زواله ضرر مستقبلا كان ذلك الفعل أو ماضيا ، والارادة لا تتعلق إلا بالمستقبل ، ويجوز أن يتعلق التمني بما لا يصح تعلق الارادة به أصلا وهو أن يتمنى الانسان أن الله لم يخلقه وأنه لم يفعل ما فعل أمس ولا يصح أن يريد ذلك ، وقال أبو علي رحمه الله : التمني هو قول القائل ليت الامر كذا فجعله قولا وقال في موضع آخر التمني هو هذا القول وإضمار معناه في القلب ، وإلى هذا ذهب أبو بكر بن الاخشاد ، والتمني أيضا التلاوة قال الله تعالى " إذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته " .
وقال ابن الانباري : التمني التقدير قال ومنه قوله تعالى " من نطفة إذا تمنى " ، وتمنى كذب وروي أن بعضهم قال للشعبي : أهذا مما رويته أو مما تمنيته أي كذبت في روايته ، وأما التمني في قوله تعالى " فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " فلا يكون إلا قولا وهو أن يقول أحدهم ليته مات ، ومتى قال الانسان ليت الآن كذا فهو عند أهل اللسان متمن غير اعتبارهم لضميره ويستحيل أن يتحداهم
بأن يتمنوا ذلك بقلوبهم مع علم الجميع بأن التحدي بالضمير لا يعجز أحدا ولا يدل على صحة مقالته ولا فسادها لان المتحدي بذلك يمكنه أن يقول تمنيت بقلبي فلا يمكن خصمه إقامة الدليل على كذبه ، ولو إنصرف ذلك إلى تمني القلب دون العبارة باللسان لقالوا قد تمنينا ذلك بقلوبنا فكانوا مساوين له فيه وسقط بذلك دلالته على كذبهم وعلى صحة ثبوته فلما لم يقولوا ذلك علم أن التحدي وقع بالتمني لفظا .
الفرق بين الشهوة والتمني : قيل التمني : معنى في القلب وليس هو من قبيل الشهوة ، ولا من قبيل الارادة ، لان الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه . والشهوة لا تتعلق إلا بما مضى . والارادة والتمني قد يتعلقان بالماضي .
وقيل : الفرق بين التمني والارادة : أن الارادة من أفعال القلوب ، والتمني قول القائل : ليت كان كذا وليت لم يكن ، ويؤيده أن أهل اللغة ذكروا التمني في أقسام الكلام .[الفروق اللغوية :١/ ١٤٢ ، ٣٠٦]

الأول : هذا القول ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٦] ، وذلك أن اليهود قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقال الله لهم : إن كنتم كذلك فتمنوا الموت لتموتوا ، فتصيروا إلى الثواب عاجلا ، ثم أخبر أنهم لا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم من الذنوب ، فكان هذا خبر غيب دالا على صدق الدعوة ، فلم يكن فيهم أحد يقول : إني تمنيت ولم أمت ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

والثاني : القراءة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبِي إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلقَى الشيطَانُ فِي أُمنِيتِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٥٢] ، يقال : تمنى الرجل إذا قرأ ، قال الشاعر :

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيلَـــــة وَآخِرهَا لاقى حِمَامَ المَقَـــــادِرِ

والرسول والنبي واحد ، وإنما أراد التوكيد فكرره كما تقول : أحب كل مؤمن ومسلم ، والمؤمن والمسلم سواء ، وعلى هذا فإن بين المؤمن والمسلم فرقا في العربية ، وكذلك بين الرسول والنبي ، وأما في أسماء الدين فكل ذلك سواء ، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا قرأ القرآن غلط الغلط الذي يجوز مثله على القارئ ، وكان الله ينبهه على الصواب ، فيرجع إليه ، فعاب ذلك عليه أعداؤه ، وليس فيه عيب ؛ لأن البشر لا يخلو من السهو والغلط ، وجعل الله تنبيهه إياه على الغلط نسخا له ، ورده إلى الصواب إحكاما لآياته .

وأما ما روي أنه صلى الله عليه وآله قرأ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الغرانيق العلى ، منها الشفاعة ترتجى ، ثم سجد ، وسجد المشركون ، وقالوا : قد رجع إلى دينكم ، فإن ذلك كذب ، لأن القارئ لا يغلط بمثل هذا ، ولا يجوز أن يقوله النبي صلى الله عليه وآله تعمدا ، لأنه كفر ، ولا يقع الكفر من الأنبياء .

وأخرى فإنه لا خلاف بين الرواة أنه صلى الله عليه وآله ، كان لا يمكنه الصلاة عند الكعبة ظاهرا ؛ لما كان المشركون ينالونه به من المكروه ، فكان يصلي عندها ليلا حين لا يطلع عليه أحد منهم ، فكيف سجدوا لقراءته ، وهذه حاله عندهم ، حتى كأنهم كانوا على ميعاد منه ؟ ! .

التوفي[1]

أصل الوفاء : التمام وشيء واف : تام ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوفُوا بِعَهدِي أُوفِ بِعَهدِكُم ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] ، أي : قوموا بأوامري على التمام أعطكم جزاء أعمالكم على التمام .

وتوفيت حقي ، واستوفيته ، إذا أخذته بتمامه ، ومعنى توفي الله الأنفس : قبضها عند تمام آجالها ، وقد وفيت الرجل حقه ، وأوفيت له ، إذا تممت عهده ، وخلافه : الغدر ، وهو أن تترك الوفاء به ، وأصل الغدر : الترك ، يقال : غادر الشيء ، وأغدره ، إذا تركه .

والتوفي في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإنامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الذِي يَتَوَفاكُم بِالليلِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٠] كأنه يقبض العقل والذهن الذي تميز به الأشياء .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَلَما تَوَفيتَني كُنتَ أَنتَ الرقِيبَ عَلَيهِم ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] وروي عن الحسن ؛ أنه قال : التوفي هاهنا : رفعه إلى السماء .

ومثله قوله : ﴿ إِني مُتَوَفيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : آخذك من بين بني إسرائيل ، ورافعك إلى السماء حيث لا ينفذ إلا حكمي ، ولا يريد أن الله في السماء ، وشبه رفعه إلى السماء بالموت ؛ لأنه يفقد عند الرفع كي يفقد عند الموت ، وقيل : الرفع هنا رفع المنزلة .

الثالث : قبض الروح ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِما نُرِيَنكَ بَعضَ الذِي نَعِدُهُم أَو نَتَوَفيَنكَ ﴾ [سورة غافر آية : ٧٧] ، وقال : ﴿ يَتَوَفاكُم مَلَكُ المَوتِ الذِي وُكلَ بِكُم ﴾ [سورة السجدة آية : ١١] ، وقال : ﴿ الذِينَ تَتَوَفاهُمُ المَلائِكَةُ ﴾ [سورة النحل آية : ٢٨ ، ٣٢] يعني : أنهم يقبضون أرواحهم .

---

(١)(و ف ي) : وَفَيْتُ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَفِي بِهِ وَفَاءً وَالْفَاعِلُ وَفِيٌّ وَالْجَمْعُ أَوْفِيَاءُ مِثْلُ صَدِيقٍ وَأَصْدِقَاءَ وَأَوْفَيْتُ بِهِ إِيفَاءً وَقَدْ جَمَعَهُمَا الشَّاعِرُ فَقَالَ أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا .
وَقَالَ أَبو زَيْدٍ : أَوْفَى نَذْرَهُ أَحْسَنَ الْإِيفَاءَ فَجَعَلَ الرُّبَاعِيَّ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَقَالَ الْفَارَابِيُّ أَيْضًا أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ وَوَفَّيْتُهُ إِيَّاهُ بِالتَّثْقِيلِ وَأَوْفَى بِمَا قَالَ وَوَفَّى بِمَعْنًى وَأَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ أَشْرَفَ عَلَيْهِ . [المصباح المنير : الواو مع الفاء]

التسبيح(١)

أصله : التنزيه من السوء على جهة التعظيم .

ولا يجوز أن يسبح غير الله ؛ لأنه صار علما في الدين على أعلى مراتب التعظيم ، وذلك لا يستحقه إلا الله الذي لا يعجزه شيء .

---

(١)السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنسٌ من العبادة، والآخر جنسٌ من السّعي.
فَالأوّل السُّبْحة، وهي الصَّلاة، ويختصّ بذلك ما كان نفلاً غير فَرض.
يقول الفقهاء: يجمع المسافرُ بينَ الصَّلاتين ولا يُسبِّح بينهما، أي لا يتنفَّل بينهما بصلاةٍ.
ومن الباب التَّسبيح، وهو تنزيهُ الله جلّ ثناؤه من كلِّ سوء.
والتَّنزيه: التبعيد. والعرب تقول: سبحان مِن كذا، أي ما أبعدَه.
قال الأعشى:

أقولُ لمّا جاءني فخرُهُ *** سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ

وقال قوم : تأويلُهُ عجباً لـه إِذَا يَفْخَر. وهذا قريبٌ من ذاك لأنّه تبعيدٌ له من الفَخْر. وفي صفات الله جلَّ وعز: سُبّوح.
واشتقاقه من الذي ذكرناه أنّه تنزَّه من كل شيء لا ينبغي لـه. والسُّبُحات الذي جاء في الحديث : "جلال الله جلَّ ثناؤه وعظمته" .
والأصل الآخر السَّبْح والسِّباحة: العَوم في الماء. والسّابح من الخيل: الحَسَنُ مدِّ اليدين في الجَرْي. قال:

فولَّيْتَ عنه يرتَمي بِكَ سابحٌ *** وقد قابَلَتْ أذنَيه منك الأخادعُ

يقول : إنّك كنتَ تلتفتُ تخافُ الطّعنَ، فصار أخدَعُك بحذاء أذُن فرسِك.
والتَّسْبِيحُ التَّقْدِيسُ وَالتَّنْزِيهُ يُقَالُ سَبَّحْتُ اللهَ أَيْ نَزَّهْتُهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ .
يُقَالُ فُلَانٌ يُسَبِّحُ اللهَ أَيْ يَذْكُرُهُ بِأَسْمَائِهِ نَحْوُ سُبْحَانَ اللهِ وَهُوَ يُسَبِّحُ أَيْ يُصَلِّي السُّبْحَةَ فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً وَيُسَبِّحُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَيْ يُصَلِّي النَّافِلَةَ وَسُبْحَةُ الضُّحَى .
وَمِنْهُ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ أَيْ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَسُمِّيَتْ الصَّلَاةُ ذِكْرًا لِاشْتِمَالِهَا عَلَيْهِ .
وَمِنْهُ ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ أَيْ اُذْكُرُوا اللهَ .
وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّحْمِيدِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾ وَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ أَيْ الْحَمْدُ للهِ .
وَيَكُونَ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ لِمَا اشْتَمَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ إذْ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي خَصَّ عَبْدَهُ بِهِ وَمَعْنَى التَّعْظِيمِ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ .
وَقِيلَ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾) أَيْ لَوْلَا تَسْتَثْنُونَ قِيلَ كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ سُبْحَانَ اللهِ .
وَقِيلَ إنْ شَاءَ اللهُ لِأَنَّهُ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى . ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والمصباح المنير (س ب ح) .

وسبحان الله : تنزيه له عما لا يليق به ، ونصبه على مذهب المصدر ؛ كأنك قلت : تسبيحا له .

وسبحان : معرفة وعلم خاص ؛ فإن نونه شاعر فللضرورة ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبحًا طَوِيلا ﴾ [سورة آية المزمل : ٧] أي : فراغا كبيرا للنوم ، وقد أوجب الله على العباد أن يسبحوه ويقدسوه ، وفي ذلك أوضح الدلالة على أنه لا يجوز إضافة الفواحش إليه .

والتسبيح في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصبِحُونَ ﴾ [سورة الروم ، الأنبياء : ١٧ ، ٢٢] ، والسبحة : صلاة التطوع ، وقوله : ﴿ فَلَولا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣] أي : المصلين[١] .

---

(١) قال الشوكاني في فتح القدير : والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، أي : فإذا علمتم ذلك فسبحوا الله ، أي نزهوه عما لا يليق به في وقت الصباح والمساء وفي العشي ، وفي وقت الظهيرة . وقيل : المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس . فقوله : ﴿ حين تمسون ﴾ : صلاة المغرب والعشاء ، وقوله : ﴿ وحين تصبحون ﴾ : صلاة الفجر ، وقوله : ﴿ وعشيا ﴾ صلاة العصر ، وقوله : ﴿ وحين تظهرون ﴾ : صلاة الظهر ، وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وغيرهما . قال الواحدي : قال المفسرون : إن معنى ﴿ فسبحان الله ﴾ : فصلوا لله . قال النحاس : أهل التفسير على أن هذه الآية في الصلوات قال : وسمعت محمد بن يزيد يقول : حقيقته عندي : فسبحوا الله في الصلوات، لأن التسبيح يكون في الصلاة . وجملة : ﴿ وَلَهُ الحمد فِي السموات والأرض ﴾ معترضة مسوقة للإرشاد إلى الحمد ، والإيذان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح كما في قوله سبحانه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [الحجر : ٩٨] وقوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وقيل : معنى ﴿ وله الحمد ﴾ أي الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد ، والأول أولى . وقرأ عكرمة : «حينا تمسون وحينا تصبحون» ، والمعنى : حينا تمسون فيه ، وحينا تصبحون فيه . والعشيّ : من صلاة المغرب إلى العتمة . قاله الجوهري ، وقال قوم : هو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر ، ومنه قول الشاعر :

غدونا غدوة سحرا بليل ... عشيا بعد ما انتصف النهار

وقوله : ﴿ عشيا ﴾ معطوف على حين ﴿ وفي السماوات ﴾ متعلق بنفس الحمد ، أي الحمد له يكون في السماوات والأرض ﴿ يُخْرِجُ الحي مِنَ الميت ﴾ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة ﴿ وَيُخْرِجُ الميت مِنَ الحي ﴾ كالنطفة والبيضة من الحيوان . وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران . وقيل : ووجه تعلق هذه الآية بالتي قبلها أن الإنسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة ، وعند العشاء يخرج من اليقظة إلى النوم ﴿ وَيُحْيِي الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي يحييها بالنبات بعد موتها باليباس ، وهو

الثاني : ظهور أثر الصنعة والخلق ، وهو قوله : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السبعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِن﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٤] يعني : ما ظهر فيها من آثار الصنع الدال على التوحيد .

والثالث : الاستثناء ، وهو قوله : ﴿قَالَ أَوسَطُهُم أَلَمْ أَقُل لَّكُم لَولا تُسَبِّحُونَ﴾ [سورة القلم آية : ٢٨] أي : تستثنون ، وهو قول : إن شاء الله ، وإنما قيل للاستثناء : تسبيح ؛ لأنه تعظيم ، كما أن قول " سبحان الله " تعظيم له ، وكانوا قالوا : قال : ﴿لَيَصرِمُنَّهَا مُصبِحِينَ﴾ [سورة القلم آية : ١٧] ، ولم يقولوا : إن شاء الله ، وفسر أيضا على ظاهره ؛ فقيل : لولا تسبحون الله وتقدسونه وتعطون حقوق المساكين .

شبيه بإخراج الحيّ من الميت ﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أي ومثل ذلك الإخراج تخرجون من قبوركم . قرأ الجمهور : ﴿ تخرجون ﴾ على البناء للمفعول . وقرأ حمزة والكسائي على البناء للفاعل ، فأسند الخروج إليهم كقوله : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجداث ﴾ [المعارج : ٤٣] ﴿ وَمِنْ ءاياته أَنْ خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ ﴾ أي من آياته الباهرة الدالة على البعث أن خلقكم ، أي خلق أباكم آدم من تراب ، وخلقكم في ضمن خلقه؛ لأن الفرع مستمد من الأصل ومأخوذ منه ، وقد مضى تفسير هذا في الأنعام ، و " أن " في موضع رفع بالابتداء ، و ﴿ من آياته ﴾ خبره ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ " إذا " هي الفجائية ، أي ثم فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض .

الباب الرابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء

الثواء[1]

الثواء : الإقامة ، يقال : ثوى بالمكان ، وأثوى : لغتان فصيحتان ، قال الحارث بن حلزة :

آذَنَتنا ببينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَّواءُ

ويتصرف هذا الحرف في القرآن على أوجه :

الأول : ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهلِ مَديَنَ﴾ [سورة القصص آية : ٤٥] أي : لم تكن مقيما فيهم ، فتعلم من أخبارهم ما تخبر به ، وإنما هو وحي ، وإن كان " مدين " عربيا فاستقامة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام به ، والياء فيه زائدة ، والذي أظن : أنه أعجمي الأصل .

الثاني : المثوى بمعنى المأوى ، قال تعالى : ﴿يَعلَمُ مُتَقَلَّبَكُم وَمَثوَاكُم﴾ [سورة محمد آية : ١٩] ، وقوله : ﴿فَالنارُ مَثوًى لَّهُم﴾ [سورة فصلت آية : ٢٤] وهو قريب من الأول ؛ بل هو فيه بعينه لأن المثوى : مفعل من ثوى ، وقيل للمنزل والمسكن : مثوى ؛ لأن صاحبه يقيم فيه .

---

(١) الثَّوَاءُ : طُوْلُ الإِقَامَةِ ، ثَوى يَثْوِي . والمَقْبُوْرُ يُقال : ثَوَى .
والمَثْوى : المَوْضِعُ . وأنزَلَني فأثْوَاني ثَوَاءً حَسَناً . والثِّيَّةُ : الثَّوَاءُ بِمَنْزِلَةِ الطِّيَّة ، وكذلك الثَّوَايَةُ .
وأكْرِمي مَثْوَاه : اي مَقَامَه . ورَبُّ البَيْتِ : أبو مَثْوَايَ ، وأُمّث مَثْوَايَ : للرَّبَّةِ .
والثَّوِيَّةُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ الذي يَثْوي إليها .
والثَّوِيُّ : البَيْتُ في جَوْفِ البَيْتِ . وقيل : البَيْتُ المُهَيَّأُ للضَّيْفِ . وقيل : الضَّيْفُ نَفْسُه .
والثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ إلى جَانبِ الكُوفَةِ .
وثَايَةُ الجَزُوْرِ : مَنْحَرُها . وقيل : هو البَيْتُ الذي يُوَلَّدُ فيه الغَنَمُ ويُجْمَعُ فيه البَهْمُ . وقيل : المَحَلَّةُ التي يَكُوْنُ فيها مَتَاعُ السَّفْرِ والصَّيَّادُوْنَ يَأْوُوْنَها . وقيل : المَثْوى الخَبِيْثُ ، ومنه ثَايَةُ الضَّبُعِ ، ويَقُوْلُوْنَ : قَبَّحَ اللهُ ثَايَتَكَ .
[المحيط في اللغة : ٢/ ٤٢٥]

الثالث : المنزلة ، قال : ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٣] أي : أهل منزلتي ، ولو أوردنا هذين الحرفين في باب الميم جاز ، وأم المثوى : المرأة التي ينزل بها ويأهلها الضيف ، وأبو المثوى : الرجل ، وتقول : من أم مثواك الليلة ، ومن أبو مثواك ؟ .

الباب الخامس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم

الجبار

أصل الكلمة : الإصلاح ، جبر العظم(١) ؛ إذا أصلحه وجبر هو ، ثم استعمل في الامتناع ، فقيل : نخلة جبارة ؛ إذا امتنعت ففاتت الأيدي ، وهو راجع إلى الأصل ؛ لأنها إذا فاتت اليد صلحت ثمرتها ولم تشعث ، والجبيرة : الدملوج ، وكذلك الجبارة ؛ لأنه يصلح ويسوى ، والجبارة أيضا ، والجمع : الجبائر : الخشب الذي يشد على العضو المكسور ، وأجبرت الرجل على الأمر ؛ إذا أكرهته عليه ؛ لأنك تريد بإجبارك إياه إصلاحه ، وإصلاح نفسك ــ جبار يرجع إلى ذلك .

والجبار(٢) في أسماء الله - عز وجل - بمعنى أنه لا ينال بالأذى ، وبمعنى الكبرياء والعظمة ، وقال واصل بن عطاء : الجبار في صفات الله تعالى بمعنى أنه يجبر فاقة العبد .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القهار ، قال الله تعالى : ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ [سورة الحشر آية : ٢٣] يعني : القهار لخلقه بما أراد ، وقال : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [سورة ق آية : ٤٥] أي : بمسلط تقهرهم على الإيمان ؛ إنما أنت مذكر ، ويجوز أن يكون معناه : إنك لست بمتكبر تياه ، كما قال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم آية : ٤] .

---

(١) (ج ب ر) : جَبَرْتُ الْعَظْمَ جَبْرًا مِنْ بَابِ قَتَلَ أَصْلَحْتُهُ فَجَبَرَ هُوَ جَبْرًا أَيْضًا وَجُبُورًا صَلَحَ يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا وَجَبَرْتُ الْيَتِيمَ أَعْطَيْتُهُ وَجَبَرْتُ الْيَدَ وَضَعْتُ عَلَيْهَا الْجَبِيرَةَ وَالْجَبِيرَةُ عِظَامٌ تُوضَعُ عَلَى الْمَوْضِعِ الْعَلِيلِ مِنْ الْجَسَدِ يَنْجَبِرُ بِهَا وَالْجِبَارَةُ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ الْجَبَائِرُ . [المصباح المنير : الجيم مع الباء]

(٢) أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنا أبو منصور النضروي ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : « إنما يسمى الجبار لأنه يجبر الخلق على ما أراد » [الأسماء والصفات للبيهقي : الحديث رقم (٤٧)]

الثاني : المتغلب الجابر ، قال الله : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُم جَبارِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٣٠] أي : متغلبين جبارين ، وقال : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلا أَن تَكُونَ جَبارًا فِي الأَرضِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٩] وقال بعض أهل التفسير : المراد بـالجبار في هذه المواضع : القتال ، والبطش : الأخذ بالغلبة والشدة .

الثالث : المتكبر قال : ﴿ وَلَمْ يَجعَلني جَبارًا شَقِيا ﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] جاء في التفسير أنه عنى المتكبر عن عبادة ربه .

والرابع : العظيم الخلق القوي ، قال الله عز وجل : ﴿ إِن فِيهَا قَومًا جَبارِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٢] جاء في التفسير : إنه عنى العظام الأجساد الطوال الأقوياء ، زعموا أنه لا يقاومونهم ، وقيل : إنه أراد الممتنعين الغلابين العتاة ، وهذا أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلتُمُوهُ فَإِنكُم غَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٣] كأنهم قالوا : إن فيها قوما من عادتهم غلب أعدائهم ، فقيل لهم : اذهبوا إليهم فإنكم تغلبونهم ، وأعمل إن في القوم وجعل الجبارين من صفتهم ؛ لأن فيها ليس باسم .

قال : ومثله : ﴿ كَذَلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلَى كُل قَلبِ مُتَكَبِرٍ جَبارٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، والجبار هاهنا والمتكبر سواء ، وإنما كرر للتوكيد ، ولا يجوز أن يقال أنه يعني : بـ"الجبار" هاهنا : القتال والغلاب ؛ لأن القتل والغلبة لا يضافان إلى القلب ويضاف إليه الكبر ، ويجوز أن تكون هذه الوجوه كلها بمعنى واحد وهو التكبر ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير .

الجعل(١)

يقال : جعلت بمعنى أنشأت ولا يتجاوز مفعولا ، ومنه : جعل الله الناس ، وجعل الأرض ، وجعلت أيضا بمنزلة نقلت ، كقولك : جعلت الطين آجرا ، وجعلت الفضة خاتما ، وجعلت بمنزلة ظننت ، تقول : اجعل الأمين خادما وكلمه ؛ أي : ظنه خادما ، وجعلت بمنزلة سميت ، قال : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُم عِبَادُ الرحمَنِ إِنَاثًا﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، ويقال أيضا : جعلت القرية عن يميني .

والفرق بين الجعل والفعل ؛ أن جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه ، كجعلك الطين خزفا ، وفعل الشيء إحداثه لا غير .

وقال بعضهم : جد الجعل الفعل ولابد لكل جعل من تعلق بمجعول ومفعول ، أما نفس الشيء الواقع عليه ظاهر اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السمعَ وَالأَبصَارَ﴾ [سورة الملك ، النحل ، السجدة : ٢٣ ، ٧٨ ، ٩] أي : خلقهما ، وأما اسمه ووصفه ، كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُم عِبَادُ الرحمَنِ إِنَاثًا﴾ أي : جعلوا اسمهم اسم الإناث ووصفهم ، وفعلوا ذلك ، وأما حكمه ؛ كقوله تعالى : ﴿أَجَعَلتُم سِقَايَةَ الحَاج وَعِمَارَةَ المَسجِدِ الحَرَامِ كَمَن آمَنَ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ﴾ [سورة التوبة آية : ١٩] أي : جعلتم حكم هذا كحكم هذا ، وكقولك : جعل الله هذا حلالا وهذا حراما ؛ أي : جعل حكمه حكم ذلك ، وأما علته لما كان المجعول على صفته ؛ كقولك : جعلت المتحرك متحركا ؛ أي : فعلت العلة .

---

(١) [جعل] : جَعَلَ : بمعنى صَنَعَ ؛ إلا أنّه أعَمُّ ، يُقال : جَعَلَ يَفْعَلُ كذا ، ولا يُقال صَنَعَ ولا يَجْعَلُ . والجِعَالَةُ والجَعِيلَةُ : واحد . وقد جَعَلْتُ له الجُعْل . وهو يُجَاعِلُه : أي يَرْشُوهُ .
وأجْعَلْتُ لفُلانٍ إجْعَالاً : من الجُعْل . والجِعَالُ والجِعَالَةُ : ما يُنْزَل به القِدْرُ من خِرْقَةٍ أو غيرِها ، وقد أجْعَلْتُها : أنْزَلْتُها به .
وجِعَالٌ الفَهْمِيُّ : شاعِر . وكَلْبَةٌ مُجْعِلٌ : أرَادَتِ السِّفَادَ . وماءٌ جَعِلٌ ومُجْعِلٌ : ماتَتْ فيه الجِعلانُ ، والواحدُ جُعَلٌ : وهي دابةٌ . ورَجُلٌ جُعَل : لَجُوج . وقد يُقال ذلك لسَوادِه تشبيهاً بالدابة .
وفي مَثَل : " سَمِكَ به جعَلُه " : أي لَزِقَ به منْ يكْرَهُه . والجَعْلُ - واحدُه جعْلَة - : النخلُ القصيرةُ الصغار .
[المحيط في اللغة : جعل]

وأما قوله : ﴿وَجَعَلْنَاهُم أَئِمةً﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٣] فمعناه سميناهم بذلك ، ومثله : جعلت فلانا لصا ، وقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَا لِكُل نَبِي عَدُوا﴾ [سورة الفرقان آية ، الأنعام : ٣١ ، ١١٢] أي : وصفناهم بهذا الوصف بعد أن عادوا الأنبياء ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذِينَ اتبَعُوهُ رَأفَةً وَرَحمَةً﴾ [سورة الحديد آية : ٢٧] أراد الخبر بما في قلوبهم من ذلك ووصفه ؛ فالمجعول هو الخبر ويكون بمعنى اللطف ، وقوله : ﴿قَدِ جَعَلَهَا رَبي حَقا﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] أي : خلقها ، ويجوز أن يكون مكن يوسف عليه السلام فظهر صدق رؤياه ؛ فالمجعول نفس الرؤيا في الأول وفي الثاني للدلالة على صحته .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعًا﴾ [سورة القصص آية : ٤] أي : فرقا ، والجعل راجع إلى ما به كانوا فرقا ؛ وهو الفعل الذي فرق بينهم ، وقوله تعالى : ﴿وَنَجعَلُ لَكُمَا سُلطَانًا﴾ [سورة القصص آية : ٣٥] أي : حجة ؛ وهو قلب الفصاحة .

وقوله تعالى : ﴿جَعَلَ فِتنَةَ الناسِ كَعَذَابِ الله﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٠] هؤلاء قوم آمنوا فلحقهم أذى من الكفار وهزوا فكفروا ، وكان يجب أن يدعوا الكفر خوفا من عذاب الله وتركوا الإيمان خوفا من عذاب الناس ؛ فأبدلوا حكم عذاب الناس حكم عذاب الله ؛ فالحكم هو المجعول ، وقال : ﴿وَجَعَلنَاهَا وَابنَهَا آيَةً لِلعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩١] فالمجعول فعل ما صارت به آية ، وقال : ﴿وَجَعَلنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٩] أي عبرة ، وفعل ما صار به المسيح عبرة هو المجعول .

وقوله تعالى : ﴿وَنَجعَلَهُم أَئِمةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص آية : ٥] فأمره بالاقتداء بهم هو المجعول ، وقوله تعالى : ﴿وَلَو شَاءَ رَبكَ لَجَعَلَ الناسَ أُمةً وَاحِدَةً﴾ [سورة هود آية : ١١٨] أي : بالإجبار .

والجعل بعد ذلك في القرآن على ستة أوجه فيما ذكره بعض المفسرين :

الأول : التسمية ؛ قال : ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الذِينَ هُم عِبَادُ الرحمَنِ إِنَاثًا﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، وقال : ﴿وَجَعَلنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً﴾ [سورة المائدة آية : ١٣] أي : سميناها قاسية .

الثاني : بمعنى التخلية ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَل صَدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] أي : يخلي بينه وبين ما يخرج به صدره من الكفر ؛ لأن مع الإيمان ثلج الصدور ، وليس ذلك مع الكفر .

وأما الطبع والختم واللعن والأكنة والوقر والعمى والصمم والبكم والرجس ونحو ذلك فإنه ذم وليس بمن ذكره إلا بعد ذكر المعصية ولزمهم هذه الأسماء جزاءا لذنوبهم ، ويجوز أن يكون تسميته إياهم بهذه الأسماء على جهة التمثيل ؛ لأنا نعلم أنه ليس على بصر الكافر غشاوة .

الثالث : منع الإلطاف ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأتَ القُرءَانَ جَعَلنَا بَينَكَ وَبَينَ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَستُورًا﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٥] أي : تمنعه ألطافنا فيعرض عن القرآن ولا ينتفع به ؛ فكأنا جعلنا بينه وبينه حجابا ، ولو علم أن ألطافه تنفعه ما منعه إياها ولكنها لا تنفعه فهو بمنزلة من لا ألطاف له ولو كان الطبع والختم وما بسبيلهما منعا لهم عن الإيمان لما قال : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم﴾ [سورة الزمر آية : ٥٤] .

الرابع : بمعنى الوصف ؛ قال : ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الجِن﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] و : ﴿الجِن﴾ هاهنا الملائكة سموا بذلك لاستتارهم عن الأبصار ، وأصل الجن والجنة ، والجنة والجنون الستر ، أي : وصفوا الملائكة بأنهم شركاء الله ، ونحوه قول الرجل لمن يصفه باللصوصية : جعلتني لصا ، أي : وصفتني بذلك ، ونحوه قوله : ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزءًا﴾ [سورة الزخرف آية : ١٥] ، قال بعض أهل اللغة : الجزء هاهنا بمعنى الإناث ، يقال : أجزئت المرأة إذا ولدت أنثى ، وأنشد :

إن أجزأت حُرَّة يومًا فَـــلا عَجَب وقَد تجزئُ الحُرة المِذكَار أحيَـــانا

ويجوز أن يكون الجن في قوله تعالى : ﴿شُرَكَاءَ الجِن﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] . الجن المعروف .

وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

الخامس : الخلق ، قال : ﴿إِنا جَعَلْنَاهُ قُرءَانًا عَرَبِيا﴾ [سورة الزخرف آية : ٣] ، أي : خلقناه كذلك ، وأحدثناه ومثله : ﴿جَعَلَ الأرضَ قَرَارًا﴾ [سورة النمل آية : ٦١] ، أي : خلقها صلبة يمكن الاستقرار عليها ، ومثله : ﴿وَجَعَلْنَا ابنَ مَريَمَ وَأُمهُ آيَةً﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] ، أي : خلقه من غير ذكر ، فصار عبرة وعلامة .

السادس : الحكم ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لله مِما ذَرَأَ مِنَ الحَرثِ وَالأَنعَامِ نَصِيبًا﴾(١) [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، أي : حكموا بذلك .

والمراد أنهم حكموا بأن لله نصيبا في زروعهم ومواشيهم ولأصنامهم نصيبا فيها ، وسماهم شركائهم ؛ لأنهم جعلوا بعض أموالهم لها ، ثم كانوا يصرفون مما جعلوه لله إلى أوثانهم فينفقونه عليها ولا يصرفون ما جعلوه لأوثانهم إلى ما يتقربون به إلى الله ، وقيل الأنعام هاهنا البحيرة والسائبة .

فأما قوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلنَا لِكُل نَبِي عَدُوا مِنَ المُجرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان آية : ٣١] ، فمعناه أنه جعل نبيه عدوا له ؛ لأنه فرض عليه محاربتهم ومناصبتهم ، فإذا جعل النبي عدوا لهم ، فقد جعلهم عدوا له ، وليس معنى ذلك أنه أمره بعداوته وأرادها منهم أو خلقها فيهم لأنه لو فعل ذلك لم يذمهم عليه ، وقوله : ﴿وَلا تَجعَلُوا اللهَ عُرضَةً لأَيمَانِكُم﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، أي : لا تجعلوا القسم بالله عرضة لإيمانكم فتكثروا الحلف ، وكذلك :

(١) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثانَ والأصنام لربهم (مما ذرأ) خالقهم ، يعني : مما خلق من الحرث والأنعام . يقال منه :"ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْءًا ، وذَرْوًا" ، إذا خَلَقهم .
"نصيبًا" ، يعني قسمًا وجزءًا .
ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله ، والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان .
فقال بعضهم : كان ذلك جزءًا من حُروثهم وأنعامهم يُفرِزُونه لهذا ، وجزءًا آخر لهذا .
وقال آخرون :"النصيب" الذي كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم : أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسمّوا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه . [جامع البيان : ١٢/ ١٣٤]

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، أي : ضمنتموه ثوابكم على الوفاء بإيمانكم فلا تنقضوها .

الجناح(١)

أصله الميل، ومنه قيل: جنحت السفينة، أي: مالت، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [سورة الأنفال آية: ٦١]، وسمي الإثم جناحا، لأنه ميل إلى هوى النفس، وجنح الليل حين يميل، وقيل: حين تميل الشمس للمغيب، ومنه جناح الطائر، لأنهما في جانبيه ما يلين عن سواء جنبك.

والجناح في القرآن على وجهين:

الأول: الإثم، قال الله: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُم فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِن خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [سورة البقرة آية: ٢٣٥]، أي: لا إثم عليكم في التعريض للمرأة المعتدة ترغبون في نكاحها، إذا خرجت من العدة، فأما التصريح بذلك، فهو إثم.

الثاني: الضرر، هو قوله تعالى: ﴿إِلا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُم فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا﴾ [سورة البقرة آية: ٢٨٢]، أي: إذا تبايعتم بالنقد فلا ضرر عليكم في ترك الكتاب والإشهاد، فإن قيل أن قوله: لا جناح عليكم في ترك ذلك في الحاضر، دليل على أن عليه جناح في تركه في النساء، قلنا: أراد بالجناح الضرر على ما ذكرنا، ولم يرد الإثم، ولو أراد الإثم لكان قوله: ﴿فَإِن أَمِنَ بَعضُكُم بَعضًا﴾ [سورة البقرة آية: ٢٨٣]، رخصة في تركه.

(١) (ج ن ح): (جَنَحَ) جُنُوحًا مَالَ وَاجْتَنَحَ مِثْلُهُ وَفِي التَّنْزِيل ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (وَفِي حَدِيثِ) عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَجَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ (اجْتَنَحَ) بَدَنُهُ أَيْ مَالَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا بِكَفَّيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ ضَعْفِهِ (وَعَنْ) أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالتَّجَنُّحِ فِي الصَّلَاةِ فَشَكَا نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّعْفَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِالرُّكَبِ﴾ قِيلَ التَّجَنُّحُ وَالِاجْتِنَاحُ هُوَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى رَاحَتَيْهِ فِي السُّجُودِ مُجَافِيًا لِذِرَاعَيْهِ غَيْرَ مُفْتَرِشِهِمَا. [المغرب: الجيم مع النون]

الجهاد[1]

الجهاد اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية ، وهو قتال المشركين خاصة[2] .

وأصله من الجهد ، وهو استفراغ الطاقة في الأمر ، وهو جهد وجهد لغتان ، ويقال : الجهد الطاقة نفسها ، وبلغ الرجل جهده ومجهوده ، إذا بلغ أقصى قوته .

والأرض الجهاد اليابسة لأن الرجل لا يحفرها إلا إذا بلغ مجهوده ، والمجهود والجهد سواء ، مثل : العقل والمعقول .

وجاهدت العدو إذا استفرغت قوتك في دفعه ، والمفاعلة تكون من اثنين إلا في حرف جاءت نوادر منها طالبت الحاجة ، وحاولت الشيء ، وسافرت في الأرض .

والجهاد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجهاد بالقول ، قال الله تعالى : ﴿وَجَاهِدهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، وهذه الآية مكية نزلت قبل الأمر بالكتاب .

وهذا دليل على أنه أراد بها الجهاد بالقول ، فيها دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم على حسب الطاقة ، يقول : ﴿فَلا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدهُم بِهِ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، أي : تترك طاعتك لهم فيما يريدونه من مقاربتك إياهم جهادا كبيرا .

والجهاد هو بذل المجهود في الشيء ، وترك التقصير فيه ، : ﴿وَجَاهِدهُم بِهِ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، أي : بالقرآن الذي افتتح به أول السورة ، والأول أجود .

---

(١) (ج هـ د) : (جَهَدَهُ) حَمَلَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ مِنْ بَابِ مَنَعَ (وَمِنْهُ) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمُؤَذِّنِ يُجْهِدُ نَفْسَهُ وَقَوْلُ سَعْدٍ أَوْ رَجُلٌ يُجْهِدُ أَنْ يَحْمِلَ سِلَاحَهُ مِنْ الضَّعْفِ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ وَتَقْدِيرُهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ أَيْ يُكَلِّفُهَا مَشَقَّةً فِي حَمْلِ السِّلَاحِ وَأَجْهَدَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ وَالْجَهْدُ وَالْجُهُودُ الْمَشَقَّةُ وَرَجُلٌ مَجْهُودٌ ذُو جَهْدٍ وَاجْتَهَدَ رَأْيَهُ وَالْجِهَادُ مَصْدَرُ جَاهَدْتُ الْعَدُوَّ إذَا قَابَلْتَهُ فِي تَحَمُّلِ الْجَهْدِ أَوْ بَذَلَ كُلٌّ مِنْكُمَا جُهْدَهُ أَيْ طَاقَتَهُ فِي دَفْعِ صَاحِبِهِ ثُمَّ غَلَبَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَنَحْوِهِ . [المغرب : الجيم مع الهاء]

(٢) قال الجرجاني : الجهاد : هو الدعاء إلى الدين الحق . [التعريفات : ١/ ٢٦]

الثاني : الجهاد بالسلاح ، قال الله تعالى : ﴿جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [سورة التحريم آية : ٩] ، وقال : ﴿لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] ، ثم قال : ﴿فَضلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَموَالِهِم﴾[سورة النساء آية : ٩٥] كذا قال مقاتل .

وهو غلط ؛ لأن المنافق لا يقاتل ولا يقتل ، لأنه إذا أظهر الإسلام حقن دمه ، وإنما المراد أن جاهد الكفار بالسلاح والمنافقين بالغلظة عليهم والتنكير لهم ، وقيل : جاهدهم بإقامة الحدود عليهم ، وكانوا هم الذين تصيبونها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه في الجاهلية .

الثالث : الاجتهاد في العمل ، قال تعالى : ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفسِهِ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦] ، أي : من يعمل الخير مجتهدا فإنما يعمل لنفسه ، وقال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : عملوا لنا : ﴿لَنَهدِيَنَهُم سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : يزيدهم إلطافا ويزدادون معها من الطاعة فتعلوا درجاتهم ، وقال : ﴿وَجَاهِدُوا فِي الله حَق جِهَادِهِ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : اعملوا لله حق العمل ، هكذا فسر هذه الآيات ويجوز أن تكون بمعنى جهاد المشركين .

الجدال[1]

أصله من الجدل ، وهو الفتل ، يقال : جدلت الحبل جدلا إذا فتلته ، وهو مجدول ، وأصل الكلمة من القوة ، ثم سميت الأرض جداله لقوتها ، وسمي الجدال جدالا لأنك تقوم به حق القيام ، لتقوي مذهبك ، كما أن الحبل يجدل القول ، والأجدل الصقر ، وسمي بذلك لقوته ، ويجوز أن يقال : الجدال هو أن تفتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهه أو شغب ، ويفتلك عن مذهبك بمثل ذلك .

والجدال في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخصومة ، قال : ﴿وَهُم يُجَادِلُونَ فِي الله﴾ [سورة الرعد آية : ١٣] ، أي : يخاصمون ، وقال : ﴿وَجَادَلُوا بِالبَاطِلِ﴾ [سورة غافر آية : ٥] .

الثاني : السؤال ، قال الله : ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَومِ لُوطٍ﴾ [سورة هود آية : ٧٤] ، أي : تسأل رسلنا ويستثبت أمر ما يعذب به قوم لوط ، وقال أبو علي : جادلهم بما استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع بهم لا محالة ، أم هم إخافة ليقبلوا إلى الطاعة ، وهذا يقوي ما تقدم من أنه سؤال .

الثالث : المناظرة على إثبات الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : ﴿يَا نُوحُ قَد جَادَلتَنَا فَأَكثَرتَ جِدَالَنَا﴾ [سورة هود آية : ٣٢] ، وفي هذا دليل على أن الجدال لإقامة الحجة حسن ، وأنه يقوم به الحجة ولولا ذلك لم يجادل نوح عليه السلام .

وقد يكون المناظران محقين بأن يكون كل واحد منهما يناظر ليعرف الحق ، ولا يكونان متجادلين إلا وأحدهما مبطل أو كلاهما ؛ لأن الجدال هو فتل الخصم عن مذهبه ، وفتل الحق عن الحق باطل ، قال الله تعالى : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٨] ،

---

(١)(ج د ل) : جَدِلَ الرَّجُلُ جَدَلًا فَهُوَ جَدِلٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ إِذَا اشْتَدَّتْ خُصُومَتُهُ وَجَادَلَ مُجَادَلَةً وَجِدَالًا إِذَا خَاصَمَ بِمَا يَشْغَلُ عَنْ ظُهُورِ الْحَقِّ وَوُضُوحِ الصَّوَابِ هَذَا أَصْلُهُ ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ عَلَى لِسَانِ حَمَلَةِ الشَّرْعِ فِي مُقَابَلَةِ الْأَدِلَّةِ لِظُهُورِ أَرْجَحِهَا وَهُوَ مَحْمُودٌ إنْ كَانَ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْحَقِّ وَإِلَّا فَمَذْمُومٌ وَيُقَالُ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الْجَدَلَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبَرِيُّ . [المصباح المنير : الجيم مع الدال]

وقد عاب الله تعالى من جادل في آياته بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ الله بِغَيْرِ سُلطَانٍ أَتَاهُم ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، لأن الجدال بها هو الصحيح ، والجدال فيها رد ودفع .

الرابع : المراء ، قال الله : ﴿ وَلا جِدَالَ فِي الحَجِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] ، فنهى عن المراء الواقع بين المترافقين في طريق الحج ، لأن لا يؤديها ذلك إن فعلاه إلى قول ما لا ينبغي تعظيما لأمر الحج .

وقيل معناه : أن الحج قد تبين وجوهه فلا ينسى ولا يشك فيه ، ونحوه : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ الله إِلا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة غافر آية : ٤] أي : لا يماري ، والمراء أن تستخرج ما عند خصمك بالمناظرة ، وأصله من المري ، وهو استخراج اللبن من الضرع .

الجن[1] .

أصله الستر ، ومنه الجنة وهي البستان الذي تشتبك فيه الشجر ، حتى يستر من يدخله .

والجنة السلاح ، لأنها تستر عورة صاحبه عن قرنه ، يقال : أعور الفارس إذا انكشف منه موضع للضرب أو الطعن .

والمجنون المستور على عقله ، وقد جن وأجنه الله ، ولا يقال جنه ، ومثله أجده الله وهو مجدود ، وقد جد ولا يقال : جده الله وليس مجدود من أحد ، لأن ذلك نقص للأصل ، وإنما هو على معنى أن ذلك فيه ، وكذلك أجنة الله ، وهو مجنون ، أي : فيه جنون وليس مجنون من أجن .

والولد ما دام في بطن أمه جنين ، والجمع أجنة ، لأنه مستور ، وفي القرآن : ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [سورة النجم آية : ٣٢] .

والجان يقع على واحد من الجن ، والجن مثل الإنس يقع على الجمع .

والجن في القرآن على وجهين :

---

(١) [جن] : الجِنُّ : جماعة وَلَدِ الجانِّ ، وجمعهم الجِنَّةُ والجِنّانُ ، سُمُّوا به لا ستِجنانِهم من الناس فلا يُرونَ .
والجانُّ أبو الجِنِّ خُلِقَ من نار ثم خُلق نَسله .
والجانُّ : حيَّةٌ بيضاء ، قال الله عز وجل " تَهتَزُّ كأنَّها جانٌ وَلِي مُدبِراً " .
والمَجَنَّةُ : الجنُون ، وجُنَّ الرجلُ ، وأَجَنَّه الله فهو مَجْنُونٌ وهم مَجانينُ .
ويقال به جِنَّةٌ وجنونٌ ومَجَنَّة ، قال :

من الدارمِيِّنَ الذين دِماؤُهم *** شفاءٌ من الدّاءِ المَجَنةِ والخَبَلِ

وأرض مَجَنَّةٌ : كثيرةُ الجنِّ .
والجَنانُ : رُوعُ القلبِ ، يقال : ما يستقرُّ جَنانُه من الفزَعِ .
وأجَنَّتِ الحاملُ الجنينَ أي الولد في بطنها ، وجمعُه أجِنَّة .
وقد جَنَّ الولدَ يجِنُّ فيه جَنّاً ، قال : حتى إذا ما جَنَّ في ماء الرَّحِم ويقال : أَجَنَّهُ اللَّيل وجَنَّ عليه اللَّيلُ إذا أظلم حتى يَستره بظُلمته .
واستجنَّ فلانٌ إذا استتر بشيء . [العين : الجيم مع النون]

الأول : الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يعني : الملائكة ، وذلك أنهم كانوا عبدوها ، وسماهم جنا ؛ لأنهم مستورون عن الأبصار .

وذكر بعض المفسرين أنهم الجن ، وليسوا بملائكة ، وكانت العرب تعبد الجن ، وتذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، وفي الخبر أنه لما هدمت العزى خرجت منها جنية منفشة شعرها تدعوا بالويل فحمل خالد بن الوليد عليها فقتلها .

الثاني : الجن المعروف من غير خلاف ، قال الله : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٦] ويجوز أن تدخل الملائكة في ذلك ، وقوله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩]

الباب السادس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء

الحسنة(١)

أصل الكلمة القبول ، والحسن ما تقبله النفس إذا رأته ، والحسنة الخصلة التي تقبلها النفس .

والإحسان ما تشتهيه النفس وتقبله ، ونقيضه الإساءة ، وهي التي تكرهها وتردها ، ويقال : حسن الشيء ، وهو حسن على غير الأصل ، وإنما الأصل حسين كما يقال : قبح وهو قبيح ، ويجوز أن يقال : حسن أحسن من حسن ، ولا يقال : صدق أصدق من صدق ، ولأن الحسن فاعل ، والفاعل يصح فيه أفعل ، والصدق مصدر ولا يصح في المصادر ذلك ولو لم يكن حسن أحسن من حسن لم يكن للمبالغ في قولهم : ما أحسن زيدا فائدة ، ويقولون هذه الخصلة الحسنى ، والمرأة الحسناء .

ولا يقال في التذكير أحسن ، ولا يجوز أن يوصف الله بالحسن ؛ لأن الحسن حال في الحسن ألا تراه يقبح بعد أن كان حسنا ، ولا يجوز أن يكون الله محلا للأشياء ، ولا يجوز أن يقال بأن الله حسن في العقل أيضا ؛ لأنه لا يتصور للعقول فيحسن فيها كالحكمة والصلاح الحسن في العقول لتصوره لها .

والحسنة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : النصرة والغنيمة ، قال الله تعالى : ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٠] يعني : ما كانت لهم من الدولة يوم بدر ، وكذلك المعنى في هذه الآية من

(١) حَسُنَ الشَّيْءُ فهو حَسَن . والمَحْسَن : الموضع الحسن في البدن ، وجمعه محاسن . وامرأةٌ حَسناء ، ورجُل حُسّان ، وقد يجيء فُعّال نعتاً ، رجلٌ كُرّام ، قال الله - جل وعز - : " مَكْراً كُبّاراً " .
والحُسّان : الحَسَنُ جِدّاً ، ولايقال : رجل أحسنَ . وجارية حُسّانة .
والمَحاسِن من الأعمال ضد المساوىء ، قال الله - عز وجل - : " للذين أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادة " أي الجنة وهي ضدُّ السُّوءَى . [العين : حسن]

سورة النساء وبراءة ، وقوله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبكُم سَيِّئَةٌ يَفرَحُوا بِهَا﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٠] يعني : القتل والهزيمة ؛ هكذا جاء في التفسير .

ويجوز عندنا أن يدخل في الحسنة هاهنا جميع ما ينالهم من المحبوب ، وفي السيئة جميع ما يصيبهم من المكروه .

الثاني : العمل الصالح ، قال الله تعالى : ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، وقوله : ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِنهَا﴾ [سورة النمل آية : ٨٩] والسيئة التي في هاتين الآيتين بمعنى المعصية ، وقرئ : ﴿عَشرُ أَمثَالِهَا﴾[سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، بالإضافة أي : عشر حسنات أمثالها وقرئ : ﴿عَشرٌ أَمثَالُهَا﴾ على أن أمثالها من صفة العشر .

فإن قيل : كيف قال : ﴿عَشرُ أَمثَالِهَا﴾[سورة الأنعام آية : ١٦٠] والمثل مذكر ؟ قلنا : لأنه مضاف إلى مؤنث ، وهي في المعنى أيضا حسنة أو درجة فأنث على المعنى ، وأراد بذكر العشر التكثير ولم يرد عشر بعينها ، كما تقول : إن كلمتني واحدة كلمتك عشرا ؛ وكذلك قوله : ﴿إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً﴾ [سورة التوبة آية : ٨٠] أراد التكثير ، ولم يرد عددا بعينه ، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر الله لهم أيضا .

الثالث : الخصب والسعة ، قال الله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبهُم حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِن عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبهُم سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِن عِندِكَ﴾ [سورة النساء آية : ٧٨] ، يقول إن أصابهم خير وسعة وخصب نسبوه إلى الله تعالى ، وإن أصابهم ضيق وقحط نسبوه إليك ، وقالوا : إنما نالنا ذلك من شؤمك ، ومثله قوله : ﴿ثُم بَدلنَا مَكَانَ السيِّئَةِ الحَسَنَةَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٥] ، أي : بدل الضيق بالسعة ، ومثله : ﴿وَبَلَونَاهُم بِالحَسَنَاتِ وَالسيِّئَاتِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٨] ، أي : اختبرناهم بالضيق والسعة والبلوى .

والاختبار والتجربة سواء ، وحقيقة معناه فعل ما يحدث معه العلم بالمبلو المختبر ، ولا يجوز ذلك على الله ، لأنه عالم بنفسه .

وإنما المراد أنه يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم ، لأن الابتلاء والامتحان هو الأمر والنهي ، فسمى الله تكليفه وأمره عباده ابتلاء من هذا الوجه على سبيل التوسع .

ولا يجوز أن يقال أنه يجرد عباده ، وإن كان الابتلاء والتجريد بمعنى واحد ، وذلك أن استعمال الابتلاء في الله مجاز ، والمجاز لا يقاس عليه ، وإنما يقاس على الحقائق ، ولولا أن أهل اللغة استعملوا الابتلاء في الله لم يجز استعماله فيه والعلة التي في الابتلاء ليست في التجربة وهي الاستعمال .

ولو جاز القياس على المجاز لجاز أن تقول : سل الحمار وسل الشاة ، وأنت تريد صاحبها ، كما جاء : ﴿وَاسأَلِ القَريَةَ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، وفي امتناع ذلك دليل على ما قلنا .

الرابع : العافية والسلامة ، قال الله تعالى : ﴿وَيَستَعجِلُونَكَ بِالسيئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ﴾ [سورة الرعد آية : ٦] ، يعني : أنهم يريدون تقديم العذاب لهم في الدنيا على ما هم فيه من العافية فيها ، وقوله : ﴿فَأَمطِر عَلَينَا حِجَارَةً مِنَ السمَاءِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] .

الخامس : العفو والمعروف من القول ، قال : ﴿وَيَدرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السيئَةَ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٢] ، أي : يدفعون القول القبيح المؤذي بالقول الحسن مرة وبالعفو أخرى ، والمعنى أنهم يتغافلون عنه فينقطع ، وكأنهم دفعوه ، ولو أجابوا عنه زيد فيه .

وقيل : معناه أنهم يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات ، قاله الزجاج ، وهو غلط لأن ما تقدم لا يدفع ، وإنما يقال ذلك في المستقبل ، وقال تعالى : ﴿وَلا تَستَوِي الحَسَنَةُ وَلا السيئَةُ ادفَع بِالتِي هِيَ أَحسَنُ﴾ [سورة فصلت آية : ٣٤] ، أمره بالصفح والتغافل .

والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا دخلت تأكيدا ، و : ﴿ادفَع بِالتِي هِيَ أَحسَنُ﴾ ، أي : ادفع السيئة ، ومما يلحق بما تقدم أن حد الحسن الفعل الذي يدعوا إليه العقل ، وحد القبيح الفعل الذي يزجر عنه العقل ، والإحسان الدفع الحسن ، والإساءة الضرر القبيح .

وكل فعل مقصود لا يخلوا من أن يكون حسنا أو قبيحا ، وتدخل في الحسنة الفرائض والنوافل ، ولا يدخل فيها المباح ؛ لأن الحسنة مرغب فيها ولا يجوز أن يرغب في المباح ؛ لأن ذلك قبيح ، والمباح حسن وليس بحسنة .

الحبل

أصله من الإمساك ، ومنه قيل : الحابول للحبل الذي يصعد به في النخلة ، والحبالة شبكة الصائد ، والمحتبل الصائد ، وكذلك الحابل .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : القرآن ، قال الله تعالى : ﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ الله جَمِيعًا﴾(١) [سورة آل عمران آية : ١٠٣] ، أي : بكتابه ، وسماه حبلا لما فيه من توكيد الحجج والبيان ، كما يؤكد العهد . والحبل عند العرب العهد .

الثاني : الأمان ، قال الله تعالى : ﴿إلا بِحَبلٍ مِنَ الله وَحَبلٍ مِنَ الناسِ﴾(٢) [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : بأمان ، قال الأعشى :

وإذا تُجاوزها حِبَال قَبِيلَـــة أخـ ـذت مِنَ الأُخرَى إلَيكَ حِبَالهـــا

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً﴾ الحبل لفظ مشترك ، وأصله في اللغة السبب الذي يتوصل به إلى البغية ، وهو : إما تمثيل ، أو استعارة . أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام ، أو بالقرآن ، ونهاهم عن التفرق الناشيء عن الاختلاف في الدين ، ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم ، ويبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام ، وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضاً ، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر ، فأنقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام . [فتح القدير : ٢/ ٢٥]

(٢) قال الرازي : ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مّنْ الله وَحَبْلٍ مّنَ الناس﴾ [آل عمران : ١١٢] أي بعهد ، وإنما سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب إلى أي موضع شاء ، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف ، وقيل : إنه القرآن ، روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أما إنها ستكون فتنة» قيل : فما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين » وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هذا القرآن حبل الله » وروي عن أبي سعيد الخدْريّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي » وقيل : إنه دين الله ، وقيل : هو طاعة الله ، وقيل : هو إخلاص التوبة ، وقيل : الجماعة ، لأنه تعالى ذكر عقيب ذلك قوله ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ وهذه الأقوال كلها متقاربة ، والتحقيق ما ذكرنا أنه لما كان النازل في البئر يعتصم بحبل تحرزاً من السقوط فيها ، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقته لجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلاً لله ، وأمروا بالاعتصام به . [مفاتيح الغيب : ٤/ ٣٢٦]

ومعنى الآية أن اليهود لا يزالون مقهورين أذلاء إلا أن يأخذوا بحبل الله ، أي : إلا أن يكونوا ذمة للمسلمين ، وعنى بالناس النبي عليه السلام والمسلمين ، وهذا خبر غيب ، وفيه دلالة على صحة الدعوة ، وقال : ﴿مِنَ اللهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : من أولياء الله .

ويجوز أن يكون عنى قولك لمن تعاهده إذا فعلت كذا ، فأنت أمين بأمان الله وأمان الرسول .

وقال الفراء : أراد إلا أن يعتصموا بحبل من الله فحذف لبيان المعنى ، وقال الأخفش : هذا مثل قوله تعالى ﴿لَن يَضُروكُم إِلا أَذًى﴾ [سورة آل عمران آية : ١١١] ، وهو استثناء خارج من أول الكلام ، وهو بمعنى لكن ، وليس بأشد من قوله : ﴿لا يَسمَعُونَ فِيهَا لَغوًا إِلا سَلامًا﴾ [سورة مريم آية : ٦٢] .

الحسنى

قد مضى القول فيها قبل .

وجاءت في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخلف من النفقة في سبيل الله ، وهو قوله : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾(١) [سورة الليل آية : ٦] ، ومثله قوله : ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [سورة الليل آية : ٩] ، أي : بما يخلفه الله عليه في الآخرة .

الثاني : الخير ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٧] ، أي : الخير وتأنيثها على معنى الخصلة والحلة والخلة ، وهي تأنيث الأحسن فكأنه سمى الخير خصلة أو حلة ، وقد يقع ذلك على الخير والشر ، يقول هذه خصلة محمودة يعني : الخير ، وهذه خصلة مذمومة ، يعني : الشر .

الثالث : الجنة ، قال الله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس آية : ٢٦] ، وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠١] ، يعني : الجنة كذا قيل ، ويجوز أن يكون المعنى : الذين سبقت لهم منا الحسنى العدة الحسنة ، وهم المؤمنون لأن الله وعدهم أحسن العدة .

(١) قال الرازي : قوله : ﴿وَصَدَّقَ بالحسنى﴾ فالحسنى فيها وجوه أحدها : أنها قول لا إله إلا الله ، والمعنى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالتوحيد والنبوة حصلت له الحسنى ، وذلك لأنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم ، وهو كقوله : ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد : ١٤] إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الذين ءامَنُواْ﴾ [البلد : ١٧] وثانيها : أن الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات على الأبدان وفي الأموال كأنه قيل : أعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرائع ، فعلم أنه تعالى لم يشرعها إلا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن وثالثها : أن الحسنى هو الخلف الذي وعده الله في قوله : ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ : ٣٩] والمعنى : أعطى من ماله في طاعة الله مصدقاً بما وعده الله من الخلف الحسن ، وذلك أنه قال : ﴿مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ الله﴾ [البقرة : ٢٦١] فكان الخلف لما كان زائداً صح إطلاق لفظ الحسنى عليه . [مفاتيح الغيب : ١٧/ ٥٨]

الرابع : الهداية ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ أن لَهُمُ الحُسْنَى ﴾ [سورة النحل آية : ٦٢] ، أي : يزعمون مع قبح فعلهم أنهم على الهداية ، وجاء في التفسير أن الحسنى هاهنا اليقين .

والمراد تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى بدل ، أي : اليقين ، وهم كاذبون في ذلك ، أي : هم في شك أو شبهة وإن بدل من الكذب المعنى ، وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى ، وذلك الكذب لا جرم أن لهم النار رد لقولهم المعني جرم فعلهم هذا أن لهم النار ، أي : كسب ، والجرم الكسب .

وقال قطرب : أن في موضع رفع ، والمعنى وجب أن لهم النار ، وأنهم مفرطون مقدمون للنار ، وقرئ ﴿ مُفْرَطُونَ ﴾ بفتح الراء مع التشديد ، أي : متروكون كأنهم جعلوا مقدمين إلى العذاب متروكين فيه ، وقرئ ﴿ مُفَرِّطُونَ ﴾ بكسر الراء وتشديده أي : فرطوا في الدنيا .

الحسن

على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله عز وجل : ﴿ قُولُوا لِلنَاسِ حُسنًا ﴾(١) [سورة البقرة آية : ٨٣] ، وهي قراءة أي : حقا كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد أن قولوا لهم قولا حسنا ، وهو أولى ؛ لأنه على مقتضى اللفظ .

الثاني : بمعنى المحتسب ، وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٥] ، أي : محتسبا كذا قيل ، ويجوز أن يقال : أن القرض الحسن هو للبر والصدقة التي لا مَنَّ فيها ، وسمي ذلك قرضا ؛ لأنه يقرض من المال أي : يقطع منه ؛ والقرض القطع ، ويجوز أن يكون سماه قرضا ؛ لأنه يرد عليه جزاؤه ، فكأنه رد عليه بعينه كالقرض يرد على المقرض .

الثالث : الجنة ، قال الله : ﴿ أَفَمَن وَعَدنَاهُ وَعدًا حَسَنًا ﴾ [سورة القصص آية : ٦١] ، يعني : الجنة ، ويجوز أن يكون حسنا أي : حسن المسموع .

---

(١) قال الشوكاني : معنى قوله : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حسنا ﴾ أي : قولوا لهم قولاً حسناً ، فهو صفة مصدر محذوف ، وهو : مصدر كبشرى . وقرأ حمزة ، والكسائي : «حسناً» بفتح الحاء ، والسين ، وكذلك قرأ زيد بن ثابت ، وابن مسعود . قال الأخفش هما بمعنى واحد ، مثل البُخل ، والبَخل ، والرُّشد ، والرَّشد ، وحكى الأخفش أيضاً : «حسنى» بغير تنوين على فعلى . قال النحاس : وهذا لا يجوز في العربية ، لا يقال من هذا شيء إلا بالألف ، واللام نحو الفضلى ، والكبرى ، والحسنى ، وهذا قول سيبويه . وقرأ عيسى ، بن عمر : «حُسُناً» بضمتين : والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر ، وقد قيل : إن ذلك هو : كلمة التوحيد . [فتح القدير : ١/ ١٢٣]

الحكمة(١)

أصلها المنع ، يقال : أحكمت الرجل عن كذا ، أي : منعته عنه ، وسميت الكلمة الواعظة حكمة ، لأنها تمنع عن التورط في الجهل ، ومن ثم قيل : حكمة الراية ، وقال جرير :

أَبَني حَنِيفَةَ احكُمُوا سُفَهَائكُم   إِنّي أَخَافُ عَلَيكُم أن أغضَبَا

وسمي الحكم حكما ؛ لأنه إذا تم منع عن التخاصم ، وسمي العلم حكمة ؛ لأنه يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردها الجاهل .

وتسمية الله بأنه حكيم على وجهين :

أحدهما : يستحقه لذاته ، وهو أنه عالم .

والآخر : يستحقه لفعله ، وهو أن أفعاله محكمة ، وفعيل بمعنى مفعل معروف في اللغة ، يقال : سميع بمعنى مسمع ، قال عمرو بن معدي كرب :

أمن ريحانة الداعي السميع

ويجيء فعيل بمعنى مفعل ، وفي القرآن : ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُل أمرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان آية : ٤] ، وبصير بمعنى مبصر ، وهذا من الأول .

والحكمة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الحلال والحرام والسنن والأحكام ، قال الله : ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيكُم مِنَ الكِتَابِ وَالحِكمَةِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] ، فالكتاب القرآن ، والحكمة ما فيه من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة الشريعة كلها ، والدليل على صحة ذلك أنه أتى بذلك بعد بيان الأحكام ،

(١) الحِكمةُ : مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم . ويقال : أَحْكَمَتْه التَجارِبُ إذا كانَ حكيماً . وأَحْكَمَ فلانٌ عنّي كذا ، أي : مَنَعَه ، قال :

أَلَمَّا يَحْكُمُ الشُعَراءُ عَنّي

واستَحْكَمَ الأمرُ : وَثُقَ . واحتَكَمَ في ماله : إذا جازَ فيه حُكْمُه . والأسم : الأُحكُومة والحَكُومة ، قال الأعشى : ولَمِثْلُ الذي جَمَعْتَ لرَيْبِ الدَّهْرِ يَأبَى حُكومةَ المُقتالِ أي لا تَنْفُذُ حكومةٌ من يحتكِم عليك من الأعداء . والمُقتالُ : المُفتَعِلُ من القَوْلِ حاجةٌ منه إلى القافية . [العين : حكم]

وشرح الحلال والحرام ، وسمي ذلك حكمة ؛ لأنه يمنع من الوقوع في المحظور ، ومثله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] .

الثاني : الفهم والعلم ، قال الله : ﴿ وَلَقَد آتَينَا لُقمَانَ الحِكمَةَ ﴾ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وقال : ﴿ وَآتَينَاهُ الحُكمَ صَبِيا ﴾ [سورة مريم آية : ١٢] ، يعنى الحكمة ، وهو الفهم والعلم والحكمة والحكم سواء ، وهو مثل العذر والعذرة ، والقل والقلة ، والنحل والنحلة ، وهي العطية والخير والخيرة .

ومثله : ﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٩] ، يعني : الفهم ، وقال : ﴿ آتَينَاهُ حُكمًا وَعِلمًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٢] ، ويجوز أن يكون الحكم هنا القضاء ، أي : جعله قاضيا بين الناس ، وقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] ، أي : علمناه الخط ، يقال : كتب كتابا ، والحكمة : ما أجري على لسانه من الكلم الداعية إلى الرشد الزاجرة عن الغي ، وقيل : الحكمة هنا الشرائع .

الثالث : النبوة ، قال : ﴿ وَآتَينَا آلَ إِبرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، يعني : النبوة ، ومثله : ﴿ وَآتَينَاهُ الحِكمَةَ وَفَصلَ الخِطَابِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٠] ، يعني : النبوة ، والفصل الذي ينفصل به بين المتخاصمين ، وقيل : فصل الخطاب هو أما بعد وداود أول من قاله ، والأول الوجه . ومثله : ﴿ وَآتَاهُ اللهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥١] ، أي : النبوة ، أي : أتى الله داود الملك والحكمة بعد قتل جالوت ، فدل على أن ملك جالوت انتقل إلى داود بعد قتله جالوت أو بعد موت طالوت .

الرابع : تفسير القرآن ، قال : ﴿ وَمَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٩] ، قالوا : يعنى العلم بتفسير القرآن ، ويجوز أن تكون الحكمة القرآن نفسه ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوحَى إِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

ويجوز أن تكون النبوة والشاهد قوله : ﴿ فَقَد آتَينَا آلَ إِبرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، ويجوز أن يكون العلم والأصالة كقوله : ﴿ وَلَقَد آتَينَا لُقمَانَ

الحِكْمَةَ ﴾ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وجماع الحكمة ، والحكم الرد إلى الصواب فكل ما رد إلى الصواب حكمة وحكمه التامة من ذل ؛ لأنها ترد إلى القصد .

الخامس : القرآن ، قال : ﴿ ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥]يعني القرآن ونظيره : ﴿ ذَلِكَ مِما أَوحَى إِلَيكَ رَبكَ مِنَ الحِكمَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] ، ويجوز أن يكون المعنى في قوله : ﴿ ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبكَ بِالحِكمَةِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] ، القرآن ، وغيره من الكلم المرشدة الزاجرة ، وكل ذلك تسمى حكمة .

الحشر(١)

أصل الحشر الجمع مع السوق(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَابعَث فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء آية: ٣٦]، أي: رجالا يجمعون السحرة إليك، ويقال: حشرت القوم إذا جمعتهم وسقتهم، ويجوز أن يكون أصله من الخفة كأن الذي تحشره يخف لك، ولهذا قيل: إذن حشرة، أي: حقيقة، وسهم حشرات خفيف، وحشرات الأرض صغار دوابها، وناقة حشور ملززة الخلق، وقيل: المتنفخة الجنين العظيمة البطن كأنها من الأضداد.

وفسر الحشر في القرآن على وجهين:

الأول: الجمع، قال الله تعالى: ﴿وَيَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا﴾ [سورة يونس آية: ٢٨]، أي: نجمعهم، قال: ﴿وَحَشَرنَاهُم فَلَم نُغَادِر مِنهُم أَحَدًا﴾ [سورة الكهف آية: ٤٧]، ومثله: ﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَت﴾ [سورة التكوير آية: ٥]، أي: جمعت، وقوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِن وَالإِنسِ وَالطيرِ﴾ [سورة النمل آية: ١٧]، وقال: ﴿احشُرُوا الذِينَ ظَلَمُوا وَأَزوَاجَهُم﴾ [سورة الصافات آية: ٢٢]، ولا يكون هذا بمعنى السوق، لأنه يقال: ﴿وَمَا كَانُوا يَعبُدُونَ مِن دُونِ الله﴾ [سورة الصافات آية: ٢٢-٢٣]،

---

(١) [حشر]: الحَشْرُ: حَشْرُ يَوْمِ القِيامَة. والمَحْشَرُ: المَجْمَعُ، وهو المَحْشِرُ أيضاً. وحَشَرَتْهُم السَّنَةُ: ضَمَّتْهم من النَّواحي، وتُهْلِكُ في خِلالِ ذلك. والحَشَرَةُ: صِغارُ دَوَابِّ الأرض، والجَميعُ الحَشَرَاتُ. والحَشْوَرُ من الدَّوَابِّ: كلُّ مُلَزَّزِ الخَلْقِ شَـدِيْدِه. وهو أيضاً: العَظِيْمُ الجَنْبَيْنِ. والحَشْرُ من الآذانِ ومِنْ قُذَذِ رِيْشِ السِّهَام: ما لَطُفَ. وحَشَرْتُ السِّنَانَ فهو مَحْشُوْرٌ: رَقَّقْتُه. والحَشَرَةُ: القِشْرَةُ تكونُ على حَبِّ السُّنْبُلَة، ومَوْضِعُ ذلك: المَحْشَرَةُ. وقيل: هو مَا بَقِيَ في الأرضِ من نَباتٍ بَعد حَصْدِ الزَّرْع، ويَنْبُتُ أخضَرَ. ووَطْبٌ حَشِرٌ: اجْتَمَعَ عليه الوَسَخُ. وحُشِرَ فلانٌ في رأسِه واحْتُشِرَ: كذلك. وعَجُوْزٌ حَشْوَرَةٌ: هي المُتَطَرِّفَةُ البَخِيْلَةُ. [المحيط في اللغة: حشر]

(٢) الفرق بين الحشر والجمع: أن الحشر هو الجمع مع السوق، والشاهد قوله تعالى " وابعث في المدائن حاشرين " أي إبعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر لان الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف، وقال صاحب المفصل: لا يكون الحشر إلا في المكروه، وليس كما قال لان الله تعالى يقول " يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ". [الفروق اللغوية: ١/ ١٨٨]

يعني : الأصنام ، والأصنام لا تساق ، ولكن يجمع على أنه يقال في الجهاد والأغراض السوق على سبيل المجاز .

الثاني : السوق ، قال الله : ﴿ وَنَحشُرُهُم يَومَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِم عُمياً وَبُكماً وَصُماً ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٧] ، أي : نسوقهم ، وقال : الأول الحشر يعني : سوقهم إلى الشام ، وجعله أولا لأن الناس يحشرون إلى الشام يوم القيامة ، أي : يجمعون ويساقون ، وهؤلاء بنو النضير ، أخرجهم الله من ديارهم واعتمها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لأول الحشر ، أي : هو أول ما حشروا : ﴿ وَأُخرِجُوا مِن دِيَارِهِم ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩٥] ، وهذا أصح وأقرب .

الحق(١)

الحق : العقد على المعنى على ما هو به ، ويدعوا إليه الحكمة ، والحق في الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الظن .

والحق أعم من الأصلح ، لأن الأصلح حق و إلا دون في الصلاح حق ، ومعنى الحق وقوع الشيء في موقعه .

والصلاح : استقامة الشيء على مقدار ، وأصله من الثبات ، ويقول : تحققت الشيء ، أي : ثبت عندي ، وهذا حقك ؛ لأنه قد ثبت لك ملكه ، والحق من الإبل الذي يثبت للعمل .

والحق خلاف الباطل ؛ لأنه يثبت ، والحق في أسماء الله تعالى بمعنى أنه الدائم الثابت الملك غير زائل السلطان ، وأنا أحق بكذا ، أي : هو أثبت لي ، وفي القرآن : ﴿ أَفَمَن يَهدِي إِلَى الحَق أَحَق أَن يُتبَعَ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ فَأَي الفَرِيقَينِ أَحَق بِالأَمنِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨١] .

وفسر الحق في القرآن على عشرة أوجه :

---

(١) [حق] : الحقُّ نقيض الباطل . حقَّ الشيْء يَحِقُّ حَقّاً أي وَجَبَ وُجُوباً . وتقول : يُحِقُّ عليكَ أنْ تفعَلَ كذا ، وأنتَ حقيقٌ على أن تفعَلَه . وحَقيقٌ فَعيلٌ في موضع مفعول .
وقول الله عزَّ وجَلّ - : " حقيق على أن لا أقول " معناه مَحقوق كما تقول : واجب . وكلُّ مفعُول رُدَّ إلى فَعيل فمذكَّره ومؤنّثه بغير الهاء ، وتقول للمرأة : أنتِ حقيقةٌ للملك ، وأنتِ مَحقوقةٌ أن تفعلي ذلك ، قال الأعشى :

لَمحقُوقَةٌ أنْ تَسْتَجيبي لصَوْته *** وأنْ تَعلمي أنَّ المُعانَ مُوَفَّقُ

والحِقَّةُ من الحَقِّ كأنَّها أوجَبُ وأخَصُّ . تقول : هذه حَقَّتي أي حَقِّي .
قال : وحَقَّةٌ ليست بقول التُّرَّهة .
والحقيقة : ما يصيرُ إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وبلغْتُ حقيقةَ هذا : أي يقين شأنه . وفي الحديث : " لا يبلُغُ أحدُكُم حقيقةَ الإيمان حتى لا يعيبَ على مُسلِمٍ بعَيْبٍ هو فيه " .
وحقيقةُ الرجل : ما لَزِمَهُ الدفاعُ عنه من أهل بيته ، والجميع حقائق .
وتقول : أَحَقَّ الرجُلُ إذا قال حَقّاً وادَّعَى حَقّاً فوَجَبَ له وحَقَّقَ ، كقولك : صدَّق وقالَ هذا هو الحقُّ .
[العين : ١/١٢٦]

الأول : يعني : به الله تعالى ، قال : ﴿وَلَوِ اتبَعَ الحَق أهوَاءَهُم﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، قالوا : معناه لو اتبع الله أهواءهم ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا هو الحق في قوله تعالى : ﴿بَل جَاءَهُم بِالحَق﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، : ﴿وَلَوِ اتبَعَ الحَق﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، أي : لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت الأمور ، وفسر قوله أيضا : ﴿وَتَوَاصَوا بِالحَق﴾ [سورة العصر آية : ٣] ، أي : أن الله واحد ، وهذا بعيد ، والصحيح أن بعضهم يوصي بعضا باستعمال الحق وترك تجاوزه .

الثاني : القرآن ، قال الله : ﴿حَتى جَاءَهُمُ الحَق وَرَسُولٌ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَق﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٩- ٣٠] ، يعني : القرآن قالوا : هذا سحر ، وإنما سموه سحرا لخفاء مسلكه عندهم ، وقال : ﴿بَل كَذبُوا بِالحَق لَمَّا جَاءَهُم﴾ [سورة ق آية : ٥] ، وقال : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَق مِن عِندِنَا قَالُوا لَولا أُوتِيَ مِثلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ [سورة القصص آية : ٤٨] ، أو لم يكتفوا من الدلالة بالقرآن مع عجزهم عنه فطلبوا مثلا آيات موسى فأخبرهم أنهم مع تلك الآيات أيضا كفروا على الحجة في القرآن أبلغ منها في قلب العصا حية ؛ لأن التحدي بالقرآن قد وقع على قوم كان صناعتهم الكلام .

وكان السحر في أيام موسى عليه السلام في القليل من الناس كهو فينا اليوم ، ولأن القرآن يبقى على الأبد ويقف عليه في الأطراف ، من لا يقف على أمر للعصا إلا بالإخبار .

الثالث : الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿وَقُل جَاءَ الحَق وَزَهَقَ البَاطِلُ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] ، يعني : مجيء الإسلام وذهاب الشرك ، والزهوق الهلاك ، وقال : ﴿لِيُحِق الحَق وَيُبطِلَ البَاطِلَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٨] ، أي : ثبت الإسلام ويزيل الشرك .

الرابع : العدل ، قال الله : ﴿يَومَئِذٍ يُوَفيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَق﴾[سورة النور آية : ٢٥] ، أي : جزاءهم العدل : ﴿وَأَن اللهَ هُوَ الحَق المُبِينُ﴾[سورة النور آية : ٢٥] ، وقريت منه : ﴿بَل جَاءَهُم بِالحَق﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، أي : بالعجز ، ويجوز أن يكون اسلم عنى بالصدق ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا خلاف الباطل ؛ لأنه قال : ﴿وَأَكثَرُهُم لِلحَق كَارِهُونَ﴾[سورة النور آية : ٧٠] ، على حسب ما تقول : الحق مر .

الخامس : الصدق ، قال الله : ﴿وَعدَ الله حَقا﴾ [سورة النساء آية : ١٢٢ ، يونس : ٤ ، لقمان : ٩] أي : صدقا ، وقال : ﴿قَولُهُ الحَق﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، يعني : الصدق .

السادس : حق بمعنى وجب ، قال الله : ﴿وَلَكِن حَق القَولُ مِني﴾ [سورة السجدة آية : ١٣] ، أي : وجب ، : ﴿وَكَذَلِكَ حَقت كَلِمَتُ رَبكَ﴾ [سورة غافر آية : ٦] ، يعني : وجبت .

السابع : الحق خلاف الباطل قال الله : ﴿مَا خَلَقنَا السمَوَاتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا إِلا بِالحَق﴾ [سورة الحجر آية : ٨٥] ، أي : للحق ، يقول : ليعمل فيها بالحق دون الباطل ، وفيه دليل على بطلان قول المجبرة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ثُم رُدوا إِلَى الله مَولاهُمُ الحَق﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٢] ، أي : مولاهم على الحقيقة .

التاسع : بمعنى الدين ، قال : ﴿وَليُملِلِ الذِي عَلَيهِ الحَق﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : الذي عليه الدين ، وإنما يملي الذي عليه الحق ؛ لأنه مشهود عليه وإملاؤه إقراره تشهد به عليه ، : ﴿وَليَتقِ اللهَ رَبهُ وَلا يَبخَس مِنهُ شَيئًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : ليتق عذاب الله ولا ينقص مما عليه شيئا .

وفي هذا دلالة على أن القول قول المطلوب فيما يقر به ، لأن البخس النقصان ، و قد وعظه الله أن ينقص فدل علي أنه إذا بخس ، أو ذكر الزيادة أو نقص الأجل أن القول قوله فيه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلا يَحِل لَهُن أَن يَكتُمنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرحَامِهِن﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، لما وعظهن الله في الكتمان ، دل على أن القول قولهن في الحمل ، : ﴿فَإِن كَانَ الذِي عَلَيهِ الحَق سَفِيهًا أَو ضَعِيفًا أَو لا يَستَطِيعُ أَن يُمِل هُوَ فَليُملِل وَلِيهُ بِالعَدلِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : فإن كان ضعيف العقل أو عيا لا يستطيع الإملاء ، أملى وليه ، يعني : ولي الصغير والضعيف العقل .

والمراد بالإملاء الإشهاد على نفسه بما حصل على الصغير ، والضعيف العقل لولايته عليهما ؛ لأن الشهادة لا تقع إلا على العاقل ، والشاهد على أنه أراد بالإملاء الإشهاد إجماع الأمة لو أملى غيره الكتاب جاز .

العاشر : بمعنى الحظ ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِم حَق مَعلُومٌ﴾ [سورة المعارج آية : ٢٤] ، أي : حظ ، وإنما جعله حقا ؛ لأنهم أوجبوه على أنفسهم ، فصار كالدين .

وأما قوله : ﴿مَا نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إِلا بِالحَق﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، فمعناه أنه لا ننزل الملائكة إلا بوحي أو بأجل ، وكلاهما حق ، : ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، أي : لو نزل الملائكة لم يمهلوا وانقطع التوبة ، فلم يقبلوا ، والفرق بين الإنظار والإمهال أن الإنظار مقرون بمقدار ما يقع فيه النظر ، والإمهال مبهم .

الحساب

أصل الحساب في العربية الكفاية ، يقال : أحسبني الشيء ، أي : كفاني ، وحسبي الله ، أي : كافي الله ، وفي القرآن : ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾(١) [سورة النبأ آية : ٣٦] ، أي : كافيا ، : ﴿حَسْبَكَ اللهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٢] ، أي : هو العالم لفعلك ، ومجازاتك عليه .

وقيل : الحسيب المقتدر ، وقيل : الحسيب الكافي ، ومعناه كافي إياك الله ، وقيل : الحسيب المحاسب كما يقال للمحافظ الحفيظ ، وللمشارب الشريب ، وفي القرآن : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٤] ، أي : كافيك الله ، وسمي الحساب حسابا لأنك تكتفي به من وكيلك ومعاملك ، ولا تطلب شيئا بعده .

وهو في القرآن على عدة أوجه :

الأول : الجزاء ، قال الله : ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ١١٣] ، أي : جزاؤهم ، وقال : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [سورة الغاشية آية :

---

(١) قال الرازي : قوله : ﴿حِسَاباً﴾ فيه وجوه الأول : أن يكون بمعنى كافياً مأخوذ من قولهم : أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني ، ومنه قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، أي كفاني من سؤالي ، ومنه قوله :

فلما حللت به ضمني . . . فأولى جميلاً وأعطى حسابا

أي أعطى ما كفى والوجه الثاني : أن قوله : حساباً مأخوذ من حسبت الشيء إذا أعددته وقدرته فقوله : ﴿عَطَآءً حِسَاباً﴾ أي بقدر ما وجب له فيما وعده من الإضعاف ، لأنه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه ، وجه منها على عشرة أضعاف ، ووجه على سبعمائة ضعف ، ووجه على مالا نهاية له ، كما قال : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] ، الوجه الثالث : وهو قول ابن قتيبة : ﴿عَطَاء حِسَاباً﴾ أي كثيراً وأحسبت فلاناً أي أكثرت له ، قال الشاعر :

ونقفي وليد الحي إن كان جائعا . . . ونحسبه إن كان ليس بجائع

الوجه الرابع : أنه سبحانه يوصل الثواب الذي هو الجزاء إليهم ويوصل التفضل الذي يكون زائداً على الجزء إليهم ، ثم قال : ﴿حِسَاباً﴾ ثم يتميز الجزاء عن العطاء حال الحساب الوجه الخامس : أنه تعالى لما ذكر في وعيد أهل النار : ﴿جَزَآءً وفاقا﴾ ذكر في وعد أهل الجنة جزاء عطاء حساباً أي راعيت في ثواب أعمالكم الحساب ، لئلا يقع في ثواب أعمالكم بخس ونقصان وتقصير ، والله أعلم بمراده .

المسألة الرابعة : قرأ ابن قطيب : ﴿حِسَّاباً﴾ بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ، هكذا ذكره صاحب «الكشاف» . [مفاتيح الغيب : ١٦/٣٠٧]

٢٦] ، جاء في التفسير أنه أراد بهاتين الآيتين الجزاء ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٧] ، أي : جزاؤه .

والأجود أن يفسر على الوجه المعروف ، فيقال : أراد أن عليك أن تبلغهم ، وعلينا أن نحاسبهم ، وفي هذا تهديد شديد ، وهو أيضا يرجع إلى معنى الجزاء ، لأنه إذا حاسبهم جازاهم .

الثاني : الحساب المعروف ، قال : ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] ، وأراد بالحساب هاهنا عدد الأيام والأعوام ، ومدد الأعمار والآجال والديون ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ولم يعن حساب الأموال وما بسبيلها ، وقال : ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٢] ، ومعنى ذلك أنه إذا أراد حسابهم لم يتعذر عليه ، وفي هذا دليل على أنه ليس بجسم ؛ لأن الجسم يتعذر عليه حساب الجماعات الكثيرة في حال واحدة .

وقيل الحساب أن تأخذ ما لك ، وتعطي ما عليك ، والله تعالى قد أحصى الأعمال ؛ فهو يجازي عليها من غير تعذر ولا إطالة .

الثالث : بمعنى الكافي ، قال الله : ﴿ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [سورة النبأ آية : ٣٦] ، أي : كافيا على ما ذكرنا .

ووجه رابع : وهو قوله : ﴿ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٤٠] ، قال المبرد : المراد أنه يتجاوز بهم جد ما فعلوا ، وعندنا أن هذا موضوعه للكثرة ، يقال : أعطاه بغير حساب ، أي : أعطاه كثيرا ، وذلك أن الحساب للإحاطة والحصر ؛ وكأنه قد أعطاه عطاء لا يحصر كثرة ، ومثله قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٧] ، ويجوز أن يكون تفضل عليه ، بغير استحقاق ، والتفضل غير محسوب .

الحياة(١)

أصلها من الطراة والجلدة ، ومن ثم قيل : والشمس بيضاء حية ، أي : باقية على حالها غير حائلة اللون ، وسمي الحياء حياء ؛ لأن اللون يحمر معه ، والحمرة لون الحياة ؛ وسمي الحي من القرب ؛ لأن بعضهم يجيء مع بعض ، وسميت الحية حية ؛ لأنها لا تموت حتى تقتل وإلا فهي حية أبدا تكبر إلى أن تنتهي ثم تبتدئ فتصغر حتى تنتهي ثم تكبر وكذلك أبدا إلى أن يصاب هكذا قالوا ، وأنشدوا :

دَاهِيَةٌ قَد صَغُرَت مِنَ الكِبَرِ

والحياة في القرآن على ستة أوجه :

الأول : تميز الصورة ونفخ الروح قال : ﴿وَكُنتُم أَموَاتًا فَأَحيَاكُم﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨] ، أي : كنتم نطفا فميز صورتكم ، ونفخ فيكم الروح كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون أراد أنكم كنتم نطفا أمواتا فجعلكم أحياء .

وليس في الكلام دلالة على أنه أراد تمييز الصورة ، وسمي النطف أمواتا ؛ لأن كل ما ينفصل من الإنسان سمي ميتا مثل النطفة والدم وما بسبيلها ونحوه ، : ﴿هُوَ الذِي أَحيَاكُم ثُم يُمِيتُكُم﴾ [سورة الحج آية : ٦٦] ، وقوله : ﴿يُخرِجُ الحَي مِنَ المَيتِ﴾ [سورة الروم آية : ١٩] ، قالوا : معناه يخرج الحيوان من النطفة والطائر من البيضة ، وقيل : يخرج المؤمن من

(١)(ح ي ي) : (حَيِيَ) حَيَاةً فَهُوَ حَيٌّ (وَبِهِ سُمِّيَ) جَدُّ جَدِّ الْحَسَنِ بن صَالِحِ بن مُسْلِمِ بن حَيٍّ (وَبِتَصْغِيرِهِ) سُمِّيَ حُيَيُّ بن عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَافِرِيُّ (وَبِتَأْنِيثِهِ) عَلَى قَلْبِ الْيَاءِ وَاوًا حَيْوَةُ بن شُرَيْحٍ (وَاسْتَحْيَاهُ) تَرَكَهُ حَيًّا وَمِنْهُ) ﴿وَاسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ﴾ وَحَيَاةُ الشَّمْسِ بَقَاءُ ضَوْئِهَا وَبَيَاضِهَا وَقِيلَ بَقَاءُ حَرِّهَا وَقُوَّتِهَا وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعُرْفُ وَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ حِمَارَ وَحْشٍ فَلَمَّا اسْتَبَانَ اللَّيْلُ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ حَيَاةَ الَّتِي تَقْضِي حُشَاشَةَ نَازِعِ أَلَا تَرَى كَيْفَ شَبَّهَ حَالَةَ الشَّمْسِ بَعْدَمَا دَنَتْ لِلْمَغِيبِ بِحَالِ نَفْسٍ شَارَفَتْ أَنْ تَمُوتَ فَهِيَ كَأَنَّهَا تَقْضِي دَيْنَ الْحَيَاةِ وَتُؤَدِّي مَا عِنْدَهَا مِنْ وَدِيعَةِ الرَّمَقِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مُشَافَهَةَ طَلَائِعِ اللَّيْلِ وَمُشَاهَدَةَ أَوَائِلِهِ فَأَيْنَ هَذِهِ الْحَالَةُ مِنْ بَقَاءِ قُوَّتِهَا وَحَرَارَتِهَا . [المغرب : الحاء مع الياء] .
وقال الجرجاني : الحياة : هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر .
والحياة الدنيا : هي ما يشغل العبد عن الآخرة .[التعريفات :١/ ٣١]

الكافر ، ويجوز أن يكون أراد أنكم كنتم ترابا فجعلكم أحياء ، والجماد قد تسمى ميتا على جهة التوسع ؛ لأنه عدم الحس والحركة . .

الثاني : محي الحي بمعنى العاقل العارف ، قال الله : ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًا﴾ [سورة يس آية : ٧٠] ، ونحوه قول الشاعر :

لَقَد أَسمَعت لَو نَادَيت حَيًّـــا وَلَكِن لا حَيَاة لِمَن تُنَـــادِي

أي : لو تنادي عاقلا ، والمراد أنه لا يستعمل عقله ، ولو لم يكن له عقل أصلا لم يكن مكلفا .

الثالث : الحي بمعنى المهتدي ، قال الله : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيتًا فَأَحيَينَاهُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٢] ، أي : كافرا فهديناه ونحوه قوله تعالى : ﴿وَمَا يَستَوِي الأَحيَاءُ وَلا الأَموَاتُ﴾ [سورة فاطر آية : ٢٢] ، معناه لا يستوي المؤمن ولا الكافر ، فأخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه الحاسة ، كما قال : ﴿أَعمَالُهُم كَرَمَادٍ اشتَدَّت بِهِ الرِيحُ فِي يَومٍ عَاصِفٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٨] ، وما كان يجري هذا المجرى ، وهو أعظم في البيان ؛ لأن العيان فضلا على ما سواه .

الرابع : الحياة بمعنى البقاء ، قال : ﴿وَلَكُم فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلبَابِ﴾(١) [سورة البقرة آية : ١٧٩] ، يعني : أن من يعرف أنه إذا قتل اقتص منه كف عن القتل فبقى .

---

(١) قال الرازي : اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة بالغة إلى أعلى الدرجات ، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثير ، كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع ، وقول آخرين : أكثروا القتل ليقل القتل ، وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم : القتل أنفى للقتل ، ثم إن لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التفاوت من وجوه : أحدها : أن قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي القصاص حياة﴾ أخصر من الكل ، لأن قوله : ﴿وَلَكُمْ﴾ لا يدخل في هذا الباب ، إذ لا بد في الجميع من تقدير ذلك ، لأن قول القائل : قتل البعض إحياء للجميع لا بد فيه من تقدير مثله ، وكذلك في قولهم : القتل أنفى للقتل فإذا تأملت علمت أن قوله : ﴿فِي القصاص حياة﴾ أشد اختصاراً من قولهم : القتل أنفى للقتل وثانيها : أن قولهم : القتل أنفى للقتل ظاهرة يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه وهو محال ، وقوله : ﴿فِي القصاص حياة﴾ ليس كذلك ، لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ، ثم ما جعله سبباً لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرة ، بل جعله سبباً لنوع من أنواع الحياة وثالثها : أن قولهم القتل أنفى للقتل ، فيه تكرار

والمراد أنه يبقى حيا فحقيقة المعنى أن لكم في القصاص بقاء حياة ونحوه ، : ﴿وَيَسْتَحيُونَ نِسَاءَكُم﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤١] ، أي : يستبقونهن فتضاعف المحنة عليكم ببقاء النساء مع فناء الرجال ، واستحياه واستبقاه بمعنى واحد فاستبقاه طلب بقاءه ، واستحياه طلب حياته ، ولا يستبقيه إلا وهو يستحييه ، ولكن لفظ الاستبقاء أكثر في الاستعمال فلأجل هذا فسروا الاستحياء بالاستبقاء ، أخرجوا الأغمض إلى الأشهر .

الخامس : مثل قال الله : ﴿وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة آية : ٣٢] ، أي : من استنقذها من الضلال أو أغاثها من المكروه فكأنه أحيا الناس جميعا ، أي : أجره أجر من أحيا الناس جميعا وأجر من يحيي الناس جميعا يتضاعف على قدر ذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه قد أسدى إلى كل واحد منهم يدا بإحيائه أخاه المؤمن ؛ فكأنه أحياهم كما تقول للرجل يسدي إليك يدا قد أحييتني ، وإن كان لا يقدر على ذلك .

السادس : الحياة بعد الموت ، قال : ﴿وَأُحيِي المَوتَى بِإِذنِ اللهِ﴾ [سورة آل عمران آية ٤٩] ، وقال : ﴿أَلَيسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحيِيَ المَوتَى﴾ [سورة القيامة آية : ٤٠] .

للفظ القتل وليس قوله : ﴿فِي القصاص حياة﴾ كذلك ورابعها : أن قول القائل : القتل أنفى للقتل . لا يفيد إلا الردع عن القتل ، وقوله : ﴿فِي القصاص حياة﴾ يفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد وخامسها : أن نفي القتل مطلوب تبعاً من حيث إنه يتضمن حصول الحياة ، وأما الآية فإنها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي ، فكان هذا أولى وسادسها : أن القتل ظلماً قتل ، مع أنه لا يكون نافياً للقتل بل هو سبب لزيادة القتل ، إنما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصاص ، فظاهر قولهم باطل ، أما الآية فهي صحيحة ظاهراً وتقديراً ، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب .[مفاتيح الغيب :٣/ ٦٩]

حين[1]

الحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل ، ويكون محدود أو غير محدود ، وأصله من القرب ، ومنه حان الشيء إذا قرب ، والحائن الذي قرب أجله ، والاسم الحين .

والحين في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السنة ، قال : ﴿ تُؤتِي أُكُلَهَا كُل حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، أي : كل سنة ، هذا قول بعض الفقهاء ، وإليه ذهب مقاتل .

وذهب الكوفيون إلى أن الحين هنا ستة أشهر ، وهو من أوان الطلع إلى وقت الضرام ، قالوا : فمن حلف لا يكلم فلانا حينا ، فهو ستة أشهر ، لأنه قد علم أنه لم يرد أقصر الأوقات ومعلوم أنه لم يرد أربعين سنة ؛ لأن من أراد ذلك حلف على التأبيد دون التوقيت ثم كان قوله تعالى : ﴿ تُؤتِي أُكُلَهَا كُل حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، لما اختلف السلف فيه كان أقصر الأوقات فيه ستة أشهر أولها أوان الطلع وآخرها وقت الضرام ، وهو أولى من اعتبار السنة ؛ لأن وقت الثمرة لا يمتد سنة ، بل ينقطع حتى لا يكون منه شيء ، وأما الشهران فلا معنى لاعتبارهما إذ قد علم أن الزمان بين ضرام النخل ، وبين ظهور الطلع أكثر من شهرين فلما بطل اعتبار السنة واعتبار الشهرين ثبت اعتبار السنة إلا شهر .

الثاني : منتهى الآجال ، قال الله : ﴿ وَلَكُم فِي الأَرضِ مُستَقَر وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ وَمَتعنَاهُم إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٨] .

---

(١) [حين] : الحَيْنُ : الهَلاكُ ، حانَ يَحِينُ ، وحَيَّنَه اللهُ فتَحَيَّنَ . والحائنَةُ : النّازِلَةُ ذاتُ الحَيْنِ ، والجَميعُ : الحَوَائنُ . والحِينُ : وَقْتٌ من الزَّمانِ ، حانَ يَحِينُ حَيْنُونَةً ، ويُجْمَعُ على الأحْيَان ؛ ثُمَّ على الأحايِيْنِ ، وحَيَّنْتَه : جَعَلْتَ له حِيناً . والحِيْنُ : يَوْمُ القِيامَةِ . والتَّحْيِيْنُ : أنْ تَعْمَلَ عَمَلاً في حِيْنٍ واحِدٍ .
وحُيِّنَ الضَّيْفَانُ وأُحِيْنُوا : أُطْعِمُوا في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ مَرَّةً . وحِيْنَئِذٍ : تَبْعِيْدُ قَوْلِكَ الآنَ . والتَّحْيِيْنُ : أنْ تُحْلَبَ النّاقَةُ في اليَوْمِ مَرَّةً . ومَتى حِيْنَةُ نَاقَتِكَ : أي وَقْتُها الذي تُحْلَبُ فيه ، وكذلك حِلابُها بالرِّطْلِ . والحَيْنَةُ - بالفتحِ - الوَجْبَةُ . وبَلَغَ مِحْيَانُ ذاك : أي جاءَ حِيْنُه . والحائنُ : الأحْمَقُ ، وامْرَأَةٌ حائنَةٌ .[المحيط في اللغة :حين]

الثالث : قال الله : ﴿ فَسُبحَانَ الله حِينَ تُمسُونَ وَحِينَ تُصبِحُونَ ﴾ ، [سورة الروم آية : ١٧] ، ثم قال : ﴿ وَحِينَ تُظهِرُونَ ﴾ [سورة الروم آية : ١٨] ، يعني : ساعة غروب الشمس ، وساعة طلوعها ، وساعة الظهر ، وأراد بالتسبيح هاهنا ، وجوب الصلاة في هذه الأوقات .

الرابع : زمان غير مؤقت ، قال الله : ﴿ وَلَتَعلَمُن نَبَأَهُ بَعدَ حِينِ ﴾ [سورة ص آية : ٨٨] ، وكان المراد به ما كان ببدر من الدبرة على الكفار ، فلم يؤقت في وقت الإنزال ، وقوله : ﴿ هَل أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدهرِ لَم يَكُن شَيئًا مَذكُورًا ﴾ [سورة الإنسان آية : ١] .

الحرج[1]

أصل الحرج من الضيق ، ومكان حرج ضيق ، والحرجة الشجر الملتف .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشك ، قال الله تعالى : ﴿ثُم لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجًا مِما قَضَيتَ﴾ [سورة النساء آية : ٦٥] أي : شكا ، وذلك أن الرجل يضيق بالشك صدرا ، والثلج هو مع العلم واليقين ، ومثله : ﴿فَلا يَكُن فِي صَدرِكَ حَرَجٌ مِنهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ١] المخاطبة له والمعنى لأمته كما قال في موضع آخر ، : ﴿وَلا تَجعَل مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

وقوله : ﴿لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَن عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٥] ، وليس كل ما خاطب به النبيين والمؤمنين أرادهم به ، ألا ترى إلى قوله : ﴿يَأَيهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُمُ القِصَاصُ فِي القَتلَى﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، والقصاص في العمد فكأنه أثبت لهم الإيمان مع قتل العمد ، وقتل العمد يبطل الإيمان ، وإنما أراد أن يعلمهم الحكم فيمن يستوجب ذلك ، ونحوه قوله : ﴿يَأَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرسُولَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿يَأَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَأكُلُوا الربَا﴾ [سورة آل عمران آية : ١٣٠] .

الثاني : الضيق ، قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيكُم فِي الدينِ مِن حَرَجٍ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : من ضيق ، وقيل : من ضيق لا مخرج منه ، وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة ، فالتوبة مخرج .

---

(١) (ح ر ج) : حَرِجَ صَدْرُهُ حَرَجًا مِنْ بَابِ تَعِبَ ضَاقَ وَحَرِجَ الرَّجُلُ أَثِمَ وَصَدْرٌ حَرِجٌ ضَيِّقٌ وَرَجُلٌ حَرِجٌ آثِمٌ وَتَحَرَّجَ الْإِنْسَانُ تَحَرُّجًا هَذَا مِمَّا وَرَدَ لَفْظُهُ مُخَالِفًا لِمَعْنَاهُ وَالْمُرَادُ فَعَلَ فِعْلًا جَانَبَ بِهِ الْحَرَجَ كَمَا يُقَالُ تَحَنَّثَ إذَا فَعَلَ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْ الْحِنْثِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِلْعَرَبِ أَفْعَالٌ تُخَالِفُ مَعَانِيهَا أَلْفَاظَهَا قَالُوا تَحَرَّجَ وَتَحَنَّثَ وَتَأَثَّمَ وَتَهَجَّدَ إذَا تَرَكَ الْهُجُودَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا وَرَدَ بِلَفْظِ الدُّعَاءِ وَلَا يُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ بَلْ الْحَثُّ وَالتَّحْرِيضُ كَقَوْلِهِ تَرِبَتْ يَدَاك وَعَقْرَى حَلْقَى وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .[المصباح المنير :الحاء مع الراء]

وليس في الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من عقوبته ، ويحتج به فيما اختلف فيه من الحوادث ، فقيل : أن ما أدى إلى الضيق وهو منفي ، وما أوجب التوسعة فهو أولى ، وقال : ﴿وَمَن يُرِد أَن يُضِلَّهُ يَجعَل صَدرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] ، والمعنى أنه تعالى يمنعهم الطاعة التي ينشرح مع أمثالها قلوب المؤمنين جزاء بما قدموا من الذنوب ، ودليل ذلك قوله في آخر الآية : ﴿كَذَلِكَ يَجعَلُ اللهُ الرجسَ عَلَى الذِينَ لا يُؤمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] ، فيحلهم الذنب كما تسمع .

الثالث : الإثم ، قال الله : ﴿وَلا عَلَى الذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ بإِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة آية : ٩١] ، أي : إثم ، وقوله : ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، وإذا لم يكن عليه مع العمى إثم ، فكيف يكون مع عدم القدرة عليه الإثم والعقاب .

وقال الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وعميانهم في بيوتهم ، ودفعوا إليهم المفاتيح ، وقالوا لهم : أحللنا لكم أن تأكلوا منها ؛ فكانوا يتحرجون من ذلك فنزل قوله : ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنفُسِكُم أَن تَأكُلُوا مِن بُيُوتِكُم﴾ [سورة النور آية : ٦١] .

وذهب أبو علي رحمه الله إلى أن معنى قوله : ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أنه ليس عليه ضيق في ترك القتال ، والصحيح الذي قلنا ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَلا عَلَى أَنفُسِكُم أَن تَأكُلُوا مِن بُيُوتِكُم﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، فتلى ذكر الأكل بذكر الأكل ، وليس بالوجه أن يتلو ذكر الحرب بذكر الأكل .

حتى

حتى بمعنى الغاية تقارب إلى ، وهي من عوامل الأسماء خاصة ؛ فإذا وقع بعده الفعل أضمرت بينهما أن ، فتكون أن مع الفعل اسما ، كقولك : أسير حتى تمنعني ، ويرتفع بعدها الفعل أيضا ؛ وإن ارتفع فهو خبر لمحذوف ، وذلك قولك : مرض حتى تمر به الطائر فترحمه ، كأنه قال : حتى أنه هذه حالة ، ويكون أيضا بمعنى كم فينصب ، كقولك : أطع الله حتى يدخلك الجنة ، ويرتفع الفعل بعده ، فيقول : سرت حتى أدخلها ؛ أي : كان مني سير فدخول ، أي : أنا في حالة دخول اتصل به سير ونحوه ، فإن المبدئ رحلة فركوب .

ولها في الرفع موضع آخر ، وهو قولك مرض حتى لا يرجونه ، أي : هو الآن كذلك ، ويقع الاسم بعدها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ، تقول : ضربت القوم حتى زيد وقدم القوم حتى المشاة ، وأكلت السمكة حتى رأسها ، وينشد :

أَلقَى الصَّحِيفَةَ كَي يُخَفِّفَ رَحلَــــهُ وَالـزَّادَ حَتَّـى نَعلَـهُ أَلقَاهَــــا

نصبوا نعله وخفضوها ورفعوها فمن نصب جعلها بمنزلة الواو على قولك : ضربت زيدا وعمرا كلمته .

ومن رفع فعلى قولك : ضربت زيدا وعمرو كلمته ، ومن خفضها فعلى قولك : غاية بمنزلة ، أي : إلى أن أنتهي إلى نعله .

وكذلك القول في أكلت السمكة حتى رأسها ، ورأسها ، ورأسها ، والكلام فيه يطول .

وحتى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى إلى ، قال تعالى : ﴿ تَمَتَّعُوا حَتَى حِينٍ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٤٣] ، أي : إلى حين ، وقال : ﴿ فَذَرهُم فِي غَمرَتِهِم حَتَى حِينٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٤] أي : إلى حين ، وقال : ﴿ حَتَى مَطلَعِ الفَجرِ ﴾ [سورة القدر آية : ٥] .

الثاني : بمعنى فلما ، وذلك إذا وقعت مع إذا ، قال تعالى : ﴿ حَتَى إِذَا استَيأَسَ الرسُلُ ﴾ [سورة يوسف آية : ١١٠] ، وقال : ﴿ حَتَى إِذَا فُتِحَت يَأجُوجُ وَمَأجُوجُ ﴾ [سورة

الانبياء آية : ٩٦] ، وقال : ﴿حَتى إِذَا أَخَذنَا مُترَفِيهِم بِالعَذَابِ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٦٤] ، وقال : ﴿حَتى إِذَا جَاءَ أَمرُنَا﴾ [سورة هود آية : ٤٠] .

الثالث : بمعنى إلى أن ، قال تعالى : ﴿حَتى يُعطُوا الجِزيَةَ عَن يَدٍ﴾ [سورة التوبة آية : ٢٩] ، كذا جاء عن أهل التفسير فينبغي أن يحمل هذه الوجوه على الأصول التي ذكرناها في أول الباب ؛ فيصح .

الحرام[1]

أصله المنع ، ومنه حرمته عطاءه حرمانا أي : منعته إياه وحريم الرجل ما يجب عليه منعه وكذلك حرمته ، وهو ذو رحم محرم ؛ لأنه منع عن نكاحها بالنهي والشهر الحرام الممنوع فيه عن سفك الدماء ، والبلد الحرام قريبت من ذلك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : المنع بالنهي ، وهو قوله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهي ما قد مات من غير تذكية مما شرط علينا التذكية وإباحته ، والدم يعني : المسفوح لأن الكبد والطحال مباحان بالإجماع ، ولحم الخنزير ، وذكر اللحم وأراد جميع أجزائه من شحم وعظم ، وغير ذلك ، لأن اللحم معظمه ، وإذا ذكره فقد دخل فيه غيره ، : ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهذا يوجب أن ترك التسمية عليه يقتضي تحريمه ؛ لأنه لا فرق بين التسمية عليه وبين تسمية زيد عليه .

الثاني : عدم الإمكان وهو قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [سورة المائدة آية :٢٦] ، ودليل هذا قوله : ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[سورة المائدة آية :٢٦] ، ونظيره قول الشاعر :

إِنِّي امرؤٌ صَرعِي عَلَيكَ حَرَام

يخاطب فرسه أي : لا يمكنك صرعي إني جيد الفروسية .

(١) (ح ر م) : حَرُمَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ حُرْمًا وَحُرُمًا مِثْلُ : عُسْرٍ وَعُسُرٍ امْتَنَعَ فِعْلُهُ وَزَادَ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ حُرْمَةً بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا وَحَرُمَتْ الصَّلَاةُ مِنْ بَابَيْ قَرُبَ وَتَعِبَ حَرَامًا وَحُرْمًا امْتَنَعَ فِعْلُهَا أَيْضًا وَحَرَّمْت الشَّيْءَ تَحْرِيمًا وَبِاسْمِ الْمَفْعُولِ سُمِّيَ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ مِنْ السَّنَةِ وَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ الْأَلِفَ وَاللَّامَ لَمْحًا لِلصِّفَةِ فِي الْأَصْلِ وَجَعَلُوهُ عَلَمًا بِهِمَا مِثْلُ : النَّجْمِ وَالدَّبَرَانِ وَنَحْوِهِمَا وَلَا يَجُوزُ دُخُولُهُمَا عَلَى غَيْرِهِ مِنْ الشُّهُورِ عِنْدَ قَوْمٍ وَعِنْدَ قَوْمٍ يَجُوزُ عَلَى صَفَرٍ وَشَوَّالٍ وَجَمْعُ الْمُحَرَّمِ مُحَرَّمَاتٌ وَسُمِعَ أَحْرَمْتُهُ بِمَعْنَى حَرَّمْتُهُ وَالْمَمْنُوعُ يُسَمَّى حَرَامًا تَسْمِيَةً بِالْمَصْدَرِ وَبِهِ سُمِّيَ وَمِنْهُ أُمُّ حَرَامٍ وَقَدْ يُقْصَرُ فَيُقَالُ حَرَمٌ مِثْلُ : زَمَانٍ وَزَمَنٍ وَالْحِرْمُ وِزَانُ حِلٍّ لُغَةٌ فِي الْحَرَامِ أَيْضًا .[المصباح المنير :الحاء مع الراء]

الباب السابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر وفي أوله خاء

الخزي(١)

العيب التي تظهر فضيحته ويلزم الاستحياء منه ، ومن ثم سمي الحياء خزاية ، يقال : خزى يخزي خزيا من العيب ، وخزى يخزي خزاية من الاستحياء ثم كثر حتى استعمل في الهوان ، فيقال : خزى الرجل ، إذا هان وذل .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى القتل والجلاء ، قال الله : ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلا خِزيٌ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٥] ، وإنما سمي خزيا لما فيهما من الهوان يعني : قتل قريظة ، وجلاء النضير ، وقال تعالى : ﴿لَهُم فِي الدنيَا خِزيٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١١٤ ، المائدة ٤١] ، وفي الحج : ﴿لَهُ فِي الدنيَا خِزيٌ﴾ [سورة الحج آية : ٩] ، يعني : القتل يوم بدر هكذا جاء في التفسير ، ويجوز أن يكون الخزي في هذه الآيات الهوان والذل يلحق العاصين في الدنيا .

الثاني : العذاب ، قال الله : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمرُنَا نَجينَا صَالِحًا وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ مِنا وَمِن خِزيِ يَومِئِذٍ﴾ [سورة هود آية : ٦٦] ، يعني : العذاب لا غير ، وجاء في تفسير قوله : ﴿وَلا تُخزِنِي يَومَ يُبعَثُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٨٧] ، وقوله : ﴿وَلا تُخزِنَا يَومَ القِيَامَةِ﴾

---

(١) [خزى] : الخِزيُ : السُّوء ، خَزِيَ يَخزى خِزياً . وأقامَه على خَزيَةٍ ومَخزَاة .
والخَزَايَةُ : شِدَّة الاستِحياء . ورَجُلٌ خَزيان ، وامرَأةٌ خَزيا ، والجميع الخَزَايا . وخازاني فَخَزَيتُه وكَرِهتُ أن أُخزِيَه : أي غالَبتُه فَغَلَبته .وأصابَتنا خَزيَةٌ : أي خَصلَةٌ يُستَحيا منها .[المحيط في اللغة :خزى] .
الفرق بين الخزي والذل : أن الخزي ذل مع إفتضاح وقيل هو الانقماع لقبح الفعل ، والخزاية الاستحياء ، لانه إنقماع عن الشئ لما فيه من العيب قال إبن درستويه : الخزي الاقامة على السوء خزي يخزي خزيا وإذا إستحيا من سوء فعله أو فعل به قيل خزي يخزي خزاية لانهما في معنى واحد وليس ذلك بشئ لان الاقامة على السوء والاستحياء من السوء ليسا بمعنى واحد .[الفروق اللغوية :١/ ٢١٥]

[سورة آل عمران آية : ١٩٤] ، وقوله : ﴿يَومَ لا يُخزِي اللهُ النبِي﴾ [سورة التحريم آية : ٨] ، أنه أراد العذاب ، ويجوز أن يكون بمعنى الهوان أيضا .

الثالث : الهوان ، قال تعالى : ﴿رَبنَا إِنكَ مَن تُدخِلِ النارَ فَقَد أَخزَيتَهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩٢] ، أي : أهنته ، وقوله : ﴿وَلِيُخزِيَ الفَاسِقِينَ﴾ [سورة الحشر آية : ٥] ، أي : يهينهم ، وذلك أن اليهود أنكروا قطع المسلمين نخيلهم ، فأخبر الله أن القطع والترك بإذن الله ليميزوا غيرهم يتصرفون في أفعالهم فبدلوا .

الرابع : الفضيحة ، قال الله : ﴿فَاتقُوا اللهَ وَلا تُخزُونِ﴾ [سورة هود آية : ٧٨] ، أي : لا تفضحوني .

الخوف[1]

الخوف خلاف الأمن ، والأمن سكون النفس والخوف انزعاجها وقلقها ، وهو معنى غير العلم ؛ لأن العلم يبقى بعد ذهاب الخوف . وأصله من النقصان ، ومنه قيل : خوفت الشيء إذ أنقصته ، ودينار مخوف ناقص الوزن ، وقد يجيء الخوف بمعنى العلم ، قال الله تعالى : ﴿إلا أن يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله﴾ [سورة البقرة آية : ۲۲۹] ، وكذلك الخشية بمعنى العلم ، قال الله : ﴿فَخَشِينَا أَن يُرهِقَهُمَا طُغيَانًا وَكُفرًا﴾ [سورة الكهف آية : ۸۰] ، وقالوا : الخوف كالظن يكون شكا ويقينا ، وأنشد :

أَخَافُ إِذَا مَا مت أَلَّا أَذُوقُهَا

أي أعلم ، وموضعه في الظن قولك لصاحبك قد أبق غلامك ، فيقول : قد خفت ذاك ، ويجوز أن يكون هذا من الخوف خلاف الأمن .

والخوف في القرآن على خمسة أوجه فيما زعم بعض المفسرين :

الأول : القتل ، وهو قوله : ﴿وَلَنَبلُوَنكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٥] ، يعني : القتل ، وليس بالوجه لأن قوله : ﴿وَنَقصٍ مِنَ الأَموَالِ وَالأَنفُسِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٥] ، قد تضمن القتل ، ولكن معناه الخوف على الأنفس لكثرة الأعداء ، وذلك كان حال أهل المدينة بعد الهجرة ، وهم مخاطبون بهذه الآية .

الثاني : الحرب ، قال الله : ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوفُ﴾[سورة الأحزاب آية : ١٩] ، يعني : الحرب ، وسماها خوفا لما فيها من الخوف كما تسمى الحرب روعا لما فيها من الروع ، والروع والخوف سواء .

---

(١) (خ و ف) : خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وَخِيفَةً وَمَخَافَةً وَخِفْتُ الْأَمْرَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَهُوَ مَخُوفٌ وَأَخَافَنِي الْأَمْرُ فَهُوَ مُخِيفٌ بِضَمِّ الْمِيمِ اسْمُ فَاعِلٍ فَإِنَّهُ يُخِيفُ مِنْ يَرَاهُ وَأَخَافَ اللُّصُوصُ الطَّرِيقَ فَالطَّرِيقُ مُخَافٌ عَلَى مُفْعَلٍ بِضَمِّ الْمِيمِ وَطَرِيقٌ مَخُوفٌ بِالْفَتْحِ أَيْضًا لِأَنَّ النَّاسَ خَافُوا فِيهِ وَمَالَ الْحَائِطُ فَأَخَافَ النَّاسَ فَهُوَ مُخِيفٌ وَخَافُوهُ فَهُوَ مَخُوفٌ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ فَيُقَالُ أَخَفْتُهُ الْأَمْرَ فَخَافَهُ وَخَوَّفْتُهُ إِيَّاهُ فَتَخَوَّفَهُ .[المصباح المنير :الخاء مع الواو]

الثالث : العلم ، قال الله : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفًا أَو إِثمًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] ، أي : علم ، وقد تكلمنا في هذه الآية ومثله : ﴿ فَإِن خِفتُم أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩] ، أي : فإن علمتم ، وأول الآية : ﴿ وَلا يَحِلُ لَكُم أَن تَأخُذُوا مِمَا آتَيتُمُوهُن شَيئًا إِلا أَن يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩] ، يعني : أن المهر الذي استحل به الرجل فرجها ؛ لا يحل له أن يأخذه مهرها على الكره ، ولا على سبيل الإلجاء لها إلى دفعه إليه ليتخلص منه ؛ إلا أن يكون الرجل على حال لا تصبر المرأة عليها ، فتفتدي منه بمهرها وله أن يأخذ ذلك منها ، ويسرحها .

وقيل : لا يحل لكم إذا أردتم طلاقهن أن تضاروهن حتى تفتدين أنفسهن بترك مهورهن : ﴿ إِلا أَن يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٩]، فيما يجد لكل واحد منهما على الآخر ، وقيل : يعني : في النشوز ؛ لأنها إذا نشزت لم يكن على الرجل جناح في أخذ ما افتدت به نفسها منه ليطلقها ، وفي النساء : ﴿ فَإِن خِفتُم أَلا تَعدِلُوا ﴾ [سورة النساء آية : ٣] ، ومثله : ﴿ وَأَنذِر بِهِ الذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحشَرُوا إِلَى رَبِهِم ﴾ [سورة الأنعام آية : ٥١] .

الرابع : الخوف بعينه ، قال الله : ﴿ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحزَنُوا ﴾ [سورة فصلت آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿ وَادعُوهُ خَوفًا وَطَمَعًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٦] ، وقوله : ﴿ يَدعُونَ رَبَهُم خَوفًا وَطَمَعًا ﴾ [سورة السجدة آية : ١٦] .

الخامس : التخوف ، وليس هذا بابه ، وهو التنقص ، قال : ﴿ أَو يَأخُذَهُم عَلَى تَخَوفٍ ﴾ [سورة النحل آية : ٤٧] ، أي : تنقص أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم .

الخسران(١)

أصله النقصان ، ومنه قيل للتاجر : إذا وضع أنه خسر ثم كثر حتى ، قيل لكل من سعى في شيء فأداه إلى مكروه خاسر ، وقيل : الخسران الضلال .

وهو في القرآن على أربعة أوجه : **الأول** : بمعنى العجز ، قال الله : ﴿لَئِن أَكَلَهُ الذئبُ وَنَحنُ عُصبَةٌ إنا إذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [سورة يوسف آية : ١٤] أي : عجزه ، ومثله قوله : ﴿وَلَئِن أَطَعتُم بَشَرًا مِثلَكُم إنكُم إذًا لخَاسِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٣٤] ، وقال : ﴿لَئِنِ اتبَعتُم شُعَيبًا إنكُم إذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٠] .

الثاني : بمعنى الغبن ، قال : ﴿إن الخَاسِرِينَ الذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [سورة الزمر آية : ١٥] ، أي : غبنوا فصاروا إلى النار ، وأصل الخسران ذهاب رأس المال ، فلما كانت النفس بمنزلة رأس المال وما يستفيده بعد ذلك بمنزلة الربح ، قال للهالك الذي خسر نفسه ؛ لأنه بمنزلة من ذهب منه رأس المال .

الثالث : الضلال ، قال : ﴿فَقَد خَسِرَ خُسرَانًا مُبِينًا﴾ [سورة النساء آية : ١١٩] ، أي : ضل ضلالا بينا ، ويجوز أن يكون بمعنى الحرمان ، أي : حرم الثواب كما إذا حرم الربح ، فقد خسر ، وقال : ﴿إن الإنسَانَ لَفِي خُسرٍ إلا الذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة العصر آية : ١-٢] ، أي : في ضلال .

الرابع : النقصان ، قال : ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخسِرِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٨١] ، أي : الناقصين في الكيل والوزن ، وقال جرير :

إنَّ سليطًا في الخَسارِ إنَّه ... أولادُ قومٍ خُلِقُوا أَقِنَّه

أي : فيما ينقصهم حظهم من الشرف .

---

(١) (خ س ر) : خَسِرَ فِي تِجَارَتِهِ خَسَارَةً بِالْفَتْحِ وَخُسْرًا وَخُسْرَانًا وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَخْسَرْتُهُ فِيهَا وَخَسِرَ خُسْرًا وَخُسْرَانًا أَيْضًا هَلَكَ وَأَخْسَرْتُ الْمِيزَانَ إخْسَارًا نَقَصْتُ الْوَزْنَ وَخَسَرْتُهُ خَسْرًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ لُغَةٌ فِيهِ وَخَسَّرْتُ فُلَانًا بِالتَّثْقِيلِ أَبْعَدْتُهُ وَخَسَّرْتُهُ نَسَبْتُهُ إلَى الْخُسْرَانِ مِثْلُ : كَذَّبْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ إذَا نَسَبْتَهُ إلَى الْكَذِبِ وَمِثْلُهُ فَسَّقْتُهُ وَفَجَّرْتُهُ إذَا نَسَبْتَهُ إلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ .[المصباح المنير :الخاء مع السين]

الخلق[1]

أصله التقدير ، وكل مقدر مخلوق ، وفي كلام بعضهم لا أخلق إلا فريت ولا أعد إلا وفيت ، وأختلق الكلام إذا زوره وقدره ، ورجل مختلق ، حسن القامة ، قد قدر تقديرا جميلا وشيء أخلق أملس لأنه أحسن تقديرا من الأخشن .

والخليقة خليقة الإنسان ، وهو خليق لهذا أي : شبيه ، وامرأة خليقة ذات جسم وخلق ، وقد خلقت خلاقة ، وليس له خلاق ، أي : نصيب ، وثوب خلق وأخلاق وخليقا الجبهة مستواها ، ولا نعرف الخلق في أفعال الإنسان إلا في الأديم ، ولا يجوز إطلاق اسم الخالق في غير تقييد إلا لله تعالى .

والخلق في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الدين ، قال : ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٣٠] ، أي : لدينه ، والشاهد ذلك قوله : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة الروم آية : ٣٠] ، واللفظ خبر ، والمعنى أمر ، أي : لا تبدلوا دين الله ، وقال : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٩] ، معناه أنهم يغيرون دين الله .

لأن الله خلق الخلق على الفطرة ، فمن كفر فقد غير ما خلق له ، وهو مثل قوله : ﴿ لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٣٠] ، أي : لدينه ، ويجوز أن يقال : أن الدين سمي خلقا ؛ لأن الله قدره وبينه ، ويجوز أن يقال أنه دخل في قوله : ﴿ لَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٩] ، جميع ما حرموه مما أحل الله أو أحلوه مما حرم الله ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [سورة الروم آية : ٢١] ، ثم

---

(١) [خلق] : الخليقةُ : الخُلُق ، والخَليقةُ : الطبيعة . والجميع : الخلائقُ ، والخلائقُ : نقر في الصفا . والخليقة : الخَلْقُ والخالق : الصانع ، وخَلَقْتُ الأديم : قدرته .
وإن هذا لَمَخْلَقَةٌ للخير ، أي : جدير به ، وقد خَلُقَ لهذا الأمر فهو خليق له ، أي : جدير به .
وإنه لَخَليقٌ لذاك ، أي : شبيه ، وما أخْلَقَهُ ، أي : ما أشبهه .
وامرأة خَليقةٌ : ذات جسمٍ وخَلْقٍ ، وقد يقال : رجل خليق ، أي : تم خَلْقُهُ ، وخَلُقَتِ المرأة خَلاقَةً . أي : تم خَلْقُها وحسن .[العين :خلق]

قال للذين يأتون الرجال : ﴿أَتَأْتُونَ الذكرَانَ مِنَ العَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُم رَبكُم مِن أَزوَاجِكُم﴾ [سورة الشعراء آية : ١٦٥-١٦٦] ، وقيل : لا تغيروا الدين عن صحته .

والمراد أنه خلق الأنعام ليركبوها ، ويأكلوها ، فحرموا على أنفسهم ذلك ، أي : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ، وخلق الشمس والقمر والأرض والحجارة مسخرة للناس فعبدوها ، وقيل : تغيير خلق الله . . . .

الثاني : التخرص ، قال الله : ﴿إِن هَذَا إِلا خُلُقُ الأَولِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٣٧] ، وقال : ﴿وَتَخلُقُونَ إِفكًا﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٧] ، وقال : ﴿إِن هَذَا إِلا اختِلاقٌ﴾ [سورة ص آية : ٧] ، فسمي الكذب اختلاقا ؛ لأنه يقدر ويزين ليتشبه بالصدق .

الثالث : التصوير ، قال الله : ﴿أَخلُقُ لَكُم مِنَ الطينِ كَهَيئَةِ الطيرِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٩] ، أي : تصوره .

الرابع : على قول بعض المفسرين النطق ، قال الله : ﴿وَهُوَ خَلَقَكُم أَولَ مَرةٍ﴾ [سورة فصلت آية : ٢١] ، قال : أنطقكم ، والوجه عندي : وهو خلقكم أول مرة ناطقين فحذف لنا في أول الآية من ذكر النطق .

الخامس : الجعل ، قال : ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُم رَبكُم مِن أَزوَاجِكُم﴾ [سورة الشعراء آية : ١٦٦] ، والجعل هاهنا الفعل .

السادس : البعث ، قال : ﴿أَوَلَيسَ الذِي خَلَقَ السمَوَاتِ وَالأَرضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخلُقَ مِثلَهُم﴾ [سورة يس آية : ٨١] ، أي : على أن يبعث .

الخطأ(١)

يقال : أخطأ الرجل إذا عمد الصواب ، فأصاب غيره ، وخطئ يخطأ إذا فعل الخطأ على عمد ، والاسم من الأول الخطأ ، ومن الثاني الخطء ، وفي القرآن : ﴿ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣١] ، وعند كثير من أهل اللغة أن الخطأ والخطء سواء .

والإخطاء يكون حسنا وقبيحا ، وذلك أن الإنسان إذا رمي في محظور ، فعمد الإخطاء ، كان ذلك حسنا ، وكذلك الإصابة يقع حسنه وقبيحه كالإنسان يصيب في المحظور ، فتكون إصابته قبيحة ، ولا يكون الصواب إلا حسنا ؛ لأن الصواب اسم لما وقع على وجهه وحقه ، والخطء أكثر في القراءة .

والخطأ أفشى في كلام الناس ، ولم يجيء الخطء في شيء من الشعر ، إلا في بيت واحد وهو قول الشاعر :

الخِطْأُ فَاحِشَــــــةٌ وَالبِرُّ نَافِلَةٌ كَعَجــوَةٍ غُرِسَــت فِي الأَرضِ تُؤْتَبَرُ

وقال أبو عبيدة : خطئت وأخطأت لغتان

فمن قال : خطئت جعل الخطأ مصدرا ، والخطء اسما .

ومن قال : أخطأت جعل الخطأ والخطء اسمين ، والأخطاء المصدر .

وقال المبرد : الخطأ اسم مفرد كالإثم ، والخطيئة الذنب .

قال أبو عبيدة : يكون الخطأ ما لم تتعمد ، وليس هذا موضعه ، يعني : الآية التي في بني إسرائيل ، وأنشد :

وَإِنَّ مُهَاجِرِينَ تَكَنَّفَاهُ غَدَاةَ ئِذٍ لَقَد خَـطِـئَــا وَحَـابَـا

---

(١) قال الجرجاني : الخطأ : هو ما ليس للإنسان فيه قصد ، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد ، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطئ ، ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص ، ولم يجعل عذراً في حق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان ، ووجبت به الدية ، كما إذا رمى شخصاً ظنه صيداً أو حربياً ، فإذا هو مسلم ، أو غرضاً فأصاب آدمياً ، وما جرى مجراه ، كنائم ثم انقلب على رجل فقتله .[التعريفات :الخطأ]

خطئنا : ركبا ذنبا ، وحاب من الحوب ، وهو الذنب المزجور عنه مأخوذ من قولهم في زجر الإبل حوب حوب .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الذنب المتعمد دون الشرك ، قال : ﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف آية : ٩٧] .

الثاني : الشرك ، قال : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [سورة القصص آية : ٨] أي مشركين .

الثالث : ما لم يتعمد من الذنوب ، قال تعالى : ﴿لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٦] ، وقال : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] .

وقيل : هو استثناء منقطع ، كأنه قال : لكن إن قتله خطأ فحكمه كيت وكيت ، وقيل : هو استثناء صحيح وهو أن له أن يقتله في بعض الأحوال إذا رأى عليه سيماء المشركين ، وهو خطأ .

وقيل : إلا بمعنى الواو ، أي : ولا خطأ ، وليس بشيء ، وقيل : هو استثناء صحيح ، لأن الآية قد أفادت إيجاب العقاب على قاتله ، ثم قال : ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ ، فإنه لا عقاب عليه ، فاستثني من هذا المعنى ، وقوله : ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ [سورة النساء آية : ١١٢] ، يعني : أن من أخطأ خطأ يجب فيه العزم أو يعمد إثما فيه عار فرمى غيره بذلك ليغرمه أو يلحق به عاره ، فقد احتمل الكذب أو الباطل ، وقد مضى تفسير البهتان .

الخبيث[1]

أصل الخبث الدنس والرداءة ، ومنه خبث الحديد وخبث الفضة ما ينفى منها ؛ لأنه يفسدها ويدنسها ، وتستعمل في الدهاء ، فيقال : خبيث إذا كان داهيا ، ويستعمل في المعصية والحرام ، وإن ذلك كله مما يدنس العرض والدين ، ورجل خبيث : رديء المذهب ، والمخبث الذي له أصحاب خبثاء .

والخبثة الفجور ، والأخبثان الرجيع والبول ، في الحديث "لا يصلي أحدكم وهو يدافع الأخبثين "[2] .

وقوله تعالى : ﴿وَالذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِدًا﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٨] ، أي : الذي رد ولا يكون إلا قليلا ، والنكد القليل ، وهو العسر أيضا ؛ لأن خير العسر قليل .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحرام ، قال الله : ﴿لا يَستَوِي الخَبِيثُ وَالطيبُ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٠] ، يعني : الحلال والحرام ، معناه أن الخبيث وإن كثر فأعجب ، فإن الطيب خير منه في العافية ، وإن قل .

---

(١) (خ ب ث) : خَبُثَ الشَّيْءُ خُبْثًا مِنْ بَابِ قَرُبَ خِلَافُ طَابَ وَالِاسْمُ الْخَبَاثَةُ فَهُوَ خَبِيثٌ وَالْأُنْثَى خَبِيثَةٌ وَيُطْلَقُ الْخَبِيثُ عَلَى الْحَرَامِ كَالزِّنَا وَعَلَى الرَّدِيءِ الْمُسْتَكْرَهِ طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ كَالثُّومِ وَالْبَصَلِ وَمِنْهُ الْخَبَائِثُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ الْعَرَبُ تَسْتَخْبِثُهَا مِثْلُ : الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ أَيْ لَا تُخْرِجُوا الرَّدِيءَ فِي الصَّدَقَةِ عَنْ الْجَيِّدِ وَالْأَخْبَثَانِ الْبَوْلُ وَالْغَائِطُ وَشَيْءٌ خَبِيثٌ أَيْ نَجِسٌ وَجَمْعُ الْخَبِيثِ خُبُثٌ بِضَمَّتَيْنِ مِثْلُ : بَرِيدٍ وَبُرُدٍ وَخُبَثَاءُ وَأَخْبَاثٌ مِثْلُ : شُرَفَاءَ وَأَشْرَافٍ وَخَبَثَةٌ أَيْضًا مِثْلُ : ضَعِيفٍ وَضَعَفَةٍ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ لَهُمَا ثَالِثٌ وَجَمْعُ الْخَبِيثَةِ خَبَائِثُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ بِضَمِّ الْبَاءِ وَالْإِسْكَانُ جَائِزٌ عَلَى لُغَةِ تَمِيمٍ وَسَيَأْتِي فِي الْخَاتِمَةِ قِيلَ مِنْ ذُكْرَانِ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثِهِمْ وَقِيلَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَخَبُثَ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ يَخْبُثُ مِنْ بَابِ قَتَلَ زَنَى بِهَا فَهُوَ خَبِيثٌ وَهِيَ خَبِيثَةٌ وَأَخْبَثَ بِالْأَلِفِ صَارَ ذَا خُبْثٍ وَشَرٍّ .[المصباح المنير :الخاء مع الباء]

(٢) أخرجه ابن حبان من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها (٢٠٧٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٣/ ٧١ ، والسنن الصغرى (٤٨٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٨٠٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٠١٥) ، وله شاهد من حديث ابن عباس في مسند الربيع بن حبيب (٢٩٨) .

والخبيث اسم يقع على جميع ما حرم الله ، والطيب اسم يتناول جميع ما أحله الله وأعجبك مخاطبة الواحد ، والمراد الجماعة ، ومجاز الكلام أن الخبيث لا يساوي الطيب ، وإن كان على حال يعجب ويسر .

وقال الله تعالى : ﴿وَلا تَتَبَدلُوا الخَبِيثَ بِالطيبِ﴾ [سورة النساء آية : ٢] ، أي : لا تأخذوا الحرام من أموال اليتامى بدلا مما أحل من سائر الأموال .

الثاني : الكافر ، قال الله : ﴿حَتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطيبِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٩] ، يعني : الكافر والمؤمن ، والخبيث والفاجر ، قال الله : ﴿وَالخَبِيثُونَ لِلخَبِيثَاتِ وَالطيبَاتُ لِلطيبِينَ﴾ [سورة النور آية : ٢٦] من الرجال .

وهذه الآية منسوخة بالإجماع ، ونزلت في الوقت الذي نزل فيه قوله : ﴿الزانِي لا يَنكِحُ إِلا زَانِيَةً﴾ [سورة النور آية : ٣] ، وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه كان طيبا من الرجال فينبغي أن تكون أزواجه طيبات لقضية الله بذلك في هذه الآية .

وفي قوله : ﴿الزانِي لا يَنكِحُ إِلا زَانِيَةً﴾ دليل على أن الزناة ليسوا بمؤمنين في أسماء الدين التي هي على جهة المدح ، ولو كانوا مؤمنين على ما تقول المرجئة ، لكان هذا التحريم يجب أن يعم هؤلاء الزناة كما عم المؤمنين لاجتماعهم في هذا الاسم الذي أجرى الله التحريم عليه في قوله : ﴿وَحُرمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤمِنِينَ﴾ [سورة النور آية : ٣] ، فلما كان هذا ناقضا لحكم الآية موجبا أن يكون حلل فيها ما حرم فيها ذلك على أن الزناة لا يدخلون في هذا الاسم .

الخير(١)

الخير اسم لكل منفعة ومنه الخيرة في الأمور والاختيار ، اختيارك الشيء على الشيء لما في المخبار من المنفعة في الظاهر ، وقد تكلمنا في هذا الحرف بأكثر من هذا في كتابنا في التفسير .

والخير في القرآن على عشرة أوجه :

الأول : المال ، قال : ﴿إِن تَرَكَ خَيرًا﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٠] ، وقال : ﴿إِنِي أَحبَبتُ حُب الخَيرِ﴾ [سورة ص آية : ٣٢] ، وقيل : الخير هنا المال الكثير الذي له قدر ، وكذلك في قوله : ﴿حُب الخَيرِ﴾ [سورة ص آية : ٣٢] .

وروي أن رجلا من بني هاشم حضرته الوفاة ، فأراد أن يوصي ، فقال علي عليه السلام : كم ترك ، قيل : أربع مائة ، فقال : إن هذا قليل إن الله يقول : ﴿إِن تَرَكَ خَيرًا﴾ ، وقيل : كانت سبع مائة .

وقال قتادة : الخير ألف درهم فصاعدا .

وقال الزهري : الخير كل ما وقع عليه اسم المال من كثير وقليل ، وأزاد علي عليه السلام : أن المال إذا كان قليلا يوفر على الورثة ولا يوصي منه استحبابا لا إيجابا .

الثاني : الإيمان ، قال الله : ﴿وَلَو عَلِمَ اللهُ فِيهِم خَيرًا لأَسمَعَهُم﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٣] ، وكانوا يقترحون أن يسمعهم الله كلام الموتى ، فقال : لو علم الله أنهم إن سمعوا ذلك آمنوا لفعل ذلك ، وقيل : معناه لو علم فيهم إيمانا لسماهم سمعاء ، ولم يسمهم بكما وصما .

الثالث : الثواب ، قال : ﴿وَلا أَقُولُ لِلذِينَ تَزدَرِي أَعيُنُكُم لَن يُؤتِيَهُمُ اللهُ خَيرًا﴾ [سورة هود آية : ٣١] ، أي : ثوابا أي : لا أقول أن أعمالهم الحسنة تضيع عند الله لأجل فقرهم ، والمراد أن المؤمن الزري المنظر ليس عند الله بمحروم ، كما أنه عندكم محروم .

---

(١)(خ ي ر) : الخِيرُ بِالْكَسْرِ الْكَرَمُ وَالْجُودُ وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ خِيرِيٌّ عَلَى لَفْظِهِ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَنْثُورِ خِيرِيٌّ لَكِنَّهُ غَلَبَ عَلَى الْأَصْفَرِ مِنْهُ لِأَنَّهُ الَّذِي يُخْرِجُ دُهْنَهُ وَيَدْخُلُ فِي الْأَدْوِيَةِ وَفُلَانٌ ذُو خِيرٍ أَيْ ذُو كَرَمٍ وَيُقَالُ لِلْخُزَامَى خِيرِيُّ الْبَرِّ لِأَنَّهُ أَذْكَى نَبَاتِ الْبَادِيَةِ رِيحًا .[المصباح المنير :الخاء مع الياء]

الرابع : القرآن ، قال : ﴿مَا يَوَد الذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ وَلا المُشرِكِينَ أن يُنَزلَ عَلَيكُم مِن خَيرٍ مِن رَبكُم﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] ، ويجوز أن يكون المراد ما يرزقهم الله من نعمة وسعة .

الخامس : بمعنى أفضل ، قال الله : ﴿قُل رَب اغفِر وَارحَم وَأَنتَ خَيرُ الراحِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٨] ، ومثله : ﴿خَيرُ الرازِقِينَ﴾ ، و : ﴿خَيرُ الحَاكِمِينَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٧ ، سورة يونس آية : ١٠٩ ، سورة يوسف آية : ٨٠] ، وخير وشر يجيئان بمعنى أفعل ، ولا يقال : أخير ولا أشر .

السادس : النعمة ، قال الله : ﴿وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلا رَاد لِفَضلِهِ﴾ [سورة يونس آية : ١٠٧] ، يعني : بنعمة وعافية .

السابع : المنفعة ، قال : ﴿لَكُم فِيهَا خَيرٌ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] ، يعني : في ظهورها وألبانها .

الثامن : الطعام ، قال : ﴿إِني لِمَا أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَيرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص آية : ٢٤] .

التاسع : الظفر في القتال ، قال الله : ﴿لَم يَنَالُوا خَيرًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٢٥] ، أي : ظفرا ولا غنيمة .

العاشر : الهدى والبيان ، قال الله : ﴿وَقِيلَ لِلذِينَ اتقَوا مَاذَا أَنزَلَ رَبكُم قَالُوا خَيرًا﴾ [سورة النحل آية : ٣٠] ، أي : بيانا وهدى ، والمراد القرآن ، وخرج لنا وجه آخر ، وهو الخير بمعنى الكفاية ، قال الله : ﴿مَا مَكني فِيهِ رَبي خَير﴾ [سورة الكهف آية : ٩٥] ، أي : كفاية ، وأنت تقول : فلان في خير أي : في كفاية وتشبع القول في ذلك في باب القاف إن شاء الله .

ومما يجري مع هذا الباب الكلام في الاختيار والإيثار ، فالاختيار إرادة الشيء بدلا من غيره ، والإيثار مثل الاختيار ؛ إلا أنه قيل في قوله : ﴿لَقَد آثَرَكَ اللهُ عَلَينَا﴾ [سورة يوسف آية : ٩١] ، أي : قدم اختيارك علينا ، فكان الإيثار وهو الاختيار المقدم ؛ ولا يكون أيضا إيثار شيء إلا على شيء .

وأجود من هذا أن يقال : الإيثار اختصاص الشيء دون غيره مأخوذ من قولهم : هو عندي من أهل الأثرة ، أي : من أهل الاختصاص ، وذلك لما يظهر فيه من آثار الصلاح ، والاختيار إرادة الشيء دون غيره ، لما فيه من الخير .

وسميت الإرادة اختيارا ؛ لأن المريد من الأجسام لا يريد في الأغلب إلا الخير في الحقيقة ، أو ما هو عنده خير ثم اتسع فيه فسميت كل إرادة أوثر بها على شيء اختيارا ، وسميت أفعال الجوارح اختيارا تفرقة بين حركة البطش ، وحركة المرتعش ، كأنه سمي المختار منه اختيارا ، كما سمي المشتهي شهوة ، والمسروق سرقة .

الخيانة[1]

الخيانة ترك الوفاء للمؤتمن ، وأصله من النقص تخونه إذا تنقصه ، وبين الخائن والسارق فرق ، وكل سارق خائن ، وليس كل خائن سارقا .

والخيانة في القتل على وجهين :

الأول : المعصية ، قال الله : ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم كُنتُم تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُم﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، وقال : ﴿لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] ، كذا قيل ، والصحيح أنه أراد أنكم تنقصون أنفسكم من شهواتها بامتناعكم عن مباشرتهن لنهينا إياكم ، والمخاطبة على هذا عامة ، ويجوز أن تكون خاصة لقوم لا يصبرون على الفرض ، فيتركونه فينقصون أنفسهم الثواب ، ويقال : ما يتخونك عندي إلا خصلة ، أي : ما ينقصك .

الثاني : خيانة المؤتمن ، قال الله تعالى : ﴿وَلا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء آية : ١٠٥] ، نزلت في طعيمة بن أثيرق ، رجل من بني ظفر من الأنصار ، سرق درعا من حديد ، وخفاها في جراب دقيق ، وأودعها يهوديا ، فاطلع عليه فعذره بنو ظفر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وألزموا اليهودي الذنب ، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بعقوبته ، فأنزل الله : ﴿وَلا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء آية : ١٠٥] ، أي : معينا واستغفر الله من همك باليهودي ، ثم خاف طعيمة القطع فهرب إلى مكة فنقب بيت الحجاج بن غلاط ، فتشبث في النقب فأخذ ثم خلى لجوازه فمضى نحو الشام فسرق في منزل نزله ، فرمي بالحجارة حتى قتل ، وفيه نزل : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٨] ، قال ابن عباس : ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُم﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، أي : تظلمونها بالخيانة ، وقيل : لا تنصحون لتعرضكم إياها للعذاب الدائم .

---

(١) (خ و ن) : (الْخِيَانَةُ) خِلَافُ الْأَمَانَةِ وَهِيَ تَدْخُلُ فِي أَشْيَاءَ سِوَى الْمَالِ مِنْ ذَلِكَ (قَوْلُهُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلَا خَائِنَةٍ﴾ وَأُرِيدَ بِهَا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ نَكْثُ الْعَهْدِ وَنَقْضُهُ وَقَدْ خَانَهُ (وَمِنْهُ) تَقُولُ النِّعْمَةُ كَفَرْتُ وَلَمْ أَشْكُرْ وَتَقُولُ الْأَمَانَةُ خُنْتُ وَلَمْ أَحْفَظْ وَهُوَ فَعَلْتُ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ مُسَارَقَةُ النَّظَرِ (وَمِنْهُ) الْحَدِيثُ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ﴾ (وَالْخِوَانُ) مَا يُؤْكَلُ عَلَيْهِ وَالْجَمْعُ خُونٌ وَأَخْوِنَةٌ .[المغرب :الخاء مع الواو]

والخصيم[1]

المخاصم خاصمه ، وهو خصيمه ، مثل عاشره وهو عشيره ، وخالطه وهو خليطه ، ومن خاصم عن الإنسان فهو معينه ، ولهذا قيل : أن الخصيم المعين ، وقد ذكرنا أن كل سارق خائن ، وليس كل خائن سارقا ، ولهذا سمى الله طعيمة خائنا في هذه الآية ، وقيل : للدهر خؤون ؛ لأنه يأتي بأحداثه من حيث يؤمر .

وذكر في الخائنين كل ذي ذنب كبير ، لأن الآتي بالكبير خائن لنفسه ، كأنه لم يناصحها إذ عرضها لغضب الله عز وجل .

---

(١) [خصم] : الخصم واحد وجميع ممن يخاصمك ، وهو الخصيم أيضاً ، ويجمع على الخصيم والخصماء . والخصومة - مصدر - التخاصم والخصام . وأخصم فلان فلاناً لقنه حجته حتى يخصم بها خصمه . والخصم طرف الراوية الذي بحيال العزلاء في مؤخرها . والأخصام الذي عند الكلية من كل شيء . والخصوم أفواه الأودية . والأصول في قول الطرماح :

حمائم سرحات تسامى خصومها

[المحيط في اللغة :١/ ٣٤٧]

الباب الثامن

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله دال

الدين

أصله في العربية اللزوم ، ويتصرف في العربية على خمسة أوجه : الملة ، والعادة ، والحساب ، والطاعة ، والجزاء . وكل ذلك مما يلزم الإنسان أو يلزمه الإنسان ، ومن ثم أيضا قيل : الدين للزومه الدائن لا يسقط عنه إلا بالأداء .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : التوحيد ، قال : ﴿فَادعُوا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدينَ﴾ [سورة غافر آية : ١٤] ، وقال : ﴿ألا لله الدينُ الخَالِصُ﴾[1] [سورة الزمر آية : ٣] ، يعني : التوحيد كذا قيل ، ويجوز أن يكون أراد جملة ما عليه المؤمن من دينه .

الثاني : الحساب ، قال الله : ﴿مَالِكِ يَومِ الدينِ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٤] ، أي : يوم الحساب ، وقيل من دان نفسه ربح : أي : من حاسبها ، وقيل : الدين هنا الجزاء ومثله : ﴿هَذَا يَومُ الدينِ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٠] ، ومثله : ﴿الذِينَ يُكَذبُونَ بِيَومِ الدينِ﴾ [سورة المطففين آية : ١١] ، والتكذيب به جحده .

الثالث : الحكم ، قال الله : ﴿وَلا تَأخُذكُم بِهِمَا رَأفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ [سورة النور آية : ٢] ، أي : في حكمه ، وفيه دليل على أن الزاني والزانية ليسا بمؤمنين لإخراجه إياهما من

---

(١) قال الشوكاني : جملة ﴿ألاَ للهِ الدين الخالص﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها من الأمر بالإخلاص ، أي : إن الدين الخالص من شوائب الشرك ، وغيره هو لله ، وما سواه من الأديان ، فليس بدين الله الخالص الذي أمر به . قال قتادة : الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ﴿والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء﴾ لما أمر سبحانه بعبادته على وجه الإخلاص ، وأن الدين الخالص له لا لغيره بيّن بطلان الشرك الذي هو مخالف للإخلاص [فتح القدير :٦/ ٢٦٧]

استحقاق الرأفة والرحمة اللاتي جعلهما للمؤمنين ، ويجوز أن يكون الدين هاهنا بمعنى الملة ، وقيل : في طاعة الله ، وقيل : لا تأخذكم بهما رأفة فتقصروا في دين الله .

الرابع : الطاعة ، قال الله : ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٧٦] ، أي : في طاعته ، وقد دان الناس لملكهم إذا أطاعوه ، قال الشاعر :

لئن حللت بِحَيٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ ... فِي دِينِ عَمرٍو وَحَالت بَيننَا فدك

الخامس : الملة ، قال الله : ﴿ هُوَ الذِي أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَق لِيُظهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلِهِ ﴾ [سورة الفتح آية : ٢٨] ، أي : ليعلو على كل دين يدان به ، والظهور العلو ، وظهر فوق البيت علاه ، وقوله : ﴿ إِن الدينَ عِندَ اللهِ الإِسلامُ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩] ، وقال : ﴿ ذَلِكَ الدينُ القَيمُ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٦] ، أي : الملة المستقيمة .

وقال بعض الشعوبية : الدين فارسي واستدل على ذلك بأن الدين يوجد في كتب الفرس القديمة فقالوا دين ذو يرى على قديم الدهر من قبل أن تدخل العربية أرضهم ، يعنون خطا يكتبون به علوم دينهم ، ونحن لا نعرف هذا ، والصحيح أن الدين عربي معروف .

الدعاء(١)

أصله الطلب ، يقول : دعا إلى الشيء ، أي : طلب المصير إليه ، وادعى على فلان حقا ؛ لأنه يطلبه .

والدعوة إلى الطعام معروفة ، ثم كثر حتى سمي الطعام دعوة ، وسمي بالمصدر من قولك : دعا دعوة واحدة ، والدعوة في النسب ؛ لأنه طلب الدخول فيه .

والدعاء أيضا الاستعانة ، لأنها طلب الإعانة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَادعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، أي : استعينوهم ، قال الشاعر :

وَقَبلُكَ كُلّ خصمٍ قَد تَمَالُوا عَلَيَّ فَمَا جَزِعتُ وَلا دَعَوتُ

أي : ما استعنت غيري على دفعهم .

وكل ما وقع لأجله الفعل فهو داع إليه إلا أن يقع على غير الاختيار ، كالمتولد الذي يقع سببه عن سهو .

والدعاء في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : القول ، قال الله : ﴿ فَمَا كَانَ دَعوَاهُم إِذ جَاءَهُم بَأسُنَا إِلا أَن قَالُوا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥] ، وقال : ﴿ فَمَا زَالَت تِلكَ دَعوَاهُم ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٥] ، أي : مازالت تلك الكلمة دعواهم ، أي : يدعونها ، وهو قوله : ﴿ قَالُوا يَا وَيلَنَا ﴾ [سورة

(١) (دع و) : دَعَوْتُ اللهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَدَعَوْتُ زَيْدًا نَادَيْتُهُ وَطَلَبْتُ إِقْبَالَهُ وَدَعَا الْمُؤَذِّنُ النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ دَاعِي اللهِ وَالْجَمْعُ دُعَاةٌ وَدَاعُونَ مِثْلُ : قَاضٍ وَقُضَاةٌ وَقَاضُونَ وَالنَّبِيُّ دَاعِي الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَدَعَوْتُ الْوَلَدَ زَيْدًا وَبِزَيْدٍ إِذَا سَمَّيْتَهُ بِهَذَا الِاسْمِ وَالدِّعْوَةُ بِالْكَسْرِ فِي النَّسَبِ يُقَالُ دَعْوَتُهُ بِابْنِ زَيْدٍ وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ الدِّعْوَةُ بِالْكَسْرِ ادِّعَاءُ الْوَلَدِ الدَّعِيِّ غَيْرَ أَبِيهِ يُقَالُ هُوَ دَعِيٌّ بَيِّنُ الدِّعْوَةِ بِالْكَسْرِ إِذَا كَانَ يَدَّعِي إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يَدَّعِيهِ غَيْرُ أَبِيهِ فَهُوَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ مِنَ الْأَوَّلِ وَبِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنَ الثَّانِي وَالدَّعْوَى وَالدَّعَاوَةُ بِالْفَتْحِ وَالِادِّعَاءُ مِثْلُ : ذَلِكَ وَعَنِ الْكِسَائِيِّ لِي فِي الْقَوْمِ دِعْوَةٌ بِالْكَسْرِ أَيْ قَرَابَةٌ وَإِخَاءٌ وَالدَّعْوَةُ بِالْفَتْحِ فِي الطَّعَامِ اسْمٌ مِنْ دَعَوْتُ النَّاسَ إِذَا طَلَبْتَهُمْ لِيَأْكُلُوا عِنْدَكَ يُقَالُ نَحْنُ فِي دَعْوَةِ فُلَانٍ وَمَدْعَاتِهِ وَدُعَائِهِ بِمَعْنًى قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَهَذَا كَلَامُ أَكْثَرِ الْعَرَبِ إِلَّا عَدِيَّ الرِّبَابِ فَإِنَّهُمْ يَعْكِسُونَ وَيَجْعَلُونَ الْفَتْحَ فِي النَّسَبِ وَالْكَسْرَ فِي الطَّعَامِ وَدَعْوَى فُلَانٍ كَذَا أَيْ قَوْلُهُ . [المصباح المنير :الدال مع العين]

الأنبياء آية : ١٤ ، يس : ٥٢ ، الصافات : ٢٠] ، ويقولون : فلان يدعوا بالويل ، إذا كان يقول : يا ويله ، وقال : ﴿دَعوَاهُم فِيهَا سُبحَانَكَ اللهُم﴾ [سورة يونس آية : ١٠] .

الثاني : العبادة ، قال : ﴿قُل أَندعُو مِن دُونِ الله مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرنَا﴾ [سورة الأنعام آية : ٧١] ، وقال : ﴿وَمَن يَدعُ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٧] ، وقال : ﴿قُل مَا يَعبَأُ بِكُم رَبِي لَولا دُعَاؤُكُم﴾ [سورة الفرقان آية : ٧٧] ، أي : لولا عبادتكم الأوثان لم ينال لعذابكم .

الثالث : الدعاء بعينه ، وهو النداء ، قال : ﴿فَدَعَا رَبهُ أَني مَغلُوبٌ﴾ [سورة القمر آية : ١٠] ، وقال : ﴿يَومَ يَدعُ الداعِ﴾ [سورة القمر آية : ٦] ، وقال : ﴿يَومَ يَدعُوكُم فَتَستَجِيبُونَ بِحَمدِهِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٥٢] ، وقال : ﴿وَلا يَسمَعُ الصم الدعَاءَ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٥] ، وقال : ﴿إِن تَدعُوهُم لا يَسمَعُوا دُعَاءَكُم﴾ [سورة فاطر آية : ١٤] ، أي : يراكم .

الرابع : الاستعانة ، قال الله : ﴿وَادعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ الله﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، وقال : ﴿وَادعُوا مَنِ استَطَعتُم مِن دُونِ الله﴾ [سورة يونس آية : ٣٨] ، قال : ﴿وَليَدعُ رَبهُ﴾ [سورة غافر آية : ٢٦] ، أي : ليستعن به .

الخامس : السؤال ، قال الله : ﴿قَالُوا ادعُ لَنَا رَبكَ يُبَين لنَا مَا هِيَ﴾ [سورة البقرة آية : ٦٨] ، أي : سله ، وقال : ﴿ادعُ لَنَا رَبكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفتَ عَنا الرجزَ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٣٤] ، أي : سله يفعل ، وقال : ﴿يَأَيهَا الساحِرُ ادعُ لَنَا رَبكَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٤٩] ، وقال : ﴿ادعُوا رَبكُم﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٥ ، غافر : ٤٩] ، أي : سلوه ، وهذا الضرب من السؤال واجب على العبد ، لأن الأمر قد جاء به مطلقا ، والأمر على الوجوب .

الباب التاسع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ذال

الذكر(١)

أصل الذكر القوة ، ومنه تسمية الذكر خلاف الأنثى ؛ لأنه أقوى من الأنثى وجديد ذكر لفضل قوته على الأنوثة ، والذكر بالقلب يرجع إلى هذا ؛ لأن الشيء يثبت في القلب مع الذكر ، فكان له قوه ، والذكر باللسان شبيه بذلك .

وهو في القرآن على خمسة عشر وجها :

الأول : الطاعة ، قال الله : ﴿ فَاذكُرُونِي أذكُركُم ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٢] ، قال بعض المفسرين : معناه أطيعوني أثبكم ، ويجوز أن يكون معناه اذكروني بقلوبكم وألسنتكم ، أذكركم بالمدح والتعظيم وإيجاب الثواب ، وهو جواب لقوله : ﴿ كَمَا أَرسَلنَا فِيكُم رَسُولا مِنكُم ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥١] ، : ﴿ فَاذكُرُونِي أذكُركُم ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٢] ، فيكون لاذكروني جوابان مقدم ومؤخر ، كما يقال : إذا آتاك فلان فأته ترضه ، ومعناه مثل معنى قوله : ﴿ ادعُونِي أستَجِب لَكُم ﴾ [سورة غافر آية : ٦٠] ، وقيل : اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي ، وقيل : اذكروني بالثناء بنعمتي أذكركم بالثناء [في الطاعة] ، وأكثر ما يستعمل الذكر بعد النسيان ، وهذا حقيقة ، وليس ذلك بموجب ألا يكون إلا بعد النسيان إذ

(١) (ذ ك ر) : ذَكَرْتُهُ بِلِسَانِي وَبِقَلْبِي ذِكْرَى بِالتَّأْنِيثِ وَكَسْرِ الذَّالِ وَالِاسْمُ ذُكْرٌ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرُ نَصَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ وَابْنُ قُتَيْبَةَ وَأَنْكَرَ الْفَرَّاءُ الْكَسْرَ فِي الْقَلْبِ وَقَالَ اجْعَلْنِي عَلَى ذُكْرٍ مِنْكَ بِالضَّمِّ لَا غَيْرُ وَلِهَذَا اقْتَصَرَ جَمَاعَةٌ عَلَيْهِ وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ وَالتَّضْعِيفِ فَيُقَالُ أَذْكَرْتُهُ وَذَكَّرْتُهُ مَا كَانَ فَتَذَكَّرَ وَالذَّكَرُ خِلَافُ الْأُنْثَى وَالْجَمْعُ ذُكُورٌ وَذُكُورَةٌ وَذِكَارَةٌ وَذُكْرَانٌ وَلَا يَجُوزُ جَمْعُهُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ فَإِنَّ ذَلِكَ مُخْتَصٌّ بِالْعَلَمِ الْعَاقِلِ وَالْوَصْفِ الَّذِي يُجْمَعُ مُؤَنَّثُهُ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ وَمَا شَذَّ مِنْ ذَلِكَ فَمَسْمُوعٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَالذُّكُورَةُ خِلَافُ الْأُنُوثَةِ وَتَذْكِيرُ الِاسْمِ فِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ مَعْنَاهُ لَا يَلْحَقُ الْفِعْلَ وَمَا أَشْبَهَهُ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ وَالتَّأْنِيثُ بِخِلَافِهِ فَيُقَالُ قَامَ زَيْدٌ وَقَعَدَتْ هِنْدٌ وَهِنْدٌ قَاعِدَةٌ فَإِنْ اجْتَمَعَ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ فَإِنْ سَبَقَ الْمُذَكَّرُ ذَكَّرْتَ وَإِنْ سَبَقَ الْمُؤَنَّثُ أَنَّثْتَ فَتَقُولُ عِنْدِي سِتَّةُ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَعِنْدِي سِتُّ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ وَشَبَّهُوهُ بِقَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَهِنْدٌ وَقَامَتْ هِنْدٌ وَزَيْدٌ فَقَدْ اُعْتُبِرَ السَّابِقُ فَبُنِيَ اللَّفْظُ عَلَيْهِ وَالتَّذْكِيرُ الْوَعْظُ وَالذَّكَرُ الْفَرْجُ مِنْ الْحَيَوَانِ جَمْعُهُ ذِكَرَةٌ مِثْلُ : عِنَبَةٍ وَمَذَاكِيرُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَالذِّكْرُ الْعَلَاءُ وَالشَّرَفُ . [المصباح المنير :الذال مع الكاف]

كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال ، فهو ذاكر ، ويكون أصله التنبيه على الشيء ، وكل من ذكر لنا شيئا فقد نبهنا عليه ، والذكر أنبه من الأنثى .

الثاني : قال هو الذكر باللسان في قوله : ﴿فَاذكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُم﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ، وقوله : ﴿وَاذكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأنفال آية : ٤٥] ، وقال : ﴿اذكُرُوا اللهَ ذِكرًا كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤١] ، كذا قيل ، ولا تنكر أن يكون أراد الذكر بالقلب واللسان جميعا .

الثالث : الذكر في القلب خاصة ، قال : ﴿وَالذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم﴾ [سورة آل عمران آية : ١٣٥] ، أي : ذكروا قدرة الله عليهم وأياديه إليهم فاستغفروه وتابوا إليه .

الرابع : ذكر الصفة والأمر ، قال : ﴿اذكُرنِي عِندَ رَبكَ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٢] ، أي : اذكر أمري وصفتي ، وقال : ﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ مَريَمَ﴾ [سورة مريم آية : ١٦] ، أي : اذكر أمرها ، فإن فيه عجبا ، وهكذا قوله : ﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ إِبرَاهِيمَ﴾ [سورة مريم آية : ٤١] ، أي : اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك قصة إبراهيم عليه السلام ، أي : اقرأها واعتبر بها .

الخامس : الحفظ ، قال الله : ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوةٍ وَاذكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٦٣] ، وكذلك في الأعراف : ﴿وَاذكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧١] ، أي : احفظوه .

السادس : الوعظ ، قال : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكرُوا بِهِ﴾ [سورة الأنعام آية : ٤٤] ، أي : وعظوا ، وفي الأعراف أيضا : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكرُوا بِهِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٥] ، وقال : ﴿أَئِن ذُكرتُم﴾ [سورة يس آية : ١٩] ، أي : وعظتم ، وقال : ﴿فَذَكر بِالقُرءَانِ﴾ [سورة ق آية : ٤٥] ، وقال : ﴿فَذَكر إِنمَا أَنتَ مُذَكرٌ﴾ [سورة الغاشية آية : ٢١] ، وفي هذه الآيات دليل على أن الطاعة والمعصية من العبد ؛ لأنهما لو كانتا من الله لم يكن لتذكير الله إياه فائدة .

السابع : الشرف والنباهة ، قال : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٤٤] ، وقال : ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة المومنون آية : ٧١] ، فامتن عليهم بما جعل لهم من النباهة بهذا الدين ، ودل على أن الخمول معيب .

الثامن : الخبر ، قال : ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات آية : ١٦٨] ، وقال : ﴿سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف آية : ٨٣] ، أي : خبرا ، وقيل في قوله : ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٤] ، أي : هذا خبري وخبر من قبلي ، والوجه هل فيما أنزل إلي أو فيما أنزل من قبلي دليل على أن مع الله إلها آخر ، وذكر له

التاسع : الوحي ، قال : ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [سورة ص آية : ٨] ، وقال : ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [سورة الصافات آية : ٣] ، [ومثله : ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾] [سورة المرسلات آية : ٥] .

العاشر : القرآن ، قال : ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥٠] ، وقال : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢] ، فسماه محدثا .

والمحدث إذا كان مقدرا مخلوق ، وجاء في قوله : ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [سورة الزخرف آية : ٥] ، أنه أراد القرآن ، وقيل : أراد ذكر العذاب أي : أفنضرب عنكم ذكر العذاب فلا تذكرة لكم لأجل إشراككم ، لا بل نذكر لكم العذاب لتنزجروا ، ويقال : أضربت عنه الذكر أيضا ، والشاهد على هذا التأويل قوله : ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [سورة الزخرف آية : ٨] .

الحادي عشر : التوراة ، قال : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [سورة النحل آية : ٤٣] ، يعني : أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه ، الذين يصدفون عن الذكر وهو التوراة دون من يكتم ويتخرص لأن القبول يكون من أهل الثقة ، : ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل آية : ٤٣] ، أن الرسل بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

الثاني عشر : اللوح المحفوظ ، قال : ﴿ وَلَقَد كَتَبنَا فِي الزبُورِ مِن بَعدِ الذكرِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٥] ، أي : من بعد اللوح المحفوظ .

الثالث عشر : البيان ، قال الله : ﴿ أَوَعَجِبتُم أن جَاءَكُم ذِكرٌ مِن رَبكُم عَلَىٰ رَجُلٍ مِنكُم ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٣] ، أي : بيان ، وقال : ﴿ ص وَالقُرءَانِ ذِي الذِكرِ ﴾ [سورة ص آية : ١] ، يعني : ذا البيان ، وقيل : يعني : به ما ذكر فيه من الأقاصيص والحلال والحرام .

الرابع عشر : الدليل ، قال : ﴿ إِن هُوَ إِلا ذِكرٌ وَقُرءَانٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة يس آية : ٦٩] ، وقال : ﴿ إِن هُوَ إِلا ذِكرٌ لِلعَالَمِينَ ﴾ [سورة ص آية : ٨٧ ، عبس : ٢٧ ، يوسف : ١٠٤] ، ويجوز أن يكون الذكر هنا الموعظة .

الخامس عشر : الصلوات الخمس كذا قال بعض المفسرين في تفسير قوله : ﴿ فَإِذَا أَمِنتُم فَاذكُرُوا اللهَ كَمَا عَلمَكُم مَا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٩] ، والصحيح أنه أراد تمام الصلاة مع الذكر فيها ؛ لأنه تعالى قال في أول الآية : ﴿ فَإِن خِفتُم فَرِجَالا أَو رُكبَانًا فَإِذَا أَمِنتُم فَاذكُرُوا اللهَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٩] .

والمراد فإن خفتم عدوا أو سبعا فلم تقدروا على الركوع والسجود ، فصلوا على أرجلكم وعلى رواحلكم أيما ، والرجال جمع رجل ، والرجل جمع راجل فإذا زال عنكم الخوف فصلوا الصلاة التامة واذكروا الله فيها كما علمكم الشرائع .

وقوله : ﴿ رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ ﴾ [سورة النور آية : ٣٧] ، قالوا : يعني : الصلوات الخمس ، وليس هذا بالوجه في هذه الآية ؛ لأنه قال فيها : ﴿ وَإِقَامِ الصلاةِ وَإِيتَاءِ الزكَاةِ ﴾ [سورة النور آية : ٣٧] ، وقال : ﴿ لا تُلهِكُم أَموَالُكُم وَلا أَولادُكُم عَن ذِكرِ اللهِ ﴾ [سورة المنافقون آية : ٩] ، يعني : الصلوات الخمس زعموا ، قال : ودليل ذلك قوله : ﴿ فَاسعَوا إِلَىٰ ذِكرِ اللهِ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٩] ، يعني : صلاة الجمعة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [سورة ص آية : ٣٢] ، أي : أثرت حب المال على الصلاة ، وقيل : على ذكر الله ، وينبغي أن تكون الصلاة هنا تطوعا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصنع المفروض ، وخرج لنا وجه آخر ، وهو الذكر بمعنى الغيب في قوله : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[سورة الأنبياء آية : ٦٠] أي : يعيبهم ، كذا قيل ، والصحيح أنه يذكرهم بالعيب .

الباب العاشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله راء

الرحمة[1]

أصلها من الرقة ، وقيل : ذوا الأرحام ، لأن بعضهم يرق لبعض ، والرحم في الأصل رحم المرأة ثم صارت ذو القربى أرحاما .

والرحيم[2] في أسماء الله تعالى بمعنى المنعم المقيل للعثرة القابل للتوبة وليس معناه الرقة ، كما أن أصل العفو الترك ، والترك لا يجوز على الله ، يقال : عفا المنزل إذا ترك حتى درس ودلالة التعظيم أيضا يوجب انتفاء الرقة عن الله ، ومع أن نعمة في الاتساع تقع موقع ما يحث عليه الرقة ، والرحمن أبلغ من الرحيم .

وليس لأحد من المخلوقين فيه شركة والرحمة الإنعام على المحتاج إلى ذلك ، ألا ترى أن الإنسان إذا أهدى إلى ملك شيئا ، لم يقل : أنه رحمه ، ويقال : أنه أنعم عليه .

والرحمة في القرآن على ثمانية أوجه :

---

(١) (ر ح م) : رَحِمَنَا اللهُ وَأَنَالَنَا رَحْمَتَهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَرَحِمْتُ زَيْدًا رُحْمًا بِضَمِّ الرَّاءِ وَرَحْمَةً وَمَرْحَمَةً إذَا رَقَقْتَ لَهُ وَحَنَنْتَ وَالْفَاعِلُ رَاحِمٌ وَفِي الْمُبَالَغَةِ رَحِيمٌ وَجَمْعُهُ رُحَمَاءُ .
وَفِي الْحَدِيثِ ﴿ إنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ ﴾ يُرْوَى بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ يَرْحَمُ وَبِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ إنَّ وَمَا بِمَعْنَى الَّذِينَ . [المصباح المنير :الراء والحاء]

(٢) أخبرنا الإمام أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، أنا عبد الخالق بن الحسن السقطي ، ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب ، قال : أخبرني أبي ، عن الهذيل بن حبيب ، عن مقاتل بن سليمان ، عمن يروي تفسيره عنه من التابعين قال : الرحمن ، الرحيم اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر الرحمن يعني المترحم ، الرحيم يعني المتعطف بالرحمة على خلقه قال أبو سليمان : وهذا مشكل ، لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله سبحانه ، ومعنى الرقيق ها هنا اللطيف ، يقال : أحدهما ألطف من الآخر ، ومعنى اللطف في هذا الغموض دون الصغر الذي هو نعت الأجسام ، وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر يحكي عن الحسين بن الفضل البجلي أنه قال : هذا وهم من الراوي ، لأن الرقة ليست من صفات الله عز وجل في شيء ، وإنما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر ، والرفق من صفات الله تعالى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف » . [الأسماء والصفات للبيهقي :١/ ٩٣]

الأول : قالوا هو بعثة الرسل وإنزال الكتب ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٧] ، وقوله : ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٢] ، وهذه الرحمة العامة المبتدأه بالدعاء والبيان ، والوجه أن يقال : أنه أراد أن بعثة للرسل وإنزال الكتب نعمة من الله على عباده ، والرحمة من الله النعمة .

الثاني : الجنة ، قال : ﴿وَأَما الذِينَ ابيَضت وُجُوهُهُم فَفِي رَحمَةِ الله﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٧] ، وقال : ﴿فَسَيُدخِلُهُم فِي رَحمَةٍ مِنهُ وَفَضلٍ﴾ [سورة النساء آية : ١٧٥] ، وقال : ﴿فَيُدخِلُهُم رَبهُم فِي رَحمَتِهِ﴾ [سورة الجاثية آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿أُولَئِكَ يَرجُونَ رَحمَتَ الله﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٨] ، وهي خاصة للمؤمنين جزاء لأعمالهم ، وقال أبو علي رضي الله عنه : الرحمة والفضل هنا هو الثواب .

الثالث : المطر ، قال : ﴿يُرسِلُ الريَاحَ بُشرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٧] ، وقوله : ﴿فَانظُر إِلَى آثَارِ رَحمَةِ الله﴾ [سورة الروم آية : ٥٠] ، يعني : المطر .

الرابع : الرزق ، قال : ﴿مَا يَفتَحِ اللهُ لِلناسِ مِن رَحمَةٍ فَلا مُمسِكَ لَهَا وَمَا يُمسِك فَلا مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ﴾ [سورة فاطر آية : ٢] ، وقيل : وينشر رحمته يعني : رزقه ، وقال : ﴿قُل لَو أَنتُم تَملِكُونَ خَزَائِنَ رَحمَةِ رَبي إِذًا لأَمسَكتُم]﴾ [سورة الإسراء آية : ١٠٠] ، وقال : ﴿ابتِغَاءَ رَحمَةٍ مِن رَبكَ تَرجُوهَا﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٨] ، وقال : ﴿آتِنَا مِن لَدُنكَ رَحمَةً﴾ [سورة الكهف آية : ١٠] ، ويجوز أن تكون هذه كلها بمعنى النعم والرزق داخل فيها .

الخامس : النبوة ، قال : ﴿أَم عِندَهُم خَزَائِنُ رَحمَةِ رَبكَ﴾ [سورة ص آية : ٩] ، وقال : ﴿أَهُم يَقسِمُونَ رَحمَتَ رَبكَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٢] .

السادس : الرحمة ، قال تعالى : ﴿وَلَولا فَضلُ الله عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ لاتبَعتُمُ الشيطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٨٣] ، أزاد : ﴿لَعَلِمَهُ الذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم وَلَولا فَضلُ الله عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ لاتبَعتُمُ الشيطَانَ﴾ [سورة النساء آية : ٨٣] ، فقدم وأخر ؛ لأن الناس كلهم

آمنوا بفضل الله عليهم في ألطافه وفوائده ، وقوله : ﴿أَو أَرَادَنِي بِرَحمَةٍ﴾ [سورة الزمر آية : ٣٨] ، وقيل : يعني : العافية ، وقوله : ﴿إِن أَرَادَ بِكُم سُوءًا أَو أَرَادَ بِكُم رَحمَةً﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٧] ، يعني : نعمة ، وقيل : أراد الفتح والنصر .

السابع : القرآن ، قال الله : ﴿وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٠٣] ، ويجوز أن يكون بمعنى النعمة ، أي : هذا القرآن بيان ونعمة .

الثامن : الهداية ، قال : ﴿وَآتَانِي رَحمَةً مِن عِندِهِ﴾ [سورة هود آية : ٢٨] ، أي : دلني على الإيمان فآمنت وصدقت ، وهذا كله يرجع إلى معنى النعمة ؛ لأن الرحمة من الله تعالى النعمة ، وإنما أوردت هذه الوجوه على ما جاء في التفسير .

الروح

أصل الريح ، والروح والروح ، والراحة واحد ؛ وإنما الريح فعل ، والروح فعل ، والراحة فعلة ، والرائحة فاعلة ، وقد يجيء فاعلة في أسماء الأفعال ، مثل العافية .

وأصل الكلمة من الطيب ، وذلك أن الريح تطيب الهواء ، والروح يطيب به الجسد ، والرائحة أصلها في الطيب ثم استعملت في النتن ، والأريحية طيب النفس بالبذل ، وقيل : الراحة ، لأن العيش يطيب معها ، والطيب في الأصل فيما يستنشق ، وإنما قيل : طيب النفس بالبذل .

والراحة طيب العيش على وجه التشبيه ، والريحان معروف سمي بذلك لطيب ريحه ، والريحان الرزق ؛ لأن من وجده استراح ؛ ولأن النفس تحبه كما تحب الريحان .

والروح في القرآن على ستة أوجه :

الأول : على ما قيل الرحمة ، قال تعالى : ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾(١) [سورة المجادلة آية : ٢٢] ، أي : قواهم برحمة منه ، والوجه أنه أراد بالروح هاهنا القرآن ، وسماه روحا ؛ لأنه يوصل به إلى المنافع كما يوصل الروح ، والشاهد قوله : ﴿أَوحَينَا إِلَيكَ رُوحًا مِن أَمرِنَا﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] ، والتأييد التقوية ، ومعنى التأييد بالقرآن أنه أبطل به حجج خصماء الدين ، وثبت حجج أهله به ؛ لما عجز الناس عن الإتيان بمثله .

الثاني : جبريل عليه السلام ، قال : ﴿يَومَ يَقُومُ الروحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفا﴾ [سورة النبأ آية : ٣٨] ، وقيل الروح هاهنا خلق كالإنسان ، وقيل : هو ملك يقوم على يمين العرش ، وقوله : ﴿نَزَلَ بِهِ الروحُ الأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٩٣] ، يعني : جبريل عليه السلام على قلبك بالقرآن ، وخص القلب لأنه موضع الحفظ ، ولو قال : عليك لم

---

(١) قال الرازي : قوله : ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وفيه قولان : الأول : قال ابن عباس : نصرهم على عدوهم ، وسمى تلك النصرة روحاً لأن بها يحيا أمرهم والثاني : قال السدي : الضمير في قوله : ﴿مِنْهُ﴾ عائد إلى الإيمان والمعنى أيدهم بروح من الإيمان يدل عليه قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢] . [مفاتيح الغيب :١٥/ ٢٨٨]

يتضمن معنى الحفظ وقوله : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٧] ، وقال : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [سورة مريم آية : ١٧] .

الثالث : الوحي ، قال : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ [سورة النحل آية : ٢] ، أي : بالوحي ، و : ﴿ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ [سورة النحل آية : ٢] ، أي : بأمره ، وبعض حروف الصفات يقوم مقام بعض ؛ إذا لم يشكل المعنى ، ويجوز أن يكون المعنى أن ابتداء تنزيله من أمر الله ، ومن لابتداء الغاية ، أي : حين أمرهم به نزلوا .

الرابع : عيسى عليه السلام ، قال الله : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [سورة النساء آية : ١٧١] ، وسماه روحا وكلمة ؛ لأن الناس ينتفعون به كانتفاعهم بكلام الله ، وكانتفاعهم بالروح ، وقال بعضهم : قال : ﴿ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [سورة المجادلة آية : ٢٢] ، لأنه خلقه من غير شر ، ولا أعرف ما هذا .

الخامس : خلق يرون الملائكة ولا يرونهم كما يرانا الملائكة ، ولا نراهم ، وهو المعنى بقوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨٥] ، هكذا جاء عن بعض المفسرين ، ويجوز أن يكون معناه الروح الذي بحياته الحيوان ، وهو يذكر ويؤنث ، وقال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨٥] ، ولم يبين لهم كيفية ذلك ؛ لأنهم كانوا توافقوا على أن يردوا كل ما يقول فيه ، فأجابهم بما لا يمكنهم رده ، فقال : هو من أمر ربي .

السادس : الروح الذي يحيا معه الحيوان لا غير بلا خلاف ، قال الله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [سورة ص آية : ٧٢] ، وقال : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ [سورة السجدة آية : ٩] ، ونسب الروح إلى نفسه ؛ لأنه الفاعل له ، ويجوز أن يكون قال ذلك تعظيما لأمر الروح ، كما يقال : بيت الله ، وحرم الله ، وخليفة الله ، وقال : ﴿ وَنَفَخَ ﴾ [سورة السجدة آية : ٩] ، لأن الروح من جنس الريح .

الرجاء[1]

الرجاء مقصور الناحية ، والرجاء ممدود من الأصل ، والأصل الميل ، وذلك أن من يرجو نيل الشيء فإنه يخاف فوته في أكثر الحال ، فكأن الرجاء طرف ، والخوف طرف ، ومنه قيل : رجاء البئر لناحيته ، فأما الطمع فيما قيل فتوطين النفس على نيل المطلوب من غير مخافة للفوت .

والصحيح أن الرجاء ما كان عن سبب ، والطمع ما كان عن غير سبب ، ولهذا ذم الطمع ، ولم يذم الرجاء .

وربما جاء الطمع في معنى الأصل ، وهو قوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٨٢] .

والرجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الأمل ، قال الله : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٥٧] ، وهذا دليل على ما قلنا من أن الرجاء يكون طرفا ، والخوف طرفا .

الثاني : الخوف ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [سورة النبأ آية : ٢٧] ، ونحوه قوله : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٥] ، أي : بحسن البعث ، وقال : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الكهف آية : ١١٠] .

---

(١) [رجو] : الرجاء ، ممدود : نقيض اليأس . . رجا يرجو رجاءً . ورجى يُرجّي . وارتجى يرجّى يترجّى . ترجّياً ، ومن قال : رجاة أن يكون كذا فقد أخطأ ، إنّما هو رجاء .
والرّجا ، مقصور : ناحيةُ كلِّ شيء . والاثنان : رجوان ، والجميعُ : أرجاء .
والرَّجوُ : المبالاة . يقال : ما أرجو ، أي : ما أبالي ، من قول الله عزّ وجلّ : " مالكم لا ترجون لله وقاراً " أي ، لا تخافون ولا تُبالون ، وقال أبو ذؤيب :
إذا لسعته النّحل لم يرجُ لسعها *** وخالفها في بيت نُوبٍ عواملِ
أي : لم يكترث . [العين :رجو] .
قال الجرجاني : الرجاء : في اللغة : الأمل ، وفي الاصطلاح : تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل .[التعريفات :١/ ٣٦]

وليس اللقاء الرؤية ، ألا ترى الأعمى يقول لقيت فلانا ، ولم يعن أنه رآه .

وأصل اللقاء المصادفة ، وهو هاهنا لقاء ما وعد الله ، لأن الله لا يصادف .

والرجاء بمعنى الخوف معروف في العربية .

قال الهزلي :

إذا لَسَعَتهُ النَّحلَ لَم يَرجِ لَسعَهَا

الرقبة(١)

أصل الرقبة الانتظار ، وسميت الرقبة رقبة ، لأنك تمدها إذا انتظرت توقفا للمنتظر ، والرقبى أن تعطي الرجل دارا أو أرضا ، فإن مات قبلك رجعت إليك ، وإن مت قبله كانت له ، وسميت رقبى ؛ لأن كل واحدا منهما يرقب موت صاحبه ، والمرقب المربا .

والرقيب الذي يشرف على أصحاب الميسر ، والارتقاب انتظار مع مخافة ، ولهذا يقال : فلان يراقب فلانا ، أي : يخافه ، وراقب الله ، أي : خفه ، ولهذا كان أكثر ما يستعمل الارتقاب في المكروه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَارتَقِبُوا إِنِي مَعَكُم رَقِيبٌ ﴾ [سورة هوة آية : ٩٣] ، والرقيب في أسماء الله تعالى الحفيظ .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحفيظ ، قال تعالى : ﴿ إِن اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء آية : ١] ، أي : هو حافظ لأعمالكم ، وفي ذلك ترغيب وترهيب ، وإخبار بأن الجزاء من وراء العباد ، وقوله : ﴿ كُنتَ أنتَ الرقِيبَ عَلَيهِم ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] .

الثاني : بمعنى الانتظار ، قال : ﴿ وَارتَقِبُوا إِنِي مَعَكُم رَقِيبٌ ﴾ [سورة هود آية : ٩٣] ، وقال : ﴿ فَارتَقِب إِنهُم مُرتَقِبُونَ ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٩] ، أي : انتظر ما يكون من نصرنا إياك ، أنهم منتظرون ما يكون من مثل ذلك لهم .

---

(١)(ر ق ب) : (رَقَبَهُ) رِقْبَةً انْتَظَرَهُ مِنْ بَابِ طَلَبَ وَرَاقَبَهُ مِثْلُهُ (وَمِنْهُ) رَاقَبَ اللهَ إِذَا خَافَهُ لِأَنَّ الْخَائِفَ يَرْقُبُ الْعِقَابَ وَيَتَوَقَّعُهُ (وَأَرْقَبَهُ) الدَّارَ قَالَ لَهُ هِيَ لَكَ رُقْبَى وَهِيَ مِنْ الْمُرَاقَبَةِ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَرْقُبُ مَوْتَ صَاحِبِهِ وَاشْتِقَاقُهَا مِنْ رَقَبَةِ الدَّارِ غَيْرُ مَشْهُورٍ وَرَجُلٌ (رَقَبَانِيٌّ) عَظِيمُ (الرَّقَبَةِ) وَاسْتِعْمَالُ الرَّقَبَةِ فِي مَعْنَى الْمَمْلُوكِ مِنْ تَسْمِيَةِ الْكُلِّ بِاسْمِ الْبَعْضِ وَمِنْهُ أَفْضَلُ الرِّقَابِ أَغْلَاهَا ثَمَنًا وَهُوَ مِنْ الْغَلَاءِ وقوله تَعَالَى ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ يَعْنِي الْمُكَاتَبِينَ .[المغرب :الراء مع القاف]

الرجم[١]

أصله الرمي ثم قيل للقتل رجم ، والشتم رجم تشبيها ، والرجمة القبر لما يرمى فيه من التراب على الميت .

والرجم في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القتل ، قال في يس : ﴿لَنَرجُمَنَّكُم﴾ [سورة يس آية : ١٨] ، أي : نقتلنكم ، وقال : ﴿وَإِنِي عُذتُ بِرَبِي وَرَبِكُم أن تَرجُمُونِ﴾ [سورة الدخان آية : ٢٠] ، أي : أن تقتلون ، وقال : ﴿وَلَولا رَهطُكَ لَرَجَمنَاكَ﴾ [سورة هود آية : ٩١] ، وقيل : معناه رجمناك بالحجارة ، وقيل : بالسب ، ويجوز أن يكون ما تقدم مثل ذلك ، وقال : ﴿لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجُمَنكَ﴾ [سورة مريم آية : ٤٦] ، يعني : القتل ، وقيل الشتم .

الثاني : الرمي ، قال الله : ﴿رُجُومًا لِلشَياطِينِ﴾ [سورة الملك آية : ٥] .

الثالث : الظن ، قال الله : ﴿رَجمًا بِالغَيبِ﴾ [سورة الكهف آية : ٢٢] ، أي : يقولون ذلك ظنا ، ويقال رجمت الظن في كذا إذا ذهب ظنك فيه كل مذهب ، قال زهير :

وَمَا هُوَ عَنهَا بِالحَدِيثِ المُرجَمِ

أي المظنون .

---

(١) [رجم] : الرَّجْمُ : الرَّمْيُ بالحِجَارَةِ . والقَتْلُ . واسْمٌ لِمَا يُرْجَمُ به الشَّيْءُ ، والجَميعُ الرُّجُوْمُ ، والشَّيْطانُ مَرْجُوْمٌ رَجِيْمٌ : لَعِيْنٌ . والقَذْفُ بالغَيْبِ وبالظَّنِّ ، ومنه : حَدِيثٌ مُرَجَّمٌ . وقَوْلُه عَزَّ وَجَلَّ : " لأَرْجُمَنَّكَ واهْجُرْنِي مَلِيّا " أي لأَقُوْلَنَّ فيكَ ما تَكْرَهُ ولأشْتِمَنَّكَ . والمُرَاجَمَةُ في الكلام والعَدْوِ والحَرْبِ : العَمَلُ بأشَدِّه مُسَاجَلَةً . وراجَمَ فُلانٌ عن فلانٍ : ناضَلَ عنه . والرَّجَمُ : القَبْرُ ، وجَمْعُه رِجَامٌ . والرُّجْمَةُ : حِجَارَةٌ مَجْمُوعَةٌ . وارْتَجَمَ الشَّيْءُ : ارْتَكَمَ . وتَرَاجَمَ : تَرَاكَمَ . والرَّجَامَانِ : خَشَبَتَانِ تُنْصَبَانِ على رَأْسِ البِئْرِ يُنْصَبُ عليهما القَعْوُ . والرِّجَامُ : حَجَرٌ يُعَلَّقُ في طَرَفِ الرِّشَاءِ فَيُخَضْخَضُ به الماءُ في البِئْرِ إذا كانَتْ فيها حَمَأةٌ لِتَثُوْرَ . والرُّجْمَةُ : البِنَاءُ من صَخْرٍ تُعْمَدُ به النَّخْلَةُ . و بَيْتٌ يُبْنى للضَّبُعِ لِتُصَادَ به . وتَرَجَّمَ : أي اتَّخَذَ رُجْمَةً . والمِرْجَامُ من الإبِلِ : الذي يَمُدُّ عُنُقَه في السَّيْرِ كأنَّه يَرْجُمُ برأسِه الأرْضَ ، وقيل : هو الشَّدِيْدُ .[المحيط في اللغة :الجيم والراء والميم]

الرابع : بمعنى اللعين ، جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿فَاستَعِذ بِالله مِنَ الشيطَانِ الرجِيمِ﴾ [سورة النحل آية : ٩٨] ، أنه يعني : الملعون ، وقيل : الرجيم المرجوم بالشهب ، من قوله : ﴿وَرُجُومًا لِلشيَاطِينِ﴾ [سورة الملك آية : ٥] .

الرؤية

أصل الرؤية رؤية العين(١) ، ثم استعمل في العلم لوقوع العلم مع الرؤية ، كما أن أصل البصر بصر العين ، ثم سمي العلم بصيرة وبصرا ؛ لأنه قد يقع مع بصر العين ورؤية العين يتعدى إلى مفعول واحد ، والرؤية التي بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين لا غير ، مثل العلم ، تقول : رأيت الرجل حكيما بمعنى علمته ، كذلك رأيت الرجل بمعنى أبصرته .

والرؤية في القرآن على ثلاثة أوجه :

أولها : رؤية العين ، قال الله : ﴿ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٠] ، ومثله كثير .

الثاني : العلم ، قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٥] ، ومثله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يس آية : ٧٧] ، أي : أولم يعلم ، ولم يرد أنه خصيم في الحال ، ولكن إذا بلغ ، ونحوه قوله : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٦] ، أي : ما يكون خمرا ، ومثله قول الراجز :

الحَمـــــدُ للهِ العَلِيمُ المَنَّانُ صَارَ الثَّرِيدُ فِي رُءوسِ العِيدَانِ

فسمي الحب في سنبله ثريدا على معنى أنه يكون كذلك .

---

(١) الفرق بين الرؤية والعلم : أن الرؤية لا تكون إلا لموجود ، والعلم يتناول الموجود والمعدوم ، وكل رؤية لم يعرض معها آفة فالمرئي بها معلوم ضرورة ، وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود كما أن كل إحساس من طريق اللمس فإنه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود .
والرؤية في اللغة على ثلاثة أوجه أحدها العلم وهو قوله تعالى " ونراه قريبا " أي نعلمه يوم القيامة وذلك أن كل آت قريب ، والآخر بمعنى الظن وهو قوله تعالى " إنهم يرونه بعيدا " أي يظنونه ، ولا يكون ذلك بمعنى العلم لانه لا يجوز أن يكونوا عالمين بأنها بعيدة وهي قريبة في علم الله ، واستعمال الرؤية في هذين الوجهين مجاز ، والثالث رؤية العين وهي حقيقة .[الفروق اللغوية :١/ ٢٦٣]

الثالث : بمعنى الخبر ، جاء في التفسير عن ابن عباس أن قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٢٣] ، أنه يعني : ألم تخبر ، وذلك أن جني بن أخطب ، وكعب بن الأشرف سارا إلى مكة ، فقال المشركون : هذان خبر اليهود ، وأهل العلم بالكتب فاسألوهما عنكم وعن محمد أيكم خير فسألوهما ، فقالا : إنكم خير منه أنتم أهل هذا البيت وذاك صابئ فأنزل : ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٥١] .

وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٢٣] ، معناه ألم تخبر بذلك ، وهذا أيضا يرجع إلى معنى العلم ؛ لأنه إذا أخبر به فقد علمه ، ويجوز أن يكون تعجيبا منهم كما تقول لصاحبك : ألم تر إلى فلان كيف أحسن إليه ويجفو بي ونحو ذلك .

الباب الحادي عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله زاي

الزخرف[1]

أصله الذهب ، ثم استعمل في التزيين ، فيقال : زخرفت البيت إذا زينته ، وزخرفت القول إذا زورته وحسنته ، وسميت أنوار الربيع زخارف ؛ لأنها تزين الأرض .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الذهب ، قال الله : ﴿وَزُخۡرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ [سورة : آية ٩٣] ، يعني : الذهب .

الثاني : الزينة والحسن ، قال الله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ ، [سورة يونس آية : ٢٤] ، يعني : حسنها وزينتها .

الثالث : تزوير القول حتى يشبه كذبه صدقا وغروره حقا ، قال تعالى : ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورًا﴾ [سورة : آية ١١٢] ، والمعنى أن بعضهم يزين لبعض الأعمال القبيحة ، وغرورا منصوب على المصدر ومحمول على المعنى ، كأنه قال : يغرون غرورا .

---

(١) الزخْرُفُ الزينَةُ ، بيت مُزَخْرَف ، وتَزَخرفَ الرجُلُ . وقيل الزخْرُف الذهَبُ . والزخارفُ : ما يُزَخْرَفُ من السفُن . وهي – أيضاً – : دوَيْبّات تَطِيرُ على الماء مثل الذباب .[المحيط في اللغة :١/ ٣٨٤]

الزبر(١)

أصل الزبر الكتب في الحجر ، ثم كثر حتى جعل كل كتابة زبرا ، يقال : زبرت الكتاب كتبته ، وزبرته قرأته ، والزبور فعول ، بمعنى مفعول ، أي : هو مزبور ، كما قيل : ركوبة وحلوبة ، وقد يقال : ركوبة ، قال الله تعالى ﴿ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ ﴾ [سورة يس آية : ٧٢] .

وأصل الكلمة الاجتماع ، ومنه قيل : زبرت البئر ، إذا طويتها بالحجارة بجمعك الحجارة فيها ، وزبرة الأسد الشعر المجتمع على كاهله ، وأسد أزبر ومزبر عظيم الزبرة ، والزبرة القطعة من الحديد ، قال الله : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٦] .

وروي الفقير الذي لا زبر له أي : ليس له معتمد يجمع أمره ، ومن ثم سمي الزبير ، وأخذت الشيء بزوبره أي : بأجمعه ، والواو زائدة ، ويجوز أن يكون أصل الكلمة الغلظ ، ومنه قولهم : زبره إذا أغلظ له القول .

والزبر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الكتب ، قال الله : ﴿ بِالبَيِّنَاتِ وَالزُبُرِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٤] ، أي : أرسلناهم بالعلامات البينات ، والزبر يعني : الكتب المضمنة للأمر والنهي ، وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٩٦] . وقال بعض المفسرين : ﴿ وَلَقَد كَتَبنَا فِي الزَبُورِ مِن بَعدِ الذكرِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٥] ، أنه يعني : بالزبور الكتب كلها ، وليس بالوجه ؛ لأن الظاهر لا يترك إلا بدليل ، ولا دليل إلا أن يكون القراءة في الزبور ، جمع زبر مثل سفر وسفور ، وليس ذلك المشهور ، ولا ينبغي القراءة به عندنا .

---

(١) الفرق بين الزبر والكتب : أن الزبر الكتابة في الحجر نقرا ثم كثر ذلك حتى سمي كل كتابة زبرا ، وقال أبو بكر : أكثر ما يقال الزبر وأعرفه الكتابة في الحجر قال وأهل اليمن يسمون كل كتابة زبرا ، وأصل الكلمة الفخامة والغلظ ومنه سميت القطعة من الحديد زبرة والشعر المجتمع على كتف الاسد زبرة ، وزبرت البئر إذا طويتها بالحجارة وذلك لغلظ الحجارة وإنما قيل للكتابة في الحجر زبر لانها كتابة غليظة ليس كما يكتب في الرقوق والكواغد وفي الحديث " الفقير الذي لا زبر له " قالوا لا معتمد له وهو مثل قولهم رقيق الحال كأن الزبر فخامة الحال ، ويجوز أن يقال الزبور كتاب يتضمن الزجر عن خلاف الحق من قولك زبره إذا زجره وسمي زبور داود لكثرة مزاجره ، وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة .[الفروق اللغوية :١/ ٢٦٥]

الثاني : اللوح المحفوظ ، قال الله : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [سورة القمر آية : ٥٢] ، هكذا جاء في التفسير .

الثالث : قوله تعالى : ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٣] ، ومن قرأ زبرا أراد قطعا ، الواحدة زبرة ، ومنه : ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٦] ، ومن قرأ زبرا أي : جعلوا دينهم كتبا مختلفة .

الزوج[1]

الأشهر عند العرب أن الزوج واحد ، والمرأة زوج الرجل ، والرجل زوج المرأة ، ولا يقال للمرأة زوجة إلا قليلا ، وكل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وهما زوجان مثل زوجي ، يقال : وزوجي خفاف ، وربما قيل للاثنين زوج ، وهو قليل شاذ ، والزوج النمط يطرح تحت الهودج ، قال لبيد :

زوجٌ علَيهِ كلة وقِرَامُهَا

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

---

(١) [زوج] : الزَّوْجُ : امْرَأةُ الرَّجُلِ ، وكذلك الزَّوْجَةُ . والرَّجُلُ زَوْجٌ أيضاً . وزَوْجَانِ من الحَمَامِ : أنْثى وذَكَرٌ . وزَوْجٌ من النَّبَاتِ : لَوْنٌ منه وضَرْبٌ ، من قَوْلِه عَزَّ وجَلَّ : " فأخْرَجْنا به أزْواجاً من نَبَاتٍ شَتّى " أي ضُروباً . وكذلك الدِّيْبَاجُ والوَشْيُ والنَّمَطُ المَوْشِيُّ .[و] يُقال : زَوَّجْتُ إبِلي : إذا قَرَنْتَ بَعْضَها إلى بَعْضٍ ، من قَوْلِهِ عزَّ وجَلَّ : " وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ " ن من قَوْلِه تعالى : " احْشُرُوا الَّذين ظَلَمُوا وأزْوَاجَهم " أي قُرَناءَهم . ويُقال في جَمَاعَةِ الزَّوْجِ من الطَّيْرِ : أزْوَاجٌ وزِوَجَةٌ .[المحيط في اللغة :الجيم والزاي] .

الفرق بين البعل والزوج : أن الرجل لا يكون بعلا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعال النكاح والملاعبة ومنه قوله عليه السلام " أيام أكل وشرب وبعال " وقال الشاعر :

وكم من حصان ذات بعل تركتها *** إذا الليل أدجى لم تجد من تباعله

وأصل الكلمة القيام بالامر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه .[الفروق اللغوية :١/٢٦٩]

وفي معجم مقاييس اللغة مادة (زوج) : الزاء والواو والجيم أصلٌ يدلُّ على مقارنَة شيءٍ لشيء.

من ذلك الزّوج زوج المرأة. والمرأةُ زوج بعلِها، وهو الفصيح.

قال الله جل ثناؤه: ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة ٣٥، الأعراف ١٩].

ويقال لفلانٍ زوجانِ من الحمام، يعني ذكراً وأنثى.

فأمّا قولُه جلّ وعزّ في ذِكْر النبات: ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج ٥، ق٧]، فيقال أراد به اللَّون، كأنَّه قال: من كل لونٍ بهيج.

وهذا لا يبعد أن يكون مِن الذي ذكرناه؛ لأنه يزوَّج غَيْرَه ممّا يقاربه.

وكذلك قولهم للنَّمَط الذي يُطرَح على الهودج زَوج؛ لأنّه زوجٌ لما يُلْقَى عليه.

قال لبيد:

مِن كل محفوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ *** زَوْجٌ عليه كِلّةٌ وقِرامُها

الأول : الحليلة ، قال الله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥] ، وقال : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١١] .

الثاني : الصنف ، قال : ﴿ خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ [سورة يس آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [سورة ق آية : ٧] ، وقال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤٣] ، وقال : ﴿ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٣] .

وكل ذلك بمعنى الصنف ، ودخل اثنين تأكيدا ، ويجوز أن يقال : أنه دخل ؛ لأن الزوج في بعض اللغات اثنان ، فلو لم يقل : اثنين لتوهم من تلك لغته ، لأن الزوجين أربعة ، فلما قال : اثنين ارتفع الإشكال[1] .

الثالث : القرين ، قال : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢] ، أي : قرناءهم من الشياطين .

وذلك أنه لما كان الزوج الواحد الذي له قرين سمي القرين زوجا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٤] ، أي : قرناؤهم .

ولا يجوز أن يكون من التزويج ؛ لأنه لا يقال : زوجت فلانا بفلانة ، وإنما يقال : زوجت فلانة فلانا بغير باء ، وقال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [سورة التكوير آية : ٧] ، أي : قرن كل واحد بمن شايع .

---

(١) زوج: يقال: لفُلانٍ زوجان من الحمام، أي: ذكر وأنثى. قال سبحانه: " فاسلك فيها من كلِّ زوجين اثنين". زوجٌ من الثِّيابـه أي: لونٌ منها، قال عزّ وجلّ: " من كلِّ زَوجٍ بهيج " ، أي: لون. ويجمع الزَّوجُ: أزواجاً.

الباب الثاني عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله سين

سواء[1]

أصل السواء من التماثل ، ومنه قيل للمثل النيء ، وهما سيئان أي : مثلان ، وسواء لا يجمع ؛ لأنه في مذهب الفعل فإن احتجت إلى جمعه قلت : أسوئة ، وقال بعضهم : جمع سواسية على غير قياس ، وهو غلط لأن سواء يستعمل في الخير والشر ، وسواسية لا يستعمل إلا في الشر ، وهذا دليل على أنه حرف برأسيه ، وهو جمع لا واحد له من لفظه .

وسواء في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : العدل ، قال الله : ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ٦٤] ، أي : عدل ، وهو قوله : ﴿لا إِلَهَ إلا اللهُ﴾ [سورة محمد آية : ١٩ ، الصافات : ٣٥] ، وقوله : ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] ، أي : عدل لمن يطلب الرزق .

ومعنى ذلك أنه خلق الأرض والماء وجعل فيهما قوت الخلق بالعدل ، لأنه رزق كلا منهم على قدر ما علم أنه صلاح له ، وقيل : ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] ، أي : لمن سأل في كم خلقت الأرض ، وما فيها ؟ ، فقيل : خلقت الأرض في أربعة أيام سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل .

---

(١)(س و ي) : (سَوَّى) الْمُعْوَجَّ فَاسْتَوَى فِي الْحَدِيثِ قَدِمَ زَيْدٌ بَشِيرًا بِفَتْحِ بَدْرٍ حِينَ (سَوَّيْنَا) عَلَى رُقَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يَعْنِي : دَفَنَّاهَا وَسَوَّيْنَا تُرَابَ الْقَبْرِ عَلَيْهَا وَقَوْلُهُ (وَلَمَّا اسْتَوَتْ) بِهِ رَاحِلَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ أَيْ عَلَتْ بِهَا أَوْ قَامَتْ مُسْتَوِيَةً عَلَى قَوَائِمِهَا وَغُلَامٌ (سَوِيٌّ) مُسْتَوِي الْخَلْقِ لَا دَاءَ بِهِ وَلَا عَيْبَ وقوله تَعَالَى ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أَيْ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَوٍ بِأَنْ تُظْهِرَ لَهُمْ نَبْذَ الْعَهْدِ وَلَا تُحَارِبْهُمْ وَهُمْ عَلَى تَوَهُّمِ بَقَاءِ الْعَهْدِ أَوْ عَلَى اسْتِوَاءٍ فِي الْعِلْمِ بِنَقْضِ الْعَهْدِ أَوْ فِي الْعَدَاوَةِ (وَهُمْ سَوَاسِيَةٌ) فِي هَذَا أَيْ سَوَاءٌ وَهُمَا (سِيَّانِ) أَيْ مِثْلَانِ (وَمِنْهُ) رِوَايَةُ يَحْيى بن مَعِينٍ إنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (سِيٌّ) وَاحِدٌ وَفِيهِ نَظَرٌ وَإِنَّمَا الْمَشْهُورُ شَيْءٌ وَاحِدٌ .[المغرب :٣/ ١١٥]

الثاني : الوسط ، قال : ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [سورة الصافات آية : ٥٥] ، وقال : ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [سورة ص آية : ٢٢] ، أي : إلى أحكم البين فشبهه بوسط الطريق ، وقيل : السواء هاهنا بمعنى العدل .

الثالث : الأمر البين ، قال : ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ، يعني : على أمر بين ، قال أبو عبيد : قال الكسائي وغيره : السواء العدل ، وقال غير واحد من أهل العلم : ﴿انبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ، أي : أعلمهم أنك محاربهم حتى يصيروا مثلك في العلم بذلك ، فذلك هو السواء .

الرابع : الاستواء ، قال : ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [سورة الحج آية : ٢٥] ، وقال : ﴿وَدوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [سورة النساء آية : ٨٩] ، قال : ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [سورة الروم آية : ٢٨] ، أي : مستوون ، ومثله : ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْلا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يس آية : ١٠] ، أي : مستو عندهم إنذارك وخلافه ، وقال : ﴿عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [سورة النحل آية : ٧١] .

الخامس : القصد ، قال الله : ﴿أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة القصص آية : ٢٢] ، وقال : ﴿وَضَلوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٧] ، ونحوه : ﴿اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [سورة ص آية : ٢٢] ، وقيل : معناه هاهنا العدل ، والمراد عندي الحكم البين ، فشبهه بوسط الطريق ، ووسط الطريق بينه فخصه بالذكر .

السوء(١)

أصله المكروه ومنه قولهم : دفع الله عنك السوء ؛ ثم استعمل في الحزن ؛ لأن الحزن مكروه ، فقيل : ساءه الأمر ، والدليل على أنه يراد به الحزن أنهم يجعلونه خلاف السرور ، فيقولون : ساءه ذلك ، وسره هذا ، وقوله : ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الملك آية : ٢٧] ، أي : يتبين فيها أثر الحزن .

والسوء في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الشدة ، قال الله : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٩] ، وقال : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [سورة النمل آية : ٥] أي : شدته .

الثاني : المكروه ، قال : ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ [سورة الأعراف آية : ٧٣] ، أي : بمكروه ، وقال : ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [سورة الرعد آية : ١١] ، قوله : ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨٨] ، وقوله : ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٧] ، أي : مكروها ، وقيل : المراد القتل والهزيمة .

الثالث : جاء بمعنى الزنا ، قال : ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [سورة يوسف آية : ٥١] ، وهذا راجع إلى المكروه ؛ لأن الزنا مكروه .

الرابع : البرص ، قال الله : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [سورة طه آية : ٢٢] .

---

(١) [سوء] : والسّوء نعت لكلّ شيء رديء . ساء يَسُوءُ ، لازمٌ ومجاوزٌ وساء الشّيء : قَبُح فهو سَيِّئٌ والسُّوء : اسم جامعٌ للآفات والدّاء . وسُؤْت وَجْهَ فلان وأنا أَسُوءُهُ ، مَساءةً ومَسايَة لغة ، تقول : أدرتُ مَساءَتَكَ ومَسايَتَكَ ، وأساءت إليه في الصُّنْع . واستاء من السّوء بمنزلة اهتمّ من الهمّ .

وأساء فلان خياطة هذا الثّوب ، وسُؤت فلانا ، وسُؤت له وجهه ، وتقول : ساء ما فعل صنيعاً يسوء ، أي : قبح صنيعُهُ صنيعاً .

والسَّيِّء والسَّيِّئة : عملان قبيحان ، يصير السَّيِّء نعتاً للذَّكَر من الأعمال ، والسَّيِّئة للأنثى ، قال : " والله يعفو عن السَّيِّئات والزللِ " والسَّيِّئة : اسم كالخطيئة .

والسُّوءَى ، بوزن فُعلَى : اسم للفَعْلة السَّيِّئة ، بمنزلة الحُسْنَى للحَسَنة ، محمولة على جهة النَّعْت في حدّ أفعل وفُعْلَى كالأَسْوَأ والسُّوءَى ، رجلٌ أسوأ ، وامرأة سُوءَى ، أي : قبيحة .[العين :سوء]

الخامس : العذاب ، قال الله : ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة النحل آية : ٢٧] ، وقال : ﴿لا يَمَسُّهُمُ السوءُ﴾ [سورة الزمر آية : ٦١] ، يعني : العذاب ، ومعنى ذلك كله راجع إلى المكروه.ونحوه : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الذِينَ أَسَاءُوا السوأى﴾ [سورة الروم آية : ١٠] ، أي : العذاب .

السادس : المعصية من الشرك وغيره ، قال : ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [سورة النحل آية : ٢٨] ، يعني : الشرك ، وقال : ﴿يَعْمَلُونَ السوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [سورة النساء آية : ١٧] ، يعني : ما دون الشرك .

السابع : الشتم ، قال : ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسوءِ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٢] .

الثامن : قوله : ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [سورة الرعد آية : ١٨] ، قال : هو أن لا يقبل منه حسنة ، ولا يتجاوز عن سيئة ، و : ﴿سُوءُ الدارِ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٥] ، يعني : شر الدار ، وعذابها ، وقيل : معناه بئس الدار .

السعي(١)

أصله السرعة في المشي ، ثم استعمل في غيره ، فيقال : سعى الرجل سعاية ، إذا ولي الصدقة ، والساعي إلى السلطان لسرعته ، لأن الساعي حنق على المسعي به ؛ فهو سريع إلى إلحاق الضرر به ، والمساعاة الزنا بالإماء خاصة .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المشي ، قال الله : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٩] ، لم يرد سرعة المشي ؛ وإنما أراد صدق القيام في أمر الصلاة ، وتقوية العزم عليه ، والمستحب أن المشي إلى الجمعة مشيا رويدا لا سرعة فيه ولا بطء ، وقال : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٠٢] ، يعني : المشي ، يقال : أراد المعاونة على أمره ونحوه قولهم : فلان يسعى في حوائج أهله ، أي : يعينهم فيها .

الثاني : العمل ، قال : ﴿ أُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٩] ، وقوله : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى ﴾ [سورة النجم آية : ٣٩] ، أي : ما عمل ، وحقيقته جزاء ما عمل .

وقال : ﴿ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٩] ، أي : عملها ، وقال : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ [سورة الليل آية : ٤] ، أي : عملكم مختلف ، وأصل الشتت التفرق .

وقال : ﴿ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ [سورة الحج آية : ٥١] ، أي : سابقين جادين في الصرف عن آياتنا ، وقال : مغالبين .

---

(١)(س ع ي) : سَعَى الرَّجُلُ عَلَى الصَّدَقَةِ يَسْعَى سَعْيًا عَمِلَ فِي أَخْذِهَا مِنْ أَرْبَابِهَا وَسَعَى فِي مَشْيِهِ هَرْوَلَ وَسَعَى إلَى الصَّلَاةِ ذَهَبَ إلَيْهَا عَلَى أَيِّ وَجْهٍ كَانَ وَأَصْلُ السَّعْيِ التَّصَرُّفُ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إلَّا مَا سَعَى ﴾ أَيْ إلَّا مَا عَمِلَ وَسَعَى عَلَى الْقَوْمِ وَلِيَ عَلَيْهِمْ وَسَعَى بِهِ إلَى الْوَالِي وَشَى بِهِ وَسَعَى الْمُكَاتَبُ فِي فَكِّ رَقَبَتِهِ سِعَايَةً وَهُوَ اكْتِسَابُ الْمَالِ لِيَتَخَلَّصَ بِهِ وَاسْتَسْعَيْتُهُ فِي قِيمَتِهِ طَلَبْتُ مِنْهُ السَّعْيَ وَالْفَاعِلُ سَاعٍ وَإِذَا أُطْلِقَ السَّاعِي انْصَرَفَ إلَى عَامِلِ الصَّدَقَةِ وَالْجَمْعُ سُعَاةٌ .[المصباح المنير :السين مع العين]

وأصل العجز الضعف ، وقد عاجزه كأنه طلب ضعفه وقرئ : ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي : يعجزون من يؤمن بها ، وهو معنى التثبيط عنها ، ويرجع الأول إلى الإسراع .

الثالث : السرعة ، قال الله : ﴿وَأَما مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [سورة عبس آية : ٨] ، أي : يسرع إليك للاستفادة منك .

وقال : ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ [سورة القصص آية : ٢٠ ، سورة يس آية : ٢٠] ، وقال : ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٠] ، وقيل : أراد مشيا ، والأول أجود .

السوي

أصله من الاستواء ، وقد جاء في معنى الصحة ؛ لأن المستوي صحيح التقاسيم ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي "(١) .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الصحيح ، قال : ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيا﴾ [سورة مريم آية : ١٠] ، أي : صحيحا من غير خرس .

الثاني : المستوي الصورة ، السوي الخلق ، قال : ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيا﴾ [سورة مريم آية : ١٧] ، أي : سوي الخلق في صورة البشر .

الثالث : العدل ، قال : ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِرَاطِ السوِي﴾ [سورة طه آية : ١٣٥] ، أي : العدل ، وقال : ﴿فَاتبِعْني أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيا﴾ [سورة مريم آية : ٤٣] ، يعني : دينا عدلا ، قال : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمنْ يَمْشِي سَوِيا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الملك آية : ٢٢] ، يعني : عدلا مهديا .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه من حديث أبي سعيد الخدري (١٦٣٥) ، وابن ماجه (١٨٤١) ، وأحمد في مسنده (١٠٨٧٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢١٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ١٥ ، وفي السنن الصغرى (١٣٠٠) ، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه ابن ماجه (١٨٣٩) ، وأحمد (٨٨١٨) .

السبب(١)

أصله الحبل ، ثم قيل : لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها سبب ، تقول : فلان سببي إليك ، أي : وصلني ، وما بيني وبينك سبب ، أي : وصلة ورحم .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الباب ، قال : ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴾ [سورة ص آية : ١٠] ، يعني : أبواب السماوات كما قال تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴾ [سورة غافر آية : ٣٦] ، أسباب السموات وسبب الشيء ما يتوصل به إليه ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴾ [سورة ص آية : ١٠] ، يعني : في الحبال وغيرها مما يتوصل به إلى الموضع العالي .

ويجوز أن يكون أراد الهواء الذي هو سبب لصعود الملائكة إلى السماء يمدون فيه أجنحتهم فيصعدون ، وهذا على جهة التعجيز للكفار المخاطبين بهذه الآية ، والإخبار بأنهم يغلبون ولا يتم أمرهم ، والشاهد على صحة هذا قوله : ﴿ جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ [سورة ص آية : ١٠] .

الثاني : الطريق ، قال تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٥] ، وجعل الطريق سببا ، لأنك إذا سلكته وصلت إلى الذي تريده ، ومنه قولهم سبب لك على فلان ، أي : جعل لك طريق إلى مطالبة .

الثالث : الحبل ، قال الله : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾(٢) [سورة الحج آية : ١٥] .

---

(١) السَّبَبُ الْحَبْلُ وَهُوَ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الِاسْتِعْلَاءِ ثُمَّ اُسْتُعِيرَ لِكُلِّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى أَمْرٍ مِنْ الْأُمُورِ فَقِيلَ هَذَا سَبَبُ هَذَا وَهَذَا مُسَبَّبٌ عَنْ هَذَا .[المصباح المنير :السين مع الباء]

(٢) قال الرازي : اعلم أن في لفظ السبب قولين : أحدهما : أنه الحبل وهؤلاء اختلفوا في السماء فمنهم من قال هو سماء البيت ، ومنهم من قال هو السماء في الحقيقة ، فقالوا المعنى : من كان يظن أن لن ينصره الله ، ثم يغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلاً إلى سماء بيته فاختنق ، فلينظر أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه . وعلى هذا القول اختلفوا في القطع فقال بعضهم : سمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ، وسمى فعله كيداً لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره ، أو على سبيل الاستهزاء إلا أنه لم يكد به محسوده

الرابع : العلم ، قال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[سورة الكهف آية : ٨٤] ، أي : علما ، : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٥] ، أي : طريقا يهد به إلى معلومه ، ويجوز أن يكون المراد : إنا أعطيناه من كل شيء يتوصل به إلى الغلبة والسلطان آلة أو قوة أو ذريعة أو علما على ما ذكر .

وإنما كاد به نفسه ، والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ . وهذا قول الكلبي ومقاتل وقال ابن عباس رضي الله عنه : يشد الحبل في عنقه وفي سقف البيت ، ثم ليقطع الحبل حتى يختنق ويهلك ، هذا كله إذا حملنا السماء على سقف البيت وهو قول كثير من المفسرين . وقال آخرون : المراد منه نفس السماء فإنه يمكن حمل الكلام على نفس السماء فهو أولى من حمله على سماء البيت ، لأن ذلك لا يفهم منه إلا مقيداً ، ولأن الغرض ليس الأمر بأن يفعل ذلك ، بل الغرض أن يكون ذلك صارفاً له عن الغيظ إلى طاعة الله تعالى ، وإذا كان كذلك فكل ما كان المذكور أبعد من الإمكان كان أولى بأن يكون هو المراد ومعلوم أن مد الحبل إلى سماء الدنيا والاختناق به أبعد في الإمكان من مده إلى سقف البيت ، لأن ذلك ممكن . أما الذين قالوا السبب ليس هو الحبل فقد ذكروا وجهين : الأول : كأنه قال فليمدد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع بذلك السبب المسافة ، ثم لينظر فإنه يعلم أن مع تحمل المشقة فيما ظنه خاسر الصفقة كأن لم يفعل شيئاً وهو قول أبي مسلم . والثاني : كأنه قال فليطلب سبباً يصل به إلى السماء فليقطع نصر الله لنبيه ، ولينظر هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بحيلة ، وهل يتهيأ له أن يقطع بذلك نصر الله عن رسوله ، فإذا كان ذلك ممتنعاً كان غيظه عديم الفائدة ، واعلم أن المقصد على كل هذه الوجوه معلوم فإنه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه ، وهو في معنى قوله : ﴿ فَإِن استطعت أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأرض أَوْ سُلَّماً فِي السماء ﴾ [الأنعام : ٣٥] مبيناً بذلك أنه لا حيلة له في الآيات التي اقترحوها .[مفاتيح الغيب :١١/ ١٠٢]

السمع(١)

أصل السمع سمع الأصوات ، ثم سميت الأذن سمعا ؛ لأن السمع بها يكون فيما بيتنا ، وسمى الإجابة سمعا ، لأنها مع السمع تكون في أكثر الأوقات ، والسميع لا يقتضي المسموع ، لأن فعيلا جعل للمبالغة ، وليس هو على مقتضى فعل ، والله تعالى لم يزل سميعا ، ومعناه أنه الذي لا آفة به لمنعه عن سمع المسموع إذا وجد ، والسامع يقتضي المسموع ، فلا يسمى الله سامعا ، فيما لم يزل .

والسمع في القرآن على وجهين :

الأول : سمع الصوت ، قال الله : ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [سورة هود آية : ٢٠] ، أي : يعرضون عن الإيمان وينصرفون عنه انصراف من لا يستطيع سمعه .

الثاني : القبول والإجابة ، قال الله : ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٨] ، أي : مجيبه ، وأنت تقول لصاحبك : اسمع نصيحتي مع أنك تعلم أنه يستجيبها ، وإنما يريد أقبل ، ونحوه قولك لمن يجله : سمعا وطاعة ، أي : أقبل ما تقول وأطيعك فيه ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٣] ، أي : لسماهم سمعاء ، ولم يسمهم صما بكما .

(١)(س م ع) : سَمِعْتُهُ وَسَمِعْتُ لَهُ سَمْعًا وَتَسَمَّعْتُ وَاسْتَمَعْتُ كُلُّهَا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَبِالْحَرْفِ بِمَعْنًى وَاسْتَمَعَ لِمَا كَانَ بِقَصْدٍ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إلَّا بِالْإِصْغَاءِ وَسَمِعَ يَكُونُ بِقَصْدٍ وَبِدُونِهِ وَالسَّمَاعُ اسْمٌ مِنْهُ فَأَنَا سَمِيعٌ وَسَامِعٌ وَأَسْمَعْتُ زَيْدًا أَبْلَغْتُهُ فَهُوَ سَمِيعٌ أَيْضًا قَالَ الصَّغَانِيّ وَقَدْ سَمَّوْا سَمْعَانَ مِثْل عِمْرَانَ وَالْعَامَّةُ تَفْتَحُ السِّينَ وَمِنْهُ دَيْرُ سَمْعَانَ وَطَرَقَ الْكَلَامُ السَّمْعَ وَالْمِسْمَعَ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَالْجَمْعُ أَسْمَاعٌ وَمَسَامِعُ وَسَمِعْتُ كَلَامَهُ أَيْ فَهِمْتُ مَعْنَى لَفْظِهِ فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْهُ لِبُعْدٍ أَوْ لَغَطٍ فَهُوَ سَمَاعُ صَوْتٍ لَا سَمَاعُ كَلَامٍ فَإِنَّ الْكَلَامَ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى تَتِمُّ بِهِ الْفَائِدَةُ وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ وَهَذَا هُوَ الْمُتَبَادَرُ إلَى الْفَهْمِ مِنْ قَوْلِهِمْ إنْ كَانَ يَسْمَعُ الْخُطْبَةَ لِأَنَّهُ الْحَقِيقَةُ فِيهِ وَجَازَ أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ الْخَطِيبِ مَجَازًا وَسَمِعَ اللَّهُ قَوْلَكَ عَلِمَهُ وَسَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَبِلَ حَمْدَ الْحَامِدِ وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَجَابَ اللَّهُ حَمْدَ مَنْ حَمِدَهُ وَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُمْ سَمِعَ الْقَاضِي الْبَيِّنَةَ أَيْ قَبِلَهَا وَسَمَّعْتُ بِالشَّيْءِ بِالتَّشْدِيدِ أَذَعْتُهُ لِيَقُولَهُ النَّاسُ .[المصباح المنير :السين مع الميم]

السلطان(١)

أصل السلطان القوة ، والسطوة ، والجدة ، وهو مشتق من السليط ، وهو الزيت ، وذلك أن الزيت مادة للسراج يشتعل به وتقويه حتى يبقى ، والسلطان مادة وقوة لكل خير وشر ، ونفع وضر ، وهو يذكر ويؤنث .

ورجل سليط اللسان فصيحه ، يرجع إلى معنى الجدة ، والمصدر السلاطة ، وهو للرجل مدح وللمرأة ذم ، يقال : امرأة سليطة إذا كانت كثيرة الصخب ، ويقال : ذهب سلطان الحر وسلطان البرد أي : شدتها ، وسميت القدرة على الشيء سلطانا ، يقال : مالي على هذا الأمر سلطان ، أي : قدرة .

والسلطان في القرآن على وجهين :

الأول : الحجة ، قال الله : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة هود آية : ٩٦] ، يعني : حجة وبينة ، وقال : ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [سورة الحج آية : ٧١] ، وقال : ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الصافات آية : ١٥٦] ، وقال : ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [سورة النمل آية : ٢١] ، وإنما سميت الحجة سلطانا ، لأنك تقوى بها على خصمك .

الثاني : الملك والقهر ، قال الله : ﴿مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [سورة الصافات آية : ٣٠] ، أي : من ملك يقهرهم به على فعل المعاصي .

---

(١) [سلط] : السَّلاَطَةُ : مَصْدَرُ السَّلِيْطِ من الرجالِ والسَّلِيْطَةِ من النِّسَاء ، سَلُطَتْ سَلاَطَةً . والسلِطُ باللِّسَانِ : أشَدُّ من السَّلْقِ . وهو سَلِيْطُ القَوْمِ وكَلِيْمُهم وكِلِّيْمُهم : أي أسْلَطُهم لِسَاناً . ومَنَابِكُ سَلِطَاتٌ : أي حِدَادٌ . والسلِيْطُ : الذُّبَالُ . والزَّيْتُ .
والسُّلْطانُ : في معنى الحُجَّةِ . وقُدْرَةُ المَلِكِ ، ويُذَكَّرُ ويُؤنَّثُ . وقيل : واحِدُ السُّلْطانِ سِلِّيْطٌ . ورَجُلٌ سَلَنْطِيْطٌ : عَظِيْمُ السُّلْطانِ .[المحيط في اللغة :سلط]

السلام

قد مضى القول في أصل هذا الحرف ، وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : اسم الله تعالى ، قال : ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾(١) [سورة الحشر آية : ٢٣] ، ومعناه أن عباده يسلمون من ظلمه ، وقال : ﴿سُبُلَ السلامِ﴾ [سورة المائدة آية : ١٦] ، أي : سبل الله ، وهو دينه ، وقال : ﴿يَدْعُو إِلَى دَارِ السلامِ﴾ [سورة يونس آية : ٢٥] ، يعني : الجنة ، ونسبها إلى نفسه تعظيما لها ، كما يقال : بيت الله وخليفة الله ، ويجوز أن يكون أراد بالسلام الأمن من الخوف ، لأن موضوع السلام لذلك .

الثاني : الخير ، قال : ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨٩] ، أي : قل خير كذا قيل ، ولو كان كذلك النصب ، فقال : سلاما ؛ لأن ما كان من القول يجيء بعده فهو منصوب ، قلت : خيرا ، وقلت : شرا .

والمراد أن قل أنا سلم ولست بحرب ، وإنما أقول ما أقوله على وجه النصيحة ، فإن قتلتموه وإلا فقد بلغت ، وحسابكم على الله ، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب ، وقال : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [سورة الفرقان آية : ٦٣] ، أي : ردوا خيرا ، وقيل : ﴿سَلامًا﴾ ، أي : تسلما منكم ، قال سيبويه : يقال : لا تكونن من فلان إلا سلاما بسلام ، يعني : به المباركة .

وقوله : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾ [سورة الذاريات آية : ٢٥] ، أي : قال خيرا كذا قيل ، والوجه أن يكون من السليم فنجد الأول ، لأن القول هو السلم ، وكل ما يجيء بعد القول فهو رفع إلا أن يكون من القول ، فيقول : قلت : زيد في الدار ، وقلت :

---

(١) قال أبو جعفر : قوله :(السَّلامَ) يقول : هو الذي يسلم خلقه من ظلمه ، وهو اسم من أسمائه . كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمّر ، عن قتادة(السَّلامَ) : الله السلام . حدثنا ابن حُمَيد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، يعني العَتكي ، عن جابر بن زيد قوله :(السَّلامَ) قال : هو الله ، وقد ذكرت الرواية فيما مضى ، وبيَّنت معناه بشواهده ، فأعنى ذلك عن إعادته . وقوله :(الْمُؤْمِنُ) يعني بالمؤمن : الذي يؤمن خلقه من ظلمه .[جامع البيان :٢٣/ ٣٠٢]

كلاما حسنا ، لأن القول هو الكلام ، وليس زيد هو القول ، ورفع السلام الأخير ، كأنه قال حين أنكرهم : هو سلام إن شاء الله ، فمن أنتم ولو كانا جميعا نصبا لجاز .

الثالث : الثناء الحسن ، قال تعالى : ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات آية : ٧٩] ، وقوله : ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات آية : ١٠٩] ، : ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [سورة الصافات آية : ١٢٠] ، أراد الثناء الحسن عليهم ، ويجوز أن يكون أراد قول المسلمين عند ذكر الأنبياء عليهم السلام .

الرابع : السلامة من الشر ، قال الله : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٦٩] ، وقال : ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [سورة الواقعة آية : ٩١] ، أي : إنك ترى لهم ما تحب من السلامة ، وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء ، كذا قال الزجاج ، وليس بالوجه ؛ لأنه ليس على مقتضى لفظ الآية .

والصحيح أنه أراد أن لك من إيمانهم وطاعتهم لله الخير عند الله ، لأنهم آمنوا بدعائه وهدايته ، "ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"[1] أي : مثل أجره ، ويجوز أن يكون المراد أنك مسرور بثوابهم فجعل سروره .....[2]

الخامس : بمعنى تسليم الشيء إلى صاحبه ، قال : ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٦] ، وكذلك قوله : ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [سورة ق آية : ٣٤ ، الحجر : ٤٦] ، أي : قد سلمت إليكم فخذوها مهنأة ، ويجوز أن يكون معناه ادخلوها مع السلامة من الآفات ، والسلام والسلامة واحد مثل الضلالة والضلال ، والجلالة والجلال .

السادس : التحية ، قال : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٤] ، أي : يدخل الملائكة عليهم مسلمين مهنئين ، ونحوه قوله : ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث جرير بن عبد الله (٢٠٣) ، وأحمد في مسنده (١٨٧١٧) ، والدارمي (٥١٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣١٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٤/ ١٧٦ ، وله شاهد آخر من حديث أبي جحيفة السوائي أخرجه ابن ماجه (٢٠٧) .

(٢) طمس في المخطوط .

النور آية : ٦١] ، أي : على إخوانكم ، وقال : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٤] ، حكاية ما تحيون به .

وتقديره في العربية الابتداء ، والخبر وتأويله ما تحيون به هو هذا القول ، ومثله : ﴿يُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [سورة الفرقان آية : ٧٥] ، والتحية أعم من السلام ، والسلام مخصوص ، ويدخل في التحية : حياك الله ، ولك البشرى ، ولقيت كل خير .

فإن قيل : كيف يعطف الجزء من الشيء على جميعه ، قلنا : لأن من كلامهم عطف الخاص على العام ، كقوله : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، وكقوله : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٨] ، وقال جرير :

سَائِلْ ذَوِي يَمَنٍ وسَائِلْ مذحجا ... والأَزْدُ أَدْهُرٍ والنَّارُ مسعُودًا

والأزد من اليمن .

السيئات

قد تكلمنا في هذا الحرف بما فيه كفاية ، وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : المعاصي ، قال : ﴿الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [سورة يونس آية : ٢٧] ، وارتفع جزاء بإضمار لهم ، أي : لهم ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [سورة يونس آية : ٢٧] .

وقال البلخي : الباء في قوله : ﴿بِمِثْلِهَا﴾ زائدة ، وليس كما قال ، وإنما هو على تقديم وتأخير ، كأنه قال : يجازي بسيئة مثلها ، والسيئات هنا الكبائر من المعاصي .

والمراد أن من يأتي بكبيرة من الكبائر يجازى بما يستحق عليها من غير زيادة ، وهذا دليل على أنه لا يعاقب بغير ذنب ؛ لأن العقاب بغير ذنب أقبح من الزيادة في العقاب .

ولا يسمى إيصال العذاب زيادة ، وقيل : أن قوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس آية : ٢٦] أنه أراد به إيصال الثواب ، وقيل : هي التفضل ، وقال الكلبي : الزيادة للواحد عشرة ونحوه عن الحسن رحمه الله .

الثاني : العذاب ، قال : ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [سورة النحل آية : ٣٤] ، وسمي العذاب ، وهو فعلة سيئة ، كما سماه شرا في قوله : ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [سورة الإنسان آية : ١١] ، وإنما سماه شرا وسيئة من أجل أنه مضرة ، وقال الشاعر :

أنا عَلَى المَاءِ لشرٌّ موضُوعِ

فسمى نفسه وقومه شرا ، أراد أنهم مضرة على من يزاحمهم على الماء .

ولا يجوز أن يسمى الله شريرا ولا مسيئا لفعله العذاب الذي سماه شرا أو سيئة ، لأن الشرير هو الذي يفعل الشر القبيح ، مثل الظلم وما بسبيله .

الثالث : الضر ، قال الله : ﴿مِنْ بَعْدَ ضَراءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَن ذَهَبَ السيئَاتُ عَني﴾ [سورة هود آية : ١٠] ، وقال : ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسيئَاتِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٨] ، أي : بالضر وسوء الحال ، والبلوى من الله التكليف ، وأصلها استنارة العلم بالمبلو .

الرابع : الشر ، قال : ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [سورة غافر آية : ٤٥] ، أي : الشر الذي أراده به فرعون .

الخامس : الفاحشة ، قال : ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود آية : ٧٨] ، يعني : إتيان الرجال .

ويجوز أن يكون أراد ذلك وغيره من قبيح أعمالهم ، والأصل في هذا كله المكروه على ما ذكرنا ، وهاهنا وجه آخر وهو قوله : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ٣١] ، والسيئات هاهنا الصغائر .

والمراد أن اجتنبتم المعاصي التي هي أكبر من طاعتكم وغفرت لكم معاصيكم التي هي أصغر منها ولو لم تكن هذه الكبائر أعظم من طاعات فاعليها لغفرت بالطاعات ؛ كما يغفر بها الصغائر ، ولو كانت الكبائر تغفر بالطاعات لم يكن ، لقوله : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ٣١] فائدة .

السبيل(١)

تذكر وتؤنث ، وأصلها من الامتداد ، ومنه قيل للمطر بين السماء والأرض سبل ، لامتداده من السحاب إلى الأرض ، وأسبلت الستر إذا أرخيته فامتد من علو إلى سفل ، والسبيل في القرآن على ثلاثة عشر وجها :

الأول : الطاعة ، قال الله : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٥] ، أي : في طاعته .

الثاني : البلاغ ، قال : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ٩٧] ، أي : بلاغا ، والمراد بالاستطاعة هاهنا وجدان النفقة ، وصحة البدن ، ورفع الموانع ، وتمام الوقت .

الثالث : المخرج ، قال الله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٨] ، وقال الله : ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ ، [سورة النساء آية : ١٥] ، وكان الله فرض أن يحصن الزاني ، وهو قوله : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ، فلما نزل :

---

(١) (س ب ل) : (السَّبِيلُ) يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالْمُرَادُ بِهِ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴿ خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ تَخْلِيدَهُنَّ فِي الْحَبْسِ كَانَ عُقُوبَتَهُنَّ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسِخَ بِالْجَلْدِ وَالرَّجْمِ يُقَالُ لِلْمُسَافِرِ ابْنُ السَّبِيلِ لِمُلَازَمَتِهِ إِيَّاهُ وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ الْمُسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ عَنْ مَالِهِ (وَالسَّابِلَةُ) الْمُخْتَلِفَةُ فِي الطُّرُقَاتِ فِي حَوَائِجِهِمْ عَنْ عَلِيِّ بن عِيسَى وَإِنَّمَا أُنِّثَتْ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ بِطَرِيقِ النَّسَبِ (وَسَبَّلَ) الثَّمَرَةَ جَعَلَهَا فِي سُبُلِ الْخَيْرِ (وَالسَّبَلُ) بِفَتْحَتَيْنِ غِشَاءٌ يُغَطِّي الْبَصَرَ وَكَأَنَّهُ مِنْ إِسْبَالِ السِّتْرِ وَهُوَ إِرْسَالُهُ .[المغرب :السين مع الباء]

والسين والباء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على إرسال شيءٍ من عُلو إلى سُفل، وعلى امتداد شيء.

فالأوّل من قِيلِكَ: أسبلتُ السِّترَ، وأسبلَتِ السَّحابةُ ماءَها وبمائها.

والسَّبَل: المطر الجَوْد. وسِبال الإنسان من هذا، لأنّه شعر منسدل.

وقولهم لأعالي الدَّلو أسْبال، من هذا، كأنّها شُبِّهت بالذي ذكرناه من الإنسان. قال:

إذ أرسَلوني ماتحاً بدلائهمْ *** فملأتُها عَلَقاً إلى أسبالِها

والممتدُّ طولاً: السَّبيل، وهو الطَّريق، سمِّي بذلك لامتداده. والسَّابلة: المختلِفةُ في السُّبُل جائيةً وذاهبة.

وسمِّي السُّنبُل سُنبُلا لامتداده. يقال أسبَلَ الزَّرعُ، إذا خَرَج سُنبله.

قال أبو عبيد: سَبَلُ الزَّرعِ وَسُنْبُلُه سواء. وقد سَبَلَ وأَسْبَلَ. ينظر معجم مقاييس اللغة (س ب ل) .

﴿ الزانِيَةُ وَالزانِي فَاجْلِدُوا كُل وَاحِدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [سورة النور آية : ٢] ، وقال عليه السلام : "قد جعل الله لهن سبيلا "(١) .

وأخرج من كان عنده من الزناة محبوسا فجلدهم مائة مائة وخلاهم ، ثم فصل عليه السلام حد الزاني فجعل للذكر الجلد ، وللأنثى الرجم ، وقال : ﴿ وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ، ولم يذكر الذكور ؛ لأنه معلوم أن حد الزناة مثل حد الزواني فاكتفى بذكر أحد الصنفين .

والفاحشة هنا الزنا ، واستشهدوا مثل اشهدوا كما تقول : استوقد نارا ، أي : أوقد ، هذا قول ، والأجود أن يقال : استشهد ، طلب الإشهاد .

واستوقد طلب الاستضاءة بالنار ، ولا يجوز أن يكون افعل واستفعل بمعنى واحد ، كما لا يكون علم واستعلم بمعنى واحد .

الرابع : الصنيع ، قال الله : ﴿ إِنهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا ﴾ [سورة النساء آية : ٢٢] أي : صنيعا .

الخامس : العلة ، قال : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِن سَبِيلا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٤] ، أي : علة ، تقول : إذا نشزت المرأة على زوجها فله أن يهجرها من غير أن يمنعها النفقة والسكنى ، وإذا أطاعته فلا يبغ عليها سبيلا ، أي : لا يكلفها حبه ، فإن ذلك لا تملكه .

السادس : الدين ، قال الله : ﴿ وَيَتبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٥] ، أي : غير دينهم ، وقال : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبكَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] .

السابع : الهدى ، قال : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٨] ، والإضلال هاهنا التسمية كما تقول : جهلت الرجل إذا سميته جاهلا ، وعدلته إذا سميته عدلا ، ومثله قوله : ﴿ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَل اللهُ ﴾ [سورة الروم آية : ٢٩] ، أي : من حكم عليه باسم الضلال عقوبة له .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت (١٦٩١) ، وأخرجه الترمذي أيضا (١٤٣٤) ، وأخرجه ابن ماجه (٢٥٥٠) ، وأخرجه أحمد (١٥٤٨٠) ، وأخرجه الدارمي (٢٣٢٧) .

ودليل ذلك قوله في أول الآية : ﴿بَلِ اتبَعَ الذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة الروم آية : ٢٩] ، ومثله : ﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [سورة الشورى آية : ٤٦] .

الثامن : الحجة ، قال الله : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [سورة النساء آية : ١٤١] ، أي : حجة ، وفي هذا دليل على أن الله قد مكنهم من الإيمان ؛ لأنه لو لم يمكنهم منه لكان للكافرين على من يدعوه إلى الإيمان حجة .

التاسع : الطريق ، قال : ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾ [سورة النساء آية : ٩٨] ، يعني : أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة .

وقال : ﴿وَابْنِ السبِيلِ﴾ ، وابن السبيل المسافر يأخذ من الصدقة ، وإن كان له مال في بلده ، وكل من ذكر في الآية ، أنه يأخذها فإنما يأخذها بالفقر إلا ابن السبيل ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وقوله في هذه الآية : ﴿وَفِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [سورة التوبة آية : ٦٠] ، فإنه يعني : الجهاد .

وقال الكوفيون : لا يعطى إلا الفقراء من المجاهدين ؛ فإذا أعطوها وهم فقراء فقد ملكوها وأجرى المعطي وإن لم تصرفوه في سبيل الله ، وقال الشافعي : "يعطى الغني والفقير من المجاهدين" .

العاشر : الهدى ، قال : ﴿أُولَئِكَ شَر مَكَانًا وَأَضَل عَنْ سَوَاءِ السبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٠] أي : عن قصد الهدى ، يعني : الإسلام ، ومثله : ﴿وَضَلوا عَنْ سَوَاءِ السبِيلِ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٧] .

الحادي عشر : قيل : الانتقام ، قال : ﴿إِنمَا السبِيلُ عَلَى الذِينَ يَظْلِمُونَ الناسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَق﴾ [سورة الشورى آية : ٤٢] ، وقال : ﴿إِنمَا السبِيلُ عَلَى الذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [سورة التوبة آية : ٩٣] .

وقيل : المراد أن الحجة على الذين يستأذنونك في القعود عن الجهاد ، وهم يقدرون على النفود فيه ، وقالوا : ومثله : ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [سورة التوبة آية : ٩١] ، يعني : أن مناصحتهم للدين إحسان ، وليس على المحسن حجة .

الثاني عشر : الطاعة والقربة ، قال الله : ﴿إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتخِذَ إِلَى رَبهِ سَبِيلا﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٧] ، أي : زلفى وقربة .

الثالث عشر : الملة ، قال الله : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٨] ، أي : ملتي وديني .

الباب الثالث عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين

الشرك(١)

أصل الشرك إضافة الشيء إلى مثله ، ومنه قيل : شراكا النعل ، لأن كل واحد منها يشبه الآخر ، وشراك الطريق مشبه بشراك النعل ، وأشرك بالله عبد معه غيره ؛ لأنه أضافه إليه وشبهه به .

والشرك في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإشراك بالله في العبادة ، كقوله : ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء آية : ٤٨] ، وإن في موضع نصب .

والمعنى إن الله لا يغفر الشرك به إلا بالتوبة ؛ فحذف ذكر التوبة لدلالة العقل عليه ، ولشهادة السمع به ، وهو قوله : ﴿إِلا مَنْ تَابَ﴾ [سورة مريم آية : ٦٠ ، الفرقان : ٧٠] ، وقال : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء آية : ٤٨] ، يعني : أصحاب الصغائر ؛ لأن ما دون الشرك صغائر وكبائر فلو كانا جميعا مغفورين لم يكن لقوله : ﴿لِمَنْ

---

(١) (ش ر ك) : (شَرِكَهُ) فِي كَذَا شِرْكًا وَشَرِكَةً وَبِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْهُ سُمِّيَ شَرِيكُ ابْنُ سَحْمَاءَ الَّذِي قَذَفَ بِهِ امْرَأَتَهُ هِلَالُ بن أُمَيَّةَ وَشَارَكَهُ فِيهِ وَاشْتَرَكُوا وَتَشَارَكُوا وَطَرِيقٌ مُشْتَرَكٌ (وَمِنْهُ الْأَجِيرُ الْمُشْتَرَكُ) وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَأَمَّا أَجِيرُ الْمُشْتَرَكِ عَلَى الْإِضَافَةِ فَلَا يَصِحُّ إلَّا عَلَى تَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ (وَالتَّشْرِيكُ) بَيْعُ بَعْضِ مَا اشْتَرَى بِمَا اشْتَرَاهُ بِهِ (وَالشِّرْكُ) النَّصِيبُ تَسْمِيَةً بِالْمَصْدَرِ (وَمِنْهُ) بِيعَ شِرْكٌ مِنْ دَارٍ وَأَمَّا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فَاسْمٌ مِنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ إذَا جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا وَفُسِّرَ بِالرِّيَاءِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكُ وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ﴾ وَهِيَ أَنْ تَعْرِضَ لِلصَّائِمِ شَهْوَةٌ فَيُوَاقِعَهَا وَيَدَعَ صَوْمَهُ (وَشَرَّكَ النَّعْلَ) وَضَعَ عَلَيْهَا الشِّرَاكَ وَهُوَ سَيْرُهَا الَّذِي عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ وَهُوَ مَثَلٌ فِي الْقِلَّةِ (وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ) ﴿صَلَّى بِي النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الظُّهْرَ حِينَ صَارَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشِّرَاكِ﴾ فَإِنَّهُ عَنَى بِهِ الْفَيْءَ الَّذِي يَصِيرُ فِي أَصْلِ الْحَائِطِ مِنْ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إذَا زَالَتْ الشَّمْسُ وَهَذَا أَقَلُّ مَا يُسْتَبَانُ بِهِ الزَّوَالُ لَا أَنَّهُ تَحْدِيدٌ لَهُ .[المغرب :الشين مع الراء]

يَشَاءُ﴾ فائدة ولا يجوز أن يكون ما دون الشرك لا يكون كفرا ، لأن الشرك والكفر في أسماء الدين واحد ، وكل كافر مشرك .

وقوله : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٢] ، وقوله : ﴿أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية : ٣] .

الثاني : قالوا : الشرك بمعنى الطاعة ، قال الله : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، أي : أطعتموني .

وقيل : أراد أني كفرت اليوم بما أنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك لله ، وهو مثل قوله : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [سورة فاطر آية : ١٤] .

وقال الكلبي : هو على التقديم والتأخير ، أي : أني في دار الدنيا كفرت بربي الذي أشركتموني به .

وقال الحسن : إني كفرت بما جعلتموني إلها وما على التفسير مصدر ، أي : كفرت بإشراككم إياي بالله ، وقال أبو علي - رحمه الله - : أي : إني كفرت بما أشركتموني به بعد ذلك ، لأنه قد تقدمهم بالكفر .

الثالث : الربا على ما جاء في التفسير ، قال الله : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف آية : ١١٠] ، أي : لا يرائي فيما نفعل من العبادة .

وقيل أيضا : أنه أراد الإشراك بالله غيره ، وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٧] ، يعني : الشياطين المذكورين في قوله : ﴿وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يزينون لهم ذلك بالوسوسة ، وقيل : هم رؤساء السوء ، وقيل : هم السدنة ، وقوله : ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، يعني : للأصنام وجعلها لهم شركاء ، لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها .

الشقاق

أصل الشقاق من قولهم : شققت الشيء إذا قطعته بنصفين فبعد أحدهما عن الآخر ، وكل قطعة منه شقة ، وسمي الثوب الطويل القليل العرض شقة كأنه من قلة عرضه قد شق من غيره ، وشقيق الرجل أخوه ؛ كأنه شق منه ، وسميت الأرض البعيدة شقة لطولها وتراخي بعضها عن بعض ، ومن ثم قيل للطويل أشق ، وشق الأمر على فلان طال حتى أتعبه ، وشاق فلان فلانا إذا عاداه وباعده ، والأصل في ذلك كله البعد .

والشقاق في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الضلال ، قال الله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٦] ، ويجوز أن يكون أراد المجانبة والمباعدة ، أي : هم في بعد عن الحق وعن صاحب الحق شديد .

الثاني : الخلاف ، قال : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٥] ، جاء في التفسير أنه أراد الخلاف ، ويجوز أن يكون بمعنى الفرقة ، وهو أجود .

الثالث : العداوة ، قال : ﴿ وَشَاقُوا الرَّسُولَ ﴾ [سورة محمد آية : ٣٢] ، أي : عادوه ، قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الحشر آية : ٤] ، وقال : ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ [سورة هود آية : ٨٩] ، وهذه الألفاظ يقام بعضها مقام بعض في هذه الآيات ، وأصلها واحد ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير(١) .

---

(١) قال الزجاج : ﴿ شَاقُّواْ ﴾ جانبوا ، وصاروا في شق غير شق المؤمنين ، والشق الجانب ﴿ وَشَاقُّواْ الله ﴾ مجاز ، والمعنى : شاقوا أولياء الله ، ودين الله .

ثم قال : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ الله شَدِيدُ العقاب ﴾ يعني أن هذا الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء قليل مما أعده الله لهم من العقاب في القيامة ، والمقصود منه الزجر عن الكفر والتهديد عليه .[مفاتيح الغيب :٧/ ٣٧٦]

الشهادة(١)

الشهادة الإخبار عن معرفة تقوم مقام الرؤية ، والشاهد المخبر بها .

وهو في اللغة على وجوه :

أحدها : الحضور ، شهدته حضرته .

والآخر : الإعلام شهد الشهود ، وهو إعلام ما عندهم ، ومنه : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨] ، أراد تعريف عباده أنه لا إله إلا هو ، فقال : شهد بذلك لأن هذا القول أفخم وأوكد ومن الألفاظ ما هو أقوم فتفخم المعنى ألا ترى أن قولك : تضعضع ركن فلان أفخم من قولك : ضعف فلان ، ولذلك رغم أنف فلان أفخم من قولك : ذل فلان .

ومنه الإقرار ، وهو قوله : ﴿وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨] ، وقال : ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠] .

ومنه الحكم ، قال : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة يوسف آية : ٢٦] ، واليمين في قوله : ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾ [سورة النور آية : ٦] ، وأربع ، والرفع على خبر الابتداء ، أي : فشهادة أحدهم أربع ، والنصب على أن تشهد أحدهم أربع شهادات ، وهو أن تقول : أشهد بالله وأحلف بالله أني صادق فيما قذفتها به ، وتقول المرأة : أشهد بالله وأحلف بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفني به ، فإذا فعلا ذلك فرق بينهما ، ولا يحل له أبدا عند أكثر الفقهاء .

وقوله : ﴿يَأَيهَا الذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٦] ، قيل : أراد اليمين ، والصحيح أنه أراد أن أحدكم إذا حضره الموت وهو ضارب في الأرض ، أي : مسافر وأراد أن يوصي فينبغي أن يشهد على وصيته اثنين منكم ، أي : من المسلمين ، فإن لم

---

(١) الشهادة : هي في الشريعة : إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر .
فالإخبارات ثلاثة : إما بحق للغير على آخر ، وهو الشهادة ، وإما بحق للمخبر على آخر ، وهو الدعوى ، أو بالعكس ، وهو الإقرار .[التعريفات :١/ ٤٢]

يجدها فمن أهل الذمة ، وهو قوله : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٦] ، فإن ارتبتم في شهادتهما فأقيموها بعد الصلاة ، أي : صلاة العصر ، وذلك لتعظيم أهل الذمة لهذا الوقت ، فيحلفان على صحة شهادتهما ، وقيل : أنها منسوخة بقوله : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة الطلاق آية : ٢] .

والشهداء في قوله : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، الكبراء الأعلام ، وقيل : الأصنام .

والشهيد في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : نبي كل أمة شهيد عليهم يوم القيامة ، قال : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُل أُمةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [سورة النساء آية : ٤١] ، وقال : ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُل أُمةٍ شَهِيدًا﴾ [سورة القصص آية : ٧٥] ، وقال : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] ، إلا أن هذا في الدنيا .

وفي هذا دليل على أن ذنوبهم بعلمهم ، وإلا فبأي شيء يشهد عليهم ، الأنبياء أتراهم يشهدون عليهم بأفعال الله ، وليس ذلك بمعقول .

الثاني : الحافظ ، قال الله تعالى : ﴿ثُم اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة يونس آية : ٤٦] ، أي : حافظ له مجاز عليه .

ويجوز أن يكون العالم ومنه الشهادة في الحقوق ؛ لأنها لا تصح إلا مع العلم ، وهو قوله : ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [سورة النور آية : ٤] ، ثم قال : ﴿إِلا الذِينَ تَابُوا﴾ ، قالوا : فشهادتهم في كتاب الله مقبولة .

وعن شريح ، وابن المسيب ، وإبراهيم ، وسعيد بن جبير : أن شهادته غير مقبولة ، وإن تاب .

وعن عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، والشعبي ، والقاسم بن محمد ، وسالم ، والزهري : أنها مقبولة إذا تاب .

والصحيح أنها لا تقبل وإن تاب ؛ لأن حكم الاستثناء أن يكون راجعا إلى ما يليه ، ولا يرجع إلى ما تقدمه ، إلا بدلالة ، ألا ترى أن قائلا لو قال لفلان علي عشرة درهم إلا ثلاثة درهم إلا درهما كان عليه ثمانية درهم ، لأن الدرهم مستثنى من الثلاثة ، هذا أصل الاستثناء .

وقد جاء في القرآن مثنا ولا لجميع المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] ، إلى قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] ، فكان الاستثناء راجعا إلى جميع المذكور ، فيقول في ذلك أن الدلالة قد قامت في هذه الآية ، ولم تقم في الأول .

وقال الأوزاعي : لم تقبل شهادة محدود في قذف في الإسلام .

وقال أبو علي رحمه الله : تقبل شهادته إذا تاب ؛ لأنها إنما ترد عقوبة ، فإذا تاب سقطت العقوبة ، وقيل : ليس ذلك بشيء ؛ لأنه أيضا يحد عقوبة ، وإذا تاب لم يسقط الحد بالإجماع ، فكذلك الشهادة لا تقبل بالتوبة .

قلنا : وهذه المعارضة ليست بالصحيحة ؛ لأن الحد في القذف حتى لأدمي فلا يسقط بالتوبة وليست كذلك الشهادة .

وقال : ﴿وَجَاءَتْ كُل نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾(١) [سورة ق آية : ٢١] ، يعني : الملك الذي حفظ عليه عمله في الدنيا يشهد عليه في الآخرة .

ومثله : ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩] ، يعني : الحفظة من الملائكة .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي : جاءت كل نفس من النفوس معها من يسوقها ، ومن يشهد لها ، أو عليها .
واختلف في السائق والشهيد ، فقال الضحاك : السائق من الملائكة ، والشهيد من أنفسهم ، يعني : الأيدي والأرجل . وقال الحسن ، وقتادة : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها ، وقال ابن مسلم : السائق : قرينها من الشياطين ، سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها . وقال مجاهد : السائق والشهيد ملكان . وقيل : السائق : الملك ، والشهيد : العمل ، وقيل : السائق : كاتب السيئات ، والشهيد : كاتب الحسنات .[فتح القدير :٧/ ٣٠]

ومثله : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [سورة غافر آية : ٥١] ، يعني : الحفظة ، ويجوز أن يكون المعنى الذين يشهدون على الناس بأعمالهم من كل أمة .

والأشهاد جمع شهيد نادر وجاء في جميع بان أبناء ، وفي جميع جان أجناء ، فقيل في مثل أجناؤها أبناؤها ، وله حديث ذكرناه في كتاب "جامع الأمثال" .

الثالث : قوله : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله ، : ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، يعني : على أهل زمانه .

ولو كان شهيدا على غيرهم فمن جاء بعده لم يكن لقوله : ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، أي : معرفين منبهين ، : ﴿ ويكُون الرسُولُ عليكُمْ شهِيدًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، أي : معرفا ومبينا ، كما قال : ﴿ ويتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ ﴾ [سورة هود آية : ١٧] ، وكما قال : ﴿ إِنا أرْسلْنا إِليكُمْ رسُولا شاهِدًا عليكُمْ ﴾ [سورة المزمل آية : ١٥] ، والوجه أن يكون المراد الشهادة عليهم بأعمالهم .

الرابع : المستشهد في سبيل الله ، قال الله : ﴿ والشهداءُ عِنْد ربهِمْ لهُمْ أجْرُهُمْ ونُورُهُمْ ﴾ [سورة الحديد آية : ١٩] ، يعني : من قتل في سبيل الله وسمي شهيدا ، لأن الملائكة تشهده ، فعيل بمعنى مفعول ، ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى فاعل ، أي : شهد ما سره من الثواب والبشارة الحسنة .

الخامس : الذي يشهد على الحقوق ، وقال تعالى : ﴿ مِمنْ ترْضوْن مِن الشهداءِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، والمرضي هو العدل ، وهذا موكول إلى الاجتهاد ؛ لأنه قد يجوز أن يكون المرضي عندك غير مرضي عند غيرك .

وقال أبو يوسف : إذا سلم من الفواحش وكان ما فيه من أخلاق البر أكثر عن المعاصي الصغار قبلت شهادته ؛ لأنه لا يسلم عبد من الذنب ، ومثله : ﴿ واسْتشْهِدُوا شهِيديْنِ مِنْ رِجالِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : من أهل ملتكم .

وجواز شهادة أقل من رجلين أو رجل وامرأتين خطأ بدلالة هذه الآية ، ومن أجاز بتثبيت الحق بتميز الطالب وإشهاد شاهد واحد ؛ فإنه مبطل لظاهر هذه الآية .

والأمة مجمعة على أنها غير منسوخة ، وقوله : ﴿وأشهِدُوا إذا تبايعْتُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، لفظ عام ، والمعنى خصوص ، أي : إذا خفتم رجوع أحد المبايعين عما عقد على نفسه ، فاشهدوا عليه بما عقد .

والكتاب والإشهاد واجبان عند تخوف الإضاعة ، وقوله : ﴿فإنْ أمِن بعضُكُمْ بعْضًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] ، يشهد بصحة هذا التأويل ، وقال : ﴿وأشهِدُوا ذويْ عدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة الطلاق آية : ٢] .

السادس : الحاضر ، قال تعالى : ﴿أنعم اللهُ علي إذْ لمْ أكُنْ معهُمْ شهِيدًا﴾ [سورة النساء آية : ٧٢] ، وقال : ﴿وبنِين شُهُودًا﴾ [سورة المدثر آية : ١٣] ، أي : حضورا وقال : ﴿أمْ كُنْتُمْ شُهداء إذْ حضر يعْقُوب المْوْتُ﴾ [سورة البقرة آية : ١٣٣] ، أي : حضورا .

السابع : الأحكام والأعلام من الناس ؛ وهو قوله : ﴿وادْعُوا شُهداءكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] وقد مر .

الثامن : الفطن الحاضر الذهن ؛ قال : ﴿أوْ ألْقى السمْع وهُو شهِيدٌ﴾ [سورة ق آية : ٣٧] وحقيقة إلقاء السمع الاستماع ؛ أي : استمع إليك وهو شهيد ؛ أي : قلبه شاهد عندك لا يغيب عنك فهمه ، وإذا كان كذلك انتفع بالخير الذي تدعوا إليه .

وأما قوله : ﴿قُلْ أي شيْءٍ أكْبرُ شهادةً قُلِ اللهُ شهِيدٌ بيْنِي وبيْنكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٩] فمجازه أي : شيء أكبر شهادة فيكون شاهد لي على دعائي إياكم ، وتكذيبكم لي قل الله شاهد لي على ذلك .

وفي هذا دليل على أن الله شيء ؛ ألا ترى أنه لا يجوز لك إذا قيل لك : أي : الناس أصدق ؟ أن تقول جبريل ؛ لأن جبريل ليس من الناس ، ولو لم يكن منفردا عند القائل والسامع أن الله شيء ؛ لكان هذا الكلام لغوا لا معنى له ؛ فإن قيل : ﴿أي : شيْءٍ أكْبرُ شهادةً﴾ تمام .

وقوله : ﴿ شَهِيدٌ بيْني وبيْنكُمْ ﴾ ابتداء وليس بجواب ، ولو كان جوابا كان ما بعده من قوله : ﴿ شَهِيدٌ بيْني وبيْنكُمْ ﴾ .

والشهادة في قوله : ﴿ عالِمُ الْغيْبِ والشهادةِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، بمعنى المشاهدة ، وأصل الكلمة الظهور ، ومنه قيل : شاهده ؛ أي : ظهر به ظهور المقابل بالشهادة ، ويشهد ذكر الشهادة وهو قول : أشهد أن لا إله إلا هو ، وتشاهدوا : تعاونوا على إقامة الشهادة .

وقال : ﴿ وشاهِدٍ ومشْهُودٍ ﴾ [سورة البروج آية : ٣] قيل : الشاهد : محمد صلوات الله عليه ، والمشهود : يوم القيامة ، والشهد : العسل على ما شوهد في موضعه قبل أن يصفى .

والشهادة في قوله تعالى : ﴿ فمنْ شهِد مِنْكُمُ الشهْر فلْيصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] الحضور ؛ يعني : من كان حاضرا في أهله ، ومن شرائط ذلك الصحة ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ ومنْ كان مرِيضًا أوْ على سفرٍ فعِدةٌ مِنْ أيامٍ أُخر ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] .

الشيع

أصلها من العموم ، ومنه شاع الخبر ؛ إذا فشا فعرفه كل أحد ، ولك سهم شائع في الدار وشاع ؛ أي : هو في جميع الدار غير مشار إليه في موضع منها دون موضع[1] .

(١)الشين والياء والعين أصلان، يدلُّ أحدُهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بَثٍّ وإشادة.
فالأوّل: قولُهم شَيَّعَ فلانٌ فلاناً عند شُخوصه.
ويقال آتيكَ غداً أو شَيْعَه، أي اليوم الذي بعده، كأنَّ الثاني مُشَيِّع للأوّل في المضيّ.
وقال الشّاعر:
قال الخليطُ غداً تَصَدُّعُنا *** أو شَيْعَه أفلا تُوَدِّعُنا
وقال للشجاع : المشيَّع؛ كأنّه لقُوَّته قد قَوِي وشُيِّع بغيره، أو شُيِّع بقُوَّة.
وزعم ناسٌ أنَّ الشَّيْعَ شِبل الأسد، ولم أسمعه من عالم سَماعاً.
ويقول ناس: إنَّ الشَّيْع المِقدار، في قولهم: أقام شهراً أو شَيْعَه.
والصَّحيح ما قلته، في أنَّ المشيَّع هو الذي يُساعِد الآخَر ويقارنه.
والشِّيعة: الأعوان والأنصار.
وأما الآخر فقولهم : شاع الحديث، إذا ذاع وانتشر. ويقال شَيَّع الراعي إبلَه، إذا صاح فيها.
والاسم الشِّيَاع: القصبة التي ينفُخ فيها الراعي. قال:
* حنينَ النِّيبِ تَطربُ للشِّياع *
ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع، إذا كان غير مقسوم.
وكأنَّ من لـه سهمٌ ونَصِيب انتشرَ في السَّهم حتَّى أخذه، كما يَشِيعُ الحديثُ في الناس فيأخذ سَمع كلِّ أحد.
ومن هذا الباب: شيَّعت النّارَ في الحطب، إذا ألهبْتَها.
و شيع وشوع:
الشُّوعُ: شجرُ البانِ، الواحدة: شُوعةٌ. قال الطِّرمّاح:
جَنَى ثَمَرٍ بالواديين وشُوعُ
فمن قال بفتح الواو وضمّ الشين: فالواو نسق، وشُوع: شجر البان، ومن قال: وُشُوع بضمّها، أراد: جماعةَ وَشْعٍ، وهو زهر البقول. والشَّيْعُ: مقدارٌ من العَدَدِ: أقمت شهراً أو شَيْعَ شهرٍ، ومعه ألفُ رجلٍ، أو شَيْعُ ذاك.
والشَّيْعُ من أولاد الأسد.
وشاعَ الشَّيءُ يَشِيعُ مَشاعاً وشَيْعُوعَةً فهو شائعٌ، إذا ظهر. وأشعْتُهُ وشِعْتُ به: أذعته. وفي لغة: أشعت به.
ورجلٌ مِشْياعٌ مِذْياعٌ، وهو الذي لا يكْتُمُ شيئاً.
والمُشايَعةُ: متابعتُك إنساناً على أمرٍ.
وشَيَّعتُ النارَ في الحَطَبِ: أضرمتُه إضراماً شديداً، قال رؤبة:
شدّاً كما يشيّع التَّضْريمُ
والشِّياعُ: صوتُ قَصَبةِ الرّاعي. قال:

وشيعة الرجل ؛ من يعينه على أموره ، وشايعه ؛ إذا عاونه معاونة عامة ، وشيع الرجل ؛ الرجل إذا سار معه كما يسير الخبر الشائع .

ويقال : هو شيعة لك ، وقيل : الشيعة مأخوذة من الشياع ؛ وهو الحطب الصغار التي تشعل بها النار ويعين الحطب الكبار على الاتقاد .

وقيل : أصل الكلمة من الاتباع ، ومنه شاعك ؛ أي : تبعك ، وشاعكم السلام ؛ أي : تبعكم .

والشيع في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الفرق المختلفة ؛ قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٥٩] يعني : أنهم فارقوا الإسلام وصاروا فرقا يهودا ونصارى وجعل الإسلام دينهم ولم يدينوا به ؛ لأنهم بدلوا إليه وأمروا به .

ويجوز أن يكون معناه أنهم فارقوا دينهم حين اختلفوا فيه ، وذلك أن النصارى يكفر بعضهم بعضا وصاروا شعابا لاختلاف فيه .

حَنِين النِّيبِ تَطْرَبُ للشِّياعِ

وشيَّع الرّاعي في الشِّياع: نَفَخَ في القَصَبة.

ورجل مُشَيَّعُ القَلْبِ إذا كان شجاعاً، قد شُيِّع قلبه تشييعاً إذا ركب كلَّ هولٍ، قال سليمان:

مُشَيَّع القلبِ ما منْ شأنِهِ الفَرَقُ

وقال الرّاجز:

والخزرجيُّ قلبُـــــه مُشَيَّعُ

ليس من الأمر الجليل يَفْزَعُ

والشِّيعةُ: قوم يتشيّعون، أي: يهوون أهواء قوم ويتابعونهم. وشيعةُ الرّجلِ: أصحابه وأتباعه. وكلّ قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة وأصنافهم: شِيَع. قال الله تعالى: " كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل " . أي: بأمثالِهِمْ من الشِّيَعِ الماضية.

وشَيَّعْتَ فلاناً إذا خرجت معَه لتُودِّعَه وتُبْلِغَه منزِلَهُ.

والشِّياعُ: دعاءُ الإبل إذا استأخرت. قال:

وألاّ تخلدَ الإبل الصّفايا ... ولا طول الإهابة والشِّياعِ

ينظر معجم مقاييس الغة والعين مادة (ش ي ع) .

وفي هذا نهي عن إحداث البدع في الدين ، ومفارقة جميع المسلمين ، ومثله : ﴿ مِن الذِين فرقُوا دِينهُمْ وكانُوا شِيعًا ﴾ [سورة الروم آية : ٣٢] ، وقال : ﴿ وجعل أهْلها شِيعًا ﴾ [سورة القصص آية : ٤] .

الثاني : قوله : ﴿ هذا مِنْ شِيعتِهِ وهذا مِنْ عدُوهِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٥] يعني : أنه ولد ابنه إسرائيل ولم يكن من القبط .

الثالث : أهل دين ؛ قال الله : ﴿ ولقدْ أهْلكْنا أشْياعكُمْ ﴾ [سورة القمر آية : ٥١] أي : من كان على دينكم ، وقال : ﴿ كما فُعِل بِأشْياعِهِمْ مِنْ قبْلُ ﴾ [سورة سبأ آية : ٥٤] ، وقال : ﴿ ثُم لننْزِعن مِنْ كُل شِيعةٍ ﴾ [سورة مريم آية : ٦٩] أي : من كل أهل دين باطل ، وقال تعالى : ﴿ وإِن مِنْ شِيعتِهِ لإِبراهِيم ﴾ [سورة الصافات آية : ٨٣] أي : من أهل دينه .

الرابع : اختلاف الآراء وتغاير الأهواء ، قال الله : ﴿ هُو القادِرُ على أنْ يبْعث عليكُمْ عذابًا مِنْ فوْقِكُمْ أوْ مِنْ تحْتِ أرْجُلِكُمْ أوْ يلْبِسكُمْ شِيعًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٥] يوعدهم بالعذاب من فوقهم وهو الطوفان ، أو من تحت أرجلهم الخسف ، أو يلبسهم شيعا أي : يخذلهم ويخليهم من ألطافه وفوائده كل ذلك بذنوبهم فيلتبس عند ذلك أمرهم ويختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض .

الباب الرابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد

الصدق(١)

أصل الصدق من الثبات ، ومنه قيل : صدقهم القتال ؛ إذا ثبت لهم ، وتمر صادق الحلاوة يرجع إلى هذا .

والصدق خلاف الكذب ؛ لأنه يثبت ، والكذب يبطل ، والصداقة : ثبات المودة ، ثم صار الصداقة اسما لاتفاق الضمائر على المودة ؛ فإذا أضمر كل واحد من المتعاشرين مودة صاحبه ؛ فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين .

ولهذا لا يجوز أن يقال : أن الله صديق المؤمن ، كما يقال : أنه وليه ، ولا يجوز أن يكون المؤمن صديقه كما أنه خليله وحبيبه ووليه ، ومعنى الولي أنه يحب الخير لوليه ، كما أن العدو يحب الضر لعدوه ، ويقول الله : ﴿ولِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٦٨] بمعنى أنه يتولى حفظهم وكفايتهم ، كما أن ولي الطفل هو المتولي لشأنه والمتكفل لمعونته ، ومعنى محبة العبد لله ؛ إرادة طاعته ، ومحبة الله للعبد إرادة ثوابه .

ومعنى الخلة الاختصاص ، فقيل : أن إبراهيم خليل الله لاختصاص الله إياه بالرسالة ، ولا يجوز أن الله خليل له ؛ لأنه لا يجوز أن يخص الله بشيء غير العبادة ، والخلق في عبادة الله سواء ليس لأحد فيها خصوصية .

---

(١)(ص د ق) : صَدَقَ صِدْقًا خِلَافُ كَذَبَ فَهُوَ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ مُبَالَغَةٌ وَصَدَقْتُهُ فِي الْقَوْلِ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى وَصَدَّقْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ نَسَبْتُهُ إلَى الصِّدْقِ وَصَدَّقْتُهُ قُلْتُ لَهُ صَدَقْتَ وَصِدَاقُ الْمَرْأَةِ فِيهِ لُغَاتٌ أَكْثَرُهَا فَتْحُ الصَّادِ وَالثَّانِيَةُ كَسْرُهَا وَالْجَمْعُ صُدُقٌ بِضَمَّتَيْنِ وَالثَّالِثَةُ لُغَةُ الْحِجَازِ صَدُقَةٌ وَتُجْمَعُ صَدُقَاتٍ عَلَى لَفْظِهَا .
وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ وَالرَّابِعَةُ لُغَةُ تَمِيمٍ صُدْقَةٌ وَالْجَمْعُ صُدُقَاتٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرُفَاتٍ فِي وُجُوهِهَا وَصَدْقَةٌ لُغَةٌ خَامِسَةٌ وَجَمْعُهَا صُدَقٌ مِثْلُ قَرْيَةٍ وَقُرًى .[المصباح المنير :الصاد مع الدال]

والوجه الأجود في أصل الصدق والصداقة وما في بابه أن يقال : أن أصل الكلمة الكمال ، فقيل : الصدق لكماله في الحسن ، وصادق الحلاوة كامل الحلاوة ، والصداقة كمال المودة بحمل جميع في هذا الباب على هذا الوجه فيصح .

والصادقون في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النبيون ؛ قال الله : ﴿لِيَسْأَلَ الصادِقِين عنْ صِدْقِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٨] فأخبر أنه يسأل الأنبياء ليكون غيرهم على حذر .

الثاني : المهاجرون ؛ قال تعالى : ﴿وينْصُرُون الله ورسُولهُ أُولئِك هُمُ الصادِقُون﴾ [سورة الحشر آية : ٨] جاء في التفسير أنه أراد المهاجرين خاصة ؛ لأن الآية نزلت فيهم ، وذكر بعدهم الأنصار .

الثالث : المؤمنون جميعا ؛ قال الله : ﴿لِيجْزِي اللهُ الصادِقِين بِصِدْقِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٢٤] يعني : المؤمنين ؛ لأن الآية نزلت فيهم .

الصف

أصله في اللغة الامتداد والطول ؛ ومنه قيل : صفة البيت ؛ لأنها ممدودة طويلة ، وصف الطائر : جناحيه إذا مدهما في طيرانه ، وصفة السرج : ما غشي به ما بين القربوسين والسرحين وهما جانبا الرحل ، والصفيف من اللحم : ما شرح طولا وخفف في الشمس .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : بمعنى الجميع ؛ قال الله : ﴿ وعُرِضُوا على ربك صفا ﴾[1] [سورة الكهف آية : ٤٨] ، وقوله : ﴿ ثُم ائتُوا صفا ﴾ [سورة طه آية : ٦٤] أي : جمعا ، وقيل : ذكر الواحد وأراد الجمع ؛ أي : عرضوا صفوفا ، وقيل : صفا ؛ أي : قياما ، وذلك أن القائم يصف قدميه في القيام وهو أجود .

الثاني : الصف الممدود ، قال تعالى : ﴿ الله يُحِب الذِين يُقاتِلُون فِي سبِيلِهِ صفا ﴾ [سورة الصف آية : ٤] ، وقال : ﴿ والصافاتِ صفا ﴾ [سورة الصافات آية : ١] يعني : صفوفا ملائكة في السماء مصلين ومسبحين .

---

(١) قال الرازي : لما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم ، فقال : ﴿وَعُرِضُواْ على رَبّكَ صَفًّا﴾ وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : في تفسير الصف وجوه . أحدها : أنه تعرض الخلق كلهم على الله صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً ، قال القفال : ويشبه أن يكون الصف راجعاً إلى الظهور والبروز ، ومنه اشتق الصفصف للصحراء . وثانيها : لا يبعد أن يكون الخلق صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض ، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفاً صفوفاً كقوله : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [غافر : ٦٧] أي أطفالاً . وثالثها : صفاً أي قياماً ، كما قال تعالى : ﴿ فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ [الحج : ٣٦] قالوا قياماً .

المسألة الثانية : قالت المشبهة قوله تعالى : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ والملك صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر : ٢٢] يدل على أنه تعالى يحضر في ذلك المكان وتعرض عليه أهل القيامة صفاً ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ يدل على أنه تعالى يحضر في ذلك المكان ، وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم في الموضع الذي يسألهم فيه عن أعمالهم ويحاسبهم عليها عرضاً عليه ، لا على أنه تعالى يحضر في مكان وعرضوا عليه ليراهم بعد أن لم يكن يراهم .[مفاتيح الغيب :١٠/ ٢١٦]

والمعنى ورب الصافات ، وأنث على معنى الجماعة للصافة ، ثم جمع فقال : ﴿ الصافاتِ ﴾ ، فأما قوله : ﴿ فاذكُرُوا اسْم الله عليْها صواف ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] فالمراد به أنها قائمة قد صفت بدنها ، ولم يرد أنها مصطفة لإجماع الناس أنها يجوز نحرها غير مصطفة .

فأما السنة في نحر الإبل أن تنحر قائمة ، وفي قوله : ﴿ فإذا وجبتْ جُنُوبُها ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] ما يدل على أنه أراد بالصواف القيام ؛ لأنها إذا كانت باركة فنحرت فانقلبت على جنب ، لم يقل : أنها سقطت لجنبها .

الصيحة(١)

فعلة من صاح يصيح ، ويستعمل في جميع الحيوان ، وجاء في غير ذلك أيضا ، قال الشاعر :

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وفِيهِم ... صِيَاحَ بَنَاتِ المَاءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعَا

والصيحة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : صيحة جبريل صلى الله عليه ؛ قال الله : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٤١ ، الحجر : ٧٣ ، ٨٣] في مواضع من القرآن .

الثاني : النفخة الأولى لفناء الخلق ؛ قال الله : ﴿إِنْ كانتْ إلا صيْحةً واحِدةً فإذا هُمْ خامِدُون﴾ [سورة يس آية : ٢٩] ، ومثله : ﴿ما ينْظُرون إلا صيْحةً واحِدةً﴾ [سورة يس آية : ٤٩] .

الثالث : النفخة الثانية لقيام الساعة ؛ قال الله : ﴿إِنْ كانتْ إلا صيْحةً واحِدةً فإذا هُمْ جميعٌ لدينا مُحْضَرُون﴾ [سورة يس آية : ٥٣] ، ونحوه : ﴿فإنما هِي زجْرةٌ واحِدةٌ فإذا هُمْ ينْظُرُون﴾ [سورة الصافات آية : ١٩] ولم يقل : ما ينظرون ليكون أعظم في الإخبار ، كما يقول : لو رأيت عليا بين الصفين ، ومثله : ﴿يوْم يسْمعُون الصيْحة بِالْحق﴾ [سورة ق آية : ٤٢] .

---

(١) (ص ي ح) : صَاحَ بِالشَّيْءِ يَصِيحُ بِهِ صَيْحَةً وَصِيَاحًا صَرَخَ .[المصباح المنير :الصاد مع الياء]

الصاعقة(١)

هي ما كثف من البروق وعظم ، وأصلها من شدة الضرب ، يقال : صقعه إذا ضربه ضربا شديدا ، وأكثر ما يستعمل في الضرب على الرأس فقلب ، فقيل : صاعقة ، وربما قيل : صاقعة على الأصل ، وصعق الرجل ؛ إذا سمع صوتا شديدا فغشي عليه وهو صعق ، وفي القرآن : ﴿وخر مُوسى صعِقًا﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، وصعق الرجل بالفتح ؛ إذا صاح ، ويجوز أن تكون الصاعقة من هذا .

والصاعقة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : شدة الصوت ، قال : ﴿فأخذتْهُمُ الصاعِقةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [سورة النساء آية : ١٥٣] وكانوا سمعوا صوت تدكدك الجبل ؛ فماتوا موتا لم يضطروا معه إلى معرفة البارئ ؛ ولهذا أجاز أن يكلفهم بعده لأن التكليف مع وقوع العلم ضرورة لا يصح من أجل أن العالم ضرورة ملجأ إلى فعل الطاعات ، والتكليف لا يكون إلا مع الاختيار وإلا فإنه ليس بتكليف .

الثاني : العذاب ، قال : ﴿فقُلْ أنذرْتُكُمْ صاعِقةً مِثْل صاعِقةِ عادٍ وثمُود﴾ [سورة فصلت آية : ١٣] .

الثالث : الموت قال : ﴿فصعِق منْ فِي السموات ومنْ فِي الأرْضِ إلا منْ شاء اللهُ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٨] أي : ماتوا ، وقيل : معنى ذلك أنهم يغشى عليهم ثم يموتون .

---

(١) [صعق] : الصُّعَاقُ : الصَّوت الشَّديد للثَّور والحِمارِ ، صَعَقُ صُعاقاً ، قال رؤبة :

صَعِقٌ ذِبّانُه في غَيْطَلِ

أي يموت الذباب من شدَّةِ نَهِيقه إذا دنا منه . قال رؤبةُ يصف حماراً وأتانه :

يَنْصاعُ من حيلةِ ضمٌّ مُدْمَقِ

إذا تتلأْمْنَ صَلْصَالُ الصَّعَقْ

وحِمارٌ صَعْقُ الصَّوْتِ أي شديدهُ . والصعّاقُ : الشَّديدُ الصَّوْتِ . والصَاعِقَةُ : صيحةُ العَذَابِ . والصَّاعِقَةُ : الوَقْعُ الشَّديدُ من صوتِ الرَّعْدِ ، يسقُطُ معه قِطْعة من نار يقال : إنها من صَوْت الملك ، ويجمع صَواعِق . والصَّعِقُ : المغْشِيُّ عليه . صُعِق صَعْاقاً : غُشِي عليه من صَوْتٍ يسمعه أو حِسٍّ أو نحوه . وصعِق صعَقاً : مات .[العين :العين والقاف والصاد]

الصلاح[1]

الصلاح نفع يلتئم به الأمور ، والإصلاح تقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر ؛ والفساد ضر تضطرب به الأمور ، والإفساد تقويم العمل على ما يضر بدلا مما ينفع .

وأما القبح فهو المنكر في النفس من جهة زجر العقل ، والفرق بين فساد التفاحة بتعينها وفساد الإنسان بخطيئته ؛ أن أحدهما تزجر عنه الحكمة ، والآخر لا تزجر عنه على أنه قد حدث ما ينافي في المنفعة به .

والصلاح في القرآن على سبعة أوجه قالوا :

الأول : الإيمان ؛ قال الله عز وجل : ﴿جناتُ عدْنٍ يدْخُلُونها ومنْ صلح مِنْ آبائِهِمْ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٣] ، قال : ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وإِمائِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] ، يعني : المؤمنين ، وقال تعالى : ﴿وأدْخِلْنِي بِرحْمتِك فِي عِبادِك الصالِحِين﴾ [سورة النمل آية : ١٩] .

الثاني : المنزلة الرضية ؛ قال الله : ﴿وتكُونُوا مِنْ بعْدِهِ قوْمًا صالِحِين﴾ [سورة يوسف آية : ٩] ، قال بعض أهل التفسير : تصلح منزلتنا عند أبينا ، ومثله : ﴿وإِنهُ فِي الآخِرةِ لِمن الصالِحِين﴾ [سورة النحل آية : ١٢٢] ، أي : في المنزلة الرضية عند الله . ويجوز أن يكون المراد إنا نتوب فيما بعد ونكون من الصلحاء ، وقيل : الصلاح في قوله : ﴿والصالِحِين مِنْ عِبادِكُمْ وإِمائِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] ، العفة وليس أن من لم تكن عفيفة لا تزوج ؛ وإنما أراد الحث على الصلاح .

---

(١) (ص ل ح) : (الصَّلَاحُ) خِلَافُ الْفَسَادِ وَصَلَحَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ طَلَبَ وَقَدْ جَاءَ فِي بَابِ قَرُبَ صَلَاحًا وَصُلُوحًا وَأَصْلَحَهُ غَيْرُهُ (وَمِنْهُ) عِلْكٌ مُصْلَحٌ أَيْ مَعْمُولٌ مَعْجُونٌ وَالْجِيمُ خَطَأٌ وَإِنَّمَا عُدِّيَ بِإِلَى فِي قَوْلِهِ دَابَّةٌ أَنْفَقَ عَلَيْهَا وَأَصْلَحَ إلَيْهَا عَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى أَحْسَنَ (وَالصُّلْحُ) اسْمٌ بِمَعْنَى الْمُصَالَحَةِ وَالتَّصَالُحِ خِلَافُ الْمُخَاصَمَةِ وَالتَّخَاصُمِ وَقَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ صُلْحٌ لَرَدَدْتُهُ أَيْ مُصَالَحٌ فِيهِ أَوْ مَأْخُوذٌ بِطَرِيقِ الصُّلْحِ وَلَا صُلْحَ فِي (ع م) (وَقَوْلُهُ) كَانَتْ تُسْتَرُ صُلْحًا فِي ت س (وَقَوْلُهُ) فَإِنَّ اصْطِلَاحَ ذَلِكَ وَدَوَاءَهُ عَلَى الْمُرْتَهِنِ الصَّوَابُ فَإِنَّ إصْلَاحَ ذَلِكَ .[المغرب :الصاد مع اللام]

وظاهر هذا الأمر الوجوب ؛ وهو ندب بالإجماع ، ولم يخل عصر من الأعصار من الأيامي من الرجال والنساء ، ولم ينكر أحد أن ترك تزويجهن محظور .

وأيضا فإن الأيم إذا لم ترد التزويج لم يكن للولي إجبارها ، وأيضا فإن الرجل لا يجبر على تزويج عبده وأمته وهو معطوف على الأيامي .

قال أبو علي رحمه الله : هو في الأيم إذا أرادت التزويج على الوجوب ، وفي العبد والأمة ترغيب ، قال : ويجوز أن يكون المعنى ترغيب الأحرار أن يتزوجوا الإماء الصالحات ، وترغيب الحرائر أن يتزوجوا العبيد الصالحين .

الثالث : الرفق على قولهم ؛ قال تعالى : ﴿ ستجِدُني إنْ شاء اللهُ مِن الصالِحِين ﴾ [سورة القصص آية : ٢٧] ، أي : ممن يرفق ولا يخرق ، قال : ومثله : ﴿ اخْلُفْني فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٢] .

وليس هذا بالوجه ؛ وإنما أراد ضد الفساد ، والشاهد : ﴿ وَلا تَتبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٢] ، ويجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصالِحِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٧] أي : أصلح لك في أمورك ، وإني أفي لك ولا أخونك فأفسد أمرك .

الرابع : تسوية الخلق ؛ قال الله : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَن مِنَ الشاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨٩] أي : ولدا سويا ، ويجوز أن يكون أراد صلاح الطريقة .

الخامس : ضد الفساد ؛ قال : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [سورة هود آية : ٨٨] ، وقال : ﴿ قَالُوا إِنمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١] أي : لأمور أنفسنا فيما نولي الكافرين ؛ لأنهم إذا ظهروا أبقوا علينا ، والدليل على صحة هذا التأويل أنه قرنه بالفساد ، وقال : ﴿ أَلا إِنهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢] .

السادس : الطاعة ؛ قال : ﴿ وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ ﴾ يعني : الطاعات .

السابع : الأمانة ؛ قال الله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٢] قالوا : يعني : ذا أمانة ، ويجوز أن يكون معناه صلاح الطريقة في الدين ، ويرجع معناه إلى الطاعة ، وفلان صالح في نفسه ؛ إذا أتى بمحاسن الأفعال ، وفاسد في نفسه ؛ إذا أتى بمقابحها .

الصراط[1]

هو في العربية الطريق الواضح السهل ، يذكر ويؤنث ، مثل : الطريق ، والسبيل ولم نسمع له بجمع ، والقياس : أصرطة ، وسرط ، وأصل الصاد فيه سين ؛ من قولهم : سرطت الطعام ؛ إذا أسرعت بلعه ، وذلك أن السراط : ممر الحلق ، والمسرط : البلعوم ؛ لسرعة مرور الطعام فيه .

وسمي الفالوذ سرطراطا ؛ لسرعته وسهولته في الحلق ، وسيف سراطي سريع القطع ، سمي الطريق القاصد السهل سراطا ؛ لسرعة المشاة فيه ؛ لسهولته لا يمنعه من ذلك شيء ، وجعل السين صادا لموافقة الصاد الطاء .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الطريق ؛ قال الله : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٦] ، ومثله : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] .

الثاني : الدين ؛ قال الله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٦] يعني : الدين المستقيم ؛ فجعله صراطا على التمثيل ، ومثله : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٦] .

والمستقيم : القاصد ، والاستقامة : الاستمرار في جهة واحدة ؛ فإذا كان في الدين فالاستمرار على طريق الحق .

---

(١) الفرق بين الصراط والطريق السبيل : أن الصراط هو الطريق السهل قال الشاعر :

خشونا أرضهم بالخيل حتى *** تركناهم أذل من الصراط

وهو من الذل خلاف الصعوبة وليس من الذل خلاف العز ، والطريق لا يقتضي السهولة ، والسبيل إسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع عليه الطريق تقول سبيل الله وطريق الله وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل به ويراد به سبيل ما يقصده فيضاف إلى القاصد ويراد به القصد وهو كالمحبة في بابه والطريق كالارادة .[الفروق اللغوية :١/ ٣١٣]

وقال بعضهم : الصراط : الطريق المستقيم ، والذي يفيده الصراط هو السهولة على ما ذكرنا ، والذي يدل على ذلك أصل الكلمة وما يتصرف منها ، مثل : السرطراط وسرطته ؛ إذا أسرعت بلعه لسهولته .

الصلاة[1]

أصلها الدعاء؛ صليت إذا دعوت، قال الشاعر:

وَقَابَلَهَا الريحُ فِي دنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دنِّهَا وَارتَشَمَ

وسميت الصلاة لما فيها من الدعاء، والصلاة على الجنازة؛ لأنها دعاء لا سجود فيه ولا ركوع، وقيل: أصلها اللزوم، ومن قيل: ﴿تَصْلَى نَارًا﴾ [سورة الغاشية آية: ٤] أي: يلزمها.

واستعمل في القرآن على خمسة أوجه زعموا:

الأول: الدعاء؛ قال الله: ﴿إِن صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة التوبة آية: ١٠٣] أي: ادع لهم إن دعائك مما يسكنهم وتطمئن إليهم قلوبهم، وقيل: معناه استغفر لهم، ومعناهما قريب.

والثاني: الترحم: قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة التوبة آية: ١٠٣] أي: ترحم عليهم أنهم يسكنون إلى ذلك، قال الأعشى:

---

(١) (ص ل و): (الصَّلَاةُ) فَعَالَةٌ مِنْ صَلَّى كَالزَّكَاةِ مِنْ زَكَّى وَاشْتِقَاقُهَا مِنْ الصَّلَا وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَلْيَتَانِ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يُحَرِّكُ صَلَوَيْهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَقِيلَ لِلثَّانِي مِنْ خَيْلِ السِّبَاقِ الْمُصَلِّي لِأَنَّ رَأْسَهُ يَلِي صَلَوَيْ السَّابِقِ (وَمِنْهُ) ﴿سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ وَثَلَّثَ عُمَرُ﴾ وَسُمِّيَ الدُّعَاءُ صَلَاةً لِأَنَّهُ مِنْهَا (وَمِنْهُ) ﴿وَإِذَا كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ﴾ أَيْ فَلْيَدْعُ وَقَالَ الْأَعْشَى لِابْنَتِهِ عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْت فَاغْتَمِضِي نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا يَعْنِي: قَوْلَهَا يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا لِأَنَّهُ دُعَاءٌ لَهُ مِنْهَا وَقَالَ أَيْضًا وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ أَيْ اسْتَقْبَلَ بِالْخَمْرِ الرِّيحَ وَدَعَا وَارْتَسَمَ مِنْ الرَّوْسَمِ وَهُوَ الْخَاتَمُ يَعْنِي: خَتَمَهَا ثُمَّ سُمِّيَ بِهَا الرَّحْمَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ لِأَنَّهُمَا مِنْ لَوَازِمِ الدَّاعِي (وَالْمُصَلَّى) مَوْضِعُ الصَّلَاةِ أَوْ الدُّعَاءِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِكَايَةً عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ﴿قَسَمْتُ الصَّلَاةَ﴾ يَعْنِي سُورَةَ الصَّلَاةِ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ لِأَنَّهَا بِقِرَاءَتِهَا تَكُونُ فَاضِلَةً أَوْ مُجْزِئَةً (وَقَوْلُهُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُسَامَةَ ﴿الصَّلَاةُ أَمَامَكَ﴾ أَيْ وَقْتُ الصَّلَاةِ أَوْ مَوْضِعُهَا يَعْنِي بِهَا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ (وَقَوْلُ) عَبِيدُ فُلَانٍ يُصَلُّونَ أَيْ هُمْ بَالِغُونَ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَقْرَعَ بَيْنَ مَنْ صَلَّى مِنْ رَقِيقِهِ حِينَ أَعْتَقَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَيْ مَنْ بَلَغَ وَأَدْرَكَ الصَّلَاةَ صَلَّى (الصَّلَاءَةُ) الْحَجَرُ يُسْحَقُ عَلَيْهِ الطِّيبُ وَغَيْرُهُ (وَمِنْهَا) أَخْرَجَ جُرْصُنًا أَوْ صَلَايَةً أَيْ حَجَرًا (وَقَوْلُهُ) فِي الْوَاقِعَاتِ حَدَّادٌ ضَرَبَ حَدِيدَةً بِمِطْرَقَةٍ عَلَى صَلَايَةٍ يَعْنِي السِّنْدَانَ وَهَذَا وَهْمٌ (وَالصَّلَى) بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ أَوْ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ النَّارُ. [المغرب: الصاد مع اللام]

عَلَيكَ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيتَ فَاعتَصِمِي

رفع مثل على الدعاء دعا لها مثل الذي دعوت له ، ونصبه على الأمر ؛ أي : تزداد من الدعاء ، أي : عليك بمثل ما قلت ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٦] .

[الثاني : الرحمة] ؛ قال : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٧] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى"(١) أي : ارحمهم ، وهذا والأول واحد لأن الترحم دعاء ، ولا شك أن الله يرحم نبيه .

والفائدة في الترحم عليه ما يستحق المترحم من الثواب ، فإذا جدد الله تعالى لنبيه تكريما عند دعاء الداعي ؛ قيل : إن الله أجاب دعائه وفي الإجابة تكريم المجاب .

والدعاء ليس بواجب في العقول ؛ وإنما أوجبه القرآن لأن العاقل يعلم أن الله لا يختار له إلا الأصلح في دينه ودنياه . فيجوز أن ينصرف عن الدعاء تفويضا لأمره إلى الله ، والله لا يمنع العبد ما فيه صلاحه ؛ ولكنه أمره بالدعاء تعريضا للإجابة لما فيها من إكرام المجاب .

ويجوز أن يكون أمره بالدعاء ؛ لأن الذي يطلبه لا يكون مصلحة له إلا بالدعاء .

الثالث : الصلاة المعروفة ؛ قال : ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٨] ، وقيل : دلوكها : غروبها ، وقيل : زوالها .

الرابع : قوله : ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة هود آية : ٨٧] قال المفسرون : أراد قراءتك والمشهور الصلاة المعروفة .

وقالوا له ذلك لما أنكروا ما يدعوهم إليه من مخالفة دينهم ، كما تقول للرجل الصالح : تنكر منه أمرا أورعك أو صلاحك أمرك بهذا وأنت تريد نهيه عن ذلك وإنكاره عليه .

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى أخرجه البخاري (١٤٩٨) ، (٤١٦٦) ، (٦٣٣٢) ، (٦٣٥٩) ، وأخرجه مسلم (١٠٧٩) ، والنسائي (٢٤٥٩) ، وأبو داود (١٥٩٠) ، وابن ماجه (١٧٩٦) .

الخامس : المغفرة ؛ قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٣] يعني : أنه يغفر لكم إذا تبتم إليه ، ويستغفر لكم ملائكته ، وهذا الوجه قريب من الوجه الثاني ؛ لأن الرحمة والمغفرة يتقاربان .

الصوم(١)

أصله الإمساك ، ومصام الشيء مكانه ، قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرِ أَسرِ كِتَّانٍ الصَّائِم جَنْدَلِ

والخيل الصائمة : الممسكة عن الحملة ، وقد صام النهار عند قائم الظهيرة ؛ كأن الشمس تسكن عند ذلك فلا تسير .

والصوم في القرآن على وجهين :

الأول : الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح مع النية ، وهو قوله : ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٤] وفي هذه الآية دليل على أن هذه الآية منسوخة لأنه لا يجوز أن تقول في هذا الوقت أن الصيام في شهر رمضان خير من الإفطار فيه .

الثاني : الصمت ؛ قال الله : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرحْمَنِ صَوْمًا﴾ [سورة مريم آية : ٢٦] أي : صمتا ، ويسمى الصمت صوما لأنه إمساك عن الكلام ، ومن قال : أن الصوم ليس بمعنى ؛

---

(١) (ص و م) : (الصَّوْمُ) فِي اللُّغَةِ تَرْكُ الْإِنْسَانِ الْأَكْلَ وَإِمْسَاكُهُ عَنْهُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمَخْصُوصَةِ يُقَالُ صَامَ صَوْمًا وَصِيَامًا فَهُوَ صَائِمٌ وَهُمْ صُوَّمٌ وَصُيَّمٌ وَصِيَامٌ وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا نَصْنَعُ شَرَابًا فِي صَوْمِنَا أَيْ فِي زَمَنِ صَوْمِنَا وَمِنْ مَجَازِهِ صَامَ الْفَرَسُ عَلَى آرِيِّهِ إِذَا لَمْ يَعْتَلِفْ (وَمِنْهُ) قَوْلُ النَّابِغَةِ خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ وَقَوْلُ الْآخَرِ وَالْبَكَرَاتُ شَرُّهُنَّ الصَّائِمَةُ يَعْنِي : الَّتِي سَكَنَتْ فَلَا تَدُورُ وَهِيَ جَمْعُ بَكَرَةِ الْبِئْرِ (وَصَامَ) سَكَتَ (وَمَاءٌ) (صَائِمٌ) وَقَائِمٌ وَدَائِمٌ سَاكِنٌ وَصَامَ النَّهَارُ إِذَا قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ [المغرب :الصاد مع الواو] .

و الصاد والواو والميم أصلٌ يدلُّ على إمساكٍ وركودٍ في مكان. من ذلك صَوم الصَّائم، هو إمساكُهُ عن مَطعَمه ومَشربه وسائرِ ما مُنِعَهُ. ويكون الإمساك عن الكلام صوماً، قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحمنِ صَوْماً﴾ [مريم ٢٦]، إنّه الإمساكُ عن الكلام والصَّمتُ. وأمَّا الرُّكود فيقال للقائم صائم، قال النابغة:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ *** تحتَ العَجَاجِ وخيلٌ تَعلُكُ اللُّجُما

والصَّوم: رُكود الرِّيح. والصَّوم: استواء الشَّمس انتصافَ النَّهار، كأنَّها ركدت عند تدويمها ، وكذا يقال صامَ النَّهارُ.

قال امرؤ القيس:

* إذا صامَ النَّهارُ وهَجّرا *

ومَصَامُ الفَرَسِ: موقِفه، وكذلك مَصَامَتُه. قال الشَّماخ:

* إذا ما استافَ منها مَصَامَةً *

فقد قال : أن الله فرض ما ليس بشيء ، وأن النية والعزم يصح ما ليس بشيء ، والنهي نحو عن ترك ما ليس بشيء ، وتوطين النفس يكون لا على شيء وليس هذا بمعقول ، وقد يكون صوم أعظم من صوم ، وهذا يوجب على قوله : أن يكون لا شيء أعظم من لا شيء .

الباب الخامس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد

الضحى(١)

مؤنثة وأصلها من البروز ، ويقال مكان ضاح ؛ أي : بارز ، وضواحي المدينة : ظواهرها ، وضحى الرجل يضحي إذا برز للشمس ، وفي القرآن : ﴿لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ [سورة طه آية : ١١٩] والأضحية ترجع إلى هذا ، وذلك أنهم كانوا يذبحونها في الضحى ، والضحا بالمد بعد الضحى .

والضحى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النهار كله ؛ قال : ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٨] جاء في التفسير أنه بمعنى النهار جمع قلنا ، وذلك أنه جعله بإزاء البيات ، والبيات يكون في جميع الليل ، ولا يحسن في نظم الكلام أن يجعل الضحى التي هي أول النهار بإزاء الليل كله .

الثاني : إذا ترجل النهار ؛ قال الله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [سورة النازعات آية : ٤٦] .

الثالث : حر الشمس ؛ قال الله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [سورة الشمس آية : ١] قالوا يعني : حرها ، ويجوز أن يكون الوقت ونسبه إلى الشمس ؛ لأن الأوقات تعرف بمسير الشمس .

---

(١)ضحو : الضَّحْوُ : ارتفاعُ النّهار ، والضُّحى : فويق ذلك ، والضّحاء - ممدود - إذا امتدّ النّهار ، وكَرَب أن ينتصف . وضَحِيَ الرّجلُ ضَحًى : أصابه حرُّ الشّمس . قال الله تعالى : " لا تَظْمأُ فيها ولا تَضْحَى " ، أي : لا يؤذيك حرُّ الشّمس . وقد تُسَمَّى الشّمس : الضّحاء - ممدود - . وتقول : اضْحَ ، أي : ابرُزْ للشمس . ضحا يضحو ضُحُوًّا وضَحِيَ يَضْحَى ضَحًى وضُحِيّاً . [العين :ضحو] .

الضرب(١)

أصله الثبات ، ومن ثم قيل : ضرب علي فلان البعث أي : ألزمه وأثبت عليه حكمه ومنه قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِلَّةُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٦١] .

ويخبر عن الإلزام بالضرب ؛ لأن الضرب تأثيرا ليس إلا إلزاما ؛ فلما أراد أنهم ألزموا ذلة تبقى أثرها كبقاء أثر الضرب ، عدل عن ذكر الإلزام إلى ذكر الضرب ، وقيل : المعنى أن الذلة أحاطت بهم من قولك : ضربت الخيمة على القوم ، ونحوه قوله :

ضَرَبتْ عَلَيكَ العَنكَبوتُ بِنَسجِهَا وَقَضَى عَلَيكَ بِهَا الكِتَابُ المُنَزَّلُ

ومنه المضرب لأنه تضرب أوتاده في الأرض فتثبت ، ويقال للجليد : الضريب ؛ لأنه يثبت أكثر مما يثبت الثلج ولا يثبت ولا يجري .

واستضرب العسل إذا غلظ تشبيها بالجليد ، وضريبة الإنسان : خليقته لأنها ثابتة له لا يكاد يزول عنها ، والضرب في الأرض المسير فيها ؛ وهذا خلاف الثبات ، والمضارب مشتق من الضرب في الأرض .

والضرب العسل الأبيض الغليظ ، والضريب ضرب من اللبن ، والضرب من الشيء : الصنف منه .

والضرب في القرآن على ثلاث أوجه :

الأول : الضرب في الأرض ؛ قال الله : ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٤] ، وقال معاوية لبعض رؤساء اليمن : ما قول قومك في : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سورة

---

(١)(ض ر ب) : ضَرَبَهُ بِسَيْفٍ أَوْ غَيْرِهِ وَضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ سَافَرْتُ وَفِي السَّيْرِ أَسْرَعْتُ وَضَرَبْتُ مَعَ الْقَوْمِ بِسَهْم سَاهَمْتُهُمْ وَضَرَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ حَجَرْتُ عَلَيْهِ أَوْ أَفْسَدْتُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا وَصَفَهُ وَبَيَّنَهُ وَضَرَبَ عَلَى آذَانِهِمْ بَعَثَ عَلَيْهِمْ النَّوْمَ فَنَامُوا وَلَمْ يَسْتَيْقِظُوا وَضَرَبَ النَّوْمُ عَلَى أُذُنِهِ وَضَرَبْتُ عَنْ الْأَمْرِ وَأَضْرَبْتُ بِالْأَلِفِ أَيْضًا أَعْرَضْتُ تَرْكًا أَوْ إهْمَالًا وَضَرَبْتُ عَلَيْهِ خَرَاجًا إذَا جَعَلْتَهُ وَظِيفَةً وَالِاسْمُ الضَّرِيبَةُ وَالْجَمْعُ ضَرَائِبُ وَضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَضَرَّبْتُ الْأَعْنَاقَ وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ قَالَ أَبُو زَيْدٍ لَيْسَ فِي الْوَاحِدِ إلَّا التَّخْفِيفُ وَأَمَّا الْجَمْعُ فَفِيهِ الْوَجْهَانِ قَالَ وَهَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ وَضَرَبْتُ أَجَلًا بَيَّنْتُهُ وَجَمِيعُ الثُّلَاثِيِّ وَزْنٌ وَاحِدٌ وَالْمَصْدَرُ الضَّرْبُ وَضَرَبَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ ضِرَابًا بِالْكَسْرِ وَضَرَبَ الْجُرْحُ ضَرَبَانًا اشْتَدَّ وَجَعُهُ وَلَذْعُهُ . [المصباح المنير :الضاد والراء] .

سبأ آية : ١٩] قال : أرادوا بعد الهمة والضرب في الأرض ؛ ولكن ما قول قومك في : ﴿ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] هلا قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندنا فاهدنا له ؟ ومثله : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [سورة المزمل آية : ٢٠] فوضع التاجر مع المجاهد ، وفي ذلك بيان عن فضل التجارة .

الثاني : الضرب باليد والسيف وغيره ؛ قال : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾(١) [سورة محمد آية : ٤] وسمي ضربا لأن أثره يثبت في المضروب ، ونصب ضرب الرقاب على المصدر .

والمراد فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم ؛ ولكن أكثر القتل ضرب الرقبة ، فأخرج الكلام على الأكثر ، ولم يرد أن هذا الضرب مقصور على الرقبة .

والشاهد قوله : ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] ، وقال : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] يعني : اضربوا الرؤوس ، واضربوا منهم كل بنان ؛ لأنه قال : إنكم تتمكنون منهم أشد تمكن ؛ فاضربوا الجليل من أبدانهم والدقيق .

وقيل : ﴿ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] أي : ما بدا منها وهو على ما قلنا أنه أراد أن اقتلوهم .

الثالث : التبين والوصف ؛ قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٤] أي : وصف شبها وبينه .

---

(١) قال الرازي : ما الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الأعضاء نقول فيه : لما بين أن المؤمن ليس بدافع إنما هو دافع ، وذلك أن من يدفع الصائل لا ينبغي أن يقصد أولاً مقتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل ، فإن اندفع فذاك ولا يترقى إلى درجة الإهلاك ، فقال تعالى ليس المقصود إلا دفعهم عن وجه الأرض ، وتطهير الأرض منهم ، وكيف لا والأرض لكم مسجد ، والمشركون نجس ، والمسجد يطهر من النجاسة ، فإذاً ينبغي أن يكون قصدكم أولاً إلى قتلهم بخلاف دفع الصائل ، والرقبة أظهر المقاتل لأن قطع الحلقوم والأوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيأ ذلك ، والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ، ولا سيما في الحرب . [مفاتيح الغيب :١٤/ ٧٩] .

وقال : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٤] قالوا : معناه لا تصفوا بصفات غيره ولا تشبهوه بسواه .

وضارب المثل كأنه ينصب شبها لما يريد أن يعرفك إياه فتنظر إليه وهو راجع إلى الإثبات .

ويجوز أن يقال : ضرب المثل أي : جعله يسير فيكون من الضرب في الأرض ، وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ [سورة النحل آية : ١١٢] أي : وصف له شبها ومثله كثير .

وأما قوله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [سورة النور آية : ٣١] فإنما أراد إلقاء الثوب على الصدر ليستتر به ، والجيب جيب الدرع ، وكن يلبسن الدروع ، وللدرع جيب مثل جيب الدراعة ، والمرأة فيها مكشوفة الصدر فأمر بستره ؛ وفيه دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة .

الضر(١)

الضر ضد النفع ، و الضر : الهزال وسوء الحال ، وكذلك الضراء ، وقيل : الضر والضر لغتان وليس بالوجه .

وذكر أن الضر أبلغ من الضر ؛ لأنه عدل عن صيغة المصدر للمبالغة وهذا أجود . وأصل الكلمة الدنو ، ومعنى قولهم : ضره ؛ إذا لحق به المكروه ، وإذا لحقه به فقد أدناه منه . وسحاب مضر إذا دنا من الأرض لكثرة مائه ، قال الشاعر :

غَوَاشِي مُضر تَحْتَ رِيحٍ وَوَابِلِ

وسميت الضرة ضرة ؛ لأنها أدنيت من مثلها ، والضرة أصل الضرع لقربها من البدن .

والضر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشدة وسوء الحال ؛ قال : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضر دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ [سورة يونس آية : ١٢] والفرق بين المس واللمس ؛ أن المس يكون من الحجارة وما بسبيل ذلك ، يقول : مس الحجر الحجر ، واللمس لا يكون إلا لطلب معرفة اللين ، أو الخشونة ، والحرارة ، والبرودة فهو مستعمل في الإنسان .

الثاني : الهول ، قال الله : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضر فِي الْبَحْرِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٦] يعني : الهول ، ويجوز أن يكون المعنى جميع ما يدخل عليهم من الضرر عند الضلال .

الثالث : النقص ؛ قال الله : ﴿لَنْ يَضُروا اللهَ شَيْئًا﴾ [سورة محمد آية : ٣٢ ، آل عمران : ١٧٦ - ١٧٧] أي : لا ينقصونه من ملكه شيئا معاصيهم .

(١) الضَّرُّ والضُّرُّ لغتانِ ، فاذا جَمَعْتَ بين الضَرَّ والنَّفْعِ فتَحْتَ الضّادَ ، وإذا أفرَدْتَ الضُرَّ ضَمَمْتَ الضاد إذا لم تجعله مصدراً ، كقولك ضَرَرْتُ ضُرّاً ، هكذا يستعمله العَرَبُ . وقال الله تعالى : " واذا مَسَّ الانسانَ الضُّرُّ دعانا لِجَنْبِه " .
والضَّرَرُ : النُّقصان يدخُلُ في الشيء ، تقول : دَخَلَ عليه ضَرَرٌ في ماله . ورجلٌ ضَريرٌ : بيِّنُ الضَّرارة ، وقَومٌ أضِرّاء : ذاهبو البَصَر . ورجلٌ ضَريرٌ وامرأةٌ ضَريرةٌ : أضَرَّه المَرَضُ ، والضريرُ : المريضُ ، والمرأةُ بالهاء . [العين :٢/ ١٦] .

وأما الضراء فقد جاءت بمعنى القحط والجدب ، في قوله : ﴿ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ﴾ [سورة يونس آية :٢١] أي : خصبا وسعة بعد قحط وشدة .

والفرق بين الضر والضراء ؛ أن الضراء مضرة تظهر ، ويجوز أن يكون الضر خافيا ، والضراء خرجت مخرج الأحوال الظاهرة ؛ مثل : الحمراء ، والسوداء .

وكذلك الفرق بين النعمة والنعماء ؛ أن النعماء أنعام تظهر أثره ، ويجوز أن تكون النعمة خافية .

الضلال(١)

أصل الضلال الزوال عن القصد والسير عن غير بصيرة ، وصاحبه بصدد الهلاك ؛ ولهذا قيل : أن الضلال الهلاك .

ثم استعير لمن زال عن سبيل طاعة الله ؛ فقيل للكافر ضال ، وللفاسق مثله ؛ ثم جعل اسما للعقاب على الفسق والكفر ، ويقال : أضللت فرسي وبعيري ، وكل ما زال عنك فذهب .

وضللت الطريق والدار وكل ما لا يترح ، وأضللت فلانا ؛ وجدته ضالا ، ومنه قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية آية : ٢٣] .

والإضلال ؛ أيضا الإحباط في قوله : ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد آية : ١] والإضلال ؛ الصرف عن القصد في قوله : ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [سورة طه آية : ٧٩] .

وقال بعضهم : الضلال والهلاك من قولهم : ضليت الناقة إذا أهلكت بضياعها ، وضل الكافر إذا هلك بكفره ، وضللنا في الأرض ؛ إذا هلكنا بقطع أوصالنا ، ورجل مضل ؛ منسوب إلى الهلاك بأنه لا يتوجه لخير ، وضل الرجل عن الطريق ؛ إذا هلك عن قصده .

---

(١) [ضل] : ضَلَّ الشَيْءُ يَضِلُّ ضَلالاً : إذا ضاعَ . وإذا جارَ الرَّجُلُ عن القَصْدِ قيل : ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ . والتَّضلالُ : مَصْدَرٌ كالتَّضْليلِ ؛ لِمَصْدَرِ ضَلَّلْتُ . وضَلِلْتُ مَكاني : إذا لم تَهْتَدِ إليه . وأضْلَلْتُ بَعِيري : إذا أفْلَتَ فَذَهَبَ . والضَالَّةُ من الإِبِلِ : التي تَبْقَى بمَضْيَعَةٍ لا يُعْرَفُ لها رَبٌّ ، والجَميعُ الضَوالُّ . وكذلك اللُّقَطُ . والضَّلالَةُ : المَصْدَرُ . ورَجُلٌ مَضَلَّلٌ : لا يُوَفَّقُ لخَيْرٍ صاحِبُ غَوَاياتٍ وأضاليلَ ، والواحِدُ أُضْلُولَةٌ . والضُّلَضِلَةُ : من الضَّلالِ . زهي أيضاً : كُلُّ حَجَرٍ قَدْر ما يُقِلُّهُ الرَّجُلُ ؛ أمْلَس ؛ في بُطُوْنِ الأوْدِيَةِ . وأرْضٌ ضُلَضِلَةٌ وضُلاَضِلَةٌ : كَثيرةُ الحِجَارَةِ . والضَّلَضِلَةُ بفتح الضّادِ الأُولى : الأرْضُ الغَلِيْظَةُ . والضُّلَضِلُ الحِجَارَةُ المُكَسَّرَةُ يَتَضَلْضَلُ الماءُ من تَحْتِها أي يَذْهَبُ . وضَلاَضِلُ الماءِ : بَقَاياه . وإنَّه ضِلُّ أضْلالٍ بمعنى الصاد : إذا كانَ داهِياً مُنْكَراً . وهو ضِلاًّ بن ضِلٍّ ويُرْفَعَانِ وضِلُّ أضْلالٍ : إذا لم يُعْرَفْ أبوه ، وقيل : مَيْتُ بن مَيِّتٍ ، من قَوْلِه تعالى : " أئذا ضَلَلْنا " . و " سَلَكَ وادي تُضَلِّلَ " : إذا تَكَلَّمَ فأخطأ أو عَمِلَ شَيْئاً فَلَمْ يُصِبْ ، ويُقال : تَضَلَّلَ ، وكأنّه اسْمُ أرْضٍ . و " وَقَعَ القَوْمُ في وادي تُضَلَّلَ " . وضَلَّ فلانٌ : أي ماتَ وغَيَّبَتْه الأرْضُ . وأضَلَّه قابِرُوه : دَفَنُوه . ومنه : ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ : أي خَفِيَ فيه . [المحيط في اللغة :٢/ ١٨٩] .

والضلال في القرآن على اثني عشر وجها :

الأول : التسمية والحكم ، وقال تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] يعني : أنه يسميهم ضالين ، كما تقول : جهلته إذا سميته جاهلا .

الثاني : النسيان ؛ قال : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : تنسى ، وإذا ذهب عن الطريق ، قيل : قد ضل وكذا إذا ذهب عن معرفة الشيء .

الثالث : عدم العلم بمبلغ الجرم ؛ قال : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٠] أي : لم أعلم أن وكزتي تبلغ القتل ؛ كأنه قال : فعلتها وأنا ضال عن العلم بها أنها تبلغ القتل ، ومن ذهب عن الشيء يجوز أن يقال : أنه ضل عنه .

وقال الزجاج : ﴿ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[سورة الشعراء آية : ٢٠] أي : الجاهلين ، وهذا خطأ لأن اسم الجاهلين لا يطلق على الأنبياء .

الرابع : الخطأ ؛ قال الله : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨] أي : في خطء بين ، ولو عنوا غير ذلك كفروا ؛ فإن تضليل الأنبياء عليهم السلام على الحقيقة كفر ، وحقيقة المعنى أنه ذهب عن الاستواء في تدبير أمر الدنيا ؛ لأنه يفضل من لا غنى له على من له غنى .

الخامس : الكفر ، وهو قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٧] يعني : بالضالين النصارى ، والمغضوب عليهم اليهود ، والمعنى غير طريق الذين تريد عقابهم في الآخرة من اليهود والنصارى ، والغضب من الله العقاب .

السادس : الغفلة ؛ قال الله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [سورة الضحى آية : ٧] أي : كنت في غفلة عن النبوة لم تدر أنك تؤتاها ، ودليله قوله : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] .

وقال بعضهم : ﴿ ضَالًّا ﴾ أي : في قوم ضلال ؛ كما قال أبو عثمان المازني ؛ لنزوله في بني مازن ، وعمر والغزال ؛ لمقامه بين الغزالين ، وكل من نزل في قوم نسب إليهم ، ومن

ذلك قولهم : العلوي الحماني ؛ فأما قول من قال أنه كان على دين قومه فخطأ ؛ لأن من يصلح للنبوة لا يجوز أن يستصوب عبادة الصنم .

السابع : الإحباط ؛ قال الله : ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١] أي : أحبطها ولم يحصلوا على ثوابها ، وفي هذا دليل على أن الحساب لا ينفع مع الكفر .

الثامن : العذاب ؛ قال : ﴿ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالا ﴾ [سورة نوح آية : ٢٤] أي : عذابا ؛ لأنه لا يضلهم في الأول فيزيدهم ، والزيادة لا تكون إلا على أصل ، وما سمي ما يوصل إليهم من العذاب المستحق في الحال الثاني والثالث ، وما بعد ذلك زيادة لم يرد إنه يزيدهم منه ما لا يستحقونه .

التاسع : تفرق الشيء حتى لا يرى ؛ قال تعالى : ﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية : ١٠] .

العاشر : الصد ؛ قال تعالى : ﴿ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٣] أن يصدوك عن الإيمان ويردونك إلى الكفر .

الحادي عشر : الخسار ؛ قال الله : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [سورة القمر آية : ٤٧] .

وكل ما نسبه الله إلى نفسه من الضلال فسبيله التسمية والحكم ، أو الضلال عن الثواب ، ودليل هذا قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٥] ، وقال : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٧] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٥] فالفتنة ؛ المحنة والابتلاء .

ونسب الضلال بها إلى نفسه ، لأن الضلال وقع من بعض الناس عندما ابتلي بها ؛ فنسب ذلك إلى نفسه ؛ كما قال : ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٥] يعني : السورة ، والمراد أنهم ازدادوا رجسا عندها .

الثاني عشر : الحيرة ؛ قال تعالى : ﴿ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٣ ، ق : ٢٧] أي : في حيرة شديدة ، أو في حيرة بعيد دواؤها وتلافيها ويقال : ضل الطائر إذا تحير وضل الصبي ، مثله .

وأما قوله : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلَالٍ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٤] فمعناه أن دعاء الكافرين لأوثانهم باطل لا مرجوع له ، وضل الشيء إذا بطل وهلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٧] فمعناه أنه يهدي الناس إلى ثوابه لا إلى الدين ؛ لأن الناس مهتدون إلى الدين .

وكذلك ينبغي أن يكون الإضلال هنا عن الثواب لا عن الدين ، ولو جاز أن يضل عن الدين لجاز لنا ذلك ، كما أنه جاز لنا أن نهدي إليه إذ كان الله يهدي إليه ، ولو جاز أن يضل عن الإيمان لجاز أن يدعو إلى الكفر ، ولو جاز له ذلك لجاز لنا .

الباب السادس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء

الطهارة(١)

أصل الطهارة في اللغة : البعد ، يقال : طهرت الشيء وطهرته ؛ إذا أبعدته ، وسمي الطهور طهورا لأنه يبعد الفاحشة عن الجسد وغيره .

والطهور اسم ما يتطهر به ، والطهور اسم الفعل على القياس دون السماع ، والمسموع للطهر والطهارة .

والطهارة في الشريعة : اسم يقع على معان كثيرة ، منها : الصلاة ، والزكاة ، والبر ؛ كلها طهارة ؛ يعني : أنها تطهر من الذنوب ، وقوله : ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٥٦] يطلبون إطهار النساء ولا يأتون الرجال ، أو يأتوهن في قبل الطهر يطلبون النجاسة على ما كانت العرب تدعي من ذلك .

والطهارة في القرآن على عشرة أوجه :

الأول : طهارة المرأة من دم الحيض ؛ قال الله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] .

---

(١)(ط هـ ر) : (الطَّهَارَةُ) مَصْدَرُ طَهُرَ الشَّيْءُ وَطَهَرَ خِلَافُ نَجِسَ (وَالطُّهْرُ) خِلَافُ الْحَيْضِ (وَالتَّطَهُّرُ) الِاغْتِسَالُ يُقَالُ طَهُرَتْ إذَا انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ وَتَطَهَّرَتْ وَاطَّهَّرَتْ اغْتَسَلَتْ (وَقَوْلُهُ) ﴿خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرِي بِهَا﴾ أَيْ امْسَحِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ مِنْ تَطَهَّرَ إذَا تَنَزَّهَ عَنْ الْأَقْذَارِ وَبَالَغَ فِي تَطْهِيرِ النَّفْسِ وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قِيلَ أُرِيدَ الِاسْتِنْجَاءُ (وَالطَّهُورُ) بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى التَّطَهُّرِ يُقَالُ تَطَهَّرْت طَهُورًا حَسَنًا وَ (مِنْهُ) ﴿مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهُورُ﴾ (وَطَهُورُ) إنَاءِ أَحَدِكُمْ وَحَتَّى يَضَعَ الطَّهُورَ مَوْضِعَهُ وَاسْمٌ لِمَا يُتَطَهَّرُ بِهِ كَالسَّحُورِ وَالْفَطُورِ وَصِفَةٌ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ وَمَا حُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ إنَّ الطَّهُورَ مَا كَانَ طَاهِرًا فِي نَفْسِهِ مُطَهِّرًا لِغَيْرِهِ إنْ كَانَ هَذَا زِيَادَةَ بَيَانٍ لِنِهَايَتِهِ فِي الطَّهَارَةِ فَصَوَابٌ حَسَنٌ وَإِلَّا فَلَيْسَ فَعُولٌ مِنْ التَّفْعِيلِ فِي شَيْءٍ وَقِيَاسُ هَذَا عَلَى مَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ كَقَطُوعٍ وَمَنُوعٍ غَيْرُ سَدِيدٍ (وَالطُّهْرَةُ) اسْمٌ مِنْ التَّطْهِيرِ وَ (الْمِطْهَرَةُ) الْإِدَاوَةُ وَكَذَا كُلُّ إنَاءٍ يُتَطَهَّرُ بِهِ وَفَتْحُ الْمِيمِ لُغَةٌ . [المغرب :الطاء مع الهاء] .

الثاني : الاغتسال ؛ وهو قوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] أي : إذا اغتسلن أو تيممن عند عدم الماء .

ولا يجوز عند الفقهاء مجامعتهن إذا طهرن فقط ؛ لأنه قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] يعني : الفرج ، وفيه دليل على أن إيتائهن في أدبارهن حرام ؛ لأنه حرام إيتائهن في الحيض لأجل الأذى ؛ وهو القذر ، والقذر للدبر الزم .

ويجوز عند بعضهم مجامعتهن إذا طهرن قبل أن يتطهرن ، ومنه كلام كثير استقصيناه في غير موضع .

الثالث : التطهر بمعنى الاستنجاء بالماء ؛ قال الله : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٨] قال المفسرون : أراد غسل أثر البول والغائط بالماء ، وقيل : نزل في الأنصار وذلك أنهم كانوا يتبعون الحجر بالماء .

الرابع : الطهور من جميع الأحداث والجنابة ؛ قال الله : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١١] يعني : من الأحداث والجنابة ، ونظيره قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٨] .

الخامس : التنزه عن إتيان الرجال في أدبارهم ، قال : ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٥٦] ويحتمل أيضا الوجوه التي ذكرنا .

السادس : طهارة نساء أهل الجنة من الحيض والقذر ؛ قال الله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥] ويتضمن ذلك طهارة الأخلاق أيضا ، لأنه جاء بلفظ التكثير .

السابع : الطهارة من الذنوب ؛ قال : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٩] يعني : الملائكة ، وأراد طهارتهم من الذنوب ، وقرئ المطهرون ؛ ومعناه أنهم يطهرون غيرهم وليس بالوجه ، وقيل : هو على الأمر ؛ أي : لا يمس المصحف إلا طاهر ، ومثله : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [سورة المجادلة آية : ١٢] أي : أطهر من الذنوب .

ومعنى ذلك أنه يكون كفارة ، ونحوه قوله : ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٢] أراد إذا لم يعضلوهن لأن أزكى لكم وأطهر لكم ولهن من الذنوب ، لأنكم تأثمون بعضلكم إياهن ، ولعل العضل يحملهن على الزنا ، والعضل : المنع من التزويج وخبرها هنا أفعل .

الثامن : التبرئة من الخطأ والغلط ؛ قال الله : ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [سورة عبس آية : ١٣ ، ١٤] يعني : القرآن ، كذا قيل ؛ وقيل : يقول أنها مكرمة عند الملائكة ، مرفوعة عن الأرض .

ويجوز أن يكون أراد رفع القدر مطهرة أن ينالها يد عاصية ، ومثله : ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [سورة البينة آية : ٢] يعني : القرآن أيضا ، ويجوز أن يكون : ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي : منزهة أن يكون فيها كذب وباطل .

التاسع : إبعاد الأوثان والأصنام ؛ قال الله : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [سورة الحج آية : ٢٦] أي : أبعد عنه ما يعبد منها .

العاشر : تطهير الله العبد من الذنوب ؛ بمعنى أنه يمنحه ألطافا يمتنع معها من الذنوب ، قال الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٢] : ﴿اصْطَفَاكِ﴾ اختصك بأن قيل نذر أمك فيك ففرغك لعبادته وسد أنه نبيه ، وطهرك من الذنوب بأن وفقك لمجانبتها ، واختصك من نساء العالمين بولادة عيسى عليه السلام من غير ذكر ؛ فلما كان المراد بالاصطفاء الأخير غير المراد بالاصطفاء الأول لم يكن تكرارا معيبا ، وقال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٣] والمعنى أن الله وفقكم لمجانبة الذنوب فتجنبتموها وكنتم طاهرين .

الطاغوت[1]

كل ما عبد من دون الله وهو طاغوت ، والطاغوت أيضا الشيطان وهو من طغى يطغوا ، مثل : الملكوت من ملك يملك ، وقيل : هو أعجمي ، مثل : جالوت ، وطالوت ، وهو واحد وجمع .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشيطان ؛ قال الله : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطاغُوتِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٦] قالوا : هو الشيطان ، ويجوز أن يكون الأوثان والذي لا شك فيه أنه الشيطان ، قوله : ﴿وَالذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطاغُوتِ﴾ [سورة النساء آية : ٧٦] لأنه قال بعد ذلك : ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَيْطَانِ﴾ [سورة النساء آية : ٧٦] [2] .

الثاني : الأوثان ؛ قال الله : ﴿وَاجْتَنِبُوا الطاغُوتَ﴾ [سورة النحل آية : ٣٦] وهو يذكر ويؤنث ، والتأنيث قوله : ﴿الطاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [سورة الزمر آية : ١٧] ، والتذكير قوله : ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] .

الثالث : قوله : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطاغُوتِ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] جاء في التفسير أنه أراد كعب بن الأشرف ، وقيل : الكاهن .

---

(١) (ط غ ي) : طَغَا طَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ وَطَغِيَ طَغًى مِنْ بَابِ تَعِبَ وَمِنْ بَابِ نَفَعَ لُغَةٌ أَيْضًا فَيُقَالُ طَغَيْتُ . وَفِي التَّهْذِيبِ مَا يُوَافِقُهُ قَالَ الطَّاغُوتُ تَاؤُهَا زَائِدَةٌ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَغَا وَالطَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالِاسْمُ الطُّغْيَانُ وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ فَهُوَ طَاغٍ وَأَطْغَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا وَطَغَا السَّيْلُ ارْتَفَعَ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ . [المصباح المنير :الطاء مع الغين] .

(٢) قال ابن الجوزي : الطاغوت ؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، قال ابن قتيبة : الطاغوت : واحد ، وجمع ، ومذكر ، ومؤنث . قال الله تعالى : ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾ وقال : ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ [الزمر : ١٧] . والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال . أحدها : أنه الشيطان ، قاله عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدي ، ومقاتل في آخرين . والثاني : أنه الكاهن ، قاله سعيد بن جبير ، وأبو العالية . والثالث : أنه الساحر ، قاله محمد بن سيرين . والرابع : أنه الأصنام ، قاله اليزيدي ، والزجاج . والخامس : أنه مردة أهل الكتاب ، ذكره الزجاج أيضاً . [زاد المسير :١/ ٢٦٢] .

وأصله أن رجلا من المنافقين نازع يهوديا ، فقال اليهودي : بينك وبيني محمد صلى الله عليه .

وقال المنافق : بيني وبينك الكاهن .

وقيل : كعب بن الأشرف ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ؛ فحكم على المنافق ؛ فلم يرض ، وجاء أبا بكر فحكم عليه أيضا ، فجاءا عمر وقص اليهودي عليه القصة ؛ فأخرج السيف وقتل المنافق ؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له : أنت الفاروق ، ثم قال : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] فذكر الشيطان وأراد أولياء الشيطان ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] ، وكما قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٧] أي : أولياء الله .

الطمأنينة(١)

أصلها الانخفاض ، والمطمئن من الأرض : المنخفض ، وتطأمن الشيء إذا تلاطا ثم استعمل في السكون .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : السكون ؛ قال : ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٠] وتزول عنه الوسوسة ؛ لأنه إذا شاهد إحياء الموتى لم يكن للشيطان إلي وسوسته سبيل ، ومثله : ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [سورة المائدة آية : ١١٣] ، ونظيره : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٨] .

ويجوز أن يكون المعنى أنها تطمئن إلى ما وعد الله من ثوابه ، ويجوز أن يكون المعنى الذين نظروا واستدلوا فعرفوا الله من طريق الدلائل فاطمأنت قلوبهم ولم يخالجها شك ، فإن قيل : أوليس قد قال : ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحج آية : ٣٥] والوجل ضد الطمأنينة ، قلنا : المراد في هذا أنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم بذكر عقوباته للعصاة ؛ وجلت قلوبهم لأنهم لا يأمنون أن يعصوه ؛ فبصروا إلى عذابه .

وقوله : ﴿تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٨] أنهم إذا ذكر بذكر ثوابه اطمأنت قلوبهم لأنهم لا يعرفون من أنفسهم معصية ، وقد وثقوا بأن وعد الله حق .

الثاني : بمعنى الرضا ؛ قال : ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [سورة الحج آية :١١] .

---

(١)(ط م ء ن) : اطْمَأَنَّ الْقَلْبُ سَكَنَ وَلَمْ يَقْلَقْ وَالِاسْمُ الطُّمَأْنِينَةُ وَاطْمَأَنَّ بِالْمَوْضِعِ أَقَامَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ وَطَنًا وَمَوْضِعٌ مُطْمَئِنٌّ مُنْخَفِضٌ قَالَ بَعْضُهُمْ وَالْأَصْلُ فِي اطْمَأَنَّ الْأَلِفُ مِثْلُ احْمَارَّ وَاسْوَادَّ لَكِنَّهُمْ هَمَزُوا فِرَارًا مِنْ السَّاكِنَيْنِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَقِيلَ الْأَصْلُ هَمْزَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْمِيمِ لَكِنَّهَا أُخِّرَتْ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ طَأْمَنَ الرَّجُلُ ظَهْرَهُ بِالْهَمْزِ عَلَى فَأْعَلَ وَيَجُوزُ تَسْهِيلُ الْهَمْزَةِ فَيُقَالُ طَامَنَ وَمَعْنَاهُ حَنَاهُ وَخَفَضَهُ . [المصباح المنير :الطاء مع الميم] .

الثالث : بمعنى الأمن ؛ قال الله : ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصلاةَ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ويجوز أن يكون هذا أيضا بمعنى السكون ، قال بعضهم : معناها هاهنا الإقامة ؛ أي : فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة ؛ أي : أتموها .

الطيبات(١)

أصل الياء في الطيب واو ، ومن ثم قيل للقادم : أوبة ، وطوبة ، وقيل : طوبى له ، وقيل : شيء طيب للزوم الطيب له ، كما قيل : ضيق ، وميت ، وسيد ، وما كان الصفة فيه عارضة ، قيل : فاعل ، كما قيل : ضائق .

وهي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الحلال ؛ قال تعالى : ﴿ وَالطيبَاتِ مِنَ الرزْقِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٢] ، وقال : ﴿ كُلُوا مِنَ الطيبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥١] ، وقال : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَ لَكُمُ الطيبَاتُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] يعني : أن الطيبات أحلت لهم عند كمال الدين .

وذلك أنه قد أمنهم عند نزول هذه الآية أن ينسخ شيئا مما أحل لهم ، واليوم هو الذي أنزل فيه هذه الآية ، ويجوز أن يكون بمعنى الوقت ، ويجوز أن تكون الطيبات الأرزاق التي جعلها الله للناس ، ومنع بالنهي عن منازعتهم فيها ، وإنما سمي الحلال طيبا لطيبه في العاقبة .

---

(١) (ط ي ب) : الطَّيِّبُ) خِلَافُ الْخَبِيثِ فِي الْمَعْنَيَيْنِ يُقَالُ شَيْءٌ طَيِّبٌ أَيْ طَاهِرٌ نَظِيفٌ أَوْ مُسْتَلَذٌّ طَعْمًا وَرِيحًا وَخَبِيثٌ أَيْ نَجِسٌ أَوْ كَرِيهُ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أَيْ طَاهِرًا عَنْ الزَّجَّاجِ وَغَيْرِهِ (وَمِنْهُ) ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ ﴾ يَعْنِي الْأَرْضَ الْعَذْبَةَ الْكَرِيمَةَ التُّرْبَةِ وَالَّذِي خَبُثَ الْأَرْضُ السَّبِخَةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ وقَوْله تَعَالَى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ ﴾ يَعْنِي الْمُسْتَلَذَّاتِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وقَوْله تَعَالَى ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ ﴾ يَعْنِي كُلَّ شَيْءٍ نَجِسٍ كَالدَّمِ وَالْمَيْتَةِ وَنَحْوِهِمَا (وَفِي الْحَدِيثِ) ﴿ مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ﴾ قِيلَ هِيَ الْكُرَّاثُ وَالثُّومُ وَالْبَصَلُ هَذَا أَصْلُهُمَا ثُمَّ جُعِلَا عِبَارَتَيْنِ عَمَّا يُقَارِبُ ذَلِكَ مِنْ الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ وَالْفَسَادِ وَالْجَوْدَةِ وَالرَّدَاءَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ أَيْ مَا حَلَّ لَكُمْ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ أَيْ مِنْ جِيَادِ مَكْسُوبَاتِكُمْ أَوْ مِنْ حَلَالِهَا وَفِي ضِدِّهِ : " وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ " أَيْ الرَّدِيءَ أَوْ الْحَرَامَ يَعْنِي لَا تَقْصِدُوا مِثْلَهُ فَتَصَدَّقُوا بِهِ وقَوْله تَعَالَى ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ عَامٌّ فِي حَلَالِ الْمَالِ وَحَرَامِهِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ وَطَالِحِهِ وَصَحِيحِ الْمَذَاهِبِ وَفَاسِدِهَا وَجَيِّدِ النَّاسِ وَرَدِيِّهِمْ .
[المغرب :الطاء مع الياء] .

الثاني : المن والسلوى ؛ قال : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [سورة طه آية : ٨١] وهو راجع إلى الأول ؛ لأن ذلك كان حلالا ، ويجوز أن يكون المراد أنه طيب المطعم ، ومثله : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بني إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَاتِ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقوله : ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٦] .

الثالث : الطعام اللذيذ ، واللباس الحسن ، والجماع ؛ قال الله : ﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٧] وكان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هموا بترك ملاذ الدنيا ؛ فأنزل الله هذه الآية ، ونحوه قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بني آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَاتِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٠] ، ومثله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطيبَاتِ مِنَ الرزْقِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٢] أي : لم يحرم الله ذلك فاللفظ لفظ الاستفهام ، والمعنى الإنكار ، وهو يرجع إلى معنى الأمر باستعمال هذه الأشياء من وجوهه وحله .

الرابع : الشحوم ولحوم الإبل ؛ قال الله : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١٦٠] فالمراد أنه عجل عليهم طائفة من العذاب ؛ فحرم عليهم من الماء كل ما كانت حلالا لهم ، وهي ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤٦ ، النحل : ١١٨] كذا وكذا وذلك ما كان من ظلمهم .

الخامس : الذبائح ؛ قال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطيبَاتُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤] يعني : الذبائح ، والشاهد قوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤] فقرر ذلك بما هو من جنسه .

السادس : الغنيمة ؛ قال : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٦] إلى أن قال : ﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطيبَاتِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٦] جاء في التفسير أنه أراد الغنيمة يوم بدر ؛ لأنه في قصد بدر وآواكم ؛ يعني : أنه أسكنكم المدينة ، وقال في آخر السورة : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٩] ، ويجوز

أن يكون الطيب هاهنا الذي لا إثم فيه ؛ فهو طيب في العاقبة ، وكانت الغنائم محرمة على من قبل هذه الأمة ؛ فأحلها الله لهذه الأمة .

الطعام(١)

كل ما أكل للشبع أو للشهوة مما فيه صلاح للبدن فهو طعام ، وذلك أن الطير يؤكل للشهوة وليس بطعام والذي يؤكل للشبع الخبز واللحم ، وما بسبيل ذلك والذي يؤكل للشهوة والفاكهة والأدام وما يجري هذا المجرى ، والطعم : المذاق ؛ يقال : هو طيب الطعم ، والطعم أيضا اسم يقام مقام المصدر ، والمصدر الطعم بالتحريك ، ورجل مطعم من الشيء ؛ مرزوق منه كأنه جعل له طعمه ، وفلان خبيث الطعمة ؛ أي : رديء المكسب .

والطعام في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الطعام الذي يأكله الناس ؛ قال : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [سورة قريش آية : ٤] ، وقال : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقال : ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ونحوه كثير .

الثاني : مليح السمك ؛ وقال : ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٩٥] كذا جاء في التفسير ، وقيل أيضا : أنه أراد ما يصب عليه الماء وأخذ فهو من طعام البحر ، وقيل : هو ما سقاه البحر فنبت فهو طعام البحر لأنه ينبت عن مائه .

---

(١) (ط ع م) : (الطَّعَامُ) اسْمٌ لِمَا يُؤْكَلُ كَالشَّرَابِ لِمَا يُشْرَبُ وَجَمْعُهُ أَشْرِبَةٌ وَأَطْعِمَةٌ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْبُرِّ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ ﴿كُنَّا نُخْرِجُ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ﴾ (وَفِي حَدِيثِ) الْمُصَرَّاةِ رُدَّهَا وَرُدَّ مَعَهَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ لَا سَمْرَاءَ أَيْ مِنْ تَمْرٍ لَا حِنْطَةٍ (وَقَوْلُهُ) فِي بَابِ الْأَذَانِ وَكَانَ ذَا طَعَامٍ أَيْ أَكُولًا (وَالطُّعْمَةُ) بِالضَّمِّ الرِّزْقُ يُقَالُ جَعَلَ السُّلْطَانُ نَاحِيَةَ كَذَا (طُعْمَةً لِفُلَانٍ) وَقَوْلُ الْحَسَنِ الْقِتَالُ ثَلَاثَةٌ قِتَالٌ عَلَى كَذَا وَقِتَالٌ لِكَذَا وَقِتَالٌ عَلَى هَذِهِ الطُّعْمَةِ يَعْنِي الْخَرَاجَ وَالْجِزْيَةَ وَالزَّكَوَاتِ (وَفِي السِّيَرِ) ﴿أَطْعَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طُعْمَةً﴾ وَفِي مَوْضِعٍ طُعَمًا عَلَى الْجَمْعِ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ طُعَمًا وَ طَعَامًا وَهُمَا بِمَعْنًى (وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ) أَنَّ الْإِطْعَامَ مُخْتَصٌّ بِإِعَارَةِ الْأَرْضِ لِلزِّرَاعَةِ (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ) أَنَّهُ أَطْعَمَ عَمْرًا خَرَاجَ مِصْرَ أَيْ أَعْطَاهُ طُعْمَةً وَطَعِمَ الشَّيْءَ أَكَلَهُ وَذَاقَهُ طَعْمًا بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ إلَّا أَنَّ الْجَارِيَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فِي عِلَّةِ الرِّبَا الْفَتْحُ وَمُرَادُهُمْ كَوْنُ الشَّيْءِ مَطْعُومًا أَوْ مِمَّا يُطْعَمُ (وَفِي كَلَامِ) الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَكْلُ مَعَ الْجِنْسِ عِلَّةٌ وَرُبَّمَا قَالَ الطُّعْمُ مَعَ الْجِنْسِ وَقَدْ تَطَعَّمَهُ إذَا ذَاقَهُ (وَمِنْهُ) الْمَثَلُ تَطَعَّمْ تَطْعَمْ أَيْ ذُقْ تَشْتَهِ وَاسْتَطْعَمَهُ سَأَلَ إطْعَامَهُ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿إذَا اسْتَطْعَمَكُمْ الْإِمَامُ فَأَطْعِمُوهُ﴾ أَيْ إذَا أُرْتِجَ عَلَيْهِ وَاسْتَفْتَحَكُمْ فَافْتَحُوا عَلَيْهِ مَجَازٌ وَأَطْعَمَتْ الثَّمَرَةُ أَدْرَكَتْ (وَمِنْهُ) نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يُطْعِمَ (وَشَجَرٌ مُطْعِمٌ) أَيْ مُثْمِرٌ . [المغرب :الطاء مع العين] .

الثالث : الذبائح ؛ قال : ﴿ وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِل لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] ، ومعروف أنه لم يرد الخبز والأدام فينبغي أن يكون على الذبائح .

وقال بعضهم : أهل الكتاب هنا هم بنوا إسرائيل دون غيرهم ممن تنصر وتهود من العرب والعجم ، وليس كذلك لأن هذا اسم لمن ينتحل التوراة والإنجيل ويظهر التدين بذلك ، ولم يسموا أهل الكبائر لأنهم من بني إسرائيل ؛ فكل من شاركهم في هذه العلة فهو منكم وطعامكم حل لهم ؛ أي : حل لكم أن تطعموهم ؛ لأن الحلال أو الحرام والفرائض بعد عقد التوحيد .

الرابع : طعم بمعنى شرب ؛ قال الله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنهُ مِني ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] أي : من لم يشربه ، ومجازه لم يذقه فيجد طعمه ، وقوله : ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِني ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] مع قوله : ﴿ إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] دل على أن الشرب من النهر الكرع فيه ، وهو أن يضع شفته عليه فيشرب منه ، وهو من اغترف يده فليس بشارب من النهر ، وهو يدل على صحة قول أبي حنيفة فيمن قال : إن شربت من الفرات فعبدي حر أنه على الكرع ؛ وإذا شرب بيده أو بإناء لم حنث .

الطغيان[1]

أصله مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة آية : ١١] ، ثم استعمل في شدة الظلم ؛ لأنه تجاوز لحد الصفة ؛ وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الضلال ؛ قال الله : ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥] أي : في ضلالهم يتحيرون ، ويجوز أن يكون أراد أنهم يتحيرون فيما هم فيه من مجاوزة الحد في التمرد ؛ وتحيرهم فيه لأنهم لا يعرفون وجه قباحته ، والمتحير غير عارف لوجه أمره والعمد التحير .

ومثله قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ [سورة ق آية : ٢٧] أي : ما أضللته ، والشاهد قوله : ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة ق آية : ٢٧] ، ويجوز أن يكون المراد أي : لما حمله على التمرد وشدة الظلمة لنفسه ولغيره .

الثاني : قال تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [سورة طه آية : ٤٣] ويجوز أن يكون أراد أنه جاوز الحد في الكبر أو الظلم والغشم ، وقال : ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [سورة الصافات آية : ٣٠] .

الثالث : الارتفاع ومجاوزة الحد في الكثرة ؛ وقال : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة آية : ١١] أي : حملنا آباءكم على حسب ما يقال لبني شيبان : اليوم أنتم أصحاب يوم ذي قار .

الرابع : الخطأ ؛ قال : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [سورة النجم آية : ١٧] أي : ما يمل ولم يخطئ في الرؤية ، وقيل : ما عدل وما جاوز القصد في رؤيته ؛ يعني : جبريل عليه

---

(١) (ط غ ي) : طَغَا طَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ وَطَغِيَ طَغًى مِنْ بَابِ تَعِبَ وَمِنْ بَابِ نَفَعَ لُغَةٌ أَيْضًا فَيُقَالُ طَغَيْتُ . وَفِي التَّهْذِيبِ مَا يُوَافِقُهُ قَالَ الطَّاغُوتُ تَاؤُهَا زَائِدَةٌ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَغَا وَالطَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالِاسْمُ الطُّغْيَانُ وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ فَهُوَ طَاغٍ وَأَطْغَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا وَطَغَا السَّيْلُ ارْتَفَعَ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ . [المصباح المنير :الطاء مع الغين] .

السلام ، وزاغ : مال وعدل ، وقيل : ﴿مَا زَاغَ﴾ ما قصر عن شيء رمى إليه ببصره ، : ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما طلب أن يجاوز ما رآه إلى غيره .

الطمس[1]

أصله ذهاب الأثر ؛ طريق طامس : لا علم فيه ، كتاب مطموس : ممحو ، وجبل طامس : لا طريق إليه ؛ قال جميل :

الأَيتكُما أَعلامُ بُثينَةَ قَدْ بَـدَتْ ... كَـأنَّ ذُرَاهَا عُممت بِسَبَيب

طَـوَامِسُ لِي مِنْ دَونِهِنَّ عَدَاوةٌ ... وَلِي مِنْ وَرَادُ الطَّامِسَاتِ حَبِيب

بَعيـدٌ عَلَى مَنْ لَيسَ يَطْلُبُ حَاجةً ... وَأَمَّـا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبُ

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى القلب ؛ قال الله : ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ [سورة النساء آية : ٤٧] أي : نقلبها فنجعلها إلى ما على أدبارها .

وقوله : ﴿فَنَرُدهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ تفسير لطمسها ، وتصديق هذا قوله : ﴿وَأَما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [سورة الانشقاق آية : ١٠] لأن الوجوه إذا قلبت أقفاء كان أصحابها يعطون الكتب وراء ظهورهم .

الثاني : ذهاب البركات ؛ قال : ﴿رَبنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] أي : اذهب ببركتها ومنفعتها وخذهم بالقحط ، ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[سورة يونس آية : ٨٨] أي : حبب إليهم أوطانهم حتى لا يغار قومها لطلب الأرزاق فيموتوا هزلا وجوعا هكذا قيل .

---

(١) [طمس] : طَمَسَ : لغةٌ في طسم ، أي : دَرَسَ إلاّ أنّه أعَمُّ .
وطَمَسَ النجمُ : ذَهَبَ ضوؤه ، والقمرُ مثلُه .
وخَرْقٌ طامِسٌ ، وجبل طامِسٌ : لا نباتَ فيه ولا مَسلَكَ .
والطَّمْس الآيةُ التاسعة من آياتِ مُوسَى - عليه السلام - حين طَمَسَ اللهُ - تعالى - بدعوته على أموال فِرْعَونَ فصارت حِجارةً . [العين :طمس] .

والصواب أن يقال : أراد أن صبرهم على البلاء والإقامة في البلد المطموس فيه على أموالهم حتى لا يجزعوا فيخرجوا منه . وذلك أن الشد على القلب والربط عليه هو تصبيره بما هو فيه .

وقوله : ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] موصول بقوله : ﴿لِيُضِلوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] ومعنى ذلك كله على العاقبة ؛ كقوله تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص آية : ٨] .

الثالث : ذهاب النور ؛ قال الله : ﴿فَإِذَا النجُومُ طُمِسَتْ﴾ [سورة المرسلات آية : ٨] .

الطائر

طار الطائر يطير طيرانا والفعلان للاضطراب ، مثل : اللمعان والضربان .

والطائر في القرآن على وجهين :

الأول : الطائر واحد الطير ؛ قال الله : ﴿ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٨] ، وطائر وطير مثل : صاحب وصحب ، ولا يقال للواحد : طير إلا شاذا .

الثاني : الحظ ؛ قال تعالى : ﴿ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٣] أي : حظه من الرزق وغيره لازم له ، كما يقال : أمانتي في عنقك ، وهذا الحق لي في عنقك ؛ أي : هو لازم لك .

وقيل : الطائر العمل الصالح من الخير ؛ أي : يلزمك ذلك حتى تجازي به ، وقيل : الحظ من الخير والشر طائر ، تقول العرب : جرى على الفلان الطائر بكذا على طريق الفأل ، ويقال : طار لي منك كذا ؛ أي : صار حظي منك .

وقيل : معناه أن الأمر الذي يجعلونه بالطائر يلزم أعناقهم ؛ والمراد أنهم إذا تشاءموا بشيء أصابهم على ما قال النبي صلى الله عليه : " الْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ"(١) ، ومثله : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾[سورة يس آية : ١٩] أي : حظكم لأنفسكم وتطيركم لا يزيدكم ولا ينقصكم .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾(٢) [سورة النمل آية : ٤٧] أي : حظكم من الجزاء على أعمالكم لا معدل لكم عنه في الآخرة .

---

(١) أخرجه بلفظه القضاعي في مسند الشهاب من حديث حذيفة بن اليمان (٢٢٧) ، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة (١٤٩) ، وأخرجه البيهقي بلفظ البلاء موكل بالقول من حديث أنس بن مالك في شعب الإيمان ، وابن بطه في إبطال الحيل من حديث عويمر بن مالك (٨٤) .

(٢) قال صاحب «الكشاف» : كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحاً تيمن وإن مر بارحاً تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان للخير والشر وهو قدر الله وقسمته ، فأجاب صالح عليه السلام بقوله : ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي السبب الذي منه يجيء خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم .

وقال ابن الأنباري في قولهم : طير الله لا طيرك ، قال : فعل الله وحكمه لا فعلك وما يتخوفه منك ، قال الفراء : الطائر عندهم العمل ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٣] ، وقوله : هو ميمون الطائر ؛ يعنون الحظ ، وهو الذي تسميه العامة البخت .

وقيل : بل المراد إن جزاء الطيرة منكم عند الله وهو العقاب ، والأقرب الوجه الأول لأن القوم أشاروا إلى الأمر الحاصل فيحب في جوابه أن يكون فيه لا في غيره . [مفاتيح الغيب :١٢/ ٣٦] .

الباب السابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء

الظلمات(١)

الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، ومنه : ظلم السقاء إذا شربه قبل أن يروب ، وقال الشاعر :

هَرَّتِ الشَّقَاشِقُ ظَلَّامُونَ لِلجزرِ

أي يعرقبونها فيجعلون العرقبة مكان النحر ؛ ومنه قيل الظلمة لأنها قد تكون سببا لوضع الشيء في غير موضعه لعدم الإبصار فيها ، وقال بعض أهل اللغة : يقال في الجمع القليل منه ظلم ومنه ثلث ظلم ، والكثير الظلمات وهذا خلاف الأصل ؛ لأن الجمع القليل يجيء بالتاء في جميع اللغة .

والظلمات في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الكفر ؛ قال الله : ﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظلُمَاتِ إِلَى النورِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٣ ، الحديد : ٩] أي : من الكفر إلى الإيمان ؛ فأخرج ما يرى بالعين إلى ما لا يرى بالعين ليتولد التشبيه ، وجعل الكفر ظلمة لما في الكفر من الحيرة والوحشة ، والإيمان نورا لما يكون مع النور من الاهتداء والاستقامة والأنس بثلج اليقين .

الثاني : الأهوال ؛ قال الله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَر وَالْبَحْرِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٣] قال أهل التفسير : أراد أهوالها ، ويجوز أن يكون أراد الظلمات بعينها ، ومن الأول قولهم : يوم مظلم ، وأظلم النهار في عينه ؛ يريدون الهول والشدة .

---

(١)(ظ ل م) : (الْمَظْلِمَةُ) الظُّلْمُ فِي قَوْلِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا مَظْلِمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَاسْمٌ لِلْمَأْخُوذِ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ فُلَانٍ مَظْلِمَتِي وَظُلَامَتِي أَيْ حَقِّي الَّذِي أُخِذَ مِنِّي ظُلْمًا وَأَمَّا فِي يَوْمِ الْمَظَالِمِ فَعَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ (وَقَوْلُهُ) فَظَنَّ النَّصْرَانِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَلْتَفِتْ إلَى ظُلَامَتِهِ يَعْنِي شِكَايَتَهُ وَهُوَ تَوَسُّعٌ . [المغرب :الظاء مع اللام] .

الثالث : الظلمة بعينها ؛ قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنورَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١] وقد تقدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور ، كما خلق الجنة قبل النار ، والسماوات قبل الأرض .

وفي هذا معنى حسن ، وهو جعله مثالا للشك الذي غلبه البرهان والدلالة ؛ فأما الجنة فقدمت لأنها الغرض المطلوب ، وأما السماوات فقدم خلقها لأنها أشرف من الأرض من غير اعتراض معنى يزيلها عن مرتبتها .

والفرق بين جعل الظلمات وفعل الظلمات ؛ أن الجعل يقتضي فعلها على الصفة التي هي عليها ، كما يقال : جعل الطين خزفا ، والجعل أيضا يدل على الاتصال ؛ ولذلك جعل طرفا للفعل يستفتح به ؛ كقولك : جعل يقول ، وجعل ينشد ، قال الشاعر :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوفَ تَسْلُكُ فَــــــارِزًا وَالَموتُ مُكْتَنِع طَرِيقِـي فَــــارِزِ
فَاجعَل بِحلل مَنْ يَمْسَّكَ إِنَّمَـــــا جِنْثُ اليَمِينِ عَلَى الأَثِيمِ الفَاجِـــــرِ

الظلم

قد ذكرنا أن أصله وضع الشيء في غير موضعه ، ويجوز أن يكون أصله النقصان ، ومنه قوله : ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة الكهف آية : ٣٣] أي : لم تنقص ، والمظلومة : أرض لم تمطر بين أرضين قد مطرنا ؛ كأنها نقصت حقها .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الشرك ؛ قال الله : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٢] . والشاهد قوله : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان آية : ١٣] ، ولما نزلت قوله : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق على الناس ؛ فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ، فقال : " أنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم "(١) .

الثاني : ظلم العبد نفسه ؛ قال : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] .

فإن قيل : كيف يظلم العبد نفسه ولم يقصد ضررها ؟ قلنا : لأنه يقصد إلى ضرر قبيح ينزل بها من أجل شهوته له فيضرها من حيث يظن أنه ينفعها ، ولو نظر فيما يأتيه حق النظر وقف على مكان الضرر منه فيكون ظالما لنفسه بذلك ؛ ونظيرها قوله : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [سورة فاطر آية : ٣٢] .

ويجوز أن يكون المعنى أنه ينقصها الحظ من الثواب والذكر الجميل .

الثالث : ظلم الإنسان غيره ؛ قال : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ [سورة النساء آية : ٣٠] والعدوان والظلم واحد ؛ وإنما كرر اللفظين على المعنى الواحد إرادة التوكيد والتصرف في الكلام على ما بينا من مذهب قوم يذهبون إلى ذلك ، وأصح منه أن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود (٣٥٧٨) ، وأبو عوانة في المستخرج (٢١٢) ، (٢١٤) ، والعراقي في طرح التثريب ج٦/ ٢١١ .

يقال : العدوان مجاوزة الواجب ، والظلم هنا وضع الشيء في غير موضعه من قبل النفس المذكورة في الآية ، فلما اختلف معنى اللفظين عطف أحدهما على الآخر ؛ ولولا ذلك لم يجز العطف .

الرابع : النقص ؛ قال : ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة الكهف آية : ٣٣] أي : لم تنقص وقال : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٨] .

الظالمون

في القرآن على أربعة أوجه :

أولها : المشركون ؛ قال : ﴿أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود آية : ١٨] كذا قيل ، ويجوز أن يكون غيرهم ممن يظلم ، كثير الظلم داخلا معهم ، وقوله : ﴿قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٧] وهم يعلمون أن الله لا يجعلهم مع المشركين ؛ ولكن هذا القول منهم تعظيم لما فيه المشركون من العذاب .

الثاني : الظالم لنفسه ؛ وهو الذي ينقصها بعض ثوابها بمعصية يوافقها ، قال : ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٥ ، الأعراف : ١٩] ، وقوله : ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٧] أي : لنفسه بخطيئته ، وقال موسى عليه السلام : ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [سورة القصص آية : ١٦] ومعنى هذين الحرفين داخل فيما تقدم .

الثالث : الجحود ؛ قال تعالى : ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩] أي : يجحدون ؛ كذا قال ابن عباس ، ومقاتل .

وقيل : أراد أنهم يظلمون أنفسهم بالكفر بها ، وقيل : يظلمون بها ؛ أي : يكفرون بها لوضعهم إياها في غير موضعها .

ويجوز أن يكون المعنى أنهم يظلمون النبي والمؤمنين بها ؛ أي : بتصديقهم بها لأنهم ينسبونهم في ذلك إلى الخطأ ويؤذونهم من أجلها وهذا على مقتضى اللفظ ، وقوله : ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٣ ، الإسراء : ٥٩] أي : جحدوا بها .

ويحتمل الوجوه التي تقدمت أيضا ، ويقال : جحد بالشيء ؛ إذا أنكر صحته ، وجحده ؛ إذا أنكر وجوده ، كما يقال : جحد حقه .

الرابع : السرقة ؛ قال : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ ، ثم قال : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٨ ، ٣٩] ، وقال : ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤١] يعني : السارقين .

والظلم في هذا الوجه يرجع إلى النقصان ؛ لأن السارق ينقص مال المسروق ، ويجوز أن يكون سمى الله السارق ظالما لأنه يدخل الضرر على من لا يستحقه ، وكل ضرر غير مستحق ولا معقب نفعا ظلم ، وقد سمي أيضا ظالما ؛ لظلمه لنفسه .

الظهور وما يتصرف منه(١)

قد ذكرنا أن أصله من العلو ، يقال : ظهر فوق البيت إذا علاه ، وقال الشاعر :

وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارِهَا

أي عارها مرتفع عنك لا يلحقك ، وظهر كل شيء أعلاه ، وظهر الرجل ؛ بين درعين إذا ألبس إحداهما فوق أخرى ، وظاهر الرجل الرجل إذا عاونه فعلا أمره ، وهو ظهيره ؛ أي : معينه ، ودرع مظاهرة ؛ إذا نسجت حلقتين حلقتين .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : ظهر إذا بدا ؛ قال الله : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] ، ونتكلم في هذه الآية في باب الفاء إن شاء الله تعالى .

وقال : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر آية : ٢٦] ، وقال : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدنْيَا﴾ [سورة الروم آية : ٧] يعني : ما بدا منه من معاشهم ؛ أي : يعرفون ذلك من شدة عنايتهم به ، ويغفلون عن المعاد ، وقال : ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُن إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور آية : ٣١] أي : لا يبدين الزينة الباطنة ، نحو : المخنقة ، والخلخال ، والدملوج ، والسوار ؛ فإن ذلك من التبرج ، والذي يظهر الثياب والوجه والكفان ، وزينة الوجه الكحل ، وزينة الكف الخضاب والخاتم .

وقد أباح النظر إلى زينة الوجه والكف ؛ فاقتضى ذلك لا محالة إباحة النظر إلى الوجه والكف ، ويدل على أن الوجه والكف ليسا من العورة ؛ إنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين فجاز نظر الأجنبي إليها لغير شهوة ، وجاز أن ينظر إليها لعذر وإن كان تشبيها ، مثل : أن يريد تزويجها ، أو ينظر إليها لشهادة ، أو لأنه حاكم يريد أن يسمع إقرارها ، ويدل على أنه لا

---

(١) (ظ هـ ر) : ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا بَرَزَ بَعْدَ الخَفاءِ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ لِي رَأى إذَا عَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَهُ وَظَهَرْتُ عَلَيْهِ اطَّلَعْتُ وَظَهَرْتُ عَلَى الحَائِطِ عَلَوْتُ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ إذَا غَلَبَهُ وَظَهَرَ الحَمْلُ تَبَيَّنَ وُجُودُهُ وَيُرْوَى أنَّ عُمَرَ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ سَأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنَ النِّسَاءِ عَنْ ظُهُورِ الحَمْلِ فَقُلْنَ لَا يَتَبَيَّنُ الْوَلَدُ دُون ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . [المصباح المنير :الظاء مع الهاء والراء] .

يجوز النظر إلى الوجه لشهوة ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ "(١) .

الثاني : الإطلاع ؛ قال الله : ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [سورة الجن آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وقال : ﴿إِنهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الكهف آية : ٢٠] أي : يطلعوا .

الثالث : الارتقاء ؛ قال الله : ﴿مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٣] أي : يرتقون ، والمعارج : الدرج ، يقال : أعرج الملك إذا صعد ، وعرج إذا نزل ، وقال : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٧] أي : يعلوه ، وهو من قولهم : ظهر فوق البيت ؛ إذ أعلاه .

الرابع : التعاون ؛ قال : ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] أي : تعاونا ، وقال : ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[سورة التحريم آية : ٤] أي : ظهرا ، يريد أن الملائكة أيضا تضار النبي صلى الله عليه وسلم ، وقريب منه : ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [سورة الحاقة آية : ١٧] أي : الملائكة ، وقال : ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] فذكر الواحدا وأراد الجمع .

والأرجاء : الجوانب واحدها رجاه مقصور ، وهما رجوان ، ويقال : يرمى بفلان الرجوان ، إذا كان سائرا لا يستقر ركابه ، وقال : ﴿وَأَنْزَلَ الذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٢٦] .

الخامس : العلو والغلبة ؛ قال : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلهِ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٣ ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩] أي : ليغلبه حتى يغلب كل دين يدان به .

(١) أخرجه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب (٢٧٧٧) ، وأبو داود (٢١٤٩) ، وأحمد في مسنده (٢٢٤٦٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ٩٠ .

وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه خبر وقع مخبره على ما أخبر به ، ومثله : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة غافر آية : ٢٩] أي : عالين قاهرين ، ومثله : ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [سورة الصف آية : ١٤] .

السادس : الباطل ؛ قال أهل التفسير في قوله : ﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٣] أي : بباطل ، وأم هاهنا بمعنى بل ، ومنه قوله : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٢] أي : بل أنا خير لأنه قال : أيخبرونهم بما لا يعلم في الأرض بل يقول : زائل باطل لا ينبت ، وهو ادعاؤكم لهم الألهية .

وقوله : ﴿قُلْ سَموهُمْ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٣] يعني : الملائكة لأنهم عبدوهم ، فقال لهم : إنكم تعبدونهم فما أسماؤهم ، قالوا ومنه قوله تعالى : ﴿يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [سورة المجادلة آية : ٣] أي : يقولون باطلا .

وأصل هذه الكلمة عندنا من قولهم : أنت علي كظهر أمي ، وكان من طريق الجاهلية ، وصار في الإسلام فيه كفارة صورتها معروفة ونزلت في خولة بنت ثعلبة ، وأوس بن الصامت .

السابع : بمعنى الإعراض عن الشيء ؛ قال : ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيا﴾ [سورة هود آية : ٩٢] أي : جعلتموه وراء ظهوركم ؛ يعني : أنكم تركتم العمل به ، ويقال : جعلت حاجتي تظهر إذا أطرحتها ولم تلتفت إليها .

والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر ، وقيل : الظهري ؛ ما جعل وراء الظهر وقد ظهرته أي : جعلته كذلك ، وقيل : معناه أنه ثقل عليكم ، من قول العرب : حملت فلانا على ظهري إذا ثقل عليك ، ويقال أيضا : ظهر بفلان ؛ إذا لم يلتفت إليه ، قال الشاعر :

جَدَّ تَأمرُ بَنِي البرِّ شَاءَ من وَلَدِ الظَّهْرِ

أي الذين يظهر بهم ولا يلتفت إلى أرحامهم ، والظهري في غير هذا الموضع : العون ، ومنه الظاهري في الدواب .

والكلمة من الأضداد ، : ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي : اتخذتم الله وراءكم ، وحقيقة المعنى أنكم جعلتم أمره بمنزلة ما وراء ظهوركم لا يلتفتون إليه ، وقيل : الضمير في : ﴿اتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لما جاء به متغيب وهو قول مجاهد ، ولفظ الآية دال على الوجه الأول .

الظلال

يجوز أن يقال أصل الظل : الدوام ، ومنه يقال : ظل يفعل كذا ؛ أي : دام يفعله ، ويجوز أن يكون أصل الظل : الستر ، وظل الليل : ظلمته لأنها تستر كل شيء ، وهو بالغداة وما طلعت عليه الشمس ثم زالت فهو في ، لأنه فاء من جانب إلى جانب ، والفيء الرجوع .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : جمع ظل ، قوله : ﴿وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [سورة الرعد آية : ١٥] جاء في التفسير أن الكافر لا يسجد لله ، ومثله : يسجد على كره منه ، والمراد أن الحال يتصرف بالظل لدوران الشمس وتنقلها من مكان إلى مكان ؛ وفيه دليل على الخالق ؛ فجعل ذلك سجودا لأن حال السجود أبين ، والغدو هنا اسم للوقت ، وأصله المصدر ، والآصال جمع أصيل ، وهو العشي ، وقال بعضهم : الظل ما يستراح إليه .

الثاني : جمع ظلة ؛ قال الله : ﴿فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [سورة يس آية : ٥٦] وهي جمع ظلة ، مثل : قلة ، وقلال .

وأما قوله : ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[1] [سورة الواقعة آية : ٤٣] و : ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات آية : ٣٠] ومعناه دخان جهنم ، واليحموم الأسود ، وأراد أنه يغشاهم فيسترهم ؛ فسماه ظل لأن الظل الستر .

(١) قال الشوكاني : ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحموم يفعول من الأحم : وهو الأسود ؛ والعرب تقول : أسود يحموم : إذا كان شديد السواد ، والمعنى : أنهم يفزعون إلى الظلّ ، فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد . وقيل : وهو مأخوذ من الحم ، وهو الشحم المسودّ باحتراق النار . وقيل : مأخوذ من الحمم ، وهو : الفحم . [فتح القدير :٧/١٢٨] .

الظن[1]

الظن في العربية على وجهين : شك ، ويقين ، وقد جاء في القرآن كذلك ، قال الله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٠] أي : أيقنت ، ومنه قول الشاعر :

ظَنُّوا بألفي مُدَحّج

أي : أيقنوا ذلك ، وليس ذلك في أصل اللغة ، وإنما صار كذلك في الاستعمال ، ومن جهة الاستعارات وكثرتها في الكلام .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٦] أي : يوقنون .

وقال ابن درستويه : يتوهمون ذلك ، والكافر لا يتوهمه .

وهذا خطأ لأنهم لو كانوا يتوهمونه ولا يوقنونه لكانوا كفارا ؛ لأن التوهم من قبيل الشك ، والشاك بالبعث كافر .

والآخر قوله : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَى ﴾ [سورة الانشقاق آية : ١٤ ، ١٥] أخبر أنه كان شاكا في البعث .

وقال أبو بكر رحمه الله : الظن على أربعة أقسام : محظور ، وواجب ، ومندوب إليه ، ومباح .

فالمحظور : سوء الظن بالله ، وكل ظن لصاحبه سبيل إلى العلم فيه ؛ مما تعبد به فهو محظور .

---

(١) (ظ ن ن) : الظَّنُّ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ قَتَلَ وَهُوَ خِلَافُ الْيَقِينِ قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْيَقِينِ كَقَوْلِهِ ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾ وَمِنْهُ الْمَظِنَّةُ بِكَسْرِ الظَّاءِ لِلْمَعْلَمِ وَهُوَ حَيْثُ يُعْلَمُ الشَّيْءُ قَالَ النَّابِغَةُ فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ وَالْجَمْعُ الْمَظَانُّ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ مَظِنَّةُ الشَّيْءِ مَوْضِعُهُ وَمَأْلَفُهُ وَالظِّنَّةُ بِالْكَسْرِ التُّهَمَةُ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ ظَنَنْتُهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ أَيْضًا إذَا اتَّهَمْته فَهُوَ ظَنِينٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَفِي السَّبْعَةِ (﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾) أَيْ بِمُتَّهَمٍ وَأَظْنَنْتُ بِهِ النَّاسَ عَرَّضْتُهُ لِلتُّهَمَةِ . [المصباح المنير :٥/ ٤٩٠] .

وأما الظن الواجب : فمثل ما تعبد بإنفاذ الحكم به ، ولم ينصب عليه دليل ؛ نحو : قبول شهادة العدول ، وتحري القبلة ، وتقويم المستهلكات ، وأروش الجنايات التي لم يرد بها توقيف .

وأما المباح : فكالظان في الصلاة ، أمره النبي صلى الله عليه بالعمل على غالب الظن ؛ فإن فعل كان مباحا ، وإن عدل إلى البناء على اليقين كان جائزا .

والمندوب إليه : حسن الظن بالأخ المسلم ، قال الله تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور آية : ١٢] .

الباب الثامن عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين

القول في العالَمين

العالم يقع على الملائكة والإنس والجن ، واشتقاقه من العلم ؛ لأنه يقع على من يعلم ، ويصلح أن يكون من العلامة ؛ لأن فيهم دلائل على خالقهم .

وقيل : أهل كل زمان عالم ، وقيل : كل ما يحوي الفلك عالم ، والناس يقولون : العالم العلوي ؛ يعنون السماء وما فيها ، والعالم السفلي ؛ يريدون الأرض وما عليها ، ويقولون على وجه التشبيه : إن الإنسان العالم الصغير ولي فلان تدبير العالم يعنون الدنيا .

واشتقاقه على هذا القول من العلامة فقط ، وقيل : العالم اسم أشياء مختلفة فلا يوحد وليس هو مثل الناس ؛ لأن كل واحد من الناس إنسان ، وليس كل واحد من العالم ملائكة .

والعالم إن كان جميعا لا واحدا له من لفظه ؛ فليس هو ، كالنعم والرهط والنسوة ؛ لأن كل واحد من هذه الأشياء جمع لجنس بعينه ، والعالم جمع لأجناس مختلفة ، وقال بعضهم : العالم كل جنس ذي روح .

وحكي عن العرب : عالم من الطير ومن الظباء وليس ذلك بمعروف عندنا ، وعندنا أن العالم سمي عالما لأنه يصلح أن يستدل به فيوصل إلى العلم ، ومثله : الخاتم لأنه يصلح للختم على الأشياء ، والطابع يصلح أن يطبع به .

قال المفضل : العرب تقول : العالمين في الرفع والنصب والجر ؛ لأنه جمع لا نظير له ، وكان حقه أن يجمع به على عوالم وعواليم ، مثل : خاتم وخواتيم وخواتم ، فلما انقطع عن بابه جمع بالنون وألزم الياء وأجرى مجرى : المقتوين والمفتكرين ، قال : وقد جاء عن قوم من كنانة وأسد عالمون وليس بمشهور .

ولفظ العالمين في القرآن مستعمل في أربعة مواضع :

الأول : الملائكة والجن والإنس ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لله رَب الْعَالَمِينَ ﴾(١) هذا قول أكثر المفسرين ، وإنما ذكر هؤلاء : ﴿ وَهُوَ رَب كُل شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٤] لأن الأقل داخل في الأكثر .

الثاني : الجن والإنس خاصة ؛ قال الله : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ١] أي : عظة وزجرا عن المعاصي وداعيا إلى التوحيد .

الثالث : قوله : ﴿ وَفَضلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٦] يعني : عالمي زمانهم ، ودليل هذا أنه لم يفضلهم على أمة محمد عليه السلام ؛ ولو فضلهم لم يقل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٠] .

---

(١)قال الرازي : العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى ، وهي على ثلاثة أقسام : المتحيزات ، والمفارقات ، والصفات . أما المتحيزات فهي إما بسائط أو مركبات ، أو البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات ، وأما المركبات فهي المواليد الثلاثة ، واعلم أنه لم يقم دليل على أنه لا جسم إلا هذه الأقسام الثلاثة ، وذلك لأنه ثبت بالدليل أنه حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له ، وثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات ، فهو تعالى قادر على أن يخلق ألف ألف عالم خارج العالم ، / بحيث يكون كل واحد من تلك العوالم أعظم وأجسم من هذا العالم ، ويحصل في كل واحد منها مثل ما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسموات والأرضين والشمس والقمر ، ودلائل الفلاسفة في إثبات أن العالم واحد دلائل ضعيفة ركيكة مبنية على مقدمات واهية ؛ قال أبو العلاء المعري :

يا أيها الناس كم لله من فلك ** تجري النجوم به والشمس والقمر
هين على الله ماضينا وغابرنا ** فما لنا في نواحي غيره خطر

ومعلوم أن البحث عن هذه الأقسام التي ذكرناها للمتحيزات مشتمل على ألوف ألوف من المسائل ، بل الإنسان لو ترك الكل وأراد أن يحيط علمه بعجائب المعادن المتولدة في أرحام الجبال من الفلزات والأحجار الصافية وأنواع الكباريت والزرانيخ والأملاح ، وأن يعرف عجائب أحوال النبات مع ما فيها من الأزهار والأنوار والثمار ، وعجائب أقسام الحيوانات من البهائم والوحوش والطيور والحشرات لنفد عمره في أقل القليل من هذه المطالب ، ولا ينتهي إلى غورها كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأرض مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والبحر يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كلمات الله ﴾ [لقمان : ٢٧] وهي بأسرها وأجمعها داخلة تحت قوله ﴿ رَبّ العالمين ﴾ . [مفاتيح الغيب :١/ ٣٥] .

الرابع : الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، قال : ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٢] والاصطفاء هاهنا بمعنى أنه خصها بإخراج الولد منها من غير ذكر .

ويجوز أن يكون في الأنبياء من هو مثلها في الفضل ، مثل : آسيا وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ، للأثر المروي "خير نساء العالمين : آسيا ، ومريم بنت عمران ، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه"(١) .

---

(١) أخرجه ابن حبان من حديث أنس بن مالك (٦٩٥١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٤) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٩٦١) ، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣/ ١٥٤ ، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٩٠٤١) .

العمى[1]

أصل العمى من الستر ، ومنه قيل : السحاب العماء ؛ لأنه يستر السماء ، وعمي الرجل ؛ كأنه سترت عنه المرئيات ، وعمى عن الصواب تشبيه كأنه ستر عنه ، ويقولون للفلاة التي لا علم فيها : عمياء وعطشاء ، والعطش ضعف البصر ، وقالوا لها ذلك لأنهم لا يبصرون فيها القصد لأنه قد ستر ، وفي القرآن : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ [سورة القصص آية : ٦٦] لأنها سترت .

والعمى وما يتصرف منه في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : عمى القلب ؛ قال : ﴿ فَإِنهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ ﴾ [سورة الحج آية : ٤٦] والمعنى أنها لا تنتفع ببصائرها كما لا تنتفع العمى بأبصارها ، ومثله : ﴿ صُم بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨ ، ١٧١] فجعلهم صما لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون فكأنهم لا يسمعون ، كما أن الأصم لا يسمع ؛ وسماهم عميا على هذا السبيل ، وبكما لأنهم إذا سئلوا عن صحة ما يذهبون إليه لم يأتوا بحجة وكأنهم بكم .

وقوله : ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ ﴾ [سورة يونس آية : ٤٣] ، وقال : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٢] ومعنى ذلك أنه إذا عمى في الدنيا عن التوبة وقد جعل الله إليها سبيلا كان في الآخرة أعمى ؛ لأنه لا يجد متابا ، وأضل سبيلا ؛ لأنه لا يهتدي إلى طريق النجاة والفوز .

الثاني : عمى البصر ؛ قال : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ [سورة النور آية : ٦١ ، الفتح : ١٧] ، وقوله : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ﴾ [سورة عبس آية : ١ ، ٢] يعني : عبد الله ابن أم مكتوم ، وكان ضريرا ؛ جاء النبي عليه السلام وهو

---

(١) [عمي] : العَمَى : ذَهابُ البَصَرَ ، عَمِيَ يَعْمَى عَمىً . وفي لغة اعمايَّ يَعمايُّ اعمِياء ، أرادوا حَذْوَ ادهَامَّ ادهيماماً فأخرجوه على لفظٍ صحيح كقولك ادهامَّ : اعمايَّ . ورَجُلٌ أعْمَى وامرأة عَمْياءُ لا يَقَعُ على عَيْنٍ واحدةٍ . وعَمِيَت عَيْناهُ . وعَيْنانِ عَمياوان . وعَمْياوات يَعني النساء . ورجالٌ عُمْيٌ . ورَجُلٌ عَمٍ ، وقَومٌ عَمُون من عَمَى القَلْب ، وفي هذا المعنى يُقال ما أعماه ، ولا يُقال ، من عَمَى البَصَرَ ، ما أعماه لأنّه نَعْتٌ ظاهرٌ تُدركُه الأبصارُ . [العين :عمى] .

يدعوا بعض أشراف قريش إلى الإسلام ؛ فتشاغل عنه ؛ فنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ [سورة عبس آية : ١] إلى قوله : ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [سورة عبس آية : ١٠] .

الثالث : العمى عن الحجة ؛ قال تعالى : ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [سورة طه آية : ١٢٥] جاء في التفسير أنه أراد ؛ لم حشرتني أعمى عن الحجة وقد كنت بها بصيرا في الدنيا ، ويجوز أن يكون بمعنى عمى العين على ما قدمنا قبل ؛ وهو أنه حشره أعمى ليجعله علامة بين الخلق .

العلم[1]

هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ، وأصله الظهور ، ومنه قيل للجبل : علم لظهوره ، وأعلام الشيء دلائله ؛ لأنها تدل بظهورها عليه ، والمعلم : الموضع المعروف .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : على قول بعض المفسرين الرؤية ؛ قال الله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [سورة محمد آية : ٣١] ، ومثله : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٢] .

جاء في التفسير أنه أراد الرؤية ؛ أي : حتى نراهم مجاهدين ؛ لأنه تعالى كان يعلم المجاهدين قبل الجهاد ، وقيل : معنى العلم هنا التمييز ، وسمى التميز علما ؛ لأن العلم يقع معه بحال ما يتميز وما يتميز منه ، وقيل : معناه ليصبر المؤمنون على ما يصابون به ؛ فجعل العلم منه مكان الصبر منهم إذ كان الله عالما بصبرهم إذا صبروا ، وقيل : يعلمهم فاعلين كما يعلمهم معتقدين .

الثاني : العلم بعينه ؛ قال : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ٧٧ ، هود : ٥ ، النحل : ٢٣] ، وقال : ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١١٠] .

---

(١) (ع ل م) : الْعِلْمُ الْيَقِينُ يُقَالُ عَلِمَ يَعْلَمُ إذَا تَيَقَّنَ وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ .

وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أَيْ عَلِمُوا وَقَالَ تَعَالَى (﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾) أَيْ لَا تَعْرِفُونَهُمْ اللَّهُ يَعْرِفُهُمْ وَقَالَ زُهَيْرٌ وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي أَيْ وَأَعْرِفُ وَأُطْلِقَتْ الْمَعْرِفَةُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا أَحَدُ الْعِلْمَيْنِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا اصْطِلَاحِيٌّ لِاخْتِلَافِ تَعَلُّقِهِمَا وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سَابِقَةِ الْجَهْلِ وَعَنْ الِاكْتِسَابِ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ وَعِلْمُهُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ بِقِدَمِهِ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَإِذَا كَانَ عَلِمَ بِمَعْنَى الْيَقِينِ تَعَدَّى إلَى مَفْعُولَيْنِ وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى عَرَفَ تَعَدَّى إلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَقَدْ يُضَمَّنُ مَعْنَى شَعَرَ فَتَدْخُلُ الْبَاءُ فَيُقَالُ عَلِمْتُهُ وَعَلِمْتُ بِهِ وَأَعْلَمْتُهُ الْخَبَرَ وَأَعْلَمْتُهُ بِهِ وَعَلَّمْتُهُ الْفَاتِحَةَ وَالصَّنْعَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ تَعْلِيمًا فَتَعَلَّمَ ذَلِكَ تَعَلُّمًا . [المصباح المنير :العين مع اللام] .

الثالث : الإذن ؛ قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ﴾ [سورة هود آية : ١٤] أي : بإذن الله ، وسمي الإذن علما ؛ لأن أصل الإذن العلم ، ومنه الآذان ؛ وقد ذكرنا ذلك ، وقيل : معناه أنزله وهو عالم به .

العز

أصل العز الغلبة ، ومنه قيل : من عزيز . أي : من غلب اغتصب ، ثم استعمل في المنعة ، فقيل : فلان عزيز الجانب ؛ أي : منيعه ، وقال الهزلي :

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فِرَاشِ عَــــزِيزَةٍ سَودَاء رَوثَةُ أَنفِهَا كالمِخْصَــــفِ

ومن الغلبة ؛ قوله تعالى : ﴿وَعَزَنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [سورة ص آية : ٢٣] أي : غالبني ، وسمي الله عزيزا لأنه الغالب الذي لا يقهر ، وفي مثل : إنما تعز من ترى وتعزك من لا ترى ، والعزيز أيضا القليل ، يقال : هذا شيء عزيز ؛ أي : قليل ، وإنما سمي القليل عزيزا ؛ لأنه لا يقدر عليه ، شبهه بالعزيز من الرجال ، ليس أن العز في العربية القلة .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : المنعة ؛ قال تعالى : ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ [سورة النساء آية : ١٣٩] .

الثاني : العظمة ؛ قال الله : ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٤٤] أي : بعظمته .

الثالث : خلاف الذل ؛ قال : ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [سورة النمل آية : ٣٤] ، وقوله : ﴿لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون آية : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [سورة الدخان آية : ٤٩] ومعنى ذلك يرجع إلى العظمة .

الرابع : الحمية ؛ قال الله : ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾(١) [سورة البقرة آية : ٢٠٦] أي : إذا أمرته بالتقوى أخذته الحمية من الائتمار لك فأثم ، ومثله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

---

(١) قال الشوكاني : العزة : القوّة والغلبة ، من عَزَّه يعزّه : إذا غلبه ، ومنه : ﴿وَعَزَّنِي فِي الخطاب﴾ [ص :٢٣] وقيل : العزة هنا : الحمية ، ومنه قول الشاعر :

أخذَته عزّة من جهْله *** فَتولىَّ مُغْضَباً فعل الضَّجِر

وقيل : العزة هنا : المنعة وشدّة النفس . ومعنى : ﴿أَخَذَتْهُ العزة بالإثم﴾ حملته العزة على الإثم ، من قولك أخذته بكذا : إذا حملته عليه ، وألزمته إياه . وقيل : أخذته العزة بما يؤثمه ، أي : ارتكب الكفر للعزة ، ومنه : ﴿بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص : ٢] وقيل : الباء في قوله : ﴿بالإثم﴾ بمعنى اللام ،

وَشِقَاقٍ﴾ [سورة ص آية : ٢] أي : في حمية يشاقونك معها ؛ أي : يعادونك ، وقيل : المعنى أخذته العزة بالإثم الذي في قلبه ؛ فأقام الباء مقام اللام ، كما قال غيره :

حَشْرَ الإمَالَةُ جَوَانِبَ قَمْقَم

أي : من أجله ؛ فأقام حرفا مقام حرف .

الخامس : الغلظة ؛ قال الله : ﴿أعِزةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٤] أي : غلظا .

السادس : العزيز بمعنى الشديد ؛ قال الله : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٨] ، وقوله : ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٠ ، فاطر : ١٧] أي : شديد يشق فعله عليه .

السابع : التقوية ؛ قال : ﴿فَعَزَزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس آية : ١٤] أي : قوينا ، واستعز الشيء إذا قوي واشتد .

أي : أخذته العزّة ، والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه ، وهو : النفاق ، وقيل : الباء بمعنى : مع ، أي : أخذته العزّة مع الإثم . [فتح القدير :١/ ٢٧٨] .

العبادة(١)

أصل العبادة التذلل ، يقال : طريق معبد ؛ أي : موطوء مذلل ، ويعبر معبد وهو المهنوء بالقطران ، ومعناه راجع إلى الأول .

والعبادة مفارقة لدوام الطاعة ؛ لأنا نديم الطاعة للرسول ولسنا نعبده ، والعبادة غاية الخضوع ولا تستحق إلا بغاية الإنعام ، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى ، ويقال : هؤلاء عباد الله ، ولا يقال : عباد فلان إلا في القليل .

وقد جاء في القرآن : ﴿وَالصالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] وإنما جاء كذلك لأنه وقع مع إمائكم فازدوج ، ويقال : عبيد الله ، وعباد الله أكثر ، وقال بعضهم : العباد جمع عبيد .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوحيد ؛ قال الله : ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١] أي : وحدوه ، وقوله : ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء آية : ٣٦] ، وقوله : ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاتقُوهُ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٦ ، نوح : ٣] كذا قيل ، ويجوز أن تكون العبادة هاهنا أداء الفرائض واجتناب المحارم .

الثاني : الطاعة ؛ قال الله : ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِن﴾ [سورة سبأ آية : ٤١] أي : يطيعون الشياطين ، وقال : ﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا الشيْطَانَ﴾ [سورة يس آية : ٦٠] وهم لم يعبدوا الشيطان ، وإنما هو كما نقول : فلان يعبد فلانا إذا كان شديد الطاعة له ، وما كان أيضا قصدهم طاعته ؛ ولكن لما وافق أفعالهم رضاه سماها طاعة له ؛ لأن الطاعة توفيق رضا المطاع .

---

(١) (ع ب د) : عَبَدْتُ اللهَ أَعْبُدُهُ عِبَادَةً وَهِيَ الإِنْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ وَالْفَاعِلُ عَابِدٌ وَالْجَمْعُ عُبَّادٌ وَعَبَدَةٌ مِثْلُ كَافِرٍ وَكُفَّارٍ وَكَفَرَةٍ ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ فِيمَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرَ اللهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فَقِيلَ عَابِدُ الْوَثَنِ وَالشَّمْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَعَبَّادٌ بِلَفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِلْمُبَالَغَةِ اسْمُ رَجُلٍ وَمِنْهُ . [المصباح المنير :العين مع الباء] .

الثالث : السجود للأصنام وهي وإن سمتها العرب عبادة فليست بعبادة ، وهي على حسب ما سمت العرب ربا وإلها وليس هو على الحقيقة ، وقال : ﴿ مَا كَانُوا إِيانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة القصص آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ أَهَؤُلَاءِ إِياكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة سبأ آية : ٤٠].

فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿ مَا كَانُوا إِيانَا يَعْبُدُونَ ﴾ وليس في الآخرة كذب ، قلنا : معناه إنا لم نكن نستحق العبادة ؛ فلم تكن عبادتهم على الحقيقة عبادة لنا ، كما تقول : لصاحبك ليس هذا القول قولك ، وإن كان قاله بمعنى أنه لا يليق بك ، وبمعنى أنك دون ما يقوله أيضا ، وقوله : ﴿ إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢ ، الإسراء : ٦٥] أضافهم إلى الله ، إضافة الخصوصية ، لأن الخلق كلهم عباده .

والإضافة على خمسة أوجه :

إضافة الخصوصية ؛ وهي مثل هذا ، ومثل قوله : ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ لله﴾ [سورة الجن آية : ١٨] .

وإضافة النسب ؛ وهي قولك : ابن فلان ، وبنت فلان .

وإضافة السبب ؛ وهو قوله : فلان شريك فلان وصديقه .

وإضافة التعريف ؛ وهو سرج الدابة ، ولجام الفرس ، وقميص الرجل .

وإضافة الملك ؛ مثل : دار زيد ، وصنعة عمرو .

العدوان

قد ذكر أصل هذا الحرف ، وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى العذاب ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١) [سورة البقرة آية : ١٩٣] أي : من انتهى منهم عن الكفر فلا عذاب عليه ؛ وإنما هو على من ظلم نفسه بإقامته على الكفر ، وسمي العذاب عدوانا لأنه مقابلة بالعدوان ، كما قال الشاعر :

جَزَينَا ذَوِي العُدْوَان بِالأمسِ مثلــه   قَصَاصًا سوَاء جزوكَ النَّعْل بالنِعَــلِ

ويجوز أن يكون سمي عذاب الآخرة عدوانا لمجاوزته حد العذاب المعهود .

الثاني : الظلم ؛ قال الله : ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، وقال : ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٥] .

والإثم في هذه المواضع يجوز أن يكون مثل العدوان مثل الإثم وإنما ذكر للتوكيد ، كما تقول : الغشم والظلم هذا قول .

وقول آخر : وهو أن الإثم يقتضي أنه يتبع عليه ، وأصله في العربية التقصير . والعدوان يقتضي مجاوزة الحد ؛ فعطف أحدهما على الآخر مخالفة ما يقتضيه كل واحد منهما ولو كانا في المعنى سواء لم يجز عطف أحدهما على الآخر ، كما لا يجوز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو .

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿فَلاَ عدوان إِلاَّ عَلَى الظالمين﴾ ففيه وجهان الأول : فإن انتهوا فلا عدوان ، أي فلا قتل إلا على الذين لا ينتهون على الكفر فإنهم بإصرارهم على كفرهم ظالمون لأنفسهم على ما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

فإن قيل : لم سمي ذلك القتل عدواناً مع أنه في نفسه حق وصواب ؟

قلنا : لأن ذلك القتل جزاء العدوان فصح إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاء سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مّثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُم﴾ [البقرة : ١٩٤] ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران : ٥٤] ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ الله مِنْهُمْ﴾ [التوبة : ٧٩] والثاني : إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين فنسلط عليكم من يعتدي عليكم . [مفاتيح الغيب :٣/ ١٤٩] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٨] أي : لا اعتلال ولا حجة علي ، ويجوز أن يكون بمعنى إلي إذا قضيت ذلك لا أظلم فأكلف غيره .

العفو(١)

أصله الترك ، وعفا المنزل ؛ ترك حتى درس ، وقوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ؛ أي : ترك له الدم وصولح على الدية من أخيه ؛ يعني : من ولي الدم ولم يريد القاتل ، وشيء يعني : به الدم ؛ فعبر بشيء وهو نكرة عن كل معرفة ؛ والعرب تكنى بشيء عن كل معرفة لأنها على كل حال شيء ، وأنشد :

لَعَمْرِكَ لَو شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُـــــهُ ... سواك وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعــــا

والاتباع : المطالبة بما صولح عليه القاتل من الدية ؛ أي : فليطالب ولي المقتول بذلك في رفق ؛ : ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] أي : وليود الجاني ما يود به من الدية أداء حسنا من غير مطل ولا تأخير ، : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] يعني : إجازته أخذ الدية وترك الدم ؛ فمن رضي بالدية ثم قتل فله عذاب أليم .

وقد أجمع المسلمون أن الدية إذا وجبت على قاتل العمد كانت من ماله دون مال العاقلة ، وكانت حالة لا يجوز تأخيرها ، وأن دية الخطأ على العاقلة ويلزمهم أداؤها في ثلاث سنين ؛ في كل سنة ثلث وعفا الله عنك ترك معاقبتك ، واستعمال الترك في الله مجاز .

والعفا : التراب ؛ لأنه متروك لوجوده بكل مكان ليس هو مما يؤخذ ويدخر ، ثم اشتق منه الكثرة ، فقيل : عفا الشيء ؛ إذا كثر كأنه صار كالتراب بكثرة ، ثم اشتق منه الكثرة حتى عفوا ، وعفاه يعفو إذا قصده وسأله ، ويجوز أن يكون معناه أنه أتاه تاركا لغيره .

والعفو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الفضل من المال ؛ قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٩] يعني : الفضل واليسر ، وذلك أنهم حضوا على الإنفاق في قوله : ﴿أَنْفِقُوا

---

(١) [عفو] : العفو : تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه تعفُو ، والله العَفُوُّ الغَفور . والعَفْوُ : أحَلُّ المالِ وأطيبُه . والعَفْوُ : المعروف . والعُفاةُ : طُلّابُ المعروف ، وهم المُعْتَفُونَ . واعْتَفَيْتُ فلاناً : طَلَبْتُ مَعروفَه .
والعافيةُ من الدَّوابِّ والطَّيْر : طُلّاب الرِزقِ ، اسمٌ لهم جامع . [العين :عفو] .

مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٧] ، وقوله : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فسألوا عن القدر الذي تنفقون ، فقال : ما يفضل عنكم ويسهل عليكم إنفاقه تنفقونه ؛ وهو قليل لتنالوا به الكثير من الثواب .

الثاني : الترك ؛ وهو قوله تعالى : ﴿إلا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النكَاحِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] . أي إلا أن يتركن لكم ما يجد لهن من وصف الصداق أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح يعني : الزوج ، وعفوه أن يعطي المهر كاملا وليس هو الولي ؛ لأنه ليس للولي أن يترك من مهر المرأة شيئا ، ومثله قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، وقوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] .

الثالث : العفو عن الذنب ؛ قال الله : ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة آية : ٤٣] وفي هذا دليل على أن الأنبياء يذنبون ؛ لأنه إذا لم يكن ذنب لم يكن عفو ولكن ذنوبهم صغائر .

العدل[1]

أصل العدل ؛ الاستقامة ، عدل الرجل إذا استقام حكمه ولم يمل ، وقيل : العدلان لأن كل واحد منهما يستقيم بالآخر ، والعدل المثل ؛ كان المثلين يستقيان في الشبه أو الصفة ، والعدل لا يستعمل إلا في المدح ؛ لأن رجلا لو سوى بين رجلين في الظلم ، لم يقال : أنه عدل أو هو عادل ، وإذا قسم رئيس القوم السرقة بينهم بالتسوية لم يقل أنه عدل ؛ وسمي الله عدلا من أجل أن أفعاله تقع على طريقة مستقيمة ، والعدل : الفدية يرجع إلى هذا .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المثل ؛ قال الله : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [سورة المائدة آية : ٩٥] أي : مثله ، قالوا : والعدل أيضا المثل ، ويجوز أن يكون سمي العدلان عدلين ؛ لأنهما مثلان ، والعدل والعدل : المثل من الجنس ، ومن غير الجنس ، كما أن المثل هو من الجنس وغير الجنس وليس العديل مثل ذلك ؛ لأن العدل أعم من العديل ، وما كان أعم فإنه أخص بالنكرة فهو للجنس وغير الجنس ، تقول : عمرو عدل زيد وعديله ، وعمرو عدل الأسد ، ولا يقال : عديل الأسد .

الثاني : الفدية ؛ قال الله : ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٨] أي : فدية ؛ وهو ما يكون بدل الشيء .

الثالث : خلاف الجور ؛ قال الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل آية : ٩٠] والإحسان داخل في العدل ، والعدل داخل في الإحسان ، ومع هذا فإن

---

(١) (ع د ل) : الْعَدْلُ الْقَصْدُ فِي الْأُمُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْرِ يُقَالُ عَدَلَ فِي أَمْرِهِ عَدْلًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَعَدَلَ عَلَى الْقَوْمِ عَدْلًا أَيْضًا وَمَعْدِلَةً بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا وَعَدَلَ عَنْ الطَّرِيقِ عُدُولًا مَالَ عَنْهُ وَانْصَرَفَ وَعَدَلَ عَدْلًا مِنْ بَابِ تَعِبَ جَارَ وَظَلَمَ وَعِدْلُ الشَّيْءِ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ مِنْ جِنْسِهِ أَوْ مِقْدَارِهِ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَالْعِدْلُ الَّذِي يُعَادِلُ فِي الْوَزْنِ وَالْقَدْرِ وَعَدْلُهُ بِالْفَتْحِ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ يُقَالُ عَدَلْتُ هَذَا بِهَذَا عَدْلًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ إذَا جَعَلْتَهُ مِثْلَهُ قَائِمًا مَقَامَهُ قَالَ تَعَالَى (﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾) وَهُوَ أَيْضًا الْفِدْيَةُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ﴾ وَالتَّعَادُلُ التَّسَاوِي وَعَدَّلْتُهُ تَعْدِيلًا فَاعْتَدَلَ سَوَّيْتُهُ فَاسْتَوَى وَمِنْهُ . [المصباح المنير :العين مع الدال] .

الفرق بينهما معروف ، وقد يعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر ، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ ، لا تقول : جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبا عبد الله ، ولكن مثل قوله :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرتَ بِـــــه   فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَـــــالٍ وَذَا نَشَبِ

لأن المال إذا لم يفيد فإنما يعني : به الماشية أو الصامت والنشب : ما نشب من العقارات ، وكذلك قول الحطيئة :

وَهند أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ والبُعْدُ

فالنأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ ، وأدنى ذلك يقال له نائي ، والبعد تحقيق الخروج والذهاب إلى الموضع السحيق ، والتقدير ؛ إني من دونها النائي الذي هو أول البعد ، والبعد الذي هو الغاية .

العهد[1]

العهد : وجدانك الشيء ، ومنه قيل : عهدته عهدا ، والعهد : اليمين ، ومنه : عليه عهد الله ، والعهد الوصية ، من قولهم : عهد إليه ، والعهد المطر ، والعهد : الأمر والوصية في قوله تعالى : ﴿ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٣] ومنه سمي عهد الأمير ؛ لأنه يؤمر فيه بما يعمل به ، والعهد : الضمان الذي يوجبه الضامن على نفسه ، والعهد : المودة ، وقيل : ليس لفلان عهد ؛ أي : مودة ، ويجوز أن يكون العهد هاهنا الحفاظ ، والعهد المنزل ، قال الراجز :

هَلْ يُعْرَفُ العَهْدُ المُحِيل أرسمه

والعهد : الكتاب يكتب بين قوم ، وتعهدت صنعتي : تفقدتها ، والعهد : الحفاظ في قوله صلى الله عليه وسلم : " حسن العهد من الإيمان وأصل الكلمة من الثبات "[2] .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الأمان ؛ قال الله : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدتِهِمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ٤] وذلك أن الله تعالى أمره نبذ العهد إلى من عرف منه الغدر ، في قوله : ﴿ وَإِما تَخَافَن مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ويجوز أن يقال : أنه كان شارطهم أن يقرهم ما أقرهم الله ؛ فلما أمره بقطع العهد قطعه ثم استثنى قوما ثبتوا على العهد ، فقال :

---

(١) (ع هـ د) : (الْعَهْدُ) الوَصِيَّةُ يُقَالُ عَهِدَ إِلَيْهِ إذَا أَوْصَاهُ وَفِي حَدِيثِ سُوَيْد بن غَفَلَةَ عَهْدِي أَنْ لَا آخُذَ مِنْ رَاضِعٍ شَيْئًا أَيْ فِيمَا كُتِبَ مِنْ الْعَهْدِ وَالْوَصِيَّةِ فَاخْتُصِرَ مَجَازًا (وَالْعَهْدُ) الْعَقْدُ وَالْمِيثَاقُ (وَمِنْهُ) ذُو الْعَهْدِ لِلْحَرْبِيِّ يَدْخُلُ بِأَمَانٍ وَعَهِدَهُ بِمَكَانِ كَذَا لَقِيَهُ وَيُقَالُ مَتَى عَهْدُكَ بِفُلَانٍ أَيْ مَتَى عَهِدْتَهُ (وَمِنْهُ) مَتَى عَهْدُك بِالْخُفِّ أَيْ بِلُبْسِهِ يَعْنِي مَتَى لَبِسْتَهُ (وَتَعَهَّدَ الضَّيْعَةَ) وَتَعَاهَدَهَا أَتَاهَا وَأَصْلَحَهَا وَحَقِيقَتُهُ جَدَّدَ الْعَهْدَ بِهَا وَقَوْلُهُمْ عُهْدَتُهُ عَلَى فُلَانٍ فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَا أَدْرَكَ فِيهِ مِنْ دَرَكٍ فَإِصْلَاحُهُ عَلَيْهِ هَكَذَا عَنْ الْغُورِيِّ وَمِثْله عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ بَرِئْتُ إلَيْكَ مِنْ عُهْدَةِ هَذَا الْعَبْدِ أَيْ مِمَّا أَدْرَكْت فِيهِ مِنْ عَيْبٍ كَانَ مَعْهُودًا عِنْدِي وَعَنْ الطَّحَاوِيِّ أَنَّهَا مِنْ الْعَهْدِ بِمَعْنَى الْعَقْدِ وَالْوَصِيَّةِ . [المغرب :العين مع الهاء] .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ج١/ ١٥ ، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣) ، وابن الأعرابي في معجمه (٧٧٤) .

﴿إلا الذينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية : ٤] إلى أن قال : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدتِهِمْ﴾ .

قال ابن عباس : هم بنوا ضمرة من كنانة ، والمدة تسعة أشهر ، وكان أمر عليا ؛ فنادى من كان بينه وبين رسول الله عهد فأحله إلى أربعة أشهر ، فقيل : العهد مرفوع للأمان من القتال على غرة ؛ فإذا أعلمهم رفعة فهو جائز ، وسواء خاف غدرهم ولم يخف ، وليس ذلك غدرا ، وإنما الغدر أن يأتيهم بعد الأمان وهم غازون ؛ ولذلك قال الكوفيون : يجوز للإمام أن يهادن العدو إذا لم يكن بالمسلمين قوة على قتالهم ؛ فإن قووا بعد ذلك كان لهم أن ينبذ إليهم ويقاتلهم .

الثاني : اليمين ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، والشاهد قوله تعالى : ﴿وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] .

الثالث : الأمانة والنبوة ؛ قال الله : ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَالِمِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٤] .

الرابع : الوصية ؛ قال الله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بني آدَمَ﴾ [سورة يس آية : ٦٠] ، وقوله : ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٣] وقد تقدم .

الخامس : الضمان ؛ قال الله : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] أي : أوفوا بما ضمنتم لي من الإيمان ، أوف لكم بما ضمنت لكم من الثواب .

العرض

أصله الظهور ، ومنه عرضت عليه الشيء ؛ إذا أظهرته له ، والمعرض ما تعرض فيه الجارية ؛ أي : تظهر ، ولفلان عارضة جيدة ، والعراضة : العطية ترجع إلى ذلك ، وأعرض الرجل عن الرجل : ولاه عرضه ؛ أي : جانبه وأعرض له أمكنة من عرضه ، والعرض خلاف الطول ، وإذا استعمل العرض فيما لا يكون عريضا على الحقيقة ؛ فإنما يراد به التمام ، مثل قول الشاعر :

فِي المَجْدِ صَارَ إِلَيكَ العَرْضُ وَالطُّولُ

أي صار إليك المجد بتمامه ، وقوله : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[1] [سورة فصلت آية : ٥١] أي : تام ، والعرض : ما يظهر من منافع الدنيا ، والعرض ما يحل في الجسم ولا يقوم بنفسه وليس له بقاء الجواهر .

واشتق له هذا الاسم من عارض السحاب وهو جسم ؛ فسموا به ما ليس بجسم لما اجتمعا في قلة اللبث ، ومثال هذه التسمية تسمية الملك ملكا ، وإن لم يكن رسولا على أن أصل هذا الاسم من الألوكة ؛ وهي الرسالة ، ولو كان العرض عرضا لأنه ليس بجسم ولا جوهر لكان الله عرضا ؛ لأنه ليس بجسم ولا جوهر ، وقولهم : عرض في كلامه ، معناه أنه ذهب فيه عرضا ولم يستقم فيه ، والتعريض : هو ترك الإفصاح ، يقال : عرض في الجبل إذا أخذ يمينا وشمالا ولم يستقم في مصعده .

والعرض في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الكثرة ؛ قال تعالى : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [سورة فصلت آية : ٥١] أي : كثيرة ، ولم يقل : طويل ؛ لأن العرض أدل على الطول والتمام .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ﴾ أي : كثير ، والعرب تستعمل الطول ، والعرض في الكثرة مجازاً ، يقال : أطال فلان في الكلام ، وأعرض في الدعاء : إذا أكثر ، والمعنى : أنه إذا مسه الشرّ تضرّع إلى الله ، واستغاث به أن يكشف عنه ما نزل به ، واستكثر من ذلك ، فذكره في الشدّة ، ونسيه في الرخاء ، واستغاث به عند نزول النقمة ، وتركه عند حصول النعمة ، وهذا صنيع الكافرين ، ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين [فتح القدير :٦/ ٣٦٤] .

الثاني : التهيئة ؛ قال : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [سورة الكهف آية : ١٠٠] أي : فهيأناها لهم ، ويجوز أن يكون المراد إنا أظهرناها لهم .

الثالث : بمعنى الجمع ؛ قال الله : ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [سورة الكهف آية : ٤٨] أي : جمعوا للحساب بحيث أمر الله ، وقيل : معناه أنهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم .

وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا ، وليس المعنى أنهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له ، ولكن المعنى أنهم ظهروا من قبورهم لأمر الله ؛ فعبر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب والوقوف في مواقفه ؛ وهو من قول الناس : عرض فلان على الأمير .

الرابع : قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٧٢] وهو لفظ مجاز والكلام فيه كثير ، وتلخيص معناه عندي ؛ إنا لو جعلنا هذه الأشياء بمنزلة من تكلف ، ثم كلفناها لإطاعتنا وكلفنا الإنسان فعصانا .

والأمانة هاهنا الطاعة ، والإنسان العاصي من الناس خاصة ، وقال الحسن : يعني : أن الكافر والمنافق حملا الأمانة فخانا ، وتصديق ذلك قوله : ﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٧٣] .

الخامس : السعة ؛ قال : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الحديد آية : ٢١] أي : سعتها كسعتها .

العين

أصلها عين الحيوان ، ثم كثر الاستعمال بها حتى تصرفت على خمسين وجهاً أفردتها في كتاب .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : عين الإنسان ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾(١) [سورة المائدة آية : ٤٥] ، وذكر تعالى أنه حكم بهذا الحكم على من قبلنا ، وشرائع من قبل ثابتة علينا إلى أن يرد

(١) قال ابن فارس : العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عُضوٍ به يُبْصَر ويُنظَر، ثم يشتقُّ منه، والأصلُ في جميعه ما ذكرنا.

قال الخليل: العين النّاظرة لكلِّ ذي بَصَر. والعين تجمع على أعيُن وعُيون وأعيان. قال الشاعر:

فقد أرُوعُ قلوبَ الغانياتِ به *** حتّى يَمِلْنَ بأجيادٍ وأعيانِ

وقال:

* فقد قرَّ أعيانَ الشّوامِتِ أنّهم *

وربّما جمعوا أعيُنا على أعيناتٍ. قال:

* بأعينُات لم يخالطها قَذَى *

وعَيْنُ القَلْب مثَل على معنى التشبيه. ومن أمثال العرب في العين، قولهم: "ولا أفعَلُه ما حَمَلتْ عيني الماء"، أي لا أفعله أبداً. ويقولون: "عَينٌ بها كلُّ داء" للكثير العيوب. ويقال: رجلٌ شديد جَفْنِ العين، إذا كان صبوراً على السَّهَر. ويقال: عِنْتُ الرّجلَ، إذا أصبتَه بعينك، فأنا أعينُه عَيْناً، وهو مَعْيون. قال:

قد كان قومُك يحسبونك [سيّداً] *** وإخال أنّكَ] سيّدٌ مَعيونُ

ورجلٌ عَيُونٌ ومعيانٌ : خبيث العين. والعائن: الذي يَعِين، ورأيت الشَّيء عِياناً، أي معايَنة. ويقولون: لقيتُه عَيْنَ عُنَّة، أي عِياناً. وصنعت ذاك عَمْدَ عَيْنٍ، إذا تعمّدتَه. والأصل فيه العين الناظرة، أي إنّه صنع ذلك بعينِ كلِّ مَن رآه. وهو عَبْدُ عينٍ، أي يخدُم ما دام مولاه يراه. ويقال للأمر يَضِحُ: "بيَّنَ الصُّبحُ لذي عَيْنَيْن".

ومن الباب العين: الذي تبعثُه يتجسّس الخبرَ، كأنّه شيءٌ تَرَى به ما يَغِيب عنك. ويقال: رأيتُهم أدنى عائنةٍ، أي قَبْلَ كلِّ أحدٍ، يريد -والله أعلم- قبل كلِّ نَفْسٍ ناظرة. ويقال: اذهَبْ فاعتَنْ لنا، أي انظُرْ. ويقال: ما بها عَيَنٌ، متحركة الياء، تريد أحداً له عين، فحرّكت الياء فرقاً. قال:

* ولا عيَناً إلاّ نَعاماً مشمّراً *

فأمّا قولهم: اعتَانَ لنا منزلاً، أي ارتادَه، فإنّهم لم يفسّروه. والمعنى أنّه نظر إلى المنازل بعينه ثم اختار.

ومن الباب العين الجاريةُ النّابعة من عيون الماء، وإنّما سمِّيت عيناً تشبيهاً لها بالعين النّاظرة لصفائها ومائها.

ويقال: قد عانَت الصّخرةُ، وذلك إذا كانَ بها صَدعٌ يخرج منه الماء. ويقال: حَفَر فأعْيَن وأعان.

ومن الباب العين: السّحاب ما جاءَ من ناحية القبلة، وهذا مشبَّه بمشبَّه، لأنه شُبِّه بعين الماء التي شبِّهت بعين الإنسان. يقولون: إذا نشأ السّحاب من قِبَل العين فلا يَكاد يُخلف.

نسخها ؛ والشاهد قوله : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٥] فدل على ثبوت الحكم في وقت نزول هذه الآية من وجهين :

أحدهما : أنه ثبت أن ذلك مما أنزل الله ولم يفرق بين نبي من الأزمان .

والثاني : أنه معلوم أنهم استحقوا سمة الظلم والفسوق عند نزول هذه الآية بتركهم الحكم بها ، وقوله : ﴿ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ عند أصحابنا معناه ؛ أن العين إذا ضربت فذهب ضوئها .

قال ابن الأعرابيّ: يقال هذا مطَرُ العين، ولا يقال مُطِرنا بالعَين. وعَين الشَّمس مشبه بعين الإنسان. قال الخليل: عين الشَّمس: صَيْخَدُها المستدير.

ومن الباب ماءٌ عائن، أي سائل. ومن الباب عَيْنُ السِّقاء. قال الخليل: يقال للسِّقاء إذا بَلِي ورقَّ موضعٌ منه: قد تعيَّن. وهذا أيضاً من العَين، لأنه إذا رقَّ قرُب من التخرُّق فصار السِّقاء كأنّه يُنظر به. وأنشد ثعلب:

قالت سُلَيمَى قولةً لِرِيدها *** ما لابنِ عمِّي صادراً من شِيدها

بذات لَوثٍ عينُها في جيدها

أراد قربةً قد تعيَّنت في جيدها. ويقال سِقاء عَيِّنٌ، إذا كانت فيه كالعُيون، وهو الذي قد ذكرناه. وأنشد:

* ما بالُ عيني كالشَّعيب العَيِّنِ *

وقالوا في قول الطرِمّاح:

فأَخْضَلَ منها كلَّ بالٍ وعَيِّنٍ *** وجَفَّ الرَّوايا بالمَلاَ المتباطنِ

إنّ العَيِّن الجديد بلغة طيٍّ. وهذا عندنا مما لا معنًى له، إنّما العَيِّن الذي به عُيون، وهي التي ذكرناها من عيون السِّقاء. وإنّما غَلِط القومُ لأنّهم رأوا بَالياً وعَيِّناً، فذهبوا إلى أنّ الشاعر أراد كلَّ جديدٍ وبالٍ. وهذا خطأ، لأنّ البالي الذي بلِيَ، والعَيِّن: الذي يكون به عُيون. وقد تكون القربةُ الجديدُ ذاتَ عُيونٍ لعيبٍ في الجلد. والدَّليل على ما قلناه قولُ القطاميّ:

ولكنّ الأديم إذا تفرَّى *** بِلىً وتعيُّناً غلَبَ الصَّناعا

ومن باقي كلامهم في العَين العِينُ: البَقَر، وتوصف البقرة بسَعَة العين فيقال: بقرة عيناء. والرّجُل أعين. قال الخليل: ولا يقال ثورٌ أعْين. وقال غيره: يقال ثورٌ أعين. قال ذو الرّمّة:

رفيقُ أعْيَنَ ذَيّالٍ تشبِّهه *** فَحلَ الهِجانِ تنحَّى غيرَ مخلوجِ

قال الخليل: الأعيَن: اسمُ الثور، [ويقال] مُعَيَّنٌ أيضاً. قال:

ومعيَّناً يحوي الصِّوَار كأنّه *** متخمِّط قَطِمٌ إذا ما بَرْبَرا

معجم مقاييس اللغة مادة (ع ي ن)

وقال القاضي أبو يعلى : وقوله : العين بالعين ، ليس المراد قلع العين بالعين ، لتعذّر استيفاء المماثلة ، لأنا لا نقف على الحدِّ الذي يجب قلعه ، وإنما يجب فيما ذهب ضوؤها وهي قائمةٌ ، وصفة ذلك أن تُشدَّ عين القالع ، وتُحمى مرآة ، فتقدّم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها . [زاد المسير :٢/ ٢١٦] .

والقصاص في ذلك أن تحمي مرآة وتدني إلى العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوئها ، وليس هو أن تقلع العين ، وليس في قلع العين عندهم قصاص ؛ لأن استيفاء القصاص في ذلك غير ممكن ؛ إذ لا يوقف على الحد الذي يجب أن يقلع منه ، وكذلك كل ما لا يوقف على ذلك منه .

الثاني : العين بمعنى الحفظ ؛ وهو قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [سورة طه آية : ٣٩] أي : لتربي وأنا حافظ لك ، وذلك أن من له بالشيء عناية تجعله نصب عينه ناظرا إليه ؛ فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة القمر آية : ١٤] أي : تجري من أمنا وحفظ ، ومنه قول امرئ القيس :

وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ

الباب التاسع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله غين

الغي[1]

أصله الفساد ، يقال : غوى الرجل ؛ إذا فسد طريقته في الدين ، ورجل غاو وغوى ؛ إذا فسد عيشه وأمره أيضا ، وغوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن ، وقيل أيضا ذلك له إذا لم يزو من لبن أمه فمات هزلا ، فقيل في الرجل غوى وفي الفصيل غوى والأصل واحد .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

---

(١) الفرق بين الغي والضلال : أن أصل الغي الفساد ومنه يقال غوى الفصيل إذا بشم من كثرة شرب اللبن وإذا لم يرو من لبن امه فمات هزلا .
فالكلمة من الاضداد ، وأصل الضلال الهلاك ومنه قولهم ضلت الناقة إذا هلكت بضياعها وفي القرآن " أءذا ضللنا في الارض " أي : هلكنا بتقطع أوصالنا فالذي يوجبه أصل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه ويستعمل الضلال أيضا في الطريق كما يستعمل في الدين فيقال ضل عن الطريق إذا فارقه ولا يستعمل الغي إلا في الدين خاصة فهذا فرق آخر وربما استعمل
الغي في الخيبة يقال غوى الرجل إذا خاب في مطلبه وأنشد قول الشاعر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ** ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقيل أيضا : معنى البيت أن من يفعل الخير يحمد ومن يفعل الشر يذم فجعل من المعنى الاول ويقال أيضا ضل عن الثواب ومنه قوله تعالى " كذلك يضل الله الكافرين " والضلال بمعنى الضياع يقال هو ضال في قومه أي ضائع ومنه قوله تعالى " ووجدك ضالا فهدى " أي ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك ويجوز أن يكون ضالا أي في قوم ضالين لان من أقام في قوم نسب إليهم كما قيل خالد الحذاء لنزوله بين الحذائين وأبو عثمان المازني لاقامته في بني مازن لم يكن منهم ، وقال أبو علي رحمه الله : " ووجد ضالا فهدى " أي وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك كما قال تعالى " أن تضل إحداهما " وإنما الشهادة هي الضلالة عنها وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم ويكون الضلال الابطال ومنه " أضل أعمالهم " أي أبطلها ، ومنه " ألم يجعل كيدهم في تضليل " ويقال ضللني فلان أي سماني ضالا ، والضلال يتصرف في وجوه لا يتصرف الغي فيها .
والفرق بين الغي والفساد : أن كل غي قبيح ويجوز أن يكون فساد ليس بقبيح كفساد التفاحة بتعينها ويذهب بذلك إلى أنها تغيرت عن الحال التي كانت عليها ، وإذا قلنا فلان فاسد إقتضى ذلك أنه فاجر وإذا قلت نه غاو إقتضى فساد المذهب والاعتقاد . [الفروق اللغوية :١/ ٣٩٣] .

الأول : فساد العيش ؛ قال تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه آية : ١٢١] أي : فسد عيشه في الجنة ، أخبرنا بذلك أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله ، عن أبي عمر الزاهد ، عن ثعلب ، وأصل الغي الفساد على ما ذكرنا ؛ فإن قيل : أنتم تزعمون أن صاحب الصغيرة لا يقال أنه عاص قولا مطلقا ، وقد قال الله ذلك لآدم ، وكذلك وصفه إياه بأنه غوى ، قلنا : إنما قال ذلك مضمنا بالقصة التي عصى فيها ، فكان ذلك كالتقييد ؛ فكأنه قال : أنه عصى في كذا وأحرى ؛ فإن السيد يطلق في عبده إذا عصاه ما لا يجوز أن يطلقه فيه غيره .

الثاني : فساد الطريقة في الدين ؛ قال تعالى : ﴿إِلا مَنِ اتبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] .

الثالث : العذاب ؛ قال : ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيا﴾ [سورة مريم آية : ٥٩] أي : عذابا ؛ وإنما سمي العذاب غيا لأنه مجادلة على الغي ، وقيل : غي واد في جهنم .

الغيب

أصل الغيب الستر ، وغيبت الشيء في التراب ؛ إذا سترته فيه ، والغيب : ما استتر عنك ، وأصله ما سترك من قولك : نحن في غيب هذا الوادي ؛ أي : حيث يستتر به ، وكل ما ستر شيئا فهو غيابة ، ومنه غيابة الجب .

والغيب في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخلوة ؛ قال الله : ﴿الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1] [سورة البقرة آية : ٣] يعني : أنهم يخلصون العمل في خلواتهم خلاف المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وقيل :

---

(١) قال الرازي : في قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بالغيب﴾ قولان : الأول : وهو اختيار أبي مسلم الأصفهاني أن قوله : ﴿بالغيب﴾ صفة المؤمنين معناه أنهم يؤمنون بالله حال الغيب كما يؤمنون به حال الحضور ، لا كالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزءون . ونظيره قوله تعالى : ﴿ذلك لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بالغيب﴾ [يوسف : ٥٢] ويقول الرجل لغيره : نعم الصديق لك فلان بظهر الغيب ، وكل ذلك مدح للمؤمنين بكون ظاهرهم موافقاً لباطنهم ومباينتهم لحال المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والثاني : وهو قول جمهور المفسرين أن الغيب هو الذي يكون غائباً عن الحاسة ثم هذا الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل ، وإلى ما ليس عليه دليل . فالمراد من هذه الآية مدح المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب الذي دل عليه دليل بأن يتفكروا ويستدلوا فيؤمنوا به ، وعلى هذا يدخل فيه العلم بالله تعالى وبصفاته والعلم بالآخرة والعلم بالنبوة والعلم بالأحكام وبالشرائع فإن في تحصيل هذه العلوم بالاستدلال مشقة فيصلح أن يكون سبباً لاستحقاق الثناء العظيم . واحتج أبو مسلم على قوله بأمور : الأول : أن قوله : ﴿والذين يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وبالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة : ٤] إيمان بالأشياء الغائبة فلو كان المراد من قوله : ﴿الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب﴾ هو الإيمان بالأشياء الغائبة لكان المعطوف نفس المعطوف عليه ، وأنه غير جائز : الثاني : لو حملناه على الإيمان بالغيب يلزم إطلاق القول بأن الإنسان يعلم الغيب ، وهو خلاف قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغيب لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام : ٥٩] أما لو فسرنا الآية بما قلنا لا يلزم هذا المحذور الثالث : لفظ الغيب إنما يجوز إطلاقه على من يجوز عليه الحضور ، فعلى هذا لا يجوز إطلاق لفظ الغيب على ذات الله تعالى وصفاته ، فقوله : ﴿الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب﴾ لو كان المراد منه الإيمان بالغيب لما دخل فيه الإيمان بذات الله تعالى وصفاته ، ولا يبقى فيه إلا الإيمان بالآخرة ، وذلك غير جائز لأن الركن العظيم في الإيمان هو الإيمان بذات الله وصفاته ، فكيف يجوز حمل اللفظ على معنى يقتضي خروج الأصل أما لو حملناه على التفسير الذي اخترناه لم يلزمنا هذا المحذور .

والجواب عن الأول : أن قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بالغيب﴾ يتناول الإيمان بالغائبات على الإجمال ثم بعد ذلك قوله : ﴿والذين يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يتناول الإيمان ببعض الغائبات فكان هذا من

هو البعث ، والأول أجود عندي ؛ لأن البعث ليس يعيب مع شهرة أمره ومع ما يدل عليه من العقل والسمع .

الثاني : ما غاب عن الأبصار ؛ قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي : ما غاب وما حضر .

الثالث : الوحي ؛ قال الله : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [سورة التكوير آية : ٢٤] أي : ما هو على الوحي بمتهم ، والظنين المظنون ، وظننت في هذا يتعدى إلى مفعول واحد ، ظننته أي : أتهمته .

باب عطف التفصيل على الجملة ، وهو جائز كما في قوله : ﴿ وملائكته وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلُ وميكال ﴾ [البقرة : ٩٨] وعن الثاني : أنه لا نزاع في أنا نؤمن بالأشياء الغائبة عنا ، فكان ذلك التخصيص لازماً على الوجهين جميعاً . فإن قيل أفتقولون : العبد يعلم الغيب أم لا ؟ قلنا قد بينا أن الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما لا دليل عليه أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره ، وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن تقول : نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل ، ويفيد الكلام فلا يلتبس ، وعلى هذا الوجه قال العلماء : الاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة . وعن الثالث : لا نسلم أن لفظ الغيبة لا يستعمل إلا فيما يجوز عليه الحضور ، والدليل على ذلك أن المتكلمين يقولون هذا من باب إلحاق الغائب بالشاهد . ويريدون بالغائب ذات الله تعالى وصفاته والله أعلم . [مفاتيح الغيب :١/ ٢٩٥-٢٩٦] .

الباب العشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله فاء

الفساد[1]

قد تقدم من قولنا فيه ما يكفي ، وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الميل مع الكفار ؛ قال الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١] وذلك أن المنافقين كانوا يمالون الكفار فيجترئون على المسلمين ويطمعون في النيل منهم والغلبة عليهم ، ويسرعون إلى محاربتهم ؛ وفي ذلك الفساد في الأرض ؛ لأن الحرب مفسدة للمال ومهلكة للنفس .

الثاني : الهلاك ؛ قال الله : ﴿ وَلَوِ اتبَعَ الحَق أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِن ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] والدليل على أنه أراد الهلاك قوله : ﴿ وَمَنْ فِيهِن ﴾ قال بعض المفسرين : الحق هو الله تعالى ؛ أي : لو اتبع الله أهوائهم .

وقيل : هو القرآن ؛ أي : لولا أنزل القرآن بما يريدون ، وليس يصح تفسيرا لأنه على هذه الآية على هذين الوجهين .

والصواب ما قال أبو علي رضي الله عنه : وهو أنه لو صح ما يدين به الكفار من جعلهم الأصنام آلهة مع الله لتفاوتت أفعالهم ، ولتمانعوا ففسدت السماوات والأرض ومن فيهن من الملائكة والإنس والجن ، وهذا مثل قوله : ﴿ إِذًا لَذَهَبَ كُل إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩١] ، ومعنى : ﴿ لَوِ اتبَعَ الحَق أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة

---

(١) (ف س د) : فَسَدَ الشَّيْءُ فُسُودًا مِنْ بَابِ قَعَدَ فَهُوَ فَاسِدٌ وَالْجَمْعُ فَسْدَى وَالِاسْمُ الْفَسَادُ وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَسَادَ لِلْحَيَوَانِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى النَّبَاتِ وَإِلَى النَّبَاتِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْجَمَادِ لِأَنَّ الرُّطُوبَةَ فِي الْحَيَوَانِ أَكْثَرُ مِنْ الرُّطُوبَةِ فِي النَّبَاتِ وَقَدْ يَعْرِضُ لِلطَّبِيعَةِ عَارِضٌ فَتَعْجِزُ الْحَرَارَةُ بِسَبَبِهِ عَنْ جَرَيَانِهَا فِي الْمَجَارِي الطَّبِيعِيَّةِ الدَّافِعَةِ لِعَوَارِضِ الْعُفُونَةِ فَتَكُونُ الْعُفُونَةُ بِالْحَيَوَانِ أَشَدَّ تَشَبُّثًا مِنْهَا بِالنَّبَاتِ فَيُسْرِعُ إلَيْهِ الْفَسَادُ فَهَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الَّتِي قَالَ الْفُقَهَاءُ لِأَجْلِهَا وَيُقَدَّمُ مَا يَتَسَارَعُ إلَيْهِ الْفَسَادُ فَيُبْدَأُ بِبَيْعِ الْحَيَوَانِ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ وَالْمَفْسَدَةُ خِلَافُ الْمَصْلَحَةِ وَالْجَمْعُ الْمَفَاسِدُ . [المصباح المنير :٧/ ١٩٣] .

المومنون آية :٧١] أنه لو وافق الحق أهوائهم ولعبادة هذه الأصنام ؛ فجعل موافقة الحق أهوائهم إتباعا من الحق لهواهم على سبيل المجاز ، وقال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : لهلكنا ولم نقوم ، ومن هذه الآية أخذ المتكلمون دليل التمانع ، ومن قوله : ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩١] .

الثالث : القحط ، قال الله : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] أي : قد كسبوا الذنوب فعجل لهم العقوبة بالقحط ، ودليل ذلك قوله : ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] أي : لكي يتذكروا فيتوبوا ، ولعلا هاهنا بمعنى لام كي ، وفي هذا دليل على أن بعض ما يحمل الله العبد من المكاره تنبيه وبعضه عقوبة .

الرابع : ضد الصلاح ؛ قال : ﴿وَاللهُ لا يُحِبُ الْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٥] ، وقال تعالى : ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [سورة النمل آية : ٣٤] ، وقال : ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٦ ، ٨٥] .

الخامس : قوله : ﴿إِن اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس آية : ٨١] يعني : السحرة ، وقال بعضهم : الفساد في قوله : ﴿إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٤] القتل ، وكذلك في قوله : ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٢٧] ولا أعرف صحة ذلك ، وعندنا أن الفساد في هذا الموضع ضد الصلاح والقتل داخل في ذلك .

الفرقان

الفرقان مصدر ، مثل : السكران ، والكفران ، والعدوان ، ثم جعل اسما للقرآن ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وفرقت بين الحق والباطل ، وبين الحسن والقبيح بالتخفيف ، وفرقت بين الشخصين بالتشديد .

وأصل الكلمة البعد ، ومنه قيل : لتباعد ما بين الثنيتين ، وتباعد ما بين الفخذين فرق . ورجل أفرق وامرأة فرقاء ، ومنه الفرقة بين الحينين ، والعرب تقول : أسرع من فريق الخيل يعنون السابق ؛ لأنه يفارق جماعتها ، والفريق من الناس الجماعة لمفارقة لغيرها .

والفرقان في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النصرة ؛ قال الله ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾(1) [سورة البقرة آية : ٥٣] جاء في التفسير أنه أراد النصرة على أعدائه ، وذلك أنه نصره على أعدائه إذا أبعدهم الله بالإهلاك ، ومثله : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤١] أي : يوم نصرناه ؛ يعني : يوم بدر هكذا جاء في التفسير .

ويحتمل أن يكون معنى الفرقان هاهنا ؛ الفرق بين الحق والباطل ؛ لأن الحق والباطل قد فرق بينهما يوم بدر بأن علا هذا أو سفل ذا ، وقيل : جعله يوم الفرقان ؛ لأنه فرق فيه بين المؤمنين والكافرين ، قال الله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٤١] أي : إن كنتم صدقتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا يوم بدر من هذا الحكم ، وهو أن حسن الذي تغنمونه هو لله يجعله في الوجه الذي يريد .

والوجه الذي يريد أن يجعله فيه ؛ هو أن يكون للرسول والفقراء من بني هاشم وبني المطلب ، وجعل ذلك لهم بدلا من الصدقات المحرمة عليهم ، والفقراء اليتامى ، والمنقطع به من المسافرين ؛ وهو ابن السبيل ، فجرى الأمر على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) قال أبو جعفر : يعني بقوله :(وإذ ءاتينا موسى الكتاب) : واذكروا أيضا إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان . ويعني ب"الكتاب" : التوراة ، وب"الفرقان" : الفصل بين الحق والباطل ، كما حدثني المثنى بن إبراهيم قال حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله :(وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفرقان) ، قال : فرق به بين الحق والباطل . [جامع البيان :٢/ ١٧٠] .

ثم اجتمع الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم على أن يجعل بينهم الرسول في السلاح والكراع ، ويصرف الباقي إلى من سمي له في الآية ، وقيل : ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ أي : الكتاب الذي فيه الفرقان ، وقيل : معناه إنا آتينا موسى الكتاب وهو التوراة ، ومحمدا الفرقان ؛ فاكتفى بذكر الفرقان عن ذكر محمد ؛ لأنه معلوم أن الفرقان نزل عليهم .

وقال بعضهم : الكتاب التوراة ، والفرقان ؛ انفراق البحر ، وقال آخر : الفرقان ؛ بيان الحلال والحرام الذي في التوراة ، وقيل : الفرقان الموضع الذي فرق فيه بين موسى وبين فرعون ، كما سمي يوم بدر الفرقان .

الثاني : البينة في الدين ؛ قال تعالى : ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] يعني : البينة في الدين وإخراجا من الشبهة والضلالة ، وقال : ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٩] .

الثالث : القرآن ؛ قال الله تعالى : ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [سورة الفرقان آية : ١] ، وقال : ﴿أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤] يعني : القرآن .

الفرض(١)

أصل الفرض من التأثير ، ومنه الفرض في العود وهو الحرفية ، وفرضة النهر ترجع إلى ذلك ، وهو في الشريعة بمعنى الإلزام ، وهو قوله : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِن الْحَج ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] أي : ألزم نفسه .

وفرض الله على الناس الفريضة ؛ أي : ألزمهم القيام بها ، والفرق بين الفرض والواجب في اللغة ؛ أن الفرض الذي له تأثير وأصله من الجزء ، وليس للواجب تأثير لأنه من السقوط ، يقال : وجب الحائط ؛ إذا سقط ، وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] أي : سقطت ، وللفرض في مكانه تأثير ، وليس للواجب في مكانه تأثير .

فمن يجعل الفرض أوكد من الواجب يذهب إلى هذا المعنى ، وقوم يجعلونها سواء لأن قولك أوجبت وفرضت ؛ بمعنى ألزمت ، والفرق بينهما عند بعض الفقهاء بين أيضا ، وذلك أن سجدة التلاوة عنده واجبة وليس بفرض ، وكذلك الوتر ، والفرض أيضا لا يكون من الله ، والواجب يكون منه ومن العبد ، تقول : أوجب السلطان على رعيته كذا ، ولا يقال : فرض .

---

(١) (ف ر ض) : فُرْضَةُ الْقَوْسِ مَوْضِعُ حَزِّهَا لِلْوَتَرِ وَالْجَمْعُ فُرَضٌ وَفِرَاضٌ مِثْلُ بُرْمَةٍ وَبُرَمٍ وَبِرَامٍ وَالْفُرْضَةُ فِي الْحَائِطِ وَنَحْوِهِ كَالْفُرْجَةِ وَجَمْعُهَا فُرَضٌ وَفُرْضَةُ النَّهْرِ الثُّلْمَةُ الَّتِي يَنْحَدِرُ مِنْهَا الْمَاءُ وَتَصْعَدُ مِنْهَا السُّفُنُ وَفَرَضْتُ الْخَشَبَةَ فَرْضًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ حَزَزْتُهَا وَفَرَضَ الْقَاضِي النَّفَقَةَ فَرْضًا أَيْضًا قَدَّرَهَا وَحَكَمَ بِهَا وَالْفَرِيضَةُ فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ وَالْجَمْعُ فَرَائِضُ قِيلَ اشْتِقَاقُهَا مِنْ الْفَرْضِ الَّذِي هُوَ التَّقْدِيرُ لِأَنَّ الْفَرَائِضَ مُقَدَّرَاتٌ وَقِيلَ مِنْ فَرْضِ الْقَوْسِ وَقَدْ اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ فَإِنَّهَا نِصْفُ الْعِلْمِ بِتَأْنِيثِ الضَّمِيرِ وَإِعَادَتِهِ إلَى الْفَرَائِضِ لِأَنَّهَا جَمْعُ مُؤَنَّثٍ وَنُقِلَ وَعَلِّمُوهُ فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ بِالتَّذْكِيرِ بِإِعَادَتِهِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَنْبِيهًا عَلَى حَذْفِهِ وَالتَّقْدِيرُ تَعَلَّمُوا عِلْمَ الْفَرَائِضِ وَمِثْلُهُ فِي التَّنْزِيلِ ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ وَالْأَصْلُ كَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ فَأَعَادَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ أَهْلَكْنَاهَا عَلَى الْمُضَافِ إلَيْهِ .

وَفِي قَوْلِهِ (﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾) عَلَى الْمُضَافِ الْمَحْذُوفِ قِيلَ سَمَّاهُ نِصْفَ الْعِلْمِ بِاعْتِبَارِ قِسْمَةِ الْأَحْكَامِ إلَى مُتَعَلِّقٍ بِالْحَيِّ وَإِلَى مُتَعَلِّقٍ بِالْمَيِّتِ وَقِيلَ تَوَسُّعًا وَالْمُرَادُ الْحَثُّ عَلَيْهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ الْحَجُّ عَرَفَةَ ﴾ وَفَرَضَ اللَّهُ الْأَحْكَامَ فَرْضًا أَوْجَبَهَا فَالْفَرْضُ الْمَفْرُوضُ جَمْعُهُ فُرُوضٌ مِثْلُ فَلْسٍ وَفُلُوسٍ وَالْفَرْضُ جِنْسٌ مِنْ التَّمْرِ بِعُمَانَ . [المصباح المنير :الفاء مع الراء] .

فأما قولهم : فرض القاضي عليه فإن معناه ؛ أوجب عليه ما فرض لله لأن القاضي لا يفرض في الحقيقة ، فأما قوله تعالى : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِن الْحَج﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] فهو بمعنى ألزم ، فوضع حرفا مكان حرف لتقاربهما في المعنى ، وكذلك فرض القاضي .

والفرض في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الإلزام ؛ قال الله : ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِن الْحَج﴾ ، وقال : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٠] يعني : المهور ، وأن لا يتجاوز الرجل تزوج أربع نسوة ، وقيل : الفرض هاهنا الإباحة ؛ أي : أبحنا لهم تزوج أربع نسوة وما ملكت أيمانهم ؛ أي : وإن اتخذوا من الإماء والسرارى ما يريدون ، وقال في آية الصدقات بعد أن عدد أهلها : ﴿فَرِيضَةً مِنَ الله﴾ [سورة النساء آية : ١١ ، التوبة : ٦٠] ، وقيل : للصلاة المكتوبة فريضة ولسهام الميراث فرائض لذلك .

الثاني : بمعنى التبيين ؛ قال الله : ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة التحريم آية : ٢] أي : بين لكم كيف يكفرون عن إيمانكم إذا حلفتم ، ومثله قوله تعالى : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [سورة النور آية : ١] أي : بيناها وفصلناها ، وقيل : معنى : ﴿فَرَضْنَاهَا﴾ التخفيف ؛ إنا أنزلنا العمل بما فرض فيها ، ومن شدد أراد التكثير ؛ أي : فرضنا فيها فروضا .

الثالث : فرض بمعنى أحل ؛ قال الله : ﴿مَا كَانَ عَلَى النبِي مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٨] يعني : فيما أحل له ، ويجوز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به .

الرابع : بمعنى أنزل ، قال تعالى : ﴿إِن الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ [سورة القصص آية : ٨٥] ، أي : أنزل ، ويجوز أن يكون معناه أنه أوجب عليك العمل به

الخامس : الفريضة بعينها وهي الخصلة يلزم فعلها ؛ قال تعالى : ﴿فَرِيضَةً مِنَ الله﴾ [سورة النساء آية : ١١ ، التوبة : ٦٠] والفريضة المهر أيضا في قوله : ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلقْتُمُ النسَاءَ مَا لَمْ تَمَسوهُن أَوْ تَفْرِضُوا لَهُن فَرِيضَةً﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] الآية .

والمراد أن من تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها من غير أن يدخل بها ؛ فالواجب لها عليه أن يمتعها على قدر حاله في الغنى والفقر .

قال الكوفيون : أول المتعة ثلاثة أبواب ؛ إلا أن يكون ذلك أكثر من نصف مهر مثلها ، والتمتيع في هذه الآية التزويد ، وفي غيرها التلذذ ، ومنه نكاح المتعة ، وقال ابن أبي ليلى ، وأبو علي : المتعة ليست بواجبة .

وقوله تعالى : ﴿ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤١] يدل على خلاف ما قالا ؛ لأنه جعل المتعة في شرط التقوى ، وقال : ﴿ حَقا ﴾ وليس في الإيجاب أوكد من هذا ، وعلى كل واحد أن يكون من المتقين ؛ فإن قيل : إنما خص المتقين بالذكر لأنها غير واجبة ، قلنا : الظاهر يقتضي وجوبها على المتقين ، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم ؛ لأن أحدا لا يفرق بين المتقي وغير المتقي في الفروض ، ولا يجوز أن يكون ندبا ؛ لأن الندب لا يختلف فيه المتقي وغيره .

الفاحشة(١)

أصلها المبالغة في القبح ، ومنه قيل : أفحش الرجل ، وفحش في الكلام إذا أقذع ، والاسم الفحش ، وربما جعل الفحشاء الفجور .

والفاحشة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : ما حرم أهل الشرك في الجاهلية ؛ قال : ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] يعني : سنن الغي التي سنها لهم آباؤهم من البحيرة والسائبة وما يجري مجراها .

الثاني : الزنا ؛ قال : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ١٥] ، وقال : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٠] يعني : الزنا ، وقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] أراد الزنا ، وذلك أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا ؛ فأخبر الله أن جميعه حرام ، وقد مر ذلك قبل .

الثالث : إتيان الرجال في أدبارهم ؛ قال : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٢٨] .

الرابع : على قول بعض أهل التفسير : النشوز ؛ قال الله : ﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [سورة النساء آية : ١٩ ، الطلاق : ١] قال : هي النشوز ، وعندنا أنه الزنا وما يجري مجراه من قبح المعاصي ؛ لأنه لا تكاد العرب تسمي بالفاحشة إلا كل ذنب شديد القبح لازم العار ، وليس النشوز مما يجري عليه اسم الفاحشة ، وقيل : خروجها قبل انقضاء العدة

---

(١)(ف ح ش) : (أَفْحَشَ فِي الْكَلَامِ) جَاءَ بِالْفُحْشِ وَهُوَ السَّيِّئُ مِنَ الْقَوْلِ وَفَحَشَ مِثْلُهُ (وَمِنْهُ) مَا فِي الْمُنْتَقَى ثُمَّ فَحَشْنَا عَلَيْهِ أَيْ أَوْرَدْنَا عَلَى أَبِي يُوسُفَ مَا فِيهِ غَبْنٌ فَاحِشٌ أَوْ ذَكَرْنَا مَا يَقْبُحُ فِي الْعَادَةِ كَشَرْيِ مِثْلِ دَارِ بَنِي حُرَيْثٍ بِدِرْهَمٍ (وَرَجُلٌ فَاحِشٌ وَفَحَّاشٌ) سَيِّئُ الْكَلَامِ (وَأَمْرٌ فَاحِشٌ) قَبِيحٌ قَالُوا (وَالْفَاحِشَةُ) مَا جَاوَزَ حَدَّهُ فِي الْقُبْحِ وَعَنِ اللَّيْثِ كُلُّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ إِلَّا أَنْ يَزْنِينَ فَيُخْرَجْنَ لِلْحَدِّ وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا إِذَا ارْتَكَبْنَ الْفَاحِشَةَ بِالْخُرُوجِ لِغَيْرِ الْإِذْنِ . [المغرب :الفاء مع الحاء] .

فاحشة ، وقيل : هو أن تتبدى على أهله فيحل لهم إخراجها قبل انقضاء العدة ، وذلك فاحشه منها ، وقيل : أن تزني فتخرج للحد أو فتأتي بمعصية كثيرة لا يحل مقاربها معها فتخرج .

والفاحشة والفحشاء سواء ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] إلى أن قال : ﴿ قُلْ إِن اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٢٨] ولا يقال في تذكير الفحشاء : أفحش ، ونحوه ديمة هطلاء ، ولا يقال : ومطر أهطل .

وقيل : الاستثناء في هذه الآية من العضل ؛ أي : من أتت منهن بفاحشة مبينة ، وهو الزنا فلكم حبسها على ما فرض قبل نزول الحد .

وقيل : الاستثناء من الذهاب ببعض ما آتوهن ومن العضل جميعا ، ومعروف أنه لم يصح ظلمهن ؛ بقوله تعالى : ﴿ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ ولكن عنى ما يدخل عليها الزوج من المساءة والأذى بالحق والعدل إذا أرادت الخلع ؛ وهو أن يأخذ منها بعض ما آتاها على الخلع والمباراة ؛ لأن الظلم حينئذ جاء من قبلها ، والعضل هو الحبس والضيق .

الفرار[1]

أصله من الخفة والسرعة ، ومنه قيل : رجل فرفار إذا كان خفيفا كثير الكلام ، والفرفار : شجر يتخذ منه القصاع خفيف الوزن ، والفرير والفرار ولد البقرة الوحشية سمي بذلك لخفته وسرعته ، وفررت الدابة ؛ إذا فتحت فاه لتعرف سنه ؛ لأنك إذا فتحت فاه وقفت على سنه بسرعة من غير تعذر .

والفرار في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : التوبة ؛ قال الله : ﴿ فَفِروا إِلَى الله ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٠] أي : توبوا إليه ولا تعدلوا عن سبيله ، وإنما عبر عن هذا المعنى بالفرار ؛ لأن من يفر إلى الإسلام لا يعرج إلى غيره .

الثاني : الهرب ؛ قال الله : ﴿ قُل لَن يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرتُم مِنَ المَوتِ أَوِ القَتلِ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٦] .

الثالث : الكراهة ؛ قال : ﴿ قُل إِن المَوتَ الذِي تَفِرونَ مِنهُ فَإِنهُ مُلاقِيكُم ﴾ [سورة الجمعة آية : ٨] أي : تكرهونه .

الرابع : ترك التعرج ؛ قال الله : ﴿ يَومَ يَفِر المَرءُ مِن أَخِيهِ وَأُمهِ وَأَبِيهِ ﴾ [سورة عبس آية : ٣٤ ، ٣٥] أي : لشغله بنفسه لا يعرج على أخيه .

الخامس : التباعد ؛ قال الله : ﴿ فَلَم يَزِدهُم دُعَائِي إِلا فِرَارًا ﴾ [سورة نوح آية : ٦] أي : تباعدا مني وعما أدعوهم إليه .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿ فَفِرُّواْ إِلَى الله إِنّي لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي : قل لهم يا محمد : ففرّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي ، وجملة : ﴿ إِنّي لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ تعليل للأمر بالفرار ، وقيل : معنى ﴿ فَفِرُّواْ إِلَى الله ﴾ اخرجوا من مكة . وقال الحسين بن الفضل : احترزوا من كل شيء غير الله ، فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه . وقيل : فرّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن ، وقيل : فرّوا من الجهل إلى العلم . [فتح القدير :٧/ ٥٠] .

في

موضوعة في العربية الأوعية ، تقول : زيد في البيت ، والمال في الكيس ، وإنما يراد أن البيت قد حواه ، وأن الكيس قد اشتمل عليه ، ثم اتسع القول فيه ، فقيل : فلان ينظر في العلم ؛ فجعلوا العلم بمنزلة متضمن ، كما قيل : دخل عمرو في العلم وفي الصلاة ، وقالوا : في يد فلان الضيعة ؛ وإنما قيل هذا لأن ما أحاط به علمه بمنزلة ما أحاطت به يده .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى مع ؛ قال تعالى : ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] ، وقال : ﴿أُولَئِكَ الذِينَ حَق عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٨] ، وقال : ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصالِحِينَ﴾ [سورة النمل آية : ١٩] ، وقال : ﴿لَنُدْخِلَنهُمْ فِي الصالِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٩] هذا قول بعض المفسرين .

وآخرون يقولون : أن قوله : ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي : في جملة أمم وفي جملة عبادك ، هكذا جميع ما تقدم ، وقوله : ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [سورة النمل آية : ١٢] قال : مع تسع ، وقيل : في من صلة قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [سورة النمل آية : ١٠] : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [سورة النمل آية : ١٢] والتأويل : وأظهر هاتين الآيتين في تسع آيات ؛ والمعنى من تسع آيات . وعندنا أن قوله : ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنةِ﴾ [سورة الأحقاف آية : ١٦] إخبار بأنه يفعل بأهل الجنة هذا الفعل ، وهؤلاء المذكورون في جملتهم ، كما تقول : أحبك وأكرمك في أهل السمع والطاعة ، وكذلك قوله : ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة فصلت آية : ٢٥ ، الأحقاف : ١٨] .

الثاني : بمعنى على ؛ قال الله : ﴿فِي جُذُوعِ النخْلِ﴾ [سورة طه آية : ٧١] وجاز أن يقع في هاهنا ؛ لأنه يكون في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه فقد صار فيه ، وقال الشاعر :

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِي فِي جِذْعِ نَخْلَـــةٍ فَلَا عَطَشْتْ شَيْبَانُ إِلَّا بَأجْدَعـــا

الثالث : على قول بعض المفسرين بمعنى إلى ؛ قال : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [سورة النساء آية: ٩٧] قال : أراد أرض المدينة ، و : ﴿فِيهَا﴾ بمعنى إليها ، ويجوز أن يكون المعنى فسيروا فيها مهاجرين لمن يريد إذائكم في الدين حتى تصلوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم .

الرابع : بمعنى من ؛ وهو في قوله : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [سورة النحل آية : ٨٩] أي : من كل أمة ، كذا قيل : وإذا بعثه أشهد عليهم فينبغي أن تكون فيما بينهم ومخالطا لهم ، وإذا كان كذلك فإنه فيهم ؛ أي : في جماعتهم .

الخامس : فينا بمعنى لنا ؛ قال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ذكروا أنه أراد عملوا لنا ، وقد تقدم هذا قبل ، ويجوز أن يكون فينا أي : من أجلنا ؛ يريد من أجل ديننا وأوليائنا ، كما نقول : أنا أوالي فيك وأعادي فيك ؛ أي : من أجلك .

الفتح[1]

أصله الكشف والتبيين ، يقال : فتح لي فلان القول في هذا الباب ؛ أي : بين ، والفتوح : الإمطار ؛ لأنها تكشف القحط ، والفتح : الحكم ، والفاتح الحاكم ؛ قال : ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٩] ، وفتح الباب وفتح البلد يكون بحرب وبغير حرب ، وإنما الفتح للظفر بالمكان ؛ فإذا ظفر به فقد فتحه حارب عليه أو لم يحارب .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : القضاء ؛ قال الله : ﴿ثُم يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ [سورة سبأ آية : ٢٦] ، وقال : ﴿افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٩] ، وقال : ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ [سورة السجدة آية : ٢٩] أي : يوم القضاء ؛ وهو دعاء لإنزال العذاب بهم لأن ذلك حق ؛ فكأنهم قالوا : أنزل بهم ذلك ليفصل بيننا وبينهم ، والقضاء والحكم إنما هو للفصل ، ويجوز أن يكون المعنى أن اكشف أمرنا حتى ينفتح ويظهر أن الحق معنا .

الثاني : الهداية إلى الإسلام ؛ قال : ﴿إِنا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح آية : ١] ، وقيل عني : فتح الحد بينه ، والحد بينه بئر فسمي المكان بها ، وقيل : هو فتح مكة وليس ذلك بالوجه ؛ لقوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخرَ﴾ [سورة الفتح آية : ٢] وذلك

---

(١) (ف ت ح) : فَتَحْتُ الْبَابَ فَتْحًا خِلَافُ أَغْلَقْتُهُ وَفَتَحْتُهُ فَانْفَتَحَ فَرَّجْتُهُ فَانْفَرَجَ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ خِلَافُ الْمَرْدُودِ وَالْمُقْفَلِ وَفَتَحْتُ الْقَنَاةَ فَتْحًا فَجَرْتُهَا لِيَجْرِيَ الْمَاءُ فَيَسْقِي الزَّرْعَ وَفَتَحَ الْحَاكِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَتْحًا قَضَى فَهُوَ فَاتِحٌ وَفَتَّاحٌ مُبَالَغَةٌ وَفَتَحَ السُّلْطَانُ الْبِلَادَ غَلَبَ عَلَيْهَا وَتَمَلَّكَهَا قَهْرًا وَفَتَحَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ نَصَرَهُ وَاسْتَفْتَحْتُ اسْتَنْصَرْتُ وَفَتَحَ الْمَأْمُومُ عَلَى إمَامِهِ قَرَأَ مَا أُرْتِجَ عَلَى الْإِمَامِ لِيَعْرِفَهُ وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُفْتَتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ وَافْتَتَحْتُهُ بِكَذَا ابْتَدَأْتُهُ بِهِ وَالْفُتْحَةُ فِي الشَّيْءِ الْفُرْجَةُ وَالْجَمْعُ فُتَحٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَبَابٌ فُتُحٌ بِضَمَّتَيْنِ مَفْتُوحٌ وَاسِعٌ وَقَارُورَةٌ فُتُحٌ بِضَمَّتَيْنِ أَيْضًا لَيْسَ لَهَا غِلَافٌ وَلَا صِمَامٌ وَالْمِفْتَاحُ الَّذِي يُفْتَحُ بِهِ الْمِغْلَاقُ وَالْمِفْتَحُ مِثْلُهُ وَكَأَنَّهُ مَقْصُورٌ مِنْهُ وَجَمْعُ الْأَوَّلِ مَفَاتِيحُ وَجَمْعُ الثَّانِي مَفَاتِحُ بِغَيْرِ يَاءٍ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿مِفْتَاحُهَا الطُّهُورُ﴾ اسْتِعَارَةٌ لَطِيفَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدَثَ لَمَّا مَنَعَ مِنْ الصَّلَاةِ شَبَّهَهُ بِالْغَلَقِ الْمَانِعِ مِنْ الدُّخُولِ إلَى الدَّارِ وَنَحْوِهَا وَالطُّهُورُ لَمَّا رَفَعَ الْحَدَثَ الْمَانِعَ وَكَانَ سَبَبَ الْإِقْدَامِ عَلَى الصَّلَاةِ شَبَّهَهُ بِالْمِفْتَاحِ . [المصباح المنير :الفاء مع التاء] .

أنه لا يحسن أن يقول : فتحت لك هذا المكان لأغفر لك ذنبك ، وقيل : أنه فتح له الحجج والإبانة فتحا بينا إن الذي تدعوا إليه الحق ، وقيل : الفتح المبين ؛ الهداية إلى الإسلام ؛ وهذا هو الوجه .

الثالث : التخصيص ؛ قال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلناسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [سورة فاطر آية : ٢] يعني : ما يخصهم به من رزق .

الرابع : التخلية ؛ قال الله : ﴿حَتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩٦] .

الخامس : البعث ؛ قال الله : ﴿حَتى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٧] أي : بعثنا عليهم عذابا ، ولما ذكر الباب ذكر الفتح ، قال أبو علي رحمه الله : أراد عذاب الآخرة ؛ أي : حتى أدخلناهم جهنم إذا هم مبلسون ؛ أي : آيسون والإبلاس اليأس .

السادس : فتح الباب ؛ قال الله : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [سورة الزمر آية : ٧٣] والتشديد للتكثير ، يقال : أبواب مفتحة ، ولا يقال : مفتوحة في الأكثر ، وروى لنا أبو أحمد ؛ أنه لما قال الفرزدق :

مَا زِلتُ أفتحُ أبوابًا وأغلِقُها

عابه الناس ، وقالوا : يقال في التكثير : فتحت وغلقت ، وغيره من أهل العربية قال : فعلت في التكثير والتقليل ، وفعلت بالتشديد لا يكون إلا في التكثير إلا في أحرف منها كلمته .

السابع : النصر ؛ قال تعالى : ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٢] .

الثامن : الظفر بالمكان ؛ قال : ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة الصف آية : ١٣] يقول : يفتح لكم ما توجهتم اليد إليه من البلدان وذلك قريب ، وقال : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر آية : ١] قال بعضهم : يعني : فتح مكة وكان فتح مكة سنة ثمان ، ونزلت هذه سنة عشر بعد حجة الوداع ، وقيل : المراد أنه يفتح لك الأمم والبلدان .

فوق(١)

أصله من العلو ، يقال : فاق الشيء غيره ؛ إذا علاه ، وهو فائق .

وله في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : بمعنى دون ؛ قال بعض المفسرين : ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] قالوا : فما دونها ؛ كأنه قال : فما فوقها في الصغر .

وقال المبرد : ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أي : فما يتجاوزها ؛ فحق هذا أن ينظر إلى الغاية المطلوبة فيجعل فوق من ناحيتها . فإذا قيل : فلان فوق فلان في اللوم ؛ فمعناه أنه يتجاوزه فيه ، فالمطلوب هاهنا الصغير ؛ وكأنه قال : بعوضة فما يتجاوزها صغرا .

---

(١) (ف و ق) : (فَوْقَ) مِنْ ظُرُوفِ الْمَكَانِ نَقِيضُ تَحْتَ يُقَالُ زَيْدٌ فَوْقَ السَّطْحِ وَالْعِمَامَةُ فَوْقَ الرَّأْسِ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ وَقَدْ اُسْتُعِيرَ بِمَعْنَى الزِّيَادَةِ فَقِيلَ هَذَا فَوْقَ ذَلِكَ أَيْ زَائِدٌ عَلَيْهِ وَالْعَشَرَةُ فَوْقَ التِّسْعَةِ (وَمِنْهُ) ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أَيْ فَمَا زَادَ عَلَيْهَا فِي الصِّغَرِ أَوْ الْكِبَرِ (وَعَلَيْهِ) قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ﴾ وَهِيَ فِي كِلْتَا الْآيَتَيْنِ فِي مَوْضِعِهَا وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهَا صِلَةٌ وَمِنْ الْمُشْتَقِّ مِنْهَا (فَاقَ النَّاسَ) إذَا فَضَلَهُمْ (وَهُوَ فَائِقٌ فِي الْعِلْمِ وَالْغِنَى) وَقَسَمَ غَنَائِمَ خَيْبَرَ عَنْ (فُوَاقٍ) أَيْ صَادِرًا عَنْ سُرْعَةٍ يَعْنِي قَسَمَهَا سَرِيعًا وَتَمَامُ التَّحْقِيقِ فِي الْمُعْرَبِ . [المغرب :الفاء مع الواو] .

وعند ابن فارس (ف و ق) : الفاء والواو والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على عُلُوٍّ، والآخرُ على أَوْبة ورُجوع.

فالأوّل الفَوْق، وهو العُلُوّ. ويقال: فلانٌ فاقَ أصحابَه يفوقُهم إذا علاهم وأمرٌ فائق، أي مرتفع عالٍ.

وأمّا الآخر فَفُوَاق النَّاقة، وهو رُجوع اللَّبنِ في ضَرعها بعد الحَلَب. تقول: ما أقامَ عندَه إلاّ فُوَاقَ ناقة. واسم المجتمِع من الدَّرّ: فيقة، والأصل فيه الواو. قال الأعشى:

حتَّى إذا فِيقةٌ في ضَرْعِها اجتمَعتْ *** جاءتْ لتُرْضِع شِقّ النفس لو رَضَعا

وفي بعض الحديث في ذكر القرآن: "أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقَ اللَّقوح" معناه لا أقرأ جزئي مرّةً واحدة لكن شيئاً بعد شيء. شبَّهه بفُواق الدِّرّة. يقال فُوَاق وفَواق قال الله تعالى: ﴿ ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [ص ١٥]، أي ما لها من رُجوعٍ ولا مَثْنويّةٍ ولا ارتداد. وقال غيرُه: ما لها من نَظِرة. والمعنيان قريبان. ويقولون: أفاقَ السَّكرانُ يُفيق، وذلكَ من أوبةِ عقلِه إليه. والأفاويق: ما اجتَمَعَ من الماء في السَّحاب.

ومن الباب الفُوق: فُوق السَّهم، وسمِّي لأنَّ الوتَرَ يُجعَل كأنّه قد رُدَّ فيه، والجمع أفواق. ويقولون: فُقًى، وهو مقلوبٌ. ويقال سهمٌ أفْوَق، إذا انكسر فُوقه.

وممّا شذَّ عن هذين الأصلين قولهم: هو يَفُوق بنفســه. وهذا من باب الإبدال وإنما أصلُه يسوق، والفاء بدلٌ من السين، وذلك إذا جادَ بنفْســه.

وقال قطرب : بل معناه أكبر منها ؛ وهو الذباب وما يجري مجراه ، ولا يقال : هذا حمار وفوق الحمار ، أو نملة فوق النملة ؛ بمعنى أصغر من ذلك ، وإنما يكون ذلك في الصفات ، يقال : هذا صغير وفوق الصغير .

ورد آخرون ذلك ، وقالوا : قد يقال : هو حمار وفوق الحمار ، كما يقال : هو صغير وفوق الصغير ليس بين الصفة والاسم في هذا فرق .

الثاني : بمعنى أفضل ؛ قال تعالى : ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح آية : ١٠] والمعنى ما يفعل الله بهم من الخير ويعطيهم من الثواب أفضل مما بذلوه من البيعة يوم الحديبية .

وقيل : يد الله في الوفاء فوق أيديهم ، وقيل : يد الله في المنة عليهم حين هداهم فوق أيديهم ، وتلخيص هذا أن نعمة الله عليهم فيما هداهم له من الإيمان فوق إجابتهم الرسول وطاعتهم له واليد النعمة .

وقال الضحاك : يد الله عليكم في الثواب فوق أيديكم في النصر .

الثالث : بمعنى أكثر ؛ قال الله : ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ [سورة النساء آية : ١١] .

الرابع : أرفع في المنزلة ؛ قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٢] ، وهكذا قوله : ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : هم أرفع منزلة .

الخامس : بمعنى على ؛ قال : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٥] أي : رفع الأغنياء على الفقراء في اليسار ، ثم قال : ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٢] فأخبر أنه فعل ذلك لتطرد أمور الدنيا والخير بعد ذلك ، والخيرة فيما عنده .

السادس : قوله تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٠] أي : من أعلى الوادي ، وذلك من علو بعض الأرض على بعض من غير أن يكون له سمك ظاهر .

السابع : العلو في السمك ؛ مثل قوله : ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾ [سورة فصلت آية : ١٠] أي : حتى يعلو فوقها ، وقال : ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٦] أي : من وجهها .

الثامن : الغلبة والسلطان ؛ : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٨ ، ٦١] يريد أنه القاهر لهم لاشتمال ملكه عليهم وفوقهم ؛ أي : غالب لهم ، ولا يجوز أن يقال : فوقهم في المسافة ؛ لأنه ليس بجسم ، ولأنه لا مدح له في ذلك ؛ لأن اختلاف الأمكنة لا يوجب قضاه ، وقوله : ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٢٧] والعرب تقول : أخذت الأمر من فوق ؛ أي : أخذته بغلبة وقهر ، ومنه قول الراجز :

إن الجبانَ حتفَه مِن فَوقِه

أي هو غالب له لا يدفعه عنه توقية .

الفتنة(١)

أصل الفتنة شدة الاختبار من قولك : فتنت الذهب ؛ إذا أدخلته النار لتعلم جودته من رداءته ، وفي القرآن : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٣] أي : اختبرناهم ، ومعنى الاختبار من الله ؛ التكليف على ما بينا .

وقال لموسى عليه السلام : ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [سورة طه آية : ٤٠] أي : واستعمال الإخبار في الله تعالى مجاز ؛ لأن أصل الاختبار طلب العلم والله عالم بنفسه ، والبحر يصطفي الاختبار ، ولا يستعمل في الله قياسا على الاختبار ؛ لأن استعمال الاختبار فيه مجاز .

والمجاز لا يقاس . . . قال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، ولا يجوز أن يقال : سل الحمار ؛ أي : صاحبه ، وقال : ﴿ثُم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] ، ويقال : فتنت الرجل ، ولا يقال : أفتنت .

وهي في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : التكليف ؛ قال : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٣] أي : أحسنوا أن يقع منهم بأن يقولوا : آمنا ولا تكلفون أو تمتحنون بما ظهر معه إيمانهم للرسول ، وصدقهم فيه من كذبهم ، فيركن إلى من يركن إليه منهم على بصيرة .

الثاني : العذاب ؛ قال الله : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [سورة الذاريات آية : ١٣ ، ١٤] أي : عذابكم ، ويجوز أن يكون المعنى ذوقوا جزاء فتنتكم فحذف الجزاء ، كما قال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف آية :٨٢] .

وقيل : يفتنون يحرقون ومنه ، قيل : للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت الصبر ومثله قوله : ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ الناسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [سورة العنكبوت آية :١٠] ، أي : عذاب الناس

---

(١) (ف ت ن) : فَتَنَ المَالُ النَّاسَ مِنْ بَابِ ضَرَبَ فُتُونًا اسْتَمَالَهُمْ وَفُتِنَ فِي دِينِهِ وَافْتُتِنَ أَيْضًا بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مَالَ عَنْهُ وَالفِتْنَةُ الْمِحْنَةُ وَالِابْتِلَاءُ وَالْجَمْعُ فِتَنٌ وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ مِنْ قَوْلِكَ فَتَنْتُ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ إذَا أَحْرَقْتَهُ بِالنَّارِ لِيَبِينَ الْجَيِّدُ مِنْ الرَّدِيءِ . [المصباح المنير :الفاء مع التاء] .

بعذاب الله . والمراد أنه إذا أصابه أذى من الناس لسبب إيمانه جزع منه ، كما يجزع من عذاب الله ، يحث على الصبر عند مس الأذى .

الثالث : الضلال ، قال الله : ﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾[سورة فاطر آية :١٦٢] ، أي : لستم تضلون إلا من هو ضال ، أي : ليس يتبعكم على عبادة الأوثان إلا من هو مثلكم في الضلال .

والهاء في عليه راجعة إلى ما الذي ، في قوله : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾[سورة فاطر آية :١٦١] ، وهو مثل قولك : ما هلك فلان إلا على يد فلان .

الرابع : الصد والاسترلال ، قال الله : ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[سورة المائدة آية : ٤٩] ، وقال : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[سورة الإسراء آية : ٧٣] .

الخامس : الكفر والشرك ، قال الله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَد مِنَ الْقَتْلِ ﴾[سورة البقرة آية :١٩١] .

السادس : الإثم ، قال الله : ﴿ أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[سورة التوبة آية :٤٩] ، قال : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[سورة الحديد آية : ١٤] أي : أثمتم .

السابع : العبرة ، قال تعالى : ﴿ رَبنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلذِينَ كَفَرُوا ﴾[سورة الممتحنة آية : ٥] ، أي : يعتبرون أمرهم بأمرنا فإذا رأونا في ضر وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ؛ ظنوا أنهم على الحق وأننا على الباطل .

الثامن : الجواب ، قال : ﴿ ثُم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللهِ ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٣] ، أي : جوابهم ؛ لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال ؛ فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول ونتكلم في قوله : ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٤] ، فيما بعد إن شاء الله .

ومثل قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَد مِنَ الْقَتْلِ ﴾[سورة البقرة آية :١٩١] ، قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[سورة البقرة آية : ١٩٣] ، أي : قاتلوهم حتى يؤمنوا فيذهب الكفر والشرك ، ويكون الدين كله لله دون الشيطان ، وأراد المشركين خاصة أي : قاتلوهم على كل حال في الحزم وغيره ، حتى يقروا بالإسلام ولا تقبل من المشرك جزية .

وإنما هو الإسلام والسيف وإما تبقيه أهل الكتاب وأخذ الجزية منهم ؛ فليتدبروا كتابهم الدال على صحة الإسلام ؛ فيسلموا وليس ذلك مع عبدة الأوثان ؛ فلا يزدادون على الإمهال إلا شركا .

وهذه الآية ناسخة لما قبلها من قوله : ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾[سورة البقرة آية : ١٩١] .

الفرح(١)

انفتاح القلب بما يلتذ ، وقيل : هو لذة في القلب أعظم من ملاذ الحواس ، ورجل فرح إذا جعلته كالنسبة ، وفارح إذا بليته على القلب وفرحان ، وامرأة فرحانة ، وأفرحني الشيء ميزني ، وأفرحني إذا فرحني ، وهو من الأضداد ، وفي الحديث " لا يُتْرَكُ مُفْرِحٌ فِي الإِسْلامِ "(٢) ، فسروه المثقل بالتبن ، وقيل : مفرج بالجيم أيضا .

والفرح في القرآن ثلاثة أوجه :

الأول : البطر ، قال الله : ﴿لا تَفْرَحْ إِن اللهَ لا يُحِب الْفَرِحِينَ﴾[سورة القصص آية : ٧٦] ، ومثله : ﴿إِنهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[سورة هود آية : ١٠] ، ونظيره : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة غافر آية :٧٥] ، أي : تبطرون ، ولم يرد الفرح المباح مثل الفرح بالولد ، وسعة الرزق ، والزوجة الحسناء ، ونظائر هذا .

الثاني : الرضى ، قال الله : ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدنْيَا﴾ [سورة الرعد آية : ٢٦] ، أي : رضوا بها ، ومثله : ﴿كُل حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٣] ، أي : راضون ، وقال : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة غافر آية : ٨٣] ، أي : رضوا كذا .

قال بعض المفسرين ، ويجوز عندنا أن يكون أراد الفرح المعروف ، بل هو الصحيح ، ولا يجوز أن يعدل عما يقتضيه الظاهر إلا لضرورة .

---

(١) (ف ر ح) : فَرِحَ فَرَحًا فَهُوَ فَرِحٌ وَفَرْحَانُ وَيُسْتَعْمَلُ فِي مَعَانٍ أَحَدُهَا الأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وَالثَّانِي الرِّضَا وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ وَالثَّالِثُ السُّرُورُ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَيُقَالُ فَرِحَ بِشَجَاعَتِهِ وَنِعْمَةِ اللهُ عَلَيْهِ وَبِمُصِيبَةِ عَدُوِّهِ فَهَذَا الْفَرَحُ لَذَّةُ الْقَلْبِ بِنَيْلِ مَا يَشْتَهِي وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ . [المصباح المنير :الفاء مع الراء] .

(٢) أخرجه ابن سعد مرسلا في الطبقات الكبرى من حديث عامر الشعبي ج١/٢٣٨ ، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية (١٤٤٢) ، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٣٩٤٦) .

فقوله : ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾[سورة غافر آية : ٨٣] ، أي : لما جاءتهم الرسل لم تنظروا في أمرهم حق النظر ؛ فخفي عليهم الحق الذي جاءوا به ، فاستحقروه واستحسنوا ما كانوا فيه من الباطل ، وفرحوا به وسمي ما كانوا يعتقدونه من الجهل علما ؛ لأنه كان علما عند أنفسهم .

الثالث : الفرح بعينه ، قال الله : ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [سورة يونس آية : ٢٢] .

الفضل(١)

أصله من الزيادة ، وفضلة الشيء بقيته ؛ لأنها زادت على الكفاية ، وقيل : الفضائل ؛ لأنها زيادة في محاسن الإنسان والمفضل الثوب الذي تلبسه المرأة في بيتها ؛ لأنه زيادة على جملة ثيابها .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الإسلام ، قال الله : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [سورة يونس آية : ٥٨] ، وإنما سمي الإسلام فضلا ورحمة ؛ لأنه يؤدي إلى الفضل والرحمة .

الثاني : النبوة ، قال تعالى : ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء آية : ١١٣] ، ومثله أن فضله كان عليك كبير ، أو يجوز أن يكون أراد فضله عليه في النبوة ، أي : نعمته فيها عظيمة .

الثالث : الثواب ، قال : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بنعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾[سورة آل عمران آية :١٧١] ، وقوله : ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾[سورة النساء آية : ١٧٥] ، ويجوز أن يكون الفضل في هاتين الآيتين التفضل .

الرابع : الرزق ، قال الله : ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾[سورة الجمعة آية : ١٠] ، وقال : ﴿يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[سورة المزمل آية : ٢٠] ، فوضع التاجر مع المجاهدين دالا على فضل التجارة .

---

(١) (ف ض ل) : (الْفَضْلُ) الزِّيَادَة وَقَدْ غَلَبَ جَمْعُهُ عَلَى مَا لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى قِيلَ فُضُولٌ بِلَا فَضْلٍ وَسِنٌّ بِلَا سِنٍّ وَطُولٌ بِلَا طَوْلٍ وَعَرْضٌ بِلَا عِرْضٍ ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ يَشْتَغِل بِمَا لَا يَعْنِيهِ (فُضُولِيٌّ) وَهُوَ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاء مِنْ لَيْسَ بِوَكِيلٍ وَفَتْحُ الْفَاءِ فِيهِ خَطَأٌ (وَقَوْل عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ) فِيمَنْ يُجْعِلُ أَقَلَّ مِمَّا اجْتَعَلَ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَرَادَ الْفَضْلَ فَلَا بَأْسَ بِهِ يَعْنِي إِذَا لَمْ يَقْصِد بِمَا فَضَلَ مِنْهُ وَزَادَ أَنْ يَحْبِسَهُ لِنَفْسِهِ وَيَصْرِفَهُ إِلَى حَوَائِجِهِ وَيُقَالُ ثَوْبٌ فُضُلٌ وَامْرَأَةٌ فُضُلٌ أَيْ عَلَى ثَوْبٍ وَاحِدٍ مِلْحَفَةٍ وَنَحْوِهَا تَتَوَشَّحُ بِهِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ سَهْلَةَ فَيَرَانِي فُضُلًا وَأَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ فِي أَفْلَحَ وَأَنَا فِي ثِيَابٍ فُضُلٍ فَفِيهِ نَظَرٌ وَالْفُضُول فِي (رَبَّ) . [المغرب :الفاء مع الضاد] .

الخامس : الغنيمة ، قال الله : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ ﴾[سورة النساء آية : ٧٣] ، ومثله كثير .

السادس : الخلف ، قال تعالى : ﴿ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦٨] ، أي : مغفرة عند الصلاة ، والفضل الخلف مما أخرج في الصدقة .

السابع : اللطف ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[سورة النور آية :٢١] ، أي : لولا لطفه وتوفيقه لم تكونوا أزكياء .

والخطاب للمؤمنين وإذا فعل الإنسان ما يرضى به عنه سمي زاكيا وزكيا ، ومن ثم يقال للزرع إذا بلغ المبلغ الذي يريده الزارع ؛ أنه قد زكا ، : ﴿اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء آية :٤٩] ، أي : يفعل من يشاء من المكلفين ما يصير به مطيعا ؛ إذا كان في معلومه أنه يقبل ويصلح .

ويجوز أن يكون المراد أنه يخبر بصلاح من يشاء ، وفضله حتى يكون زكيا عند الخلق إذا كان كذلك .

الثامن : الجنة ، قال : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلا كَبِيرًا﴾[سورة الأحزاب آية : ٤٧] ، وقد خرج لنا وجه آخر وهو ، قوله : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ﴾[سورة النور آية : ٢٢] ، يعني : بالفضل الغنى ، أي : لا يحلف أحد منكم على منع ذوي القربى واليتامى والمساكين بره ؛ إذا كان له غنى وسعة ، والواسع الغني .

والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك أنه لما خاض يشطح مع أهل الأنكت في قذف عائشة رحمها الله حلف أبو بكر أن يمنعه بره وفضله ، وكان في عيال أبي بكر فنهاه الله عن ذلك فانتهى ، وعاد للإفضال عليه والبر له ، ويقال : الله واسع بمعنى أنه غني ، وللعبد موسع وقد أوسع مثل أيسر .

وقال أبو مسلم : ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي : لا تقصر عن إيتاء ذوي القربى وإلى الرجل بالواو واتلي ما تلي إذا قصر ، قال أبو مسلم : ولا تجيء يأتلي في اليمن ، إنما يقال فيها إلى يولي ، والأول قول جميع المفسرين .

الباب الحادي والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله قاف

قانتون(١)

القنوت : على وجوه أحدها الطاعة والآخر القيام في الصلاة ، وقيل يا رسول الله صلى الله عليه : أي : الصلاة أفضل ؟ قال : "طول القنوت "(٢) ، أي : طول القيام ، وهو الدعاء وهو الطلب أيضا ، قال زيد ابن أرقم : كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت : ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٨] فأمسكنا .

وهي في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السكوت ، وهو قوله تعالى : ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، وقيل : يعني : مطيعين والأول قول مجاهد ، وقال غيره : أي : دائمين على الطاعة والقنوت الدائم على الشيء ، وقال ابن عباس ، والحسن ، وعامر : هو للطلب ، وقال ابن عمر : طول القيام ، وقيل : هو الدعاء من قيام ، والداعي إذا كان قائما قانتا ، ويجوز أن يقع في جميع الطاعات لأنها لم تكن قياما على الرجلين فإنها قيام بالشيء نية وعملا ، والقنوت في كثير من آيات القرآن يدل على أنه إتمام الطاعة والصبر عليها ، قال الله : ﴿أَمنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[سورة الزمر آية : ٩] ، وقال : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُن لله وَرَسُولِهِ﴾[سورة الأحزاب آية : ٣١] ، قال : ﴿فَالصالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾[سورة النساء آية : ٣٤] يريد صبرهن على أزواجهن وقيامهن بطاعة الله .

---

(١) (ق ن ت) : الْقُنُوتُ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ قَعَدَ الدُّعَاءُ وَيُطْلَقُ عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﴿أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ﴾ وَدُعَاءُ الْقُنُوتِ أَيْ دُعَاءُ الْقِيَامِ وَيُسَمَّى السُّكُوتُ فِي الصَّلَاةِ قُنُوتًا وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى ﴿وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾ . [المصباح المنير :القاف مع النون] .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله (٧٥٧) ، والترمذي (٣٨٧) ، وابن ماجه (١٤٢١) ، وأحمد في مسنده (١٣٨٢١) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٠٩١) .

الثاني : الأقرار ، قال الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾[سورة البقرة آية : ١٦١] ، أي : مقرون بالعبودية كذا قيل ، ويجوز أن يكون بمعنى دوام الطاعة ، والمراد أن جميع ما في السماوات والأرض يشهد بربوبيته ، فكأنه يديم طاعته ، وفسر أيضا قوله : ﴿ وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٨] ، على أنه أراد مقرين .

الثالث : الصلاة ، قال الله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾[سورة الزمر آية : ٩] ، وروى عنه صلى الله عليه أنه قال : "مثل المجاهد مثل القانت الصائم "[1] ، أي : المصلي الصائم كذا قيل ، ويجوز أن يكون على الوجه الذي تقدم .

الرابع : الطاعة ، قال الله : ﴿ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ﴾[سورة الأحزاب آية : ٣٥] ، ومثله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٠] ، أي : مطيعا كذا جاء في التفسير ، وهو وجه .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري (٢٧٨٧) ، ومسلم (١٨٨١) ، والترمذي (١٦١٩) ، والنسائي (٣١٢٤) ، وأحمد في مسنده (٩١٩٧) ، ومالك في الموطأ برواية يحيى الليثي (٩٧٣) .

القوة(١)

أصلها التعاون ، ومنه قوي الحبل ، لأن كل واحدة منها تعين الأخرى ، وكل طاقة من الحبل قوة ، واستعمالها في صفات الله بمعنى أن أحدا لا يغلبه ، وليس معناه التعاون كما أن أصل التوبة في اللغة الرجوع ، تاب يتوب إذا رجع وكذلك تائبون ، وقولنا : ﴿اللهُ تَوَّابٌ﴾[سورة النور آية : ١٠ ، الحجرات : ١٢] ، ليس يعني : به الرجوع .

والقوة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : العدة ، قال : ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾[سورة هود آية : ٥٢] ، أي : عدة إلى عدتكم ، وذلك أن العدة تعبر على مغالبة العدو ، وقال : ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[سورة الكهف آية : ٩٥] ، أي : بعدد من الرجال ، والمراد أن فيما أعطاني الله من المال كفاية في بناء هذا السد ، ولكن ينبغي أن تعينوني بأنفسكم ليتعجل العمل ويقع الفراغ منه بسرعة ، والخير في هذه الآية الكفاية ، والناس يقولون : فلان بخير في كفاية ، وقيل : خير أي : خير لكم من خرجكم .

الثاني : الجد ، قال الله : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[سورة البقرة آية : ٦٢] ، أي بجد ، ومثله : ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[سورة مريم آية : ١٢] ، أي : بجد ، وقيل معناه أي : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٦٣ ، ٩٣ ، الأعراف : ١٧١] ، من المقدرة وفي هذا دليل على أن القدرة على الأخذ معهم أخذوا أم لم يأخذوا .

الثالث : البطش ، قال الله : ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَد مِنا قُوَّةً﴾[سورة فصلت آية : ١٥] ، يعني : البطش ، والبطش الأخذ بالشدة والغلبة ، ويجوز أن يكون بمعنى القدرة ، أي : من أقدر منا على الامتناع مما يراد بنا ، ويجوز أن تكون القوة هنا العدة أيضا .

---

(١) (ق و ي) : قَوِيَ يَقْوَى فَهُوَ قَوِيٌّ وَالْجَمْعُ أَقْوِيَاءُ وَالِاسْمُ الْقُوَّةُ وَالْجَمْعُ الْقُوَى مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَقَوِيَ عَلَى الْأَمْرِ وَلَيْسَ لَهُ بِهِ قُوَّةٌ أَيْ طَاقَةٌ وَالْقَوَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ الْقَفْرُ وَأَقْوَى صَارَ بِالْقَوَاءِ وَأَقْوَتْ الدَّارُ خَلَتْ . [المصباح المنير :القاف مع الواو] .

الرابع : السلاح وهو راجع إلى معنى الصفة ، قال الله : ﴿ وَأَعِدوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوةٍ ﴾[سورة الأنفال آية : ٦٠] ، أي : من سلاح ، والدليل على هذا ما يتلوه من ذكر الخيل ، وذلك أن الخيل يذكر مع السلاح ، وليس يجوز أن يقال أن المراد بها القدرة ؛ لأنهم لا يقدرون على فعل القدرة لأنفسهم .

الخامس : الشدة ، قال الله : ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوةِ ﴾[سورة القصص آية : ٧٦] ، وتنوء بالعصبة ، أي : تغلبهم ولو ناءوا بها لكانوا قد حملوها ولكن هي نأت بهم ، أي : ارتفعت بهم فلم يطيقوها .

القضاء[1]

الحتم ، ومنه أصله ، قيل القاضي لأنه يحتم على الناس الأمور ، ثم قيل : لكل شيء الحتمة ، وفرغت منه قد قضيته ، قال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاود أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغَ تُبَّعُ

وذلك أن من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه ، والقضاء تأدية الفرض ، ومنه قضاء الدين ، وحد القضاء في اللغة فصل الأمر وإبرامه وبلوغ آخره على التمام والإحكام ، ومنه قوله للموت : قضاء الله لأنه آخر أمر الدنيا ، ومنه قوله : ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[سورة الحاقة آية : ٢٧] ، ومنه التقضي والانقضاء .

وهو في القرآن على اثنى عشر وجها :

الأول : الأمر ، قال الله : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾[سورة الإسراء آية : ٢٢] ، أي : أمر أن نعبد الله وحده ، وفي هذا بطلان قول من يقول : أنه قضى أن نعبد الشيطان ، وقيل : فرض ، وهو قريب من الأول ، ولا يقال قضاء إلا فيما كان لازما من الفروض ؛ فأما النوافل فلا يقال فيها القضاء .

الثاني : بمعنى العلم ، قال الله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ﴾ [سورة القصص آية : ٤٤] ، أي : أعلمناه ، وإذا قلت : قضيت إليك ، فهو بمعنى العلم ، وقضيت عليك بمعنى الحكم ، ومثله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ [سورة الحجر آية : ٦٦] ، ثم فسر ما الأمر ، وقال : ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[سورة الحجر آية : ٦٦] ، كأنه قال : وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع ، ومثله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤] ، أي : أعلمناهم ذلك ، ويجوز

---

(١) (ق ض ي) : (قَضَى) الْقَاضِي لَهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ قَضَاءً وَقَاضَيْتُهُ حَاكَمْتُهُ (وَفِي حَدِيثِ) الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعُودَ أَيْ صَالَحَهُمْ (وَقَاضِي) الْحَرَمَيْنِ هُوَ أَبُو الْحُسَيْنِ تِلْمِيذُ الْكَرْخِيِّ وَأَبِي طَاهِرٍ الدَّبَّاسِ هَكَذَا فِي كِتَابِ الْفُقَهَاءِ وَاسْمُ الْقَاضِي فِي الْخُنْثَى عَامِرُ بن الظَّرِبِ الْعَدْوَانِيُّ وَقِصَّتُهُ مُسْتَقْصَاةٌ فِي الْمُغْرِبِ (وَقَضَيْتُ) دَيْنَهُ وَتَقَاضَيْتُهُ دَيْنِي وَبِدَيْنِي وَاسْتَقْضَيْتُهُ طَلَبْتُ قَضَاءَهُ وَاقْتَضَيْتُ مِنْهُ حَقِّي أَخَذْتُهُ . [المغرب :القاف مع الضاد] .

أن يكون القضاء في هذه الآيات بمعنى الوحي ؛ فقوله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بني إِسْرَائِيلَ﴾[سورة الإسراء آية : ٤] ، أي : أوحينا إلى أنبيائهم .

الثالث : الإتمام والفراغ ، قال الله : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، أي : أتممتموها وفرغتم منها ؛ : ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، أي : لا تقطعوا ذكره لفراغكم من متعبداتكم ، وكانت العرب إذا أرادت الصدر عن الحج وقفت بين المسجد والجبل بمنى فذكرت محاسن آباءها ومناقبهم ، فأمر الله أن يذكروه ويثنوا عليه كذكرهم آباءهم ، ثم قال : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] ، وأراد بل أشد ذكرا ، لأن نعم الله عليهم أكثر من نعم غيرهم ، ووقوع أو موقع بل معروف ، ومنه قوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾[سورة الصافات آية : ١٤٧] ، أي : بل يزيدون .

وقال بعضهم : أو يزيدون عندكم ، ومثله : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاةَ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ، ونظيره : ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩] ، أي : فلما فرغ النبي صلى الله عليه من قراءة القرآن .

الرابع : بمعنى الفعل ، قال الله : ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[سورة طه آية : ٧٢] ، أي : افعل ما أنت فاعل ، : ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدنْيَا﴾[سورة طه آية : ٧٢] ، والحياة نصب على الظرف ، ويجوز أن يكون القضاء هنا الحكم أي : احكم فينا بما أنت حاكم ، وقال : ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾ [سورة الأنفال آية : ٤٢] .

الخامس : بمعنى الإرادة ، قال الله : ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[سورة غافر آية : ٦٨] ، أي : إذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون ، أي : إذا أراد أمرا لم يتعذر عليه فعله ، وليس هناك قول ، وإنما هو عبارة عن إيجاده الفعل من غير تعذر إذا لم يحتمل الكلام على هذا المعنى فسد ؛ لأنه لا يجوز أن يخاطب المعدوم ، ولا يجوز أن تقول للموجود كن ؛ لأنه كان ، وإنما هو كقول الشاعر :

قال جناحاه ليسا فيها جفاء

ولم يكن هناك قول ، بل هو إخبار عن سرعة اللحاق .

السادس : بمعنى الموت ، قال : ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[سورة الزخرف آية : ٧٧] ، أي : ليمتنا ، ومثله قوله : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[سورة القصص آية : ١٥] ، ومثله : ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[سورة الحاقة آية : ٢٧] .

السابع : بمعنى الوجوب ، قال الله : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[سورة مريم آية : ٣٩] ، أي : وجب العذاب ، وقال : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، والوجوب هنا الوقوع ؛ لأن العذاب كان وجب عليهم في الدنيا ، وإنما يقع في الآخرة .

الثامن : الكتاب ، قال الله : ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيا﴾[سورة مريم آية : ٢١] ، أي : مكتوب في اللوح المحفوظ ، ويجوز أن يكون أمرا مقتضيا ، أي : مقدرا مفروغا .

التاسع : قضى بمعنى أتم ، قال : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾[سورة القصص آية : ٢٩] ، أي : أتم الشرط المشروط إلى الأجل ، ومثله : ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[سورة طه آية : ١١٤] ، أي : من قبل أن يتم جبريل صلوات الله عليه قرآنه عليك .

العاشر : قضى بمعنى فصل ، قال الله : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَق﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩] ، وقال : ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[سورة الأنعام آية : ٥٨] ، ونظيره : ﴿إِن رَبكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٧] .

الحادي عشر : قضى بمعنى خلق ، قال الله : ﴿فَقَضَاهُن سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[سورة فصلت آية : ١١] ، أي : فخلقهن ، ويجوز أن يقال : أتم خلقهن فيكون على الأصل .

الثاني عشر : قضى بمعنى حكم ، قال تعالى : ﴿وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَق﴾[سورة غافر آية : ٢٠] ، وقريب منه ، قوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا للهِ يَقْضِي الْحَق﴾[سورة الأنعام آية : ٥٧] .

وفي هذا دليل على أنه لم يقض الكفر ؛ لأنه ليس حق فقد قال : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَق ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، فدل على أن قتلهم ليس من قضائه لإخباره أنه لا يقضي إلا بالحق ، وإن زعموا أن قتلهم من قضائه لزمهم أن يقولوا أن قتلهم حق ؛ لأن قضاءه حق .

وقرئ ﴿ يقضي الحق ﴾ ، ويقضي أجود هنا ، لقولنا : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لله ﴾[سورة يوسف آية : ٤٠ ، ٦٧ ، الأنعام : ٥٧] ، والحكم والقضاء واحد ، وجميع هذه الوجوه راجع إلى ما قلنا من الأحكام ، والفراغ من نفس الشيء أو حكمه أو الخبر عنه .

القدر[1]

القدر هو وجود الأفعال على مقدار الحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله ؛ كان القدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه ، والمقدر للفعل هو الموجب له على ذلك الوجه .

وأصل القدر في العربية التوسط بين العلو والتقصير ، ومن ثم قيل : للقدرة قدرة ؛ لأن الفعل يقع على قدره ، وقيل : هذا على قدر ذلك ، وقدره أي : غير فاصل عنه ولا مقصر دونه ، ومنه قيل : القدر لأنك تطبخ فيها الطبيخ بقدر ما تحتاج إليه ، أو بقدر ما تسعه .

وسمي قدر الله قدرا لأنه يقع على قدر المصالح ، لا فضل ولا نقصان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُل شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[سورة القمر آية : ٤٩] ، أي : هو على قدر الصلاح .

وقال بعضهم : أصل القدر هو وجود الفعل على مقدار ما أراده الفاعل وحقيقته في أفعال الله وجودها على قدر المصالح ، وأما قوله : ﴿ وَخَلَقَ كُل شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[سورة الفرقان آية : ٢] ، فإن اللفظ عام ، والمعنى خاص ؛ لأن المعاصي لم تدخل فيه ، والشاهد قوله : ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُل شَيْءٍ ﴾[سورة النمل آية : ٨٨] ، والباطل ليس بمتقن .

والدليل على أن كل تجيء لغير معنى الإحاطة ، قوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُل شَيْءٍ ﴾[سورة النمل آية : ٢٣] ، ونحن نعلم أنها لم تؤت لحية ، وقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُل شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[سورة الكهف آية : ٨٤] ، وهو القدر ، والقدر ، ثم استعمل في التقصير فقيل : قدر فلان على نفسه مثل قتر ونحوه ، : ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٧] ، أي : ظن أن لن نضيق عليه ؛ كقوله : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ، ومنه : ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ ﴾ [سورة الطلاق آية : ٧] ، أي : ضيق عليه .

ومن ذلك قولهم : رجل أقدر ، إذا كان قصير العنق ؛ وجاء أيضا في الزيادة ، فقيل : فرس أقدر للذي تتقدم موقع رجله موقع يده ، والخبر السابق بما يكون قدرة أيضا إذا كان

---

(١) [قدر] : القَدَرُ : القضاء الموفق ، يقال : قَدره الله تقديراً . وإذا وافق الشيء شيئاً قيل : جاء على قَدَرِه . والقَدَرِيّة : قوم يكذبون بالقَدَرِ . [العين :قدر] .

المخبر عنه ، ويكون على مقدار ما تقدم به الخبر ، ومنه قوله : ﴿إِلا امْرَأَتَهُ قَدرْنَا إِنهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[سورة الحجر آية : ٦٠] ، أي : أخبر عن ذلك ، بقوله : ﴿إِلا امْرَأَتَكَ إِنهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾[سورة هود آية : ٨٠] ، ومنه ، قول العجاج :

وأعلم بأن ذا الجلال قد قدر

أي أخبره ، وقيل : قدر وقدر لغتان بمعنى واحد ، وقرئ : ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [سورة المرسلات آية : ٢٣] ، بالتثقيل فجمع بين اللغتين ، [كما] قال الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

والصحيح أن قدر الشيء بالتشديد و في تكرير الفعل ، وقيل : التخفيف بمعنى القدرة والملك ، ومعنى قولهم : المقدور كائن ، أن ما أخبر الله بكونه كائن ؛ وليس أن المعنى المخلوق كائن ؛ لأن ذلك لا يشك فيه .

والقدر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الأمر والحكم ، قال الله : ﴿وَالذِي قَدرَ فَهَدَى﴾[سورة الأعلى آية : ٣] ، يعني : أنه أمر في الزاني بالرجم ، وفي القاذف بالجلد ، وفي السارق بالقطع ، وفي القاتل بالقتل ، وهدى بذلك إلى ما فيه نجاة الخلق .

وفي هذا دليل على أن المعصية ليست من قدر الله ، لقوله : ﴿قَدرَ فَهَدَى﴾[سورة الأعلى آية : ٣] ، ولم يقل : قدر فأضل وأعمى .

الثاني : الخلق على قدر ، قال تعالى : ﴿وَاللهُ يُقَدرُ الليْلَ وَالنهَار﴾[سورة المزمل آية : ٢٠] ، أي : يخلق كل واحد منهما بعد الآخر على قدر لا زيادة ولا نقصان .

وقال : ﴿وَالشمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَر لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[سورة يس آية : ٣٨] ، أي : ذلك خلقه كذا قيل ، ويجوز أن يكون المعنى أنه قدر سيرها تقديرا لا يتفاوت .

الثالث : التسوية ، قال الله : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[سورة يس آية : ٣٩] أي : سوينا له منازل ينزل فيها حالا بعد حال ، وهو راجع إلى الخلق كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد إنا قدرنا سيره في المنازل تقديرا لا يتفاوت .

قال أبو علي رحمه الله : القدر على وجهين :

أحدهما : أن يفعل الله الشيء مقدرا ، والآخر : أن يقدر لخلقه بأن يعرفهم مقداره ووقت كونه ؛ كقولك لصاحبك : كم تقدر مقامك بالبلد ؟ وللخياط : ما يقدر أن تعطني الثوب ، ومعنى ذلك أن يعرفك مقداره .

قليل(١)

القليل ما يقصر عن الكفاية ، وهو قل بمعنى قليل ، والقل أيضا القلة مثل النحل والنحلة ، والعذر والعذرة ، وقيل : قل فعل ولهذا جاء فاعله على فعيل ، مثل كرم ، وهو كريم ، وكثر وهو كثير ، وقيل هو فعل إلا أنه دخله معنى المبالغة فجاء فاعله على فعيل ، كما قيل : حرص وهو حريص وهذا هو الصحيح ، ويقال : هؤلاء قوم قليل وقليلون وكثير ، ولم يجيء كثيرون .

والقليل في القرآن على ثلاثة أوجه فيما ذكروا وبعضها عندنا داخل في بعض :

الأول : بمعنى اليسير ، قال : ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾[سورة آل عمران آية : ١٨٧] ، أراد أن أهل الكتاب تركوا العمل بكتابهم وكتموا ما يدل منه على نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله ، لعرض نالوه من عرض الدنيا وذلك قليل .

الثاني : بمعنى الرياء فيما جاء عن بعضهم ، وهو قوله : ﴿وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلا﴾(٢) [سورة النساء آية : ١٤٢] ، وهو والأول عندنا سواء ، والمراد أن المنافقين يذكرون الله إذا لقوا المؤمنين فذكرهم له قليل بالإضافة إلى ذكر المؤمنين له ؛ لأن المؤمنين يذكرونه على كل حال .

---

(١) الفرق بين القليل واليسير : أن القلة تقتضي نقصان العدد يقال قوم قليل وقليلون وفي القرآن " لشرذمة قليلون " يريد أن عددهم ينقص عن عدة غيرهم وهي نقيض الكثرة وليس الكثرة إلا زيادة العدد وهي في غيره إستعارة وتشبيه ، واليسير من الاشياء ما يتيسر تحصيله أو طلبه ولا يقتضي ما يقتضيه القليل من نقصان العدد ألا ترى أنه يقال عدد قليل ولا يقال عدد يسير ولكن يقال مال يسير لان جمع مثله يتيسر فإن استعمل اليسير في موضع القليل فقد يجري إسم الشئ على غيره إذا قرب منه . [الفروق اللغوية :١/ ٤٣٤] .

(٢) قال أبو جعفر : أما قوله :"ولا يذكرون الله إلا قليلا" ، فلعل قائلا أن يقول : وهل من ذكر الله شيء قليل ؟

قيل له : إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت : ولا يذكرون الله إلا ذكر رياء ، ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلبَ الأموال ، لا ذكر موقن مصدّق بتوحيد الله ، مخلص له الربوبية . فلذلك سماه الله "قليلا" ، لأنه غير مقصود به الله ، ولا مبتغًي به التقرّب إلى الله ، ولا مرادٌ به ثواب الله وما عنده . فهو ، وإن كثر ، من وجه نَصَب عامله وذاكره ، في معنى السراب الذي له ظاهرٌ بغير حقيقة ماء . [جامع البيان :٩/ ٣٣١] .

الثالث : النفي ، قال الله : ﴿ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٨] ، أي : لا يؤمنون ولا يشكرون أصلا ؛ لأنه في صفة الكفار ، والعرب تقول :

قَلَّتْ حِيلَتِي فِي كَذَى إِذَا لقيت

وقال شاعرهم :

مَنْ كَانَ يكذبُ مَا يقُولُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

أي ليس لي فيه حيلة .

القتل(١)

إماته الحركة ، وقيل : قتلت هذا الشيء علما إذا بلغت أقصى العلم به ، وناقة ذات قتال وكتال إذا كانت ذات خلق ، والفرق بين القتل والذبح ، أن الذبح عمل معلوم ، والقتل ليس بمعلوم ، ولهذا قال أصحابنا : إن استأجر الرجل رجلا على قتل رجل قصاصا ؛ إن ذلك لا يصح وإن استأجر على ذبح شاة صح .

والقتل في القرآن على وجهين :

الأول : القتل بعينه ، قال : ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[سورة البقرة آية : ١٩١ ، النساء : ٩١] .

الثاني : اللعن ، قال الله : ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[سورة عبس آية : ١٧] ، ومثله : ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[سورة المدثر آية : ١٩] ، أي : لعن ، كيف قدر الباطل على النبي صلى الله عليه وعلى آله ، فقال : إنه ساحر .

---

(١)(ق ت ل) : قَتَلْتُهُ قَتْلًا أَزْهَقْتُ رُوحَهُ فَهُوَ قَتِيلٌ وَالْمَرْأَةُ قَتِيلٌ أَيْضًا إذَا كَانَ وَصْفًا فَإِذَا حُذِفَ الْمَوْصُوفُ جُعِلَ اسْمًا وَدَخَلَتْ الْهَاءُ نَحْوُ رَأَيت قَتِيلَةَ بَنِي فُلَانٍ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا قَتْلَى وَقَتَلْتُ الشَّيْءَ قَتْلًا عَرَفْتُهُ وَالْقِتْلَةُ بِالْكَسْرِ الْهَيْئَةُ يُقَالُ قَتَلَهُ قِتْلَةَ سُوءٍ وَالْقَتْلَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ وَقَاتَلَهُ مُقَاتَلَةً وَقِتَالًا فَهُوَ مُقَاتِلٌ بِالْكَسْرِ اسْمُ فَاعِلٍ وَالْجَمْعُ مُقَاتِلُونَ وَمُقَاتِلَةٌ وَبِالْفَتْحِ اسْمُ مَفْعُولٍ وَالْمُقَاتَلَةُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ فِي الْقِتَالِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ وَاقِعٌ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ وَعَلَيْهِ فَهُوَ فَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَعِبَارَةُ سِيبَوَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ بَابُ الْفَاعِلَيْنِ وَالْمَفْعُولَيْنِ اللَّذَيْنِ يَفْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ بِصَاحِبِهِ مَا يَفْعَلُهُ صَاحِبُهُ بِهِ وَمِثْلُهُ فِي جَوَازِ الْوَجْهَيْنِ الْمُكَاتَبُ وَالْمُهَادَنُ وَهُوَ كَثِيرٌ وَأَمَّا الَّذِينَ يَصْلُحُونَ لِلْقِتَالِ وَلَمْ يَشْرَعُوا فِي الْقِتَالِ فَبِالْكَسْرِ لَا غَيْرُ لِأَنَّ الْفِعْلَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَكُونُوا مَفْعُولِينَ فَلَمْ يَجُزْ الْفَتْحُ وَالْمَقْتَلُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالتَّاءِ الْمَوْضِعُ الَّذِي إذَا أُصِيبَ لَا يَكَادُ صَاحِبُهُ يَسْلَمُ كَالصُّدْغِ وَتَقَتَّلَ الرَّجُلُ لِحَاجَتِهِ تَقَتُّلًا وِزَانُ تَكَلَّمَ تَكَلُّمًا إذَا تَأَتَّى لَهَا . [المصباح المنير :القاف والتاء] .

القول[1]

عبارة عن جملة ما يتكلم به المتكلم على سبيل الحكاية ، والكلام عبارة عن جنس ما يتكلم به موجودا كان أو معدوما ، ومبتدأ أو محكيا ، وقد شرحنا هذا المعنى في التفسير .

ويقال : قال يقول من القول ، وقال يقيل من القيلولة ، والقيل دون الملك الأعظم والجمع أقيال ، والقيل شرب ونصف النهار ، وقد أقتال الرجل إذا صار قيلا ، واقتال شرب قيلا ، وكل ما يجيء بعد القول فهو مرفوع إلا أن يكون من القول ، تقول : قلت اليوم طيب فترفع ، لأن اليوم ليس من القول ، وتقول : قلت كلاما حسنا ، وقلت خيرا ؛ لأن الخير يقال ، ولا تقول : قلت ثوبا جديدا ؛ لأن الثوب ليس مما يقال .

والقائل في القرآن على وجهين :

الأول : فاعل القول ، قال تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾[سورة الصافات آية : ٥١] .

الثاني : من القيلولة ، قال : ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤] ، [أي] نائمون في أنصاف النهار .

(١)(ق و ل) : قَالَ يَقُولُ قَوْلًا وَمَقَالًا وَمَقَالَةً وَالْقَالُ وَالْقِيلُ اسْمَانِ مِنْهُ لَا مَصْدَرَانِ قَالَهُ ابْنُ السِّكِّيتِ وَيُعْرَبَانِ بِحَسَبِ الْعَوَامِلِ .
وَقَالَ فِي الْإِنْصَافِ : هُمَا فِي الْأَصْلِ فِعْلَانِ مَاضِيَانِ جُعِلَا اسْمَيْنِ وَاسْتُعْمِلَا اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ وَأُبْقِيَ فَتْحُهُمَا لِيَدُلَّ عَلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ قَالَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا فِي الْحَدِيثِ ﴿ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قِيلَ وَقَالَ ﴾ بِالْفَتْحِ وَحَدِيثٌ مَقُولٌ عَلَى النَّقْصِ وَتَقَوَّلَ الرَّجُلُ عَلَى زَيْدٍ مَا لَمْ يَقُلْ ادَّعَى عَلَيْهِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ . [المصباح المنير :القاف مع الواو] .

القائم

أصل القيام الاستواء ومنه ، قام الشيء لاستوائه منتصبا ، وقومه سواه ، وقاومه استوى معه في القول أو الخصومة ، وقامت السوق لاستوائها في البيع والشراء ، وأقام أرزاق الجند ؛ إذا أجراها على استواء ، وأقام الوزن سواه وعدله ، وقوم الثوب إذا ذكر ما يساويه من الثمن ، وأقام بالمكان يرجع إلى هذا .

والقائم في القرآن على وجهين :

الأول : بمعنى المديم للفعل ، قال الله : ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾(١) [سورة آل عمران آية : ١٨] ، أي : مديم لفعله ، والقسط العدل ونحوه : ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٥] ، أي : مديما للتقاضي .

الثاني : القائم خلاف القاعد ، قال الله : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[سورة آل عمران آية : ١٩١] .

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿قَآئِماً بالقسط﴾ ففيه مسائل : المسألة الأولى : ﴿قَآئِماً بالقسط﴾ منتصب ، وفيه وجوه : الوجه الأول : نصب على الحال ، ثم فيه وجوه أحدها : التقدير : شهد الله قائماً بالقسط وثانيها : يجوز أن يكون حالا من هو تقديره : لا إله إلا هو قائماً بالقسط ، ويسمى هذا حالاً مؤكدة كقولك : أتانا عبد الله شجاعاً ، وكقولك : لا رجل إلا عبد الله شجاعاً .

الوجه الثاني : أن يكون صفة المنفي ، كأنه قيل : لا إله قائماً بالقسط إلا هو ، وهذا غير بعيد لأنهم يفصلون بين الصفة والموصوف . والوجه الثالث : أن يكون نصباً على المدح .

فإن قيل : أليس من حق المدح أن يكون معرفة ، كقولك ، الحمد لله الحميد . قلنا :.وقد جاء نكرة أيضاً ، وأنشد سيبويه :

ويأوي إلى نسوة عطل *** وشعثاً مراضع مثل السعالي

المسألة الثانية : قوله ﴿قَآئِماً بالقسط﴾ فيه وجهان الأول : أنه حال من المؤمنين والتقدير : وأولوا العلم حال كون كل واحد منهم قائماً بالقسط في أداء هذه الشهادة والثاني : وهو قول جمهور المفسرين أنه حال من ﴿شَهِدَ الله﴾ . المسألة الثالثة : معنى كونه ﴿قَآئِماً بالقسط﴾ قائماً بالعدل ، كما يقال : فلان قائم بالتدبير ، أي يجريه على الاستقامة . [مفاتيح الغيب :٤/ ١٤٤] .

الباب الثاني والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله كاف

الكتب(١)

أصل الكتب الجمع ، والكتيبة العسكر الذي قد تكتب ، أي : تجمع ، وقيل : هي الذي اجتمع فيها ما تحتاج إليه للحرب ، وكتبت البغلة جمعت بين أشعرها بحلقة ، والكتبة الخرزة لأنها تجمع من طرفي الأديم ، وسمي الكتاب كتاباً ؛ لأنه جمع الحروف والمعاني ، والكتب أيضا الخلق ، قال الهذلي :

كتب البياض لها وثور لونها فعيونها حتى الحواجب سود

أي خلقن بيضا وعيونها وحواجبها سود ، ولما كان في خلقها بياض وسواد عبر عن ذلك بالكتب تشبيها ، ويقولون : كتب الله عليكم السلامة ، أي : خلقها لكم .

---

(١) (ك ت ب) : (كَتَبَهُ) كَتْبَةً وَكِتَابًا وَكِتَابَةً وَقَوْلُهُ وَإِذَا كَانَتْ السَّرِقَةُ صُحُفًا لَيْسَ فِيهَا كِتَابٌ أَيْ مَكْتُوبٌ (وَفِي حَدِيثِ أُنَيْسٍ) وَاحْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَيْ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ مِنْ كَتَبَ عَلَيْهِ كَذَا إذَا أَوْجَبَهُ وَفَرَضَهُ (وَمِنْهُ) الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ فَقِيلَ الْمُرَادُ قَوْله تَعَالَى ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ إلَى أَنْ قَالَ وَمَوَالِيكُمْ فِيهِ أَنَّهُ نَسَبَهُمْ إلَى مَوَالِيهِمْ كَمَا نَسَبَهُمْ إلَى آبَائِهِمْ فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ التَّحَوُّلُ عَنْ الْآبَاءِ لَمْ يَجُزْ عَنْ الْأَوْلِيَاءِ وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِكِتَابِ اللَّهِ قَضَاؤُهُ وَحُكْمُهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ (وَأَكْتَبَ الْغُلَامَ وَكَتَّبَهُ) عَلَّمَهُ الْكِتَابَ (وَمِنْهُ) سَلَّمَ غُلَامَهُ إلَى مُكَتِّبٍ أَيْ إلَى مُعَلِّمِ الْخَطِّ رُوِيَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (وَأَمَّا الْمَكْتَبُ) وَالْكُتَّابُ فَمَكَانُ التَّعْلِيمِ وَقِيلَ الْكُتَّابُ الصِّبْيَانُ (وَكَاتَبَ) عَبْدَهُ مُكَاتَبَةً وَكِتَابًا قَالَ لَهُ حَرَّرْتُكَ يَدًا فِي الْحَالِ وَرَقَبَةً عِنْدَ أَدَاءِ الْمَالِ (وَمِنْهُ) قَوْله تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ وَقَدْ يُسَمَّى بَدَلُ الْكِتَابَةِ مُكَاتَبَةً وَأَمَّا الْكِتَابَةُ فِي مَعْنَاهَا فَلَمْ أَجِدْهَا إلَّا فِي الْأَسَاسِ وَكَذَا تَكَاتَبَ الْعَبْدُ إذَا صَارَ مُكَاتَبًا وَمَدَارُ التَّرْكِيبِ عَلَى الْجَمْعِ (وَمِنْهُ كَتَبَ النَّعْلَ وَالْقِرْبَةَ) خَرَزَهَا (وَالْكُتْبُ الْخُرَزُ) الْوَاحِدَةُ كُتْبَةٌ (وَمِنْهُ كَتَبَ الْبَغْلَةَ) إذَا جَمَعَ بَيْنَ شُفْرَتَيْهَا بِحَلْقَةٍ (وَالْكَتِيبَةُ) الطَّائِفَةُ مِنْ الْجَيْشِ مُجْتَمِعَةً (وَبِهَا سُمِّيَ) أَحَدُ حُصُونِ خَيْبَرَ (وَقَوْلُهُمْ) سُمِّيَ هَذَا الْعَقْدُ مُكَاتَبَةً لِأَنَّهُ ضَمُّ حُرِّيَّةِ الْيَدِ إلَى حُرِّيَّةِ الرَّقَبَةِ أَوْ لِأَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ نَجْمَيْنِ فَصَاعِدًا ضَعِيفٌ جِدًّا وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا هَذَا الْوَفَاءَ وَهَذَا الْأَدَاءَ . [المغرب :الكاف مع التاء] .

وكتب قدر والمكتوب بمعنى معلوم وبمعنى محدد ، قال أبو عبيدة : كتب قضى ، وكتب حفظ .

والكتب في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الفرض ، قال الله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ﴾[سورة البقرة آية : ١٧٩] ، أي : فرض ، وإنما جعل الفرض كتبا ؛ لأنه فرضه في الكتاب وهو في القرآن ، ومثله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيَامُ ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٣] ، ومثله كثير .

الثاني : كتب قضى ، قال الله : ﴿ لأَغْلِبَنَ أَنَا وَرُسُلِي ﴾[سورة المجادلة آية : ٢١] ، ومثله : ﴿ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾[سورة التوبة آية : ٥١] ، ومثله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾[سورة الحج آية : ٤] أي : قضى وبين ؛ لأن كل من تولاك ضال ، وقال : ﴿ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾[سورة آل عمران آية : ١٥٤] ، أي : قضى وذلك أن الله يقضي عليهم بالموت عند القتل لا محالة ، فجعل القتل من قضائه لأنه سبب لما يقضيه ، وهو الموت .

وليس ذلك بموجب أن يكون الذين قتلوا المؤمنين كانوا لا يقدرون على أن يقتلوهم ؛ لأنهم لو كانوا كذلك ما نهاهم الله عن قتلهم ، ولكن كان في المعلوم أنهم سيختارون قتلهم مع قدرتهم على تركه ؛ كما أن ما كتب أو أخبر أنه سيفعله فهو سكون لا محالة ، وأن الله قادر على أن لا يفعله .

ونزلت هذه الآية في قصة أحد لما أصيب بها المسلمون ، فقال المنافقون : لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا ، أي : لو كان ما يزعمه محمد حقا ما قتل إخواننا هاهنا ؛ يعنون السلطان والغلبة ، فجعل قتل إخوانهم وأوليائهم قتلا لهم ، لأنهم منهم فأجابهم الله بقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾[سورة آل عمران آية : ١٥٤] ، أي : لو قعد ثم في بيوتكم أراده السلامة لخرج منكم الذين كتب الله ؛ وعلم أنهم يقتلون إلى مضاجعهم ، أي : مصارعهم ، ولم يرد القتل عنهم قعودكم ، لأن خلاف ما علمه لا يكون .

الثالث : الجعل ، قال الله : ﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[سورة آل عمران آية : ٥٣ ، المائدة : ٨٣] ، أي : اجعلنا ، ويجوز أن يكون فاكتبنا مع الشاهدين في اللوح المحفوظ ؛ لأن كل شيء يفعله الله مكت فيه ، وقال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[سورة الأعراف آية : ١٥٦] ، أي : سأجعلها ، وقيل أتشاهدون أمة محمد صلى الله عليه ، المؤمنون الذين يشهدون على الناس بأعمالهم ، ويجوز أن يكونوا الأنبياء لأنهم يشهدون على أممهم بما شاهدوا من أعمالهم ، وقيل : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٦] ، أي : سأجمعها وذلك أن رحمته ونعمته قد عمت الكافر والمؤمن في الدنيا ، وهو في الآخرة مجموعة للمؤمنين .

الرابع : الأمر ، قال الله : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾[سورة المائدة آية : ٢١] ، أي : أمركم بدخولها .

الخامس : الكتب المعروف ، قال الله : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾[سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : اكتبوا مبلغ الدين ؛ لأن لا ينسى ، ومبلغ الأجل لأن لا يزاد فيه أو ينقص ، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن هاهنا ندب وإرشاد إلى الأحوط .

وقد نقلت الأمة عقود المداينات والبياعات بغير إشهاد ولا نكير من الفقهاء .

وروي عن ابن جبير ، وعطاء ، وإبراهيم : أن الإشهاد على كتب المداينات والبياعات وقليلها واجب ، وليس ذلك بمعمول عليه .

وعن الحسن ، والشعبي : أن الشهادة والكتب كانا واجبين فنسخا ، بقوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾[سورة البقرة آية : ٢٨٣] .

وقال ابن عباس : لم ينسخ ذلك ، وأما قوله : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٥٤] ، فمعناه أنه حكم بها وأوجبها على نفسه ، وقال : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾[سورة المجادلة آية : ٢٢] ، أي : علامة الإيمان ، كما قال : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾[سورة البقرة آية : ٩٣] ، أي : حب العجل ، فحذف .

وكان بنان بن سمعان يذهب إلى أن الله كتب على وجهه وسائر أعضائه الرحمة ، ويذهب إلى أنه ليس في كلام الله مجاز ، وكان يقول أن الله يفني سائره ويبقى وجهه ، لقوله تعالى : ﴿ كُل شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص آية : ٨٨] .

الكفر(١)

أصله التغطية ، ويقال : لليل كافر ؛ لأنه يغطي كل شيء بظلمته ، وكفر الغمام النجوم سترها ، والكافر الذي ليس فوق درعه ثوبا ، والزارع كافر ؛ لأنه يغيب البذر في الأرض ، وكفر النعمة إذا لم يشكرها كأنه سترها ، ويقال : لوعاء كل ثمرة كافور ؛ لأنه يغطيها ، ويقال للطلع الكفرت ؛ لأنه في غطاء ، ويكفر الذنوب بسترها كالغفران ، ومعنى ذلك أن الله لا يفضح أصحابها بها .

والكفر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجحد ، قال : ﴿ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾[سورة آل عمران آية : ٢١] ، أي : يجحدونه ، والجحد لا يكون إلا مع العلم مثل جحد الرجل حق صاحبه ؛ فأما من ينكر ما لا يعرف صحته فليس بجاحد ، ونظيره قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾[سورة البقرة آية : ٨٩] ، أي : جحدوه فجعلوا الجحد مع المعرفة على ما ذكرنا .

(١) (ك ف ر) : (الْكَفْرُ) فِي الْأَصْلِ السَّتْرُ يُقَالُ كَفَرَهُ وَكَفَّرَهُ إِذَا سَتَرَهُ (وَمِنْهُ) الْحَدِيثُ فِي ذِكْرِ الْجِهَادِ هَلْ ذَلِكَ مُكَفِّرٌ عَنْهُ خَطَايَاهُ يَعْنِي هَلْ يُكَفِّرُ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذُنُوبَهُ فَقَالَ ﴿ نَعَمْ إِلَّا الدَّيْنَ ﴾ أَيْ إِلَّا ذَنْبَ الدَّيْنِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهِ وَالْكَفَّارَةِ مِنْهُ لِأَنَّهَا تُكَفِّرُ الذَّنْبَ (وَمِنْهَا) كَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَأَمَّا كَفَّرَ يَمِينَهُ فَعَامِّيٌّ (وَالْكَافُورُ) و (الْكُفَرَّى) بِضَمِّ الْكَافِ وَفَتْحِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ كِمُّ النَّخْلِ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ مَا فِي جَوْفِهِ (وَالْكُفْرُ) اسْمٌ شَرْعِيٌّ وَمَأْخَذُهُ مِنْ هَذَا أَيْضًا (وَأَكْفَرَهُ) دَعَاهُ كَافِرًا (وَمِنْهُ) لَا تُكَفِّرْ أَهْلَ قِبْلَتِكَ وَأَمَّا لَا تُكْفِرُوا أَهْلَ قِبْلَتِكُمْ فَغَيْرُ ثَبْتٍ رِوَايَةً وَإِنْ كَانَ جَائِزًا لُغَةً قَالَ الْكُمَيْتُ يُخَاطِبُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَكَانَ شِيعِيًّا وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ وَيُقَالُ أَكْفَرَ فُلَانًا صَاحِبُهُ إِذَا أَلْجَأَهُ بِسُوءِ الْمُعَامَلَةِ إِلَى الْعِصْيَانِ بَعْدَ الطَّاعَةِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ يُرِيدُ تُوقِعُوهُمْ فِي الْكُفْرِ لِأَنَّهُمْ رُبَّمَا ارْتَدُّوا عَنْ الْإِسْلَامِ إذَا مُنِعُوا الْحَقَّ (وَكَافَرَنِي) حَقِّي جَحَدَهُ (وَمِنْهُ) قَوْلُ عَامِرٍ إذَا أَقَرَّ عِنْدَ الْقَاضِي بِشَيْءٍ ثُمَّ كَافَرَ (وَأَمَّا) قَوْلُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ رَجُلٌ لَهُ عَلَى آخَرَ دَيْنٌ فَكَافَرَهُ بِهِ سِنِينَ فَكَأَنَّهُ ضَمَّنَهُ مَعْنَى الْمُمَاطَلَةِ فَعَدَّاهُ تَعْدِيَتَهُ (وَقَوْلُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ كَفَّرَتْ جَمِيعُ أَعْضَائِهِ لِلْقَلْبِ ﴾ فَالصَّوَابُ اللِّسَانُ أَيْ تَوَاضَعَتْ مِنْ تَكْفِيرِ الذِّمِّيِّ وَالْعِلْجِ لِلْمَلِكِ وَهُوَ أَنْ يُطَأْطِئَ رَأْسَهُ وَيَنْحَنِيَ وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مَوْقُوفًا كَمَا قَرَأْتُهُ فِي الْفَائِقِ ﴿ إذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ ﴾ الْحَدِيثَ (وَالْكَفْرُ) الْقَرْيَةُ (وَمِنْهُ) قَوْلُ مُعَاوِيَةَ أَهْلُ الْكُفُورِ هُمْ أَهْلُ الْقُبُورِ وَالْمَعْنَى أَنَّ سُكَّانَ الْقُرَى بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتَى لَا يُشَاهِدُونَ الْأَمْصَارَ وَالْجُمَعَ (وَلَا نَكْفُرُكَ) فِي (ق ن) . [المغرب :الكاف مع الفاء] .

الثاني : كفر النعمة ، قال : ﴿اشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[سورة البقرة آية : ١٥٢] ، وقوله : ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[سورة النمل آية : ٤٠] ، وكقول فرعون لموسى : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[سورة الشعراء آية : ١٩] ، أي : لنعمتي .

الثالث : بمعنى البراءة ، قال الله تعالى : ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾[سورة الممتحنة آية : ٤] ، وقال : ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾[سورة العنكبوت آية : ٢٥] ، وقال في : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾[سورة إبراهيم آية : ٢٢] أي : تبرأت .

كان

أصلها الحدوث ، كان الشيء إذا أحدث فهو كائن ، ثم كثر حتى وقع موقع صار ، وموقع لم تزل وموقع هو وغير ذلك مما يذكره .

وذلك على ما حكى أهل التفسير ، وقال النحويون : كان لا يتعدى ، ومعناه حدوث الشيء ، أي : خلق ، فهو في أنه غير متعد بمنزلة قام ؛ فلما احتج إلى ذكر المضي في المبتدأ أو الخبر ، أدخلت كان على قوله : زيد قائم ، فقيل : كان زيد قائما .

والمعنى زيد قائم فيما مضى ، فرفع بها المبتدأ أو نصب الخبر ، كما قيل : ضرب زيد عمرا ؛ فإن أردت في المبتدأ والخبر الاستقبال قلت : يكون ومن أخواته ليس ، وهو ينفى به الحديث ولا ينفى به إلا ما في الحال دون المستقبل والماضي ، وهو موضوع للعبارة عن هذه الجملة .

وما دام وهما كلمتان ويعبر بذلك عن المبتدأ والخبر أيضا إذا كان له دوام ، ويرفع به الاسم ويتصرف معموله كما يتصرف معمول كان ، إلا أن ما لا يجوز أن يقدم عليه المعمول ؛ لأن المعمول هو في الصلة ، والصلة لا تقدم على الموصول . ولكن تقدم بعض الصلة على بعض ، تقول : لا أكلمك ما دام زيد قائما ، وما قائما دام زيد ومازال ، وهما كلمتان إلا أن ما حرف نفي هاهنا وليس باسم ، وما في قولك ما دام اسم مبهم ناقص ودام صلته ، وهو فعل وزال فعل منفي بها ، ومعناه ضد دام .

فلما دخلت عليه ما النافية صار بمعنى دام ؛ لأن نفي النفي إيجاب ، وتقول في المستقبل يزال ويزول ، وأما أصبح وأمسى وظل وبات فإنهن أفعال بمنزلة كان في العبارة عن بعض ، وفي أنها في الأصل غير متعدية إلا أن لكل واحد منها زيادة على ليست للآخر ؛ فأصبح يدل على وقت خاص وهو الصباح ، وأمسى تدل على وقت خاص وهو المساء ، وظل يدل على المكث في النهار ، وبات تدل على المكث بالليل .

وكان في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل قالوا :

الأول : أن تكون بمعنى لم يزل ، قال : ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١) [سورة الفتح آية : ٧] ، أي : هو لم يزل كذلك ، ويجوز أن يكون دخول كان هاهنا للتوكيد ، وكذا في قوله : ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ، ويكون المعنى أنه غفور غفرانا عظيما ، ورحيم رحمة كبيرة ، ويجوز أن يكون المراد أن الغفران وإحكام الأمور من فعله فيما مضى ، وهذا الوجه هو الصحيح .

الثاني : بمعنى صار ، قال تعالى : ﴿إلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[سورة البقرة آية : ٣٤] ، وكذلك قوله : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[سورة النبأ آية : ١٩] ، وقال : ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلا﴾[سورة المزمل آية : ١٤] ، أي : صارت ، وحقيقة المعنى أنها تصير كذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه إذا كان يوم القيامة صارت كذلك ، وهذا هو الصحيح ، وقوله : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[سورة المعارج آية : ٨] ، أي : تصير .

الرابع : قراءته تفسيره ، قال : ﴿إِنهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَبِيا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصلاةِ وَالزكَاةِ﴾[سورة مريم آية : ٥٤ - ٥٥] ، وقوله : ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُل سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[سورة الكهف آية : ٧٩] ، وإذا جاء قبل كان حرف نفي كانا بمعنى لا ينبغي وهو ، قوله : ﴿مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾[سورة مريم آية : ٣٥] ، أي : لا ينبغي له ذلك ، لأنه مستغن عنه ، وكذلك قوله : ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِي أَنْ يَغُل﴾[سورة آل عمران آية : ١٦١] .

---

(١) قال أبو جعفر : أما قوله :"وكان الله عزيزًا حكيمًا" ، فإنه يعني : ولم يزل الله متقمًا من أعدائه ، كانتقامه من الذين أخذتهم الصاعقة بظلمهم ، وكلعنه الذين قصّ قصتهم بقوله :"فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله" "حكيمًا" ، يقول : ذا حكمة في تدبيره وتصريفه خلقَه في قضائه . يقول : فاحذروا أيها السائلون محمدًا أن ينزل عليكم كتابًا من السماء ، من حلول عقوبتي بكم ، كما حل بأوائلكم الذين فعلوا فعلكم ، في تكذيبهم رسلي وافترائهم على أوليائي ، وقد حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمد بن إسحاق بن أبي سارة الرُّؤَاسيّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله :"وكان الله عزيزًا حكيمًا" ، قال : معنى ذلك : أنه كذلك . [جامع البيان :٩/ ٣٧٨] .

كبير[1]

أصل الصغر والكبر النقصان عن المعادلة والزيادة عليها ، ويقال الله كبير من جهة العظمة ، ولا يقال له : أنه صغير ولا قليل من جهة أنه واحد ؛ لأن الأصل في القليل أنه أنقص من غيره ، والصغير ما هو أصغر من غيره ، وهذا إنما يكون إذا كان غيره أكبر منه وأكثر .

ويجوز أن يكون الكبير في أسماء الله تعالى بمعنى أنه سيد مالك الأشياء ؛ لأن سيد القوم كبيرهم ، ويجوز أن يسمى بذلك ؛ لأنه لا مثل له ، وكذلك تسميتنا بأنه عظيم وجليل .

وأصل الصفة بكبير كبر الشخص ثم استعمل في كبر الشأن ، والكبير الشأن هو الممتنع من مساواة غيره بتضعيف أو غيره ، وذلك أن صفاته في أعلى مراتب التعظيم ، فيستحيل مساواتها الأصغر على وجه من الوجوه ، وهذه صفة الله .

والكبير الشخص ، هو الذي يمكن مساواته للأصغر بالتجزئة ، ويمكن مساواة الأصغر له بالتضعيف ، والصفة على هذا المعنى لا تجوز على الله ، ويذكر الشأن في صفاته ؛ لأنه يظهر به امتناع المساواة واستعماله على المجاز ، والله لم يزل كبيرا وأكبر من كل كبير ؛ لأنه يمتنع مساواة كبير غيره له ، ونظير الصفة تكبير عظيم ، والعظيم الشخص ، يمكن مساواة غيره له بالتضعيف .

ولا يصح في الجليل ؛ لأنه غلب عليه المدح ، والعظيم الشأن مثل الكبير الشأن ، لا يجوز مساواة غيره له ، والكبير في السن والشخص والشرف بالعلم يمكن مساواة الصغير له ؛ إما في السن فيتضاعف مدة البقاء ، وإما في الشرف بالعلم فباكتساب مثل ذلك العلم ، والكبير الشأن لا يمكن بمساواة الصغير الشأن له ؛ كفضيلة النبي بالنبوة لا يمكن أن يساويه في فضلها إنسان ، وكبر الشيء معظمه ، وقرئ في : ﴿الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾[سورة النور آية :

---

(١)(ك ب ر) : (كَبُرَ) فِي الْقَدْرِ مِنْ بَابِ قَرُبَ (وَكَبِرَ فِي السِّنِّ) مِنْ بَابِ لَبِسَ كِبَرًا وَهُوَ كَبِيرٌ (وَكُبْرُ الشَّيْءِ وَكِبْرُهُ) مُعْظَمُهُ (وَقَوْلُهُمْ الْوَلَاءُ لِلْكُبْرِ) أَيْ لِأَكْبَرِ أَوْلَادِ الْمُعْتِقِ وَالْمُرَادُ أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا لَا أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَكِبْرِيَاءُ اللَّهِ عَظَمَتُهُ (وَاَللَّهُ أَكْبَرُ) أَيْ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَفْسِيرُهُمْ إيَّاهُ بِالْكَبِيرِ ضَعِيفٌ (وَالْكَبَرُ) بِفَتْحَتَيْنِ اللَّصَفُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَمِنْهُ أَرَأَيْتَ شَرَابًا يُصْنَعُ مِنْ الْكَبَرِ وَالشَّعِيرِ وَالثَّاءُ الْمُثَلَّثَةُ تَصْحِيفٌ . [المغرب :الكاف مع الباء الموحدة] .

١١] ، أي : معظم هذا الإفك ، ومنه الكبر من السن ؛ لأن صاحبه يعظم في الصدور ، فأما الكبر فأعجمي .

والكبير و ما يتشعب منه في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الشديد ، قال الله : ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[سورة الفرقان آية : ١٩] ، قال : ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[سورة الإسراء آية : ٤] ، كل ذلك بمعنى شديد كذا قيل ، ونحن نقول : أن حقيقة الشدة والكبر في الأعراض إنما هي الزيادة في المقدار ، فقولك : علا علوا شديدا أو كبيرا أي : علوا زائدا على علو من هو في درجته أو من جنسه أو ما أشبه هذا .

الثاني : المسن ، قال : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[سورة القصص آية : ٢٣] ، قال : ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦٦] .

الثالث : الزيادة في العلم والفهم ، قال : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[سورة طه آية : ٧١] ، أي : أعلمكم وأفهمكم ، ومثله قال : ﴿كَبِيرُهُمْ﴾[سورة يوسف آية : ٨٠ ، الأنبياء : ٦٣] ، أي : أفضلهم رأيا ، ولم يعن أكبرهم سنا هكذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون أراد أكبرهم في السن .

الرابع : بمعنى الكثير ، قال الله : ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾[سورة التوبة آية : ١٢١] ، وقوله : ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾[سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : مالا قليلا أو كثيرا ، ويجوز أن يكون أراد صغيرا أو كبيرا في القدر .

الخامس : الكبير في أسماء الله تعالى ، ومعناه الذي تقدم وهو قوله : ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[سورة الرعد آية : ٩] ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[سورة النساء آية : ٣٤] ، والمتعال الذي يتضاعف ما يستحقه من علو الصفات ، ولم يزل الله متعاليا على هذا المعنى ، وكل شيء نسب إلى العلو ، وهو معظم الشأن ، لأن العالي ينال ولا ينال ، ويوصف الله بالتعالي أيضا على وجه آخر ، وهو أنه يتضاعف ما تنزه به عن صفات النقص ، نحو قوله تعالى : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٩٢] ، ولا يقال :

الله رفيع ؛ لأن الرفيع مختص بعلو المكان والعلي مشترك بين علو المكان وعلو الشأن ، ومن جهة القدر والاقتدار ، وفي الرفع أيضا معنى الزوال ، رفعته أي : أزلته إلى فوق ، ومنه يقال : ارتفع الشيء إذا زال وذهب ، وقال بعضهم : العلي هو الجليل بما يستحق من ارتفاع معاني الصفات .

السادس : الكبرياء وهو بمعنى الغلبة والسلطان ، قال الله : ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ﴾[سورة يونس آية : ٧٨] ، يعني : السلطان والملك والغلبة ، وقوله : ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[سورة الجاثية آية : ٣٧] ، يعني : الملك والسلطان .

السابع : كبر ثقل ، قال الله : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٥] ، أي : ثقل ، وحقيقة المراد به أنه ينال منك منال الحمل الثقيل من حامله ، وذلك أن الكبير في أكثر الحال ثقيل .

الثامن : من الطويل ، قال : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴾[سورة الملك آية : ٩] ، قالوا معناه الطويل واستعمال الطول والكبر والثقل والعظم في الإعراض توسع إلا أن استعمال بعض هذه الصفات في بعض الإعراض أشهر ، فلهذا قالوا : أن الكبر في الضلال بمعنى الطول ، والمراد أنه ضلال يستمر صاحبه عليه ولا يفارقه .

كذب[1]

أصل الكذب الترك ، ومنه قيل : كذب في الحرب إذا ترك الحملة ، وكذب الرجل في قوله ، إذا ترك العمل بما قاله .

وكذبت الرجل بالتخفيف ، أخبرته بكذب ، وكذبته بالتشديد أخبرت بأنه كاذب ، والمشكل في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٤] .

ولا يجوز أن يكون في الآخرة كذب ؛ لأن أهلها ملجأون إلى ترك القبيح ، ولو لم يكونوا كذلك لكان القبيح قد أبيح لهم .

وإنما المراد أنهم ، يقولون في الآخرة : ﴿ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٣] ، أي : عند أنفسنا في الدنيا .

وقال : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾[سورة الأنعام آية : ٢٤] في الدنيا ، بقولهم : أنهم مصيبون فيما يشركون ، وليس هذا خبرا عن الآخرة ، وقيل : كذبهم على أنفسهم هو جحدهم على جهة النسيان ، وإنكارهم لما كانوا عليه في الدنيا .

---

(١) (ك ذ ب) : كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وَيَجُوزُ التَّخْفِيفُ بِكَسْرِ الْكَافِ وَسُكُونِ الذَّالِ فَالْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ سَوَاءٌ فِيهِ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِثْمُ يَتْبَعُ الْعَمْدَ وَأَكْذَبَ نَفْسَهُ وَكَذَّبَهَا بِمَعْنًى اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كَذَبَ فِي قَوْلِهِ السَّابِقِ وَأَكْذَبْتُ زَيْدًا بِالْأَلِفِ وَجَدْتُهُ كَاذِبًا وَكَذَّبْتُهُ تَكْذِيبًا نَسَبْتُهُ إلَى الْكَذِبِ أَوْ قُلْت لَهُ كَذَبْت قَالَ الْكِسَائِيُّ وَتَقُولُ الْعَرَبُ أَكْذَبْتُهُ بِالْأَلِفِ إذَا أَخْبَرْتُ بِأَنَّ الَّذِي حَدَّثَ كَذِبٌ وَرَجُلٌ كَاذِبٌ وَكَذَّابٌ .

وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فِيهِ أَدَبٌ حَسَنٌ لِمَا يَلْزَمُ الْعُظَمَاءَ مِنْ صِيَانَةِ أَلْفَاظِهِمْ عَنْ مُوَاجَهَةِ أَصْحَابِهِمْ بِمُؤْلِمِ خِطَابِهِمْ عِنْدَ احْتِمَالِ خَطَئِهِمْ وَصَوَابِهِمْ وَمِثْلُهُ قَوْله تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ الْمُنَافِقِينَ ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَيْ فِي ضَمِيرِهِمْ الْمُخَالِفِ الظَّاهِرَ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ كَاذِبًا بِالْمَيْلِ لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَكَانَ أَلْطَفَ مِنْ قَوْلِهِ أَصَدَقْتَ أَمْ كَذَبْتَ وَمِنْ هُنَا يُقَالُ عِنْدَ احْتِمَالِ الْكَذِبِ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَنَحْوُهُ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ أَوْ غَلِطَ أَوْ لَبَّسَ فَأَخْرَجَ الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَلِهَذَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ لَا نُسَلِّمُ وَلَكِنَّهُمْ يُشِيرُونَ إلَى الْمُطَالَبَةِ بِالدَّلِيلِ تَارَةً وَإِلَى الْخَطَإِ فِي النَّقْلِ تَارَةً وَإِلَى التَّوَقُّفِ تَارَةً فَإِذَا أَغْلَظُوا فِي الرَّدِّ قَالُوا لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ . [المصباح المنير :الكاف مع الذال] .

وجاء لفظ كذب في القرآن على وجهين :

الأول : الجحد ، قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾[سورة الليل آية : ٩] ، أي : جحد الجنة ، وقوله : ﴿ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ، أي : جحد وأعرض ، وقوله : ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُل مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[سورة المطففين آية : ١٢] .

الثاني : تكذيب الرسول ، وهو القول بأنه كاذب ، قال الله : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٤] ، ومثله كثير .

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٣] ، فمعناه أنهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبونني لأني أنا المخبر لك ، وقيل : ﴿ لا يُكَذِّبُونَكَ ﴾[سورة الأنعام آية : ٣٣] ، بحجة ، بل هو جحد ومكابرة .

وقيل : المراد أنهم لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأتهم به مما في كتبهم ؛ أنك كاذب فيه ، ويجوز أن يكون المراد أنهم لا يكذبونك بقلوبهم ، ولكن يجحدون أمرك بألسنتهم ، وقرئ لا يكذبونك ، أي : لا يصادفونك كاذبا فيما أخبرت به عن المذكور في كتبهم .

ويجوز أن يكون لا يصادفونك كاذبا إذا نظروا في أمرك حق النظر ، وأكذبت الرجل صادفته كاذبا ، وأبخلته صادفته بخيلا ، وقيل : ﴿ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾[سورة الليل آية : ٩] ، أي : قصر به ، والعرب تقول كذب الرجل في الحرب إذا ترك الحملة .

الكريم[1]

أصل الكرم الشرف والفضل ، ومنه سمي الكرم لفضله على غيره من الشجر ، والكرم أيضا قلادة معروفة تشبه خرزها بورق الكرم ، ثم جاء الكرم بمعنى العز ، قالوا : هو أكرم علينا ، أي : أعز ، وتسمية الله تعالى بأنه كريم يعني : أنه عزيز من صفات ذاته ، وقد يكون أيضا بمعنى الجواد المفضال ، فيكون من صفات فعله .

والكريم وما يتصرف منه في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : أن يكون بمعنى الأفضل ، قال الله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[سورة الحجرات آية : ١٣] ، وفي قوله : ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[سورة الإسراء آية : ٧٠] ، أي : فضلناهم على غيرهم من الحيوان ، وقال حكاية عن إبليس : ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[سورة الإسراء آية : ٦٢] ، أي : فضلت ، وقال : ﴿إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾[سورة الفجر آية : ١٥] ، أي : فضله .

الثاني : الشرف ، قال الله : ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾[سورة النساء آية : ٣١] ، أي : شريفا قرئ ندخلكم من أدخل ، وما كان من أفعل فإنه يجيء فيه مفعل ، وقرئ مدخلا ، وهو من دخل مدخلا ، وكذلك قوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[سورة الدخان آية : ٥١] ، إذا جعلته من قام فتحته ، وإذا جعلته من أقام ضممته ، ويجوز أن يكون المدخل موضع الإدخال ، والمراد به الجنة ، كما قال تعالى : ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٩] .

الثالث : الصفوح ، قال الله : ﴿إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[سورة النمل آية : ٤٠] .

---

(١) (ك ر م) : كَرُمَ الشَّيْءُ كَرَمًا نَفُسَ وَعَزَّ فَهُوَ كَرِيمٌ وَالْجَمْعُ كِرَامٌ وَكُرَمَاءُ وَالْأُنْثَى كَرِيمَةٌ وَجَمْعُهَا كَرِيمَاتٌ وَكَرَائِمُ وَكَرَائِمُ الْأَمْوَالِ نَفَائِسُهَا وَخِيَارُهَا وَأَكْرَمْتُهُ إِكْرَامًا وَاسْمُ الْمَفْعُولِ مُكْرَمٌ عَلَى الْبَابِ وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ وَمِنْهُ مُكْرَمٌ مِنْ بَنِي جَعْوَنَةَ كَانَ الْحَجَّاجُ بَعَثَ مَعَهُ عَسْكَرًا فَأَقَامَ بِالْعَسْكَرِ عَلَى قَرْيَةٍ بِالْأَهْوَازِ وَأَحْدَثَ بِهَا الْبُنْيَانَ وَعَمَرَهَا فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ وَقِيلَ لَهَا عَسْكَرُ مُكْرَمٍ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ تُسْتَرَ عَلَى نَحْوِ ثَمَانِيَةِ فَرَاسِخَ وَبِهَا الْعَقَارِبُ الْمَشْهُورَةُ بِسُرْعَةِ الْقَتْلِ بِلَدْغِهَا . [المصباح المنير :الكاف مع الراء] .

الرابع : العزيز ، قال الله : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾[سورة الانفطار آية : ٦] ، أي : العزيز الذي لا يغلب ولا يفوته شيء ، فما الذي غرك به فعصيته .

الخامس : الكثير ، قال الله : ﴿ رِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ، قالوا : هو كثير ، ويجوز أن يكون معناه أنه يأتي صاحبه من غير امتهان ، والمراد كريم صاحبه .

السادس : الحسن ، قال : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[سورة لقمان آية : ١٠] ، أي : حسن ، وهو مثل قوله : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[سورة الحج آية : ٥ ، ق : ٧] ، ومثله : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[سورة الإسراء آية : ٢٣] ، أي : حسنا .

السابع : الجواد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[سورة الدخان آية : ٤٩] ، أي : كنت كذلك في الدنيا كذا قيل ، ويجوز أن يكون معناه أنك كنت كذلك عند نفسك ، وروي أنه قال : " أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم ، فقال الله له في جهنم ذق إنك أنت القائل هذا" ، ويجوز أن يكون المعنى أن ملائكته يقولون له ذلك ، وقيل : أراد إنك الذليل المهين ، ومعنى ذلك أنه أهل للذل والهوان لكفرك .

الكلمة(١)

اشتقاق الكلمة من الكلم ، وهو الجرح لأن تأثير الحروف في مخارجها وفي السمع كتأثير الجرح في المجروح ، وإن كانت آثارها أخفى ، وتقارب المعاني وتشابهها بحيث تقارب الألفاظ ، فإذا قلت : كلمته تكليما ، فإنما أدخلت التشديد في الفعل لتدل على تكرير الفعل ، ألا ترى أن الكلمة الواحدة أقل الكلام .

وهي لا تخلوا من حروف وحركات ، وكان كل واحد من ذلك كلمه من الكلوم ، لأنها أثر بعد أثر تقع في مخارج الحروف وفي السمع ، فلذلك قيل : كلمته تكليما ، وقد يجوز كلمته كلاما ؛ لأنه يعلم أنه لا يكون مصدر كلمته إلا التكليم ، ولا مصدر تكلمت إلا التكلم ، وإن كلاما إنما ناب عن ذلك وقام مقامه ، وإن كان على غير لفظ الفعل ، لأنهم لم يستعملوا الفعل منه بغير تشديد ما لم تحل الكلمة ، وإن قل عدد حروفها من التكرير ؛ ولأنهم كرهوا التباس هذا الفعل ما هو من الجرح أيضا .

والكلمة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخبر ، قال الله : ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾[سورة يونس آية : ١٩] ، أي : لولا الخبر السابق بأن الاستئصال لا ينزل بهذه الأمة لأنزلته بها .

الثاني : قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾[سورة الكهف آية : ١٠٩] ، قيل : يعني : مقدوراته ، وقيل : نعمه وعطاياه ، وعندنا أنه أراد بكلماته وعده لأهل الجنة ووعده لأهل النار ، وهو مثل قوله : ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[سورة الكهف آية : ٢٧ ، الأنعام : ١١٥] ، والمراد أنه لو يفعل ما وعد به أهل الجنة وأوعد به أهل النار حالا بعد حال ، فيما يستقبل وكتب ذلك بما في البحر ، وقد جعله مدادا وزاد عليه في مثله لنفد قبل نفاد

(١) [كلم] : الكَلْم : الجرح ، والجميع : الكلُوم . كلمته أكلِمه كَلماً ، وأنا كالِمٌ ، وهو مَكلومٌ . أي : جرحته .
وكَليمُك : الذي يُكَلِّمك وتُكَلِّمه .
والكَلِمةُ : لغة حجازية ، والكِلْمةُ : تميمية ، والجميع : الكَلِمُ والكِلَمُ ، هكذا حكي عن رؤبة :
لا يسمع الرَّكْبُ به رجع الكِلَمْ . [العين :الكاف والنون والفاء] .

ذلك ، وإنما أراد الإخبار عن كثرة ما أعده للفريقين ، وقيل : كلماته معلوماته ما خلق ، وما يريد أن يخلق والجملة أنه لم يرد الموجود ، وإنما يريد ما يستأنف ، لأن ما حصل في الوجود معروف قدره .

الثالث : قوله : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[سورة النساء آية : ١٧١] ، قيل : أراد أمره ، والمعنى عندي يرجع إلى الخلق ، أي : خلقه في رحمها من غير ذكر ، وسمي في رحمها من غير ذكر وسمي ليس أيضا في موضع آخر كلمة ، وهو قوله : ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾[سورة آل عمران آية : ٤٥] ، وذلك أن الناس ينتفعون به كما ينتفعون بكلام الله ، ويجوز أن تكون الكلمة هنا من ، قوله : ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، وهو راجع إلى الخلق على ما ذكرنا ، ويجوز أن تكون كلمته ألقاها ، أي : بشارته ألقاها إلى مريم على لسان ملك ، كما قال لنا : ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾[سورة المزمل آية : ٥] ، وقيل ألقاها عليها أي : خلقه في بطنها ، وكان الله أخبر به في الكتب المتقدمة ، فلما ولد من غير ذكر ، قال الله لها : أن تلك الكلمة ، أي : المعنى بالكلمة ، وأما الكلمات في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾[سورة البقرة آية : ١٢٤] ، فمعناه أمره إياه وابتلاؤه بها تكليفه إياه طاعته فيها وسمي التكليف ابتلاء على مقتضى العرف ، وذلك إنا لا نعرف ما يأتي الرجل منا ، وما نذر حتى يكلفه ، والله عالم بنفسه غير محتاج إلى اجتلاب العلم بالابتلاء ولكنه على ما ذكرته .

الباب الثالث والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله لام

اللباس(١)

اللباس واللبس : ما يلبس واللبس المصدر ، وسمي الخلط لبسا لأن وجه الصواب مستتر معه ، وأصل اللبس الستر ، واللبوس مثل اللباس ، قال الشاعر :

لَبُوسًا ومَطْعَمًا

وجاء في القرآن بمعنى الدرع ، وهو قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[سورة الأنبياء آية : ٨٠] .

واللباس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٧] ، جاء في التفسير أنهن سكن لكم ، وأنتم سكن لهن ، وقيل : معناه أن الرجل والمرأة يتضامان فيصير كل واحد منهما بمنزلة اللباس للآخر ، ومن الأول قوله : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾[سورة النبأ آية : ١٠] ، أي : سكنا .

الثاني : الثياب ، قال الله : ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾[سورة الأعراف آية : ٢٦] ، ومعنى قوله : ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٦] ، أعطيناكم ، كما قال : ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[سورة الحديد آية : ٢٦] ، والحديد إنما يستثار من الأرض ، وعبر عن الإعطاء بالإنزال ، كما يعبر عن الجعل بالرفع ، فتقول : رفعنا أمرنا إلى الوالي ، وقيل : إنما قال : ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[سورة الأعراف آية : ٢٦] ، لأن أصول اللباس ينبت كماء السماء ، وقيل : ببذرة كان من السماء .

---

(١) (ل ب س) : لَبِسْتُ الثَّوْبَ مِنْ بَابِ تَعِبَ لُبْسًا بِضَمِّ اللَّامِ وَاللِّبْسُ بِالْكَسْرِ وَاللِّبَاسُ مَا يُلْبَسُ وَلِبَاسُ الْكَعْبَةِ وَالْهَوْدَجِ كَذَلِكَ وَجَمْعُ اللِّبَاسِ لُبُسٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٍ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ إلَى مَفْعُولٍ ثَانٍ فَيُقَالُ أَلْبَسْتُهُ الثَّوْبَ وَالْمَلْبَسُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْبَاءِ مِثْلُ اللِّبَاسِ وَجَمْعُهُ مَلَابِسُ . [المصباح المنير :اللام مع الباء] .

الثالث : قوله : ﴿ وَلِبَاسُ التقْوَى ﴾[سورة الأعراف آية : ٢٦] ، قالوا معناه : العمل الصالح ، وهو على هذا التاويل مرتفع على الابتداء ، وذلك من صفته ، وقيل معناه أن ستر العورة لباس المتقين ، وقيل : رفع بإضمار هو والمعنى ، ولباس التقوى وهو خير ، وقيل : لباس التقوى اللباس الخشن الذي يلبسه من يختار العبادة ، وأشير به إلى الصوف ، وبالأول إلى الكتان والقطن ، وقيل : هو لباس الصلاة ، لأن الصلاة أحق ما يسمى بالتقوى ، وقيل : أنزلنا عليكم الوحي الذي فيه لباس التقوى ، ولباس التقوى على هذين التأويلين منصوب ، وقال ابن الكلبي : لباس التقوى العفاف ؛ لأن المؤمن لا تبدوا عورته وإن كان عاريا ، والفاجر لا يزال تبدوا عورته وإن كان كاسيا ، وذكر اللباس هاهنا الذكر عن بني آدم .

لولا(١)

لولا كلمتان يعدهما النحويون من حروف الرفع على المسامحة ، وإنما يرتفع ما بعدهما على الابتداء وضم لا إلى لو للمعنى الحادث بينهما ، وهو الدلالة على الشيء لا يقع من أجل غيره ، كقولك : لولا زيد لخرجنا ، فزيد مبتدأ لم يعمل فيه لو ولا لا ، وأما قولهم لولاك فغير جائز عند المحققين .

والصواب لولا أنت لكان كذا على الابتداء والخبر ، فإذا قلت : لولا زيد تأخذه ، فزيد منتصب بفعل مضمر ، والظاهر تفسير ، ويسمى هذا تحضيضا ، والتحضيض توكيد الأمر والمعنى ، لولا تأخذ زيدا تأخذه ، وقال القتبي : لولا تكون في بعض الأحوال بمعنى هلا ، وذلك إذا رأيتها بغير جواب تقول : لولا فعلت كذا تريد هلا ، قال الشاعر :

تعدون عقر البيت أفضل مجدكـــــم بني ضوء طري لولا الكمي المقنعــــا

يريد ولا تعدون الكمي المقنع ، فإذا رأيت لولا جوابا كقوله : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣-١٤٤] ، فهي التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : على قول بعض المفسرين بمعنى لم ، وهو قوله : ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ ﴾[سورة يونس آية : ٩٨] ، معناه أنهم لم يؤمنوا يعني : أهل القرية ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ؛ ألا ترى أن ما بعد إلا في الجحد يتبع ما قبلها ، فيقول : ما قام أحد إلا زيد ، وإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلبا وحمارا نصبت ؛ لأنهما منقطعان عما قبل ، إلا وكذلك قوم يونس منقطعون من قوم غيره من الأنبياء ممن لم ينفعه إيمانه ، ولو كان الاستثناء هاهنا قد وقع على طائفة منهم لكان رفعا ، وقيل : ﴿ إِلا قَوْمَ

---

(١) " لَوْلاَ " مَعْنَيَانِ : أَحَدُهما " هَلاَّ " والآخَرُ " لَوْ لَمْ يَكُنْ " . ووَقَعَ القَوْمُ في لَوْلاَءِ شَدِيْدَةٍ : إذا تَلاَوَمُوا فقالوا : لَوْلاَ ولَوْلا . [المحيط في اللغة :ما أوله الام] .

يُونُسَ ﴾[سورة يونس آية : ٩٨] ، مردود إلى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٦] ، إلا قوم يونس .

ويكون على أن يؤمن أهل قرية بأسرها ، حتى لا يشتد منهم أحد إلا قوم يونس ، يقول : فهلا كانت القرى كذلك ، وهذا الوجه أجود من الأول ، وقال بعضهم : إلا هاهنا بمعنى سوى ، أي : فهلا أهل قرية سوى قوم يونس آمنوا فنفعهم إيمانهم وزال عنهم العذاب ، وعندنا أنهم آمنوا قبل أن يروا من العذاب ما يقع به العلم الضروري ؛ بأنهم لو صاروا إلى ذلك كانوا ملجأين ، والملجأ غير محمود على فعل الخير .

قال الثاني : بمعنى هلا ، قال الله : ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ ﴾[سورة هود آية : ١٦١] ، وقوله : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[سورة الأنعام آية : ٤٣] ، وقوله : ﴿ فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[سورة الواقعة آية : ٨٦] وكذلك لو ما في قوله تعالى : ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ ﴾[سورة الحجر آية : ٧] ، أي : هلا وهذا والأول عندنا سواء .

الثالث : التي تكون لأمر لا يقع لوقوع غيره ، قال الله : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة يس آية : ١٤٣-١٤٤] ، وقيل : المسبحون المصلون ، وقد ذكرناه ، ويجوز أن يكون من التسبيح .

لَـمَّــا ولِـمَــا

لما تكون بمعنى لم وبينهما فرق ، ويدخل فيه الألف للتوكيد ، وإذا كان مخففا كان بمعنى إلا ، فالذي هو بمعنى لم ، قوله : ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾(١) [سورة ص آية : ٨] ، والمخفف الذي يكون دخوله بمعنى إلا ، وقوله : ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[سورة يس آية : ٣٢] ، وقوله : ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[سورة الطارق آية : ٤] ، أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وهي لغة لهذيل ، والمشدد أيضا بمعنى حين ، قال الله : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[سورة الزخرف آية : ٥٥] ، وفي المخفف وجه آخر .

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] إلى قوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] ، فقال : ما هنا بمنزلة الذي ، ودخلتها اللام كما دخلت على أن حين قلت : لئن فعلت ؟ لأفعلن ، ودخلت على نية اليمين ، واللام الثانية للجواب ؛ كقوله : ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[سورة الأعراف آية : ١٨] .

وقال الكسائي : هو على مذهب الجزاء ، قال الله : ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] ، جواب لقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] .

وقال الفراء : قرئ : ﴿لِمَا آتَيْتُكُمْ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] ، بكسر اللام ، والمراد إذ أخذت ميثاقكم بهذا الكلام ، يعني : قوله : ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] . والفرق بين لما ولم أن لما يوقف عليها نحو قد جاء زيد ، فتقول : لما ، أي : لم

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ فموقعه من هذا الكلام أنه تعالى يقول هؤلاء إنما تركوا النظر والاستدلال لأني لم أذقهم عذابي ، ولو ذاقوه لم يقع منهم إلا الإقبال على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات وثانيها : أن يكون المراد من قوله : ﴿بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله لو أصروا على الكفر ، ثم إنهم أصروا على الكفر ، ولم ينزل عليهم العذاب ، فصار ذلك سبباً لشكهم في صدقه . [مفاتيح الغيب :١٣/ ١٦٥] .

يجيء ، ولا يجوز ذلك في لم وفي كلامهم كاد ولما ، أي : كاد يفعل ولم يفعل ، ولما جواب قد فعل ولم جواب فعل ، لأن قد للتوقيع . قال سيبويه : ليست ما في لما زائدة ، لأن لما تقع في مواضع لا يقع فيها لم ؛ فإذا قال القائل : لم يأتني زيد فهو نفي لقوله : أتاني وإذ قال : لما يأتني فمعناه أنه لم يأت وأنا متوقعه .

اللغو(١)

أصل اللغو الصوت ، وسواء كان له معنى أو لم يكن بمعنى ، ثم سمي ما يتكلم به كل جيل لغة ، وأصلها لغوة ، كما قيل : أن بك قدة ، والأصل قدوة ومثال هذا كثير ، ثم قالوا : لغو الطائر ثم لما رأوا ذلك صوتا لا معنى له ، جعلوه أصلا في كل شيء لا معنى له ، فقالوا : لغى فلان يلغوا ؛ إذا تكلم بكلام لا معنى له ، ومنه قوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[سورة فصلت آية : ٢٦] ، أي : عارضوه بكلام لا معنى له لتشغلوه به عن قرآته ؛ ثم سموا المسقط الملغي لغوا ؛ لأنه في سبب ما لا معنى له ، وقيل : ألغيت الشيء إذا أسقطته ، وقال جرير :

ويذهب بينها المري لغــــوا كما ألغيت في الدية الحــــوارا

ثم سموا الباطل لغوا تشبيها بالمسقط الملغي ؛ لأن الباطل يسقط مع الحق ؛ فلا يكون له ثبات ، ويقال للفحش لغو ؛ لأنه ساقط من الكلام مطرح لا يلتفت إليه ، ويقال : هو لغو ولغا ، وقيل : اللغو في اليمين ؛ لأنه لا إثم فيه ، فكأنه ساقط لا معنى له ، ويجوز أن تكون اللغة من قولهم لغى الشيء يلغي إذا يعلو به فأما اللهجة فهي من قولهم : لهجت بالشيء إذا لزمته .

واللغو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : اللغو في اليمين ، قال الله : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٥] قالوا : هو قول لا والله ، وبلي والله مما يقوله الرجل ولا يعتمده ، وقيل : هي اليمين الكاذبة التي يرى صاحبها أنه صادق فيها ، وليس فيها كفارة ولا إثم ، وقال

---

(١) (ل غ و) : لَغَا الشَّيْءُ يَلْغُو لَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ بَطَلَ وَلَغَا الرَّجُلُ تَكَلَّمَ بِاللَّغْوِ وَهُوَ أَخْلَاطُ الْكَلَامِ وَلَغَا بِهِ تَكَلَّمَ بِهِ وَأَلْغَيْتُهُ أَبْطَلْتُهُ وَأَلْغَيْتُهُ مِنَ الْعَدَدِ أَسْقَطْتُهُ وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُلْغِي طَلَاقَ الْمُكْرَهِ أَيْ يُسْقِطُ وَيُبْطِلُ وَاللَّغْوُ فِي الْيَمِينِ مَا لَا يَعْقِدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لَا وَاَللَّهِ وَبَلَى وَاَللَّهِ وَاللَّغَى مَقْصُورٌ مِثْلُ اللَّغْوِ وَاللَّاغِيَةُ الْكَلِمَةُ ذَاتُ لَغْوٍ وَمِنْ الْفَرْقِ اللَّطِيفِ قَوْلُ الْخَلِيلِ اللَّغَطُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَالْكَذِبُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ تَغُرُّ بِهِ وَالْمُحَالُ كَلَامٌ لِغَيْرِ شَيْءٍ وَالْمُسْتَقِيمُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ مُنْتَظِمٍ وَاللَّغْوُ كَلَامٌ لِشَيْءٍ لَمْ تُرِدْهُ . [المصباح المنير :اللام مع الغين] .

سعيد بن جبير : اللغو أن يحلف الرجل على الحرام ؛ فلا يؤاخذه الله بتركه ، وهذا موافق لتأويل من تأول قوله تعالى : ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، هو أن يمتنع باليمين عن فعل مباح أو يقدم على فعل محظور ، وعند الكوفيين : أن الغموس لا كفارة فيها ، لأنها يمين و لا يترقب برها ولا حنثها فهي كاللغو ، والمؤاخذة المعاقبة ، ويقال : لا آخذك الله أي : لا عاقبك .

الثاني : الباطل ، قال الله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[سورة المؤمنون آية : ٣] ، وقال : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[سورة الفرقان آية : ٧٢] ، أي : بالباطل ، وقيل : يراد باللغو هاهنا جميع ما يلغى أي : يطرح ، وقيل : أراد أنهم إذا ذكروا النكاح كنوا عنه ، وقوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[سورة القصص آية : ٥٥] ، وقيل : يعني به هاهنا الكفر .

الثالث : مكروه الكلام ، قال : ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ [سورة الغاشية آية : ١١] ، : ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا﴾ [سورة الواقعة آية : ٢٥] ، واللاغية مصدر مثل العافية ، والعاقبة .

اللام المكسورة

أجمع أهل العربية أن الحروف حقها البناء على السكون ؛ فإذا وقع الحرف أولا امتنع النطق به ساكنا ؛ فاضطر الناطق إلى حركتها فحركت كلها بالفتح ؛ لأنه أخف الحركات إلا حرفين الباء واللام ، فقيل : مررت بزيد ؛ وهذا لزيد فأما الباء فعلة كسرها إنها لا تنتقل عن باب الجر إلى غيره ، فألزم الكسر لأن عملها الكسر ؛ ولأنها لا تتغير عن حالها كما تتغير اللام والكاف ، وذلك أن اللام قد تكون توكيدا والكاف تكون اسما وحرفا وكونها اسما ، قال الشاعر :

وَصَالياتٍ كَكَما يُؤثفينَ

فالكاف الثانية اسم لدخول الكاف الأولى عليه ؛ لأن الحرف لا يدخل على الحرف فألزم الباء الكسر لما فارقت أخواتها ؛ وأما لام الجر فإنها كسرت لإزالة الالتباس ، وذلك إنك لو قلت : إن هذا لزيد ففتحت اللام لم يعرف ليزيد التوكيد والتمليك ؛ ألا تراهم لما ارتفع الالتباس في المضمر فتحوها ، فقالوا : هذا لك وله .

واللام المكسورة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى كي ، قال الله : ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[سورة يس آية : ٦] ، أي : كي تنذرهم .

الثاني : بمعنى أن ، قال : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[سورة آل عمران آية : ١٧٩] ، وقوله : ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[سورة الأنفال آية : ٣٣] ، وقوله : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[سورة إبراهيم آية : ٤٦] ، أي : أن تزول .

قالوا الثالث : في موضع لأن لا ، قال : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾[سورة النحل آية : ٥٥] ، أي : لأن لا تكفروا ، وهو مثل قوله : ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلوا﴾[سورة النساء آية : ١٧٦] ، قيل : لأن لا تضلوا ، وليس لا عند المحققين النحويين مما يحذف في هذا الموضع ، وإنما المعنى في ذلك كراهة أن تضلوا ، ومعنى قوله : ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾[سورة العنكبوت آية : ٦٥-٦٦] ، أنهم أشركوا معنا غيرنا فعبدوه دوننا ليكفروا

نعمنا عليهم ، ويطرحوا شكرها وليتمتعوا في الدنيا بإطراح عبادتنا ، وذلك أن العبادة فيها على النفس مشقة ، فهم أطرحوها حبا للتمتع وللترفه .

وقال بعضهم : معناه جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببا إلى الكفر ، واللامات ثمانية : لام القسم ، ولام الابتداء ، ولام الإضافة ، ولام الأمر ، ولام كي ، ولام الأصل ، ولام التعريف ، ولام الاستغاثة ، ولام القسم : لأمر لقد ولا يجوز أن تكون لام الابتداء ؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلا الاسم ، وما كان بمنزلة الاسم من الفعل المضارع في باب إن ، ولام الإضافة كقوله : ﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[سورة الروم آية : ٤] ، ولزيد الثوب ، ولام الأمر كقوله : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾[سورة الطلاق آية : ٧] ، ولام كي مثل : ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾[سورة الأنعام آية : ١١٣] ، ولام الأصل : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[سورة التكاثر آية : ١] ، ولام التعريف : ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾[سورة البقرة آية : ٥٣] ، ولام الاستغاثة ، قول الشاعر :

يَا بَني بكرٍ أبشِروا لي كَليبا

الباب الرابع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ميم

ما ومن

قال أهل العربية ما ومن أصلهما واحد ؛ جعلت من لمن يعقل ، وما لغير من يعقل ، وتجيء ما بمعنى لا ، وبمعنى ليس ، وبمعنى الاستفهام ، وبمعنى من ، وبمعنى الذي .

وهي في القرآن على هذه الوجوه كلها ؛ لمجيئها بمعنى لا ، قوله : ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[سورة فصلت آية : ٤٣] ، قيل هي : بمعنى لا ، ويجوز أن تكون بمعنى لم ، أي : لم يقل لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، وكذلك : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] ، هي هاهنا بمعنى لم لا غير .

ومجيئها بمعنى ليس ، قوله : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[سورة الأعراف آية : ٥٩] ، أي : ليس لكم ذلك .

ومجيئها في لفظ الاستفهام وهو تقريع ، قوله تعالى : ﴿ مَا غَركَ بِرَبكَ الْكَرِيمِ ﴾[سورة الانفطار آية : ٦] .

وتجيء بمعنى التوكيد ، في قوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾[سورة آل عمران آية : ١٥٩] ، أي : فبرحمة عظيمة ، لأن دخولها في هذا الموضع وأمثاله لابد أن تكون بمعنى ، وليس هاهنا معنى سوى التوكيد ، وتدخل بمعنى من ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَالسمَاءِ وَمَا بنَاهَا ﴾[سورة الشمس آية : ٥] ، أي : ومن بناها ، والعرب تقول : سبحان ما سبح الرعد بحمده ، وقيل : المراد السماء وبنائها ، وكذلك : ﴿ الأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾[سورة الشمس آية : ٦] ، أي : وطحوها .

وتجيء بمعنى الذي ، وهو قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾[سورة البقرة آية : ١٥٩]، وقوله : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[سورة الأنفال آية : ٥] .

وقال أبو عبيدة : مجازه مجاز اليمين ، كأنه قال : الذي أخرجك ربك ؛ كقوله : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾[سورة الليل آية : ٣] ، إنما هو الذي خلق الذكر والأنثى .

قال الفراء : جوابه : ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[سورة الأنفال آية : ٥] ، تقول فامض لأمرك في الغنائم على ما شئت كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون فافعل ذلك .

وقال الكسائي : قد يكون قوله : ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾[سورة الأنفال آية : ٦] ، هو والجواب فمجادلتهم الآن كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، ومرادنا فيما ذكرناه من أن ما يجيء بمعنى لا وبمعنى ليس وغير ذلك إنما تقع موقع ذلك ، ويفيد فائدة ليس إن معنى ما معنى ليس وغيره مما ذكرناه .

المس(١)

أصل المس اللصوق ، مسسته بيدي ثم قيل على وجه التمثيل مسه الضر ، وقيل : مسه النار ، ومس الرجل المرأة إذا جامعها ، والمس الجنون ، ورجل ممسوس مجنون ، وما مسوس نالته الأيدي ، والفرق بين المس واللمس ، أن اللمس يكون باليد لتعرف الخشونة أو اللين أو غير ذلك ، ويكون المس باليد والحجر وغيره ، وقد ذكرنا ذلك .

والمس في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الجماع ، قال الله : ﴿ثُم طَلَقْتُمُوهُن مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسوهُن﴾[سورة الأحزاب آية : ٤٩] ، وقوله : ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[سورة آل عمران آية : ٤٧] ، وإنما سمي الجماع مسا ؛ لأنه مع المس يكون .

الثاني : الإصابة ، قال الله : ﴿مَس آبَاءَنَا الضراءُ وَالسراءُ﴾[سورة الأعراف آية : ٩٥] ، أي : أصابتهم الشدة والرخاء ؛ فجعل المس هنا موضع الإصابة ؛ ليدل على قصر مدة ما أصابهم من ذلك ، وتعرف به أن مدة المكروه والمحبوب في الدنيا قصيرة ، وقال : ﴿مَسنِيَ الشيْطَانُ بنصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[سورة ص آية : ٤١] ، وقال : ﴿لا يَمَسهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٨] .

الثالث : الجنون ، قال الله : ﴿يَتَخَبطُهُ الشيْطَانُ مِنَ الْمس﴾[سورة البقرة آية : ٢٧٥] .

الرابع : المس بالجارحة ، قال الله : ﴿لا يَمَسهُ إِلا الْمُطَهرُونَ﴾[سورة الواقعة آية : ٧٩] ، أراد بالمطهرين الملائكة ، وهو التطهير من الذنوب ، وقيل : لفظه لفظ خبر ، ومعناه النهي ، أي : لا يمسه إلا طاهر .

---

(١) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : اللَّمْسُ الْمَسُّ بِالْيَدِ وَإِذَا كَانَ اللَّمْسُ هُوَ الْمَسُّ فَكَيْفَ يُفَرِّقُ الْفُقَهَاءُ بَيْنَهُمَا فِي لَمْسِ الْخُنْثَى وَيَقُولُونَ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ لَمْسٍ أَوْ مَسٍّ وَنَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْمُلَامَسَةِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ إِذَا لَمَسْتَ ثَوْبِي وَلَمَسْتُ ثَوْبَكَ فَقَدْ وَجَبَ الْبَيْعُ بَيْنَنَا بِكَذَا وَعَلَّلُوهُ بِأَنَّهُ غَرَرٌ وَقَوْلُهُمْ لَا يَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ أَيْ لَيْسَ فِيهِ مَنَعَةٌ . [المصباح المنير :اللام مع الميم] .

المعروف[1]

قد ذكرنا أصله ، وهي في القرآن على أربعة أوجه :

(١) قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل في "المعروف" الذي أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها . فقال بعضهم : ذلك هو القرضُ يستقرضه من ماله ثم يقضيه . ذكر من قال ذلك : حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضَرِّب قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني أنزلت مالَ الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت .

واختلف قائلو هذا القول في معنى :"أكلِ ذلك بالمعروف" . فقال بعضهم : أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع ، ولا يلبس منه . ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدي قال ، أخبرني من سمع ابن عباس يقول :"ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف" ، قال : بأطراف أصابعه .

وقال آخرون : بل"المعروف" في ذلك : أن يأكل ما يسدُّ جوعه ، ويلبس ما وارَى العورة . ذكر من قال ذلك : حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : إن المعروف ليس بلبس الكتَّان ولا الحُلَل ، ولكن ما سدَّ الجوع ووارى العورة .

وقال آخرون : بل ذلك"المعروف" ، أكل تمره ، وشرب رِسْل ماشيته ، بقيامه على ذلك ، فأما الذهب والفضة ، فليس له أخذ شيء منهما إلا على وجه القرض . ذكر من قال ذلك : حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن في حجري أموالَ أيتام ؟ وهو يستأذنه أن يصيب منها ، فقال ابن عباس : ألست تبغي ضالتها ؟ قال : بلى ! قال : ألست تهنأ جَرْباها ؟ قال : بلى ! قال : ألست تَلُطُّ حياضها ؟ قال : بلى ! قال : ألست تَفْرِط عليها يوم وِرْدها ؟ قال : بلى ! قال : فأصِبْ من رسلها يعني : من لبنها .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال :"المعروف" الذي عناه الله تبارك وتعالى في قوله :"ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف" ، أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه ، على وجه الاستقراض منه فأما على غير ذلك الوجه ، فغير جائز له أكله .

وذلك أن الجميع مجمعون على أن والي اليتيم لا يملك من مال يتيمه إلا القيام بمصلحته . فلما كان إجماعًا منهم أنه غير مالكه ، وكان غيرَ جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره ، يتيمًا كان ربُّ المال أو مدركًا رشيدًا وكان عليه إن تعدَّى فاستهلكه بأكل أو غيره ، ضمانه لمن استهلكه عليه ، بإجماع من الجميع وكان والي اليتيم سبيلُه سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه ، سبيلُه سبيلُ غيره ، وإن فارقه في أنّ له الاستقراضَ منه عند الحاجة إليه ، كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه ، إذا كان قيِّمًا بما فيه مصلحته . [جامع البيان :٧/ ٥٩٤] .

الأول : القدر المستحق بحق الولاية ، قال الله : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[سورة النساء آية : ٦] ، أي : من كان غنيا من أولياء اليتامى فليستغن بماله عن مال اليتيم ، ولا يتناول منه شيئا ، ومن كان فقيرا فليأخذ منه القدر الذي يستحقه بقيامه عليه من غير تجاوز له .

وقال بعضهم : يأخذ منه القليل على جهة القرض ، قال : والمعروف هاهنا الفرض ، وكذلك في قوله : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[سورة النساء آية : ١١٤] ، أي : بصدقة أو قرض .

قال أبو علي رضي الله عنه : له في المال القليل أجره مثله من غير تجاوز ، وليس له في المال الكبير أجره مثله ؛ لأنها تكون أكثر من نفقته ونفقة عياله ، والله تعالى جعل له الأكل بالمعروف ؛ فإن كان أكله بالمعروف أكثره من أجره مثله لم يحل له ذلك ، وهذه الآية و هي الأصل في الحجر على المفسد لما له ؛ لأن اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس رشده ؛ منع من التصرف في ماله فغيره ممن يجري مجراه في إفساد ماله مثله .

الثاني : التزين ، قال الله : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِن بِالْمَعْرُوفِ ﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٤] ، أي : إذا بلغن انقضاء عدتهن ؛ فلا إثم عليكم في تركهن والتزين والتطيب وطلب الأزواج من وجه يحسن ويؤلف ولا ينكر وكل ما كان حسنا مألوفا فهو معروف .

الثالث : القول الحسن ، قال الله : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا ﴾[سورة النساء آية : ٥] ، أي : أعطوهم ما يعطونهم إياه وعدوهم بعد ذلك وعدا حسنا جميلا ، أراد أن أعطوهم في لين مس وحسن قول من غير انتهاز وهذا على وجه الترغيب دون الإيجاب ؛ وإن كان اللفظ لفظ أمر ، ومثله قوله : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾[سورة الحج آية : ٧٧] ، وليس ذوي القربى هاهنا بالوراث .

والشاهد أنه قربهم باليتامى والمساكين ، وقال بعضهم : نسخ أمر المشركين الفرض في القسمة وإباحة الثلث للميت يجعله حيث يريد ، ونحن نقول : أن النسخ لا يكون في

النوافل ، وإنما هو في الفروض ، وقوله : ﴿لا تُوَاعِدُوهُن سِرا إلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا﴾[سورة البقرة آية : ٢٣٥] ، والمعنى إباحة التعريض للمرأة المعتدة بالنكاح دون التصريح .

الرابع : قدر الإمكان من نفقة العدة ، قال : ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[سورة البقرة آية : ٢١٤] ، يعني : نفقة العدة ، وهو حق على المتقي وغير المتقي ، ولكنه خص المتقين تشريفا لهم ، وقد تكلمنا في هذه الآية ما فيه كفاية .

من

قال النحويون : من تدخل لابتداء الغاية ، وهو قولك : سرت من البصرة ، فأعلمت أن ابتداء سيرك كان منها ، وقولك : من فلان إلى فلان ، قال : وأخذت منه درهما ، وسمعت منه حديثا ، أي : هو أول هذا الذكر .

وتدخل للتبعيض في قولك : أكلت من طعامك ، وأخذت من مالك ، وقيل : معنى ذلك أنه جعل ماله ابتداء غاية ما أخذ منه ، فدل على التبعيض من حيث صار ما بقى إمهاله والأصل واحد .

قال المبرد : وتكون لإضافة الأنواع إلى الأسماء ؛ كقوله : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[سورة المائدة آية : ٩٠] ، وقوله : ﴿فَاجْتَنِبُوا الرجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[سورة الحج آية : ٣٠] ، والرجس يجمع الأوثان وغيرها ؛ فإذا قلت : من الأوثان وغيرها فإنما معناه الذي ابتداؤه من هذا الصنف ، قال : وكذلك قول سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية ؛ لأن الكلام يكون عجميا وعربيا فأضاف النوع إلى اسمه الذي يبين فيه ، وهو العربية ، وقيل : لما كان في الوثن رجس وغير رجس ، قال : من الأوثان فحرم الرجس منها ، وهو عبادتها ، ولم يحرم أجسامها ، ودخلت من على هذا التقدير ، وقالوا : يكون دخولها كسقوطها في قولك : ما جاءني من أحد .

وقول الله : ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ١٠٥] ، وعند المحققين من النحاة إنها هاهنا ليست زيادة ؛ لأن الزيادة في الكلام من غير فائدة عيب ، ولمن هاهنا معنى صحيح ، وهو أنك إذا قلت : ما جاءني أحد فجاز أن تكون أحد هاهنا بمعنى واحد ، وجاز أن تكون أحد الذي هو بمعنى الجنس ؛ فإذا دخل من زال اللبس فصار المعنى من الناس كلهم ؛ إذا كانوا واحدا واحدا ، وإذا لم يدخل من جاز ، لأن لا يجيئه واحد ويجيئه اثنان فما فوق .

وقال ابن درستويه : إنما أفادت هاهنا أنه لم يجيئه من هذا الجنس شيء ، وإذا لم تدخل من ، كان المعنى أنه لم يجيئه هذا الجنس كله ، ولما كان بمعنى التنكير في الوجهين ، والعموم موجود ظنوا أن من لا معنى لها .

وجاء في القرآن على أربعة أوجه فيما قيل :

الأول : مجيئه بمعنى الباء ، قال : ﴿يُلْقِي الروحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾[سورة غافر آية : ١٥] ، وقال : ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[سورة الرعد آية : ١١] .

الثاني : بمعنى في ، قال الله : ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾[سورة فاطر آية : ٤٠] ، أي : في الأرض .

الثالث : بمعنى على ، و قال الله : ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[سورة الأنبياء آية : ٧٧] ، أي : عليهم ، و عندنا أن ذلك يقال على المسامحة والمقاربة ، فإذا أردت هذه الوجوه إلى أصل من في العربية صحت ؛ فقوله : ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[سورة الرعد آية : ١١] ، أي : ابتداء حفظه من ذلك ، وهكذا قوله : ﴿يُلْقِي الروحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾[سورة غافر آية : ١٥] ، أي : أمره ابتداء الغاية ، وقوله : ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾[سورة الأحقاف آية : ٤] ، أي : ماذا خلقوا بعض الأرض .

الرابع : الوجه الذي ذكر أنه زيادة ، وهو على ما ذكرناه ، قال الله : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[سورة النور آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ١٠٥] ، وقوله : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾[سورة يوسف آية : ١٠١] ؛ قالوا : دخل من هاهنا لتختص هذا الملك من سائر الأشياء ، وكذلك قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[سورة إبراهيم آية : ١٠] ، وإذا كان لدخوله معنى خرج من أن تكون زيادة ؛ فقوله : ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[سورة إبراهيم آية : ١٠] ، أي : بعض ذنوبكم ، وهو الذي يتولون منه ، وقوله : ﴿يَغُضوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[سورة النور آية : ٣٠] ، فإن من للتبعيض ، أي : بعض أبصارهم يريد ما حرم عليهم النظر إليه ، وقيل : هو للتبيين لأنه لما قال : ﴿يَغُضوا﴾[سورة النور آية : ٣٠] ، احتمل أشياء كثيرة ، فبين المراد بمن فقال : ﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[سورة النور آية : ٣٠] ، وأما قوله : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾[سورة النور آية : ٤٣] ، بمعنى قوله : ﴿مِنَ السمَاءِ﴾ [سورة النور آية : ٤٣] ،

أي : من جهة السماء من جبال يعني : السحاب ، وهو شبيه الجبال فجعلها جبالا على التشبيه ، كما تقول للشديد المقدام : أنه لأسد ، أي : كالأسد ، وقال فيها : ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾[سورة النور آية : ٤٣] من هنا للتبعيض ، وذلك أن ما أنفع من البرد في هذا الوقت غير ما يقع في الوقت الآخر ، كما يقع في هذا الوقت هو بعض البرد .

وقال المبرد : أراد من جبال في السماء وتلك الجبال من البرد وإلى نحو من ذلك ، ذهب أبو علي رحمه الله .

وقال الزجاج : أراد من جبال برد ، كما يقال : خاتم في يدي من حديد ، والمعنى خاتم حديد في يدي ، والوجه هو الذي قلناه ، وقيل أيضا : من الأولى لابتداء الغاية ؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية للتبعيض ؛ لأن البرد بعض الجبال التي في السماء ، والثالثة لتبيين الجنس إذا كان جنس تلك الجبال البرد .

المد(١)

أصل المد إتباع بعض الشيء بعضا ، ومنه مددت الجيش ومد الحبل ومدة الشيء وأمد الجرح ؛ كأنه اتبع فسادا بفساد ، ومنه مادة الشيء ، وهو ما يتشعب منه .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : التعمير ، قال الله : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[سورة البقرة آية : ١٥] ، أي : يمد لهم الأيام ، وهم في ضلالهم يتحيرون ، كما قال : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرحْمَنُ مَدا ﴾[سورة مريم آية : ٧٥] ، أي : يمد له العمر ، وهو في ضلاله ويحسن منه ذلك ؛ لأن العبد يصل اختيارا و هو قادر على الهداية .

وليس يجب على الله أن يحول بينه وبين الاستكثار من المعاصي ، كما لا يجب عليه أن يحول بينها وبينه أصلا .

ويجوز أن يكون معناه أنه يمنعهم الطاعة ، وفوائده التي يؤتيها المؤمنين ، وذلك أن تسوية المعاصي بالمطيع مفسدة وإغراء بالازدياد من المعصية .

الثاني : الإعطاء ، قال الله : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴾[سورة المؤمنون آية : ٥٥] ، وقال : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[سورة نوح آية : ١٢] .

الثالث : من مدد الجيش ، قال : ﴿ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبكُمْ ﴾[سورة آل عمران آية : ١٢٤] ، وقوله : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ ﴾[سورة آل عمران آية : ١٢٥] ، كذا

---

(١) [مد] : المَدُّ : الجِذْبُ . وكَثْرَةُ الماءِ أيام المُدُوْدِ ، يُقال : مَدَّ النَهرُ ، وامْتَدَّ الحَبْلُ . ومَده نَهرٌ آخرُ . والمَدَدُ : ما أمْدَدتَ به قَوماً في الحَرْبِ . ومَدَدْتُ القَوْمَ : صِرْت لهم مَدَداً . وأمْدَدْناهم بغَيْرِنا . والمادَّةُ : كُل شَيْءٍ يكونُ مَدَداً لغيْرِه . والدَهرُ مَمْدُوْدَة أي لا يَنْقَطِعُ . والتَّمَدُّدُ : كتَمَدُّدِ السِّقَاءِ . والامْتِدَادُ : الطُوْلُ ، امْتَدَّ بهم السَّيْرُ . والمِدَادُ : الذي يُكْتَبُ به ، ومُدَّني : أعْطِني مَدَّةً ، ومَدَدْتُ الدَّوَاةَ ؛ وأمْدَدْتُها : لُغَةٌ . ولُعْبَةٌ للصِّبْيَانِ يُسَمُّونَها : مِدَادَ قَيْسٍ . وخَيْطُ البنَاءِ . والمِثَالُ ، من قَوْلهم : بَنَوْا بُيُوْتَهم على مِدَادٍ واحِدٍ . [المحيط في اللغة :٢/ ٣٤٠] .

جاء في التفسير ، وهذا الوجه والذي قبله سواء ، ولا فرق بين أن تقول أمده بعطيه ، وأمده بجيش ، ويقال : أمد النهر ، ومدة نهر آخر .

الرابع : البسط ، قال الله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[سورة الواقعة آية : ٣٠] ، أي : مبسوط ، ومنه مددت الثوب والبساط ، أي : بسطته .

الخامس : الدوام ، قال الله : ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَداً ﴾ [سورة مريم آية : ٧٩] ، أي : يديمه .

السادس : الإدرار ، قال الله : ﴿ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾[سورة المدثر آية : ١٢] ، أي : دارا لا تنقطع في شتاء ولا صيف .

السابع : التسوية ، قال الله : ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدت ﴾ [سورة لانشقاق آية : ٣] ، قالوا : معناه و ألقى ما على ظهرها من الجبال حتى استوت ، وقيل : معناه غيرت عن هيئتها وبدلت .

المستقر[1]

أصل الاستقرار السكون ، ومنه قيل : لبطن الوادي قرار ، لأن الشيء إذا صار إليه سكن ، والقرة البرد ، لأن الناس يسكنون معه ، ويقال للشيء : يوضع في موضعه صابت بقر ؛ لأنه إذا وضع في موضعه لزمه ، ولم يزايله فشبه بالساكن ، ويقال : للهودج قد لثباته على ظهر البعير ؛ كأنه سكن قوته ، وأما قولهم : قر عليه دلوا من ماء ، فليس من هذا وإنما حكوا صوت الماء عند انصبابه ، وأما قرت عينه ، فهو راجع إلي البرد ، وهو خلاف سخنت .

والمستقر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿فَمُسْتَقَر وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[سورة الأنعام آية : ٩٨] ، قالوا : المستقر أرحام النساء ، والمستودع أصلاب الرجال ، والمرتفع على معنى قبلكم مستقر ومستودع وقرئ فمستقر بكسر القاف ، ومستودع بفتح الدال لا غير ، أي : فمنكم مستقر في الرحم ومنكم مستودع في الصلب .

وقيل : مستقر في الدنيا ، ومستودع في الأصلاب وقيل : مستقر في الأحياء ، ومستودع في الثرى .

الثاني : قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[سورة هود آية : ٦] ، أي : حيث مستقر بالليل ومستودعها حيث يموت ، هكذا قيل .

وقيل : مستودعها كالولد في البطن والنطفة في الظهر ، وقال : ﴿كُل فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[سورة هود آية : ٦] ، أي : كتب ذلك مع أنه عالم به لما للملائكة فيه من العبر .

الثالث : المنتهى ، قال الله : ﴿لِكُل نَبَإٍ مُسْتَقَر﴾[سورة الأنعام آية : ٦٧] ، أي : منتهى ، وقيل : أن لأخذنا إياكم بالإيمان جريا وقسرا ، مستقر أي : وقت ، وسوف تعلمون

---

(١)(ق ر ر) : قَرَّ الشَّيْءُ قَرًّا مِنْ بَابِ ضَرَبَ اسْتَقَرَّ بِالْمَكَانِ وَالإِسْمُ الْقَرَارُ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَوْمُ الْقَرِّ لِأَنَّ النَّاسَ يَقِرُّونَ فِي مِنًى لِلنَّحْرِ وَالإِسْتِقْرَارُ التَّمَكُّنُ وَقَرَارُ الأَرْضِ الْمُسْتَقَرُّ الثَّابِتُ وَقَاعٌ قَرْقَرٌ أَيْ مُسْتَوٍ . [المصباح المنير :القاف مع الراء] .

في الآخرة ، ومثله قوله : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[سورة يس آية : ٣٨] ، أي : لمنتهى لها ، وهو القيامة ، والمعنى أن لها أجلا تصير إليه ، وقرئ لا مستقر لها ، أي : هي تسير أبدا لا تستقر ، وقيل : ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ أي : لا بعد مطالعها ومنازلها في الغروب ، وقيل : لمقدار من السير قد استقرت عليه لا تجاوزه ، وقيل : مستقرها وقوفها عن المسير في الليلة التي تطلع في صحبتها من المغرب عند دنو الساعة .

المشي(١)

أصله من الزيادة والمشاء النماء، والمشي الإسهال ؛ لأنه زيادة عن الحاجة ، ومشى بفلان مشيا ومشوا ، وهو الدواء المسهل ، وقيل للماشية ماشية ؛ لأن الغالب على حركتها المشي دون العدو .

والمشي في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : مجيئه بمعنى المضي ، قال : ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠] ، أي : مضوا .

الثاني : بمعنى المرور ، قال الله : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾[سورة طه آية : ١٢٨] ، أي : يمرون على قرائهم وترونها خرابا بعد إن كانت عامرة .

الثالث : السير ، قال الله : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾[سورة الملك آية : ١٥] ، أي : سيروا ، وهذه المعاني كلها متقاربة ، يجوز أن يقع بعضها مقام بعض .

الرابع : النماء ، قال الله : ﴿امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾[سورة ص آية : ٦] ، قال معناه : أنموا ، قال الشاعر :

مثلي لا يحسن قولا فعفع ... والشاة لا تمشي مع الهملع

---

(١) (م ش ي) : (الْمَشْيُ) السَّيْرُ عَلَى الْقَدَمِ سَرِيعًا كَانَ أَوْ غَيْرَ سَرِيعٍ وَالسَّعْيُ الْعَدْوُ وَمِنْهُ ﴿إذَا أَتَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ﴾ وَاسْتَمْشَى أَيْ شَرِبَ مَشُوًّا أَوْ مَشْيًا وَهُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي يُسَهِّلُ (وَقَوْلُهُ) وَكَذَلِكَ إذَا دَخَلَ الْمُخْرَجَ أَوْ جَامَعَ أَوْ اسْتَمْشَى قَالُوا الِاسْتِمْشَاءُ كِنَايَةٌ عَنْ التَّغَوُّطِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مُتَوَجِّهًا إلَّا أَنَّ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى اسْتَمْنَى أَوْجَهُ (وَمَشَتْ الْمَرْأَةُ مَشَاءً) كَثُرَ أَوْلَادُهَا وَنَاقَةٌ مَاشِيَةٌ كَثِيرَةُ الْأَوْلَادِ (وَمِنْهُ) الْمَاشِيَةُ وَالْمَوَاشِي عَلَى التَّفَاؤُلِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّسْلِ وَالْقِنْيَةِ . [المغرب :الميم مع الشين] .

أي لا تنمي ، وقيل : أراد أن بعضهم قال لبعض : امشوا أي : امضوا ، واصبروا أي : انطلقوا وهم يقولون هذا القول ، ويقال : مشيت الماشية مشاء ، وفشت فشاء ، ونمت نماء ، وضنت ضناء ، وأمشى أصحابها وأفشوا وأنموا وأضنوا .

المرض[(١)]

أصله من الضعف ، ومنه قيل : امرأة مريضة الألحاظ والنظر أي : ضعيفها ، وسمي المرض مرضا ؛ لأنه يضعف الجسم ، ومنه قيل : مرض في القول إذا ضعف قوله ، والتمريض القيام على المريض .

والمرض في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الغم ، في قوله : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾[سورة البقرة آية : ١٠] ، أي : غما بما يرزقه من التأييد حالا بعد حال ، وسمي الغم في القلب مرضا تشبيها بمرض الحسد ، لأنه يغيره عن حاله .

الثاني : النفاق ، قال الله : ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[سورة الأحزاب آية : ٣٢] ، أي : نفاق وشك .

الثالث : المرض المعروف ، قال الله : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[سورة البقرة آية : ١٨٤] ، أراد فمن كان كذلك وأفطر عليه فصاعدة الأيام التي أفطر فيها ، فحذف أفطر ، كما قال : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[سورة البقرة آية : ١٩٦] ، يريد فمن كان كذلك محلق فعليه فدية ، وقال : ﴿وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[سورة النور آية : ٦١] .

---

(١) (م ر ض) : مَرِضَ الْحَيَوَانُ مَرَضًا مِنْ بَابِ تَعِبَ وَالْمَرَضُ حَالَةٌ خَارِجَةٌ عَنْ الطَّبْعِ ضَارَّةٌ بِالْفِعْلِ وَيُعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْآلَامَ وَالْأَوْرَامَ أَعْرَاضٌ عَنْ الْمَرَضِ .
وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ : الْمَرَضُ كُلُّ مَا خَرَجَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ حَدِّ الصِّحَّةِ مِنْ عِلَّةٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي أَمْرٍ وَمَرِضَ مَرَضًا لُغَةٌ قَلِيلَةُ الِاسْتِعْمَالِ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَمْرِو بن الْعَلَاءِ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَقَالَ لِي مَرْضٌ يَا غُلَامُ أَيْ بِالسُّكُونِ وَالْفَاعِلُ مِنْ الْأُولَى مَرِيضٌ وَجَمْعُهُ مَرْضَى وَمِنْ الثَّانِيَةِ مَارِضٌ قَالَ لَيْسَ بِمَهْزُولٍ وَلَا بِمَارِضٍ وَيُعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَمْرَضَهُ اللهُ وَمَرَّضْتُهُ تَمْرِيضًا تَكَفَّلْتُ بِمُدَاوَاتِهِ . [المصباح المنير :الميم مع الراء] .

المحصنات(١)

أصل الكلمة من المنع ، ومنه الحصن لمنعه لما فيه ، وامرأة حصان لمنعها فرجها وفرس حصان لامتناع فارسه به ، والعرب تسمى الخيل حصونا به ، قال الأشقر :

ولقد علمت على توقي الـــردى   إن الحصون الخيل لا مدر القـــري

وأوصى بعضهم بمال في الحصون فجعل في الخيل ، وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾[سورة النور آية : ٤] ، والإحصان على ضربين :

---

(١) (ح ص ن) : (الْحُصْنُ) بِالضَّمِّ الْعِفَّةُ وَكَذَا الْإِحْصَانُ وَأَصْلُ التَّرْكِيبِ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْمَنْعِ (وَمِنْهُ) الْحِصْنُ بِالْكَسْرِ وَهُوَ كُلُّ مَكَانٍ مَحْمِيٍّ مُحْرَزٍ لَا يُتَوَصَّلُ إلَى مَا فِي جَوْفِهِ وَبِهِ سُمِّيَ وَالِدُ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ الْفَزَارِيِّ وَكَنَّازُ بن حِصْنٍ الْغَنَوِيُّ (وَبِتَصْغِيرِهِ) سُمِّيَ حُصَيْنُ بن عَبْدِ اللَّهِ فِي حَدِيثِ الْقِرْطَاسِ (وَحُضَيْنٌ) تَصْحِيفٌ وَأَمَّا سُفْيَانُ بن حُصَيْنٍ كَمَا ذَكَرَ خُوَاهَرْ زَادَهْ فِي حَدِيثِ صَوْمِ التَّطَوُّعِ وَقَالَ ضَعَّفَهُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَالصَّوَابُ سُفْيَانُ بن حُسَيْنٍ بِالسِّينِ كَمَا ذَكَرَ فِي تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ وَهُوَ مُؤَدِّبٌ لِلْمَهْدِيِّ وَقَالَ صَاحِبُ الْجَرْحِ عَنْ يَحْيَى بن مَعِينٍ هُوَ ثِقَةٌ وَعَنْ وَالِدِهِ هُوَ صَالِحُ الْحَدِيثِ يُكْتَبُ حَدِيثُهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَدْ حَصُنَ الْمَكَانُ حَصَانَةً فَهُوَ حَصِينٌ (وَبِهِ) كُنِّيَ أَبُو حَصِينٍ عُثْمَانُ بن عَاصِمِ بن الْحُصَيْنِ الْأَسَدِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَالنَّخَعِيِّ وَعَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَشَرِيكٌ وَضَمُّ الْحَاءِ تَحْرِيفٌ عَنْ ابْنِ مَاكُولَا وَغَيْرِهِ وَفِي نُسْخَةِ سَمَاعِي مِنْ السِّيَرِ وَمَتْنِ الْأَحَادِيثِ أَبُو الْحُصَيْنِ عَنْ الشَّعْبِيِّ وَعَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ فِي بَابِ مَبْعَثِ السَّرَايَا وَحَصَّنَهُ صَاحِبُهُ (وَأَحْصَنَهُ) (وَمِنْهُ) ﴿ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾ أَيْ لِتَمْنَعَكُمْ وَتُحْرِزَكُمْ وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعِفَّةِ حُصْنٌ لِأَنَّهَا تُحْصِنُ مِنْ الرِّيبَةِ (وَامْرَأَةٌ حَاصِنٌ وَحَصَانٌ) بِالْفَتْحِ وَقَدْ أَحْصَنَتْ إذَا عَفَّتْ وَأَحْصَنَهَا زَوْجُهَا إذَا عَفَّهَا فَهِيَ مُحْصَنَةٌ بِالْفَتْحِ وَأَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَهِيَ مُحْصِنَةٌ بِالْكَسْرِ وَأُرِيدَ بِالْمُحْصَنَاتِ ذَوَاتُ الْأَزْوَاجِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ وَالْحَرَائِرُ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ وَالْعَفَائِفُ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ يَعْنِي الْكِتَابِيَّاتِ وَشَرَائِطُ الْإِحْصَانِ فِي بَابِ الرَّجْمِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ سِتَّةٌ الْإِسْلَامُ وَالْحُرِّيَّةُ وَالْعَقْلُ وَالْبُلُوغُ وَالتَّزَوُّجُ بِنِكَاحٍ صَحِيحٍ وَالدُّخُولُ وَفِي بَابِ الْقَذْفِ الْأَرْبَعُ الْأُوَلُ وَالْعِفَّةُ (وَالْحِصَانُ) بِالْكَسْرِ الذَّكَرُ مِنْ الْخَيْلِ إمَّا لِأَنَّ ظَهْرَهُ كَالْحِصْنِ لِرَاكِبِهِ (وَمِنْهُ) إنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرُ الْقُرَى وَإِمَّا لِأَنَّ مَاءَهُ مُحْصَنٌ مُحْرَزٌ يُضَنُّ بِهِ فَلَا يَنْزِي إلَّا عَلَى حَجَرٍ كَرِيمَةٍ وَالْجَمْعُ بِضَمَّتَيْنِ حُصُنٌ (فِي الْحَدِيثِ) ﴿ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ أَيْ مَنْ ضَبَطَهَا عِلْمًا وَإِيمَانًا بَيْعُ الْحَصَاةِ فِي (ن ب) . [المغرب :الحاء مع الصاد] .

أحدهما : ما يتعلق به وجوب الرجم على الزاني ، وهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما ، وقد تزوج امرأة نكاحا صحيحا ودخل بها وهما كذلك .

والآخر : الإحصان الذي يجب به الحد على قاذفه ، وهو أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عفيفا ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في هذا ، وخص قاذف المحصنات ، وأجمعوا على أن قاذف المحصنين مثله ، واتفقوا على أن المراد القذف بالزنا دون القذف بالسرق وشرب الخمر والكفر وغير ذلك .

والمحصنات في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الحرائر ، قال الله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾[سورة النساء آية : ٢٥] ، يعني : الحرائر ، أي : من لم يتسع حاله ليتزوج الحرائر لما يحتاج إليه من زيادة النفقة والمهر تزوج الإماء ؛ لأن مهرهن أقل ونفقتهن على مواليهن ، وسميت الحرة محصنة ؛ لأنها تحصن أي : تمنع وليست كلامه تبتذل وتمتهن .

الثاني : ذوات الأزواج ، قال الله : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[سورة النساء آية : ٢٤] ، وذلك أن أزواجهن أحصوهن فعطف بهن على قوله : ﴿ حُرِمَتْ عَلَيْكُمْ أُمهَاتُكُمْ ﴾[سورة النساء آية : ٢٣] ، أي : وذوات الأزواج محرمات عليكم ، : ﴿إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[سورة النساء آية : ٢٤] ، يعني : سبايا المشركين ، فإنهن محللات لكم إذا استبرأتموهن ، وإن كان لهن أزواج في بلاد الشرك .

الثالث : العفائف ، قال الله : ﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾[سورة النساء آية : ٢٥] ، أي : عفيفات ، وكذلك قوله : ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾[سورة المائدة آية : ٥] ، أي : أعفاء غيره زناه ، وقوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[سورة المائدة آية : ٥] ، أراد أنه أحل لكم طعام أهل الكتاب ، وأحل لكم العفائف من المؤمنات ، والعفائف من اليهود والنصارى .

وقال بعضهم : أراد اللاتي كن على اليهودية والنصرانية ثم أسلمن وهذا غلط ؛ لأنه ذكر المؤمنات ، فلم يكن لذكرهن ثانية وجه ، قال الشعبي : إحصان الكتابية أن تغتسل من الجنابة

وتحصن فرجها من الزنا ، قالوا : وأما قوله : ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتى يُؤْمِن﴾[سورة البقرة آية : ٢٢١] ، فإن إطلاق اسم الشرك لا يتناول أهل الكتاب ، وإنما يتناول عباد الأوثان ؛ لأن الله فرق بينهم في قوله : ﴿لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكينَ حَتى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة آية : ١] ، فعطف المشركين على أهل الكتاب .

الرابع : المسلمات ، كذا قال بعض أهل التفسير ، ولم يقل : الذين يرمون المحصنين ، لأن قوله : ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ ، دليل عليهم ، وذلك أن المرأة ترمى بالرجل ، كما قال : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَر﴾[سورة النحل آية : ٨١] ، ولم يذكر البرد ، لأنها إذا وقت الحر وقت البرد ، وخص المحصنات بالذكر لأن ذلك اتسع ، وأكثر أهل التفسير على أن المحصنات هاهنا العفائف .

المثل[1]

المثل في الأصل يشتمل على ذكر تماثل الشيئين كقولهم : كما تدين تدان ، وهو من قولك : هذا مثل الشيء ، ومثله كما تقول شبهه وشبهه ، وبين المثل والشبه فرق ذكرناه في كتاب "البديع في الفروق" ثم جعل كل حكمة وسائرة ومثلا ، وقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به ، إلا أنه لا يتفق له أن يسير فلا يكون مثلا .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الشبه ، قال الله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾[سورة البقرة آية : ١٦] ، وقال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾[سورة العنكبوت آية : ٤١] ، وقوله : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا ﴾[سورة التحريم آية : ١١ ، النحل : ٧٦ ، ١١٢] ، أي : وصف شبها ، وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك ضرب في الأرض إذا سار فيها .

الثاني : العبرة ، قال الله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٦] ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[سورة الزخرف آية : ٥٩] ، والمعنى أنه صارت له شهرة كشهرة الأمثال السائرة ، وأراد أن من بعدهم يتمثل بهم إذا رأى مثل حالهم .

الثالث : على ما قبل الصفة ، قال الله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾[سورة محمد آية : ١٥] ، أي : صفتها أن فيها أنهارا .

---

(١) (م ث ل) : (الْمِثْلُ) وَاحِدُ الْأَمْثَالِ وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ أَيْ فَعَلَيْهِ جَزَاءٌ مُمَاثِلٌ لِمَا قَتَلَ مِنَ الصَّيْدِ وَهُوَ قِيمَةُ الصَّيْدِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللهُ وَعِنْدَ مُحَمَّدٍ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ مِثْلُهُ نَظِيرُهُ مِنَ النَّعَمِ فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ عُدِلَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ فَمِنَ النَّعَمِ عَلَى الْأَوَّلِ بَيَانٌ لِلْهَدْيِ الْمُشْتَرَى بِالْقِيمَةِ وَعَلَى الثَّانِي لِلْمِثْلِ وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ لِأَنَّ التَّخْيِيرَ بَيْنَ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ وَانْتِصَابُ هَدْيًا عَلَى أَنَّهُ حَالٌ عَنْ جَزَاءٍ لِأَنَّهُ مَوْصُوفٌ أَوْ مُضَافٌ عَلَى حِسَابِ الْقِرَاءَتَيْنِ أَوْ عَنِ الضَّمِيرِ فِي بِهِ (وَمَثَّلَ بِهِ مُثْلَةً) وَذَلِكَ بِأَنْ يَقْطَعَ بَعْضَ أَعْضَائِهِ أَوْ يُسَوِّدَ وَجْهَهُ . [المغرب :الميم مع الثاء] .

وقال بعضهم : أن مثل ما يوعدون من أنهار الماء واللبن والخمر في الجنة ما يعرفون من هذه الأشياء في الدنيا ، كأنه قال : مثل الجنة التي توعدون في الآخرة والجنة التي تعقلونها بهذه الصفة ، وهذا هو الوجه المختار .

الرابع : السنن ، قال الله : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[سورة البقرة آية : ٢١٤] ، يعني : سنن الذين من قبلكم ، أي : ما أخروا عليه في الدنيا من السراء والضراء وهذا بعيد .

والوجه أن يقال : أنه أراد ولما يصبكم مثل ما أصابهم من السراء والضراء ، وقيل : الشبه والمثل في الشبه والمثل في الهيئة في أكثر الكلام ، وقد يقال فيه : مثل ومثل لغتان ، والشبه في المتماثلين من كل شيء ، وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق ، وليس هذا موضع الإطالة فيه ، وعندنا أن المماثلة تكون بين الذوات والمشابهة بين الصفات ، ومثله قوله : ﴿وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾[سورة الزخرف آية : ٨] ، أي : سننهم .

ومثله قوله : ﴿وَمَثَلا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٤] ، يعني : سنن العذاب ، كذا قيل ، والصحيح أنه أراد : ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٤] ، أي : أخبارا تكون لكم مثلا ، وعبرة تعتبرونها فتنتفعون بها في آيات الدين والدنيا ، وهكذا معنى قوله : ﴿وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨] ، أي : مضى في القرآن من أخبارهم ما يكون مثلا .

المتاع[1]

أصله الطول والامتداد ، ومنه قيل : متع النهار إذا امتد ، وتمتعت بالشيء إذا طال تلذذك به .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المدة ، قال الله : ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٦] ، أي : مدة تمتد إلى حين ، كذا جاء في التفسير ، ويجوز أن يكون المراد المنفعة أي : لكم مستقر ومنفعة إلى حين .

الثاني : ما ينتفع به من آلة ، قال الله : ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ [سورة الرعد آية : ١٧] .

الثالث : المنفعة ، قال الله : ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٣] ، يعني : النار جعلها الله تذكرة بنار جهنم ، ومنفعة للمقوين .

قال أهل العربية : للمقوي الضعيف ، والقوي وهو من الأضداد ، وقيل : للمقوي الذي صار إلى القواء ، وهو القفر من الأرض ، ومثله : ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [سورة النازعات آية : ٣٣] ، وقال الله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٢٩] ، أي : منفعة يعني : أنها تقيكم من الحر والبرد ، ومنه متعة المطلقة وهي أن تطلق المرأة قبل تسمية المهر ، والدخول .

قال أصحابنا : المتعة في هذا واجبة لقوله تعالى : ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٦] ، فأمر بها ، والأمر على الوجوب ثم أكد بقوله : ﴿حَقًّا عَلَى

---

(١) (م ت ع) : (المَتَاعُ) فِي اللُّغَةِ كُلُّ مَا انْتُفِعَ بِهِ وَعَنْ عَلِيّ بن عِيسَى مَبِيعُ التُّجَّارِ مِمَّا يَصْلُحُ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهِ فَالطَّعَامُ مَتَاعٌ وَالْبَزُّ مَتَاعٌ وَأَثَاثُ الْبَيْتِ مَتَاعٌ قَالَ وَأَصْلُهُ النَّفْعُ الْحَاضِرُ (٢٤٨ / أ) وَهُوَ مَصْدَرُ (أَمْتَعَهُ إمْتَاعًا) وَ (مَتَاعًا) قُلْت وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ (مَتَّعَ) كَالسَّلَامِ مِنْ سَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾ أَوْعِيَةُ الطَّعَامِ وَقَدْ يُكَنَّى بِهِ عَنْ الذَّكَرِ وَمَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ فِي تَفْسِيرِ الْمَتَاعِ مُثْبَتٌ فِي السِّيَرِ (وَمُتْعَةُ) الطَّلَاقِ وَمُتْعَةُ الْحَجِّ وَمُتْعَةُ النِّكَاحِ كُلُّهَا مِنْ ذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ النَّفْعِ أَوْ الِانْتِفَاعِ . [المغرب :الميم مع التاء] .

الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٦] ، وليس في ألفاظ الإيجاب أوكد من هذا ؛ لأنه جعلها من شرائط الإحسان ، وعلى كل أحد أن يكون محسنا ، وإذا وجبت عليهم وجبت على غيرهم ، لأن أحدا لا يفرق بين المحسن والمسيء في الفروض ، ولا يجوز أن تكون ندبا ؛ لأن الندب لا يختلف فيه المحسنون وغيرهم ، وعند أصحابنا أن المتعة لا تكون أكثر من نصف مهر المثل ، وفيه كلام كثير أوردناه في التفسير .

وأما قوله : ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤١] ، فالمتاع هنا نفقة العدة ، وأوردنا هذه الوجوه على ما جاء عن السلف ، وعندنا أن المراد بجميع ذلك المنفعة مع التلذذ ، ومثله : ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٤] .

وقال بعض أهل اللغة : أصل التمتع التزود ، والمتاع الزاد ، وتستعمل في التلذذ ، وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] .

قال المفضل : إلى هاهنا بمعنى مع ، والتمتع بالعمرة إلى الحج ، وهو أن يأتي بعمرة في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة ، حتى إذا قضاها حل من إحرامه ثم أحرم من عامه بالحج فعليه ما استيسر من الهدي ، واستيسر وتيسر واحد مثل استأخر وتأخر ، وأدنى ذلك شاة ، و يجوز مثلها في الأضاحي ، وكذلك القادر ، وليس على المفرد هدي ، وأما متعة النساء فحرام ، ومن خالف فيه فهو خارج من الإجماع ، والإجماع قد سبق بتحريمه ، ونهى عمر رضي الله عنه عنها لنهي رسول الله صلى الله عليه عنها ، والشاهد ما روى أبو هريرة "أن النبي صلى الله عليه حرم المتعة بالطلاق والنكاح"(١) ، وقول الله عز وجل : ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧] ، والمتعة هي وراء ذلك ، وأما متعة الحج فإن النبي صلى الله عليه أحله بثلاثة أيام ثم حرمه ، وكان ابن عباس يحل المتعة فقال له علي عليه السلام : "أنت أمرؤ تائه نهى رسول الله صلي الله عليه عن متعة النساء ، وأكل حمر الأهلية بخيبر" ، فرجع ابن عباس عن هذا القول ، ونادى يوم عرفة بأعلى صوته : "أنا عبد الله بن العباس إلا أن المتعة حرام كالميتة والدم" .

---

(١) أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة (٤١٤٩) .

المولى(١)

المعتق ، والمعتق ، والعصبة ، وابن العم ، والحليفة ، والصاحب ، والولي ، والأولى بالشيء ، قال رسول الله صلى الله عليه : "أية امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل"(٢) ، أي : بغير إذن وليها ، ويقال لمن تولاه الرجل وإن لم يكن قريبا له مولى .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الولي ، قال الله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١١] ، أي : لا ولي لهم ، وقوله : ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ ﴾ [سورة الحج آية : ١٣] ، أي : لبئس الولي ، وقيل : لا مولى لهم أي : ناصر لهم ، وقيل : المولى هو المتولي للتدبير لمن ولاه ، تقول : نصر الله النبي والمؤمنين بما تولى لهم من التدبير ، : ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١١] ، أي : لا متولي لأمرهم عند أخذ الله إياهم .

الثاني : العصبة قال الله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾ [سورة مريم آية : ٥] ، يعني : العصبة ، ومثله : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [سورة النساء آية : ٣٣] ، كذا قيل ، ويجوز أن يكون المولى هاهنا بمعنى الأولى بالشيء ، والمعنى أن لكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون وارثا هو أولى به من غيره ، ومنه قيل لمالك : العبد مولاه ؛ لأنه أولى به .

الثالث : ابن العم ، قال الله : ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥] ، أي : وبنو أعمامكم ، ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ وَمَوَالِيكُمْ ﴾

---

(١) المولى : من لا يمكن له قربان امرأته إلا بشيء يلزمه . ومولى الموالاة ، بيانه : أن شخصاً مجهول النسب آخى معروف النسب ووالى معه ، فقال : إن جنت يدي جناية فتجب ديتها على عاقلتك ، وإن حصل لي مال فهو لك بعد موتي ، فقبل المولى هذا القول ، ويسمى هذا القول : موالاة ، والشخص المعروف : مولى الموالاة . [التعريفات :١/ ٧٩] .

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها (٢٠٨٣) ، وابن ماجه (١٨٧٩) ، وأحمد في مسنده (٢٣٦٨٤) ، والدارمي (٢١٨٤) ، وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه الترمذي (١١٠٢) .

أولياءكم في الدين ، ويجوز أن يقال : أراد أنهم أصحابكم ؛ لأنكم تستعينون بهم في بعض أموركم ، وهم أيضا منضافون إليكم ، وصاحب الرجل منضاف إليه ، قال الشاعر :

ولست مولى سواه أدعي لها ... فإن لسوات الأمور مواليا

مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، ومن بين أيديهم ومن خلفهم

جاء هذا الحرف في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾(١) [سورة البقرة آية : ٢٥٥]، أي : ما كان قبلهم ، وما يكون بعدهم .

الثاني : في سورة مريم : ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [سورة مريم آية : ٦٤] ، يعني : الآخرة ، : ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ [سورة مريم آية : ٦٤] ، ما يكون من أمور الدنيا ، ومثله ما حكاه عن إبليس في قوله : ﴿ثُم لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧] ، قال : لأخبرنهم أن لا بعث وما خلفهم أن أزين لهم الدنيا وقريب منه ، قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [سورة يس آية : ٤٥] ، يعني : عذاب الآخرة وعذاب الدنيا ، وقال : ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة يس آية : ٤٥] ، من صنع الله في الأمم الخالية ، : ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ [سورة يس آية : ٤٥] ، يعني : عذاب الآخرة .

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ففيه مسألتان :
المسألة الأولى : قال صاحب «الكشاف» : الضمير لما في السموات والأرض ، لأن فيهم العقلاء ، أو لما دل عليه ﴿مَن ذَا﴾ من الملائكة والأنبياء .
المسألة الثانية : في الآية وجوه أحدها : قال مجاهد ، وعطاء ، والسدي ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما كان قبلهم من أمور الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون بعدهم من أمر الآخرة والثاني : قال الضحاك والكلبي ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم والثالث : قال عطاء عن ابن عباس ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من السماء إلى الأرض ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يريد ما في السموات الرابع ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بعد انقضاء آجالهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما كان من قبل أن يخلقهم والخامس : ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك .
واعلم أن المقصود من هذا الكلام : أنه سبحانه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق العقاب والثواب ، لأنه عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية ، والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله تعالى ، ولا يعلمون أن الله تعالى هل أذن لهم في تلك الشفاعة وأنهم يستحقون المقت والزجر على ذلك ، وهذا يدل على أنه ليس لأحد من الخلائق أن يقدم على الشفاعة إلا بإذن الله تعالى . [مفاتيح الغيب :٣/ ٤٥٠] .

الثالث : بمعنى قبل وبعد ، قال الله : ﴿ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢١] ، أي : قبل مبعثه وبعده ، يعني : هودا عليه السلام .

المنسك[1]

أصل النسك : الذبح ، والنسيكة الذبيحة ، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل عبادة نسك ، وكل عابد ناسك ، ومنه مناسك الحج .

والمنسك في القرآن على وجهين :

الأول : المراد به الذبائح ، وهو قوله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، أي : جعلنا لكل أمة من الأمم التي بعث فيها الأنبياء ذبائح يتقربون بها إلى الله ، والشاهد قوله تعالى : ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، وأصل المنسك المصدر فعبر به عن الذبائح ، وفي قوله : ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، دليل على بطلان قول المجبرة إذا قالوا : أنه تعالى جعل للكفار منهم ذلك ليذكروا عليه اسم الأصنام .

الثاني : الضرب من العبادات ، وهو قوله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] ، هم ناسكوه أي : جعلنا لكل أمة بعثنا فيها نبيا ضربا من العبادات والشرائع ، وقال بعضهم : المنسك الموضع الذي يجب أن يتعهد ، وقرئ منسكا أي : مكان نسك ، مثل المجلس لمكان الجلوس .

---

(١) (ن س ك) : (نَسَكَ) للهِ تَعَالَى نَسْكًا وَمَنْسَكًا إذَا ذَبَحَ لِوَجْهِهِ (وَالنَّسِيكَةُ) الذَّبِيحَةُ (وَالْمَنْسِكُ) بِالْكَسْرِ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُذْبَحُ فِيهِ وَقَدْ تُسَمَّى الذَّبِيحَةُ نُسُكًا يُقَالُ مَنْ فَعَلَ كَذَا فَعَلَيْهِ نُسُكٌ أَيْ دَمٌ يُهَرِيقُهُ بِمَكَّةَ ثُمَّ قَالُوا لِكُلِّ عِبَادَةٍ نُسُكٌ (وَمِنْهُ) ﴿إنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ (وَالنَّاسِكُ) الْعَابِدُ الزَّاهِدُ (وَمَنَاسِكُ) الْحَجِّ عِبَادَاتُهُ وَهَذَا مِنْ الْخَاصِّ الَّذِي صَارَ عَامًّا (وَقَوْلُهُ) فِي أَضَاحِيِّ حِيَرَ الْخُوَارِزْمِيِّ ﴿وَلْيُحِدَّ شَفْرَتَهُ وَيُرِيحَ مَنْسَكَهُ﴾ الصَّوَابُ وَيُرِحْ نُسُكَهُ أَوْ نَسِيكَتَهُ عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي الْأَصْلِ ذَبِيحَتَهُ وَالْمَعْنَى الْحَثُّ عَلَى إسْرَاعِ الذَّبْحِ وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنْ يُؤَخِّرَ سَلْخَهُ حَتَّى يَبْرُدَ (انْقِطَاعُ النَّسْلِ) فِي (ر س) . [المغرب :النون مع السين المهملة] .

المصيبة

أصل الإصابة القصد ، وفي المثل : أصاب الصواب فأخطأ الجواب أي : أراد ، ومنه قوله : ﴿رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [سورة ص آية : ٣٦] ، أي : أراد وصاب الشيء إذا نزل من علو إلى سفل ، كأنه يقصد الوجهة التي يمر فيها ، وكذلك في إصابة السهم .

والمصيبة في القرآن على وجهين :

الأول : مكاره الدنيا من القحط والجدب والمرض ، قال الله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى آية : ٣٠] ، وقوله : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٢] ، فالمصيبة في الأرض الجدب ، وفي الأنفس المرض ، ودليل هذا قوله : ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٣] ، ولو أراد بالمصيبة الطاعة ، والمعصية على ما يقوله المجبرة لم يقل : ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٣] ، وقوله : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة التغابن آية : ١١] ، يعني : هذه المكاره ، وقال : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى آية : ٢١] ، فهذا دليل على أن المصيبة ليست بالمعصية ، إذا ذكر أنه لم يأذن بالمعصية ، وأذن بالمصبة ، والمصائب من الله حسنة ، والأذن على هذا التفسير الأمر ، وهو أن يأمر الملك بإنزال المصيبة فيهم ، ويجوز أن يكون بمعنى العلم ، والمراد أن الله يعلمها ويجازيهم عليها بالحسنى .

الثاني : الهزيمة والقتل ، قال الله : ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة التوبة آية : ٥٠] ، يعني : أنكم إن هزمتم استصوب المنافقون بخلفهم عن القتال معكم ، والأصل في هذه الوجوه واحد وهو الخلة المكروهة الشديدة الكراهة يترك الإنسان .

المقام

المقام يكون مصدرا يقال : قام الرجل مقاما حسنا ، أي : قياما ، ويكون موضع القيام ويجمع مقامه ، ومنه : ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٥ ، آل عمران : ٩٧] ، وأصله من الاستواء ، قوم الشيء إذا سواه وأقام الوزن أي : عدله ، وقام الرجل لاستوائه منصبا ، ويقال : مقام ومقامة مثل مكان ومكانة هذا قول ، وقول آخر أن المكانة الطريقة ، ومنه قوله تعالى : ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٥] ، أي : على طريقتكم في الكفر والمقامة الجماعة ، قال زهير :

وفِيْهِمْ مَقَامَا حَسَّانُ وجُوهُهُمْ

والمقامة بالضم المجلس يوكل فيه ، والمقامة بالفتح المجلس يتحدث فيه ، والمقام الإقامة ، وفي قوله : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٥] ، خلاف .

قال ابن عباس ، ومجاهد : يعني : الحج كله ، وروي عن مجاهد أيضا أنه قال : أي مصلى أو مدعى من صليت إذا دعوت .

وروي عن ابن عباس أيضا قال : هو المقام بعرفة ، وقال قتادة : هو الأمر بالصلاة عند المقام وإلى هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه وقال : هو الحجر الذي فيه أثر قدم إبراهيم صلى الله عليه ، فأما المقام فالإقامة أقام إقامة ومقاما .

والمقام في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[1] [سورة الدخان آية : ٥١] ، قال : معناه مساكن أمن أهلها ، ومثله : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الدخان آية : ٢٥-٢٦] ، يعني : مساكن حسانا ، وقيل : المقام الكريم المنابر .

---

(١) قال الرازي : اعلم أن المسكين إنما يطيب بشرطين أحدهما : أن يكون آمناً عن جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من قوله ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرأ الجمهور في مقام بفتح الميم ، وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم ، قال صاحب «الكشاف» المقام بفتح الميم هو موضع القيام ، والمراد المكان وهو من الخاص الذي جعل مستعملاً

الثاني : القيام ، قال الله : ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٣] ، أي : لا يقومون لهم ، فهذا على هذا التأويل مصدر ، ويجوز أن يكون المكان ، وقرئ : ﴿لا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ١٣] ، بضم الميم ، أي : لا إقامة لكم ، يقال : أقمت بالبلد مقاما وإقامة ونحوه : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن آية : ٤٦] ، يعني : من خاف القيام بين يدي ربه في الحساب ، فترك المعصية ، وقيل : من خاف مقام الله عند المعصية عرضت فذكر أنه يسأل عنها فتركها ، وحقيقة ذلك مقام العبد بحيث بدله الله عاصيا .

الثالث : المكان ، قال الله : ﴿وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [سورة الصافات آية : ١٦٤] ، أي : مكان يعبد فيه ربه ، والمعنى ما منا إلا من له مقام معلوم ، فحذف من ، كما قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَـــا لَمْ يَتَـ ... ـيمِ لِفَضْلُهَا فِي حَسَبٍ ومَيْسَـمُ

وقد مر ذلك .

في المعنى العام وبالضم هو موضع الإقامة ، والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن ، فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنه يخون صاحبه والشرط الثاني : لطيب المكان أن يكون قد حصل فيه أسباب النزهة وهي الجنات والعيون ، فلما ذكر تعالى هذين الشرطين في مساكن أهل الجنة فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة . [مفاتيح الغيب :١٤/١٧] .

المفاتح(١)

قد ذكرنا أصل هذه الكلمة فيما تقدم ، وهو في القرآن على وجهين :

الأول : جمع مفتح ، وهو الذي يفتح به القفل وغيره ، قال الله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ [سورة القصص آية : ٧٦] ، وقيل : المفاتح هاهنا الكنوز ، واحدها مفتح .

الثاني : قوله : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، قال ابن عباس : أراد الرجل يوكل بضيعة الرجل فرخص له أن يأكل من ثمرتها أو مواشيه فرخص له أن يشرب من ألبانها .

وقال أبو علي : أراد البيوت التي مفاتيحها بأيديكم وأنتم مؤتمنون عليها ، فجعل من الوجه الأول .

(١) [فتح] الفَتْحُ مَعْروفٌ ، وهو أيضاً افْتِتاحُ دارِ الحَرْبِ . والفَتْحُ أنْ تَحْكُمَ بين قَوْمٍ يَخْتَصِمُونَ إليك ، من قوله عزَّ وجلَّ " رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا " . وقوله " إنْ تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءكم الفَتْحُ " أي تَسْتَنْصِروا فقد جاءكم النَّصْرُ . والفَتّاحُ الحاكِمُ . والفُتَاحَةُ والفِتَاحَةُ المُحَاكَمَة . والفُتْحَةُ تَفَتُّحُ الإنسان بما عنده من مالٍ . وفَوَاتِحُ القُرْآنِ أوائلُ السُّوَرِ . وافْتِتاحُ الصَّلاةِ التَّكْبِيرةُ الأُولى . وبابٌ فُتُحٌ واسِعٌ ، ومَفْتُوحٌ . وقارُوْرَةٌ فُتُحٌ لا صِمامَ لها . والمُفْتَحُ الخِزَانَةُ ؛ ويقال مَفْتَحٌ أيضاً ، والجميعُ المَفَاتِحُ . وقيل هي الكُنُوْزُ . وفاتِحَةُ الكِتابِ الحَمْدُ لله . وقال الفَرّاءُ يُدْعَى مَجْرى السِّنْخِ من القِدْحِ الفَتْح ، وجَمْعُه فُتُوحٌ . وناقَةٌ فَتُوحٌ وهي التي تَشْخُبُ أخلافُها إذا مَشَتْ . ويُسَمّى مَطَرُ الوَسْمِيِّ الفَتْحَ ، والجميعُ الفُتُوحُ لأنّه يَفْتَتِحُ الشَّهْرَ بالمَطَرِ . والفِتَاحُ نَحْرُ الأرْضِ ثمَّ حَرْثُها . وفاتَحَ كاشَفَ . وقوله فاتَحَ البَيْعَ تاجِرُهُ أي باشَرَه ، وقال أبو سعيد أشَطَّ في السَّوْم . والمِفْتَاحُ سِمَةٌ بالفَخِذِ والعُنُقِ . [المحيط في اللغة :١/ ٢١٥] .

الباب الخامس والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله نون

الناس(١)

أصل الناس : أناس أسكنت الهمزة منه فأدغمت اللام ، كما قيل : لكنا ، وقيل : الناس لغة مفردة ، والأناس لغة أخرى ، ولو كان أصله أناسا لقيل في التصغير أنيس ، وإنما يقال : نويس وتجمع أناس على أناسي ، وقيل : أناسي جمع أنسي واشتقاقه من الأنس ، خلاف الوحشية ، لأن بعضهم يأنس ببعض ، والناس جماعة لا واحد لها من لفظها ، وواحدها إنسان على المعنى .

وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، جاء في التفسير أنه أراد النبي عليه السلام ، قيل : وهو مثل قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٣] ، وكان الذي أخبرهم بجمع أهل مكة نعيم بن مسعود الأشجعي ، ويجوز عندنا أن يكون معنى قوله : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، النبي صلى الله عليه والمؤمنين ، فقوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٧٣] ، لفظ عام ، والمعنى مخصوص ؛ لأن الناس كلهم لم يخبروهم ولم يجمعوا لهم أنصار ، وبيان هذا مستقصي في كتابنا في التفسير ،

---

(١) الفرق بين الناس والخلق : أن الناس هم الانس خاصة وهم جماعة لا واحد لها من لفظها ، وأصله عندهم اناس فلما سكنت الهمزة أدغمت اللام ، كما قيل لكنا وأصله لكن أنا ، وقيل الناس لغة مفردة فإشتقاقه من النوس وهو الحركة ناس ينوس نوسا إذا تحرك ، والاناس لغة اخرى ولو كان أصل الناس اناسا لقيل في التصغير انيس وإنما يقال نويس فإشتقاق اناس من الانس خلاف الوحشة وذلك أن بعضهم يأنس ببعض ، والخلق مصدر سمي به المخلوقات والشاهد قوله عزوجل " خلق السموات بغير عمد ترونها " ثم عدد الاشياء من الجماد والنبات والحيوان ثم قال " هذا خلق الله " وقد يختص به الناس فيقال ليس في الخلق مثله كما تقول ليس في الناس مثله ، وقد يجري على الجماعات الكثيرة فيقال جاءني خلق من الناس أي جماعة كثيرة . [الفروق اللغوي :١/ ٥٢٧] .

ويذهب بعضهم إلى أنه لا صيغة للعموم في اللغة ، قال : لأن كل لفظ صيغته صيغة العموم ، قد جاء مثله في الخصوص ، وليس الأمر كذلك ؛ لأن صيغة العموم معروفة ، ولا يخص إلا دلالة وحيث لا دليل فهو على أصل العموم ، ألا ترى أن قوله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٥] ، لا يجوز أن تخص ، لأنه لا دليل فيه فهو على العموم ، وصيغته صيغة العموم ، وأما قوله تعالى : ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل آية : ٢٣] ، فقد دل على أنه مخصوص ، فكأنه قال : قد أوتيت أكثر الأشياء فهذا الأصل ، والأول مجاز ، وإذا خرج شيء عن الأصل ؛ فإن الأصل لا يبطل به ، وكل شيء موقوف على دليله ، وألفاظ العموم من فيمن يعقل وما فيما لا يعقل ، وأين في الأمكنة ، ومتى في الأزمنة ، وكل فيمن يعقل وفيما لا يعقل ، وغير ذلك فيما ذكره العلماء .

الثاني : المؤمنون خاصة ، قال الله : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٦١] ، يعني : أن المؤمنين يلعنونهم فاللفظ عام ، والمعنى خاص ، ويجوز أن يعني : أن بعضهم يلعن بعضا في الآخرة مع لعن المؤمنين لهم ، فيكون معنى الآية على ظاهره ، وتأويل هذا قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] .

وقال الربيع : يراد لعن المؤمنين لهم ويخرج هذا على قولك المؤمنون هم الناس ؛ كأنه لا يعتد بغيرهم ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [سورة البقرة آية : ١٣] ، أي : كما آمن غيركم من الناس ، وقيل : يعني بالناس هاهنا عبد الله بن سلام وأصحابه .

الثالث : بنو إسرائيل خاصة ، قال الله : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] .

الرابع : من كان على عهد آدم وأهل سفينة نوح عليه السلام ، قال الله : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٣] ، وقد مضى هذا القول في هذا .

الخامس : أهل مصر خاصة ، قال الله : ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٦] ، وقال : ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٩] .

السادس : الناس كلهم ، قال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٠] ، أي : هو قادر على جميع الناس لا يفوتونه ولا يعجزونه ، والمحيط في أسماء الله تعالى بمعنى القادر القاهر الغالب .

وقيل : الناس هاهنا أهل مكة خاصة ، ومن العام الذي معناه العموم قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ، ولو جاء بصروف العموم عن ظاهره بغير دليل يجاز في هذا لأن علمه ، وإن كان محيطا بالأشياء كلها ، فقد يجوز أن يخبر عن بعضها أنه عالم به ، كقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [سورة غافر آية : ١٩] ، وقوله : ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣] ، وأما العام الذي بمعني الخصوص ؛ فقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾[سورة الحج آية : ١ ، النساء : ١ ، لقمان : ٣٣] وذلك أن المراد المكلفون والخاص الذي بلفظ الخصوص : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [سورة المائدة آية : ٤١ ، ٦٧] ، والعام الذي جاء بلفظ الخصوص .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [سورة الانشقاق آية ٦] ، وقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين آية : ٤] ، ويكون عام يدخله الخصوص على غير هذا الوجه ، كقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٣] .

وقد دلت السنة والإجماع على أن طائفة إذا أقاموا بذلك سقط عن الآخرين على أن جميع المؤمنين مأمورين به ، إن عليهم ذلك ما لم يقم به بعضهم ، والعرب تقول : أحمر البشر ، وإن لم يحمر جميعه ، لأن منه ما هو أصفر ، وغسلت ثيابي وإن لم يرد كل ثوب وكساء وجبة ، وإنما أراد هذا أوان احمرار البشر ، وهو أوان فراغي من الغسل .

النار

أصل النار والنور واحد ، والألف في النار أصلها واو ، ولذلك يقال : تنورت النار إذا أبصرتها ، ويسمون السمة نارا ؛ لأنها بالنار تكون ، قال الراجز :

قَد سَبقَت آباءَهم بالنارِ إلى النارِ

أي لما رأى أهل الماء سماتها خلوا لها الماء حتى شربت ، وأصل الكلمة البياض ، ومنه قيل : النورة لبياضها .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : مثل وهو قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾(١) [سورة المائدة آية : ٦٤] ، والعرب تشبه الحرب بالنار ، ويقولون : فلان محش حرب ، إذا كان يقوم بأمرها ، وأصل الحش الإيقاد .

الثاني : النار بعينها ، قال الله : ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [سورة القصص آية : ٢٩] .

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ أي كلما جمعوا للحرب جمعاً وأعدوا له عدّة شتت الله جمعهم ، وذهب بريحهم ، فلم يظفروا بطائل ولا عادوا بفائدة ، بل لا يحصلون من ذلك إلا على الغلب لهم ، وهكذا لا يزالون يهيجون الحروب ويجمعون عليها ، ثم يبطل الله ذلك ، والآية مشتملة على استعارة بليغة ، وأسلوب بديع . [فتح القدير :٢/ ٣٣٢] .

النسيان

أصله الترك ، وسمي خلاف الذكر نسيانا ؛ لأن الناسي للشيء تارك له ، قال الله تعالى : ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًا﴾ [سورة مريم آية : ٢٣] ، أي : مغفولا عني متروكا ، والنسيان الذي هو خلاف الذكر يفعله الله في الإنسان عند اشتغاله عن حاجته ، وصرف الاهتمام عنها ، ونسبه الله إلى الشيطان في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾(١) [سورة الكهف آية : ٦٣] ، لأنه كان نسيها عند وسوسته إياه .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الترك ، قال الله : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [سورة طه آية : ١١٥] ، ولم يذكر أنه نسي نهي الله إياه عن أكل الشجرة ؛ لأنه لو كان كذلك ، لم يكن له ذنب ولا عليه إثم ، وإنما المعنى أنه أكل من مثل الشجرة التي نهى عنها ، وظن أن النهي مقصور عليها ، وترك الدليل الذي لو اعتمد لدله على أن النهي عام في جميع الجنس فصار ذنبه ترك الدليل ، ومثله : ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٧] ، أي : استعملوه ولا تتركوه ، وقال : ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة آية : ٦٧] . أي : تركوا طاعته فصارت عليهم بمنزلة المنسي فتركهم من رحمته .

---

(١) قال الرازي : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشيطان أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فيه مباحث :
البحث الأول : أنه اعتراض وقع بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير فإني نسيت الحوت واتخذ سبيله في البحر عجباً ، والسبب في وقوع هذا الاعتراض ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان .
البحث الثاني : قال الكعبي : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشيطان أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ يدل على أنه تعالى ما خلق ذلك النسيان وما أراده وإلا كانت إضافته إلى الله تعالى أوجب من إضافته إلى الشيطان لأنه تعالى إذا خلقه فيه لم يكن لسعي الشيطان في وجوده ولا في عدمه ، أثر قال القاضي : والمراد بالنسيان أن يشتغل قلب الإنسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لأن ذلك لا يصح أن يكون إلا من قبل الله تعالى .
البحث الثالث : قوله ﴿أن اذكره﴾ بدل من الهاء في ﴿أنسانيه﴾ أي : وما أنساني ذكره إلا الشيطان . [مفاتيح الغيب :١٠/ ٢٢٩] .

وأصل الترك في الله مجاز وحقيقته هاهنا أنه أوجب لهم العذاب ، ويجوز أن يكون المراد أنهم تركوا ذكر الله فمنعهم الله الخير وذلك أن خيرك لا يبلغ من أنت ناسيه ، ويجوز أن يكون معناه أنهم تركوا طاعته فعاقبهم الله بنسيانهم إياها فسمي الجزاء على النسيان نسيانا .

الثاني : بمعنى التخليد في العذاب ، قال الله : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [سورة السجدة آية : ١٤] ، المعنى خلدناكم في العذاب ، وجعله نسيانا ؛ لأنه جزاء بالنسيان ، وهو ترك العمل للقاء ذلك اليوم ، وليس هو خلاف الذكر ، لأن ذلك فعل الله ، ولا يجوز أن تفعله بهم ويعذبهم عليه على أنه يجوز أن يسمى سبب النسيان الكائن منهم نسيانا ، ويذكر أنه يعذبهم على النسيان ، وهو يريد أن يعذبهم على سببه .

الثالث : خلاف الذكر ، قال الله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إِلا مَا شَاءَ اللهُ﴾ [سورة الأعلى آية : ٦ - ٧] ، خبر وليس بنهي ، وقوله : ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [سورة الكهف آية : ٧٣] ، وأراد بقوله : فلا تنسى الإخبار بفضيلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن جبريل يقرأه عليه ، وهو أمي فيحفظه ولا ينسى منه شيئا ؛ ثم يقرأ أصحابه ، وقيل : إلا ما شاء الله أن ينسخه بعد العمل فينسبه النبي عليه السلام أمير المؤمنين ، ومنه قوله : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٦] .

النشوء[1]

أصله الابتداء ومنه نشأت السحابة ؛ إذا ابتدأت ترتفع من الأفق ، وهو نشوء حسن ، والنشوء من الناس الإيفاع يقع على الذكر والأنثى ، قال نصيب :

ولَوْلاَ أنْ يُقَالُ صَبَا نُصِيبٌ ... لقلت نَفْسي النشوءُ الصغارُ

بِنَفْسِي كُلُّ مَهْضُومِ الحشَايَا ... إذَا ظُلِمَتْ فَلَيْسَ لَهَا انْتِصَارُ

إذَا مَا الذُلُ ضَاعَفْنَ الحشَايَا ... كَفَاهَا إنَّ بُلان لَهَا الآزَارُ

وقد نشأت إنشاء إذا شئت ، والمثيء في أسماء الله تعالى المبتدئ في الأشياء على غير مثال .

والنشوء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الخلق ، لأنه يبدأ به ، قال الله : ﴿ ثُم أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٣١] ، وقال : ﴿ إنا أَنْشَأْنَاهُن إِنْشَاءً ﴾ [سورة الواقعة آية : ٣٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴾ [سورة الملك آية : ٢٣] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٨] ، يعني : البنات ، : ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٨] ، أي : الأنثى لا يكاد يستوفي الحجة ، وجاء عن السلف لا تكاد تحتج المرأة بحجة إلا عليها ، أي : جعلوا لله بنات والبنت هذه صفتها .

الثالث : قوله : ﴿ إن نَاشِئَةَ الليْلِ ﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، يعني : ساعات الليل ، وقال الأصم : ناشئة الليل هو أن منشوء من منامك لصلاتك ، وقال بعضهم : الليل كله

---

(١) (ن ش أ) : (النَّشْءُ) مَصْدَرُ نَشَأَ الْغُلَامُ إذَا شَبَّ وَأَيْفَعَ فَهُوَ نَاشِئٌ وَحَقِيقَتُهُ الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْ حَدِّ الصِّبَا وَقَرُبَ مِنْ الْإِدْرَاكِ مِنْ قَوْلِهِمْ نَشَأَ السَّحَابُ إذَا ارْتَفَعَ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ النَّسْلُ فَقِيلَ هَؤُلَاءِ نَشْءُ سُوءٍ وَفُلَانٌ مِنْ نَشْءِ صِدْقٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ قَطَعَ النَّشْءَ وَقَدْ جَاءَ النُّشُوءُ فِي مَصْدَرِهِ أَيْضًا عَلَى فُعُولٍ وَقَوْلُهُ وَحُرْمَةُ الرَّضَاعِ إنَّمَا تَثْبُتُ بِاللَّبَنِ الَّذِي يَشْرَبُهُ الصِّغَارُ لِلنُّشُوِّ وَالنُّمُوُّ عَلَى الْقَلْبِ وَالْإِدْغَامِ لِلِازْدِوَاجِ . [المغرب :النون مع الشين] .

ناشئة ، وقال آخرون : بعد صلاة العشاء ناشئة ، : ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أي : أشد لمواطأة القلب السمع لخلو البال بالليل ، ومن هذا قولهم : أمن عمل بليل ، وقرئ : ﴿أَشَد وَطَا﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، ومعناه أبلغ في القيام ، وأبلغ في القول ، ويجوز أن يكون معناه أغلظ على الإنسان من القيام بالنهار ، لصعوبة السهر ، وقال بعضهم : ﴿أَشَد وَطَا﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أثبت في همك لما تقرأ : ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، لأنه لا يشغلك شيء فيعرف صواب ما يقول ، وفي النهار عوارض تشغلك عن ذلك ، وقال بعضهم : ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أثبت في الدين ، : ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [سورة المزمل آية : ٦] ، أثبت في القراءة .

النفس(١)

النفس الدم ، ومنه قيل : النفساء سيلان الدم منها ، وقال السموأل :

تسيل على حد السيوف نفوسنا   وليست على غير السيوف تسيل

ثم سميت الروح نفسا ؛ لأن الإنسان يعيش بها كما يعيش بالدم ، وأما النفس فالسعة ، وفي الحديث الريح من نفس الله أي : من سعة رحمته على عبادة ، ومنه قولهم : فلان في نفس من أمره ، أي : في سعة ، ومنه قوله : ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [سورة التكوير آية : ١٨] ، إذا اتسع ضوءه ، وكل هذا يرجع إلى النفاسة ، وهي أصل الكلمة وأولها .

والنفس في القرآن على ستة أوجه :

الأول : ذكر النفس ، والمعنى لحملة الإنسان ، قال الله : ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [سورة ق آية : ١٦] ، أي : يتوسوس به هو ، وهذا مثل قولهم : كسبت يده ورأت عينه .

والمعنى أنه كسب هو ورأى ، ومثله : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٣] ، أي : ما أبرءوني ، ونفس الشيء حقيقته يقال : هلكت نفس زيد ، أي : هلك هو ، وعلى هذا فسر قوله : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] ، أي : تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم .

---

(١) (ن ف س) : (النِّفَاسُ) مَصْدَرُ نُفِسَتْ الْمَرْأَةُ بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِهَا إذَا وَلَدَتْ فَهِيَ نُفَسَاءُ وَهُنَّ نِفَاسٌ (وَقَوْلُ) أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّ أَسْمَاءَ نَفِسَتْ أَيْ حَاضَتْ وَالضَّمُّ فِيهِ خَطَأٌ وَكُلُّ هَذَا مِنْ النَّفْسِ وَهِيَ الدَّمُ فِي قَوْلِ النَّخَعِيِّ كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَتْ لَهُ (نَفْسٌ سَائِلَةٌ) فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّسُ الْمَاءَ إذَا مَاتَ فِيهِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ الَّتِي هِيَ اسْمٌ لِجُمْلَةِ الْحَيَوَانِ قِوَامُهَا الدَّمُ (وَقَوْلُهُمْ) النِّفَاسُ هُوَ الدَّمُ الْخَارِجُ عَقِيبَ الْوَلَدِ تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ كَالْحَيْضِ سَوَاءٌ وَأَمَّا اشْتِقَاقُهُ مِنْ تَنَفُّسِ الرَّحِمِ أَوْ خُرُوجِ النَّفْسِ بِمَعْنَى الْوَلَدِ فَلَيْسَ بِذَاكَ لِأَنَّ النَّفَسَ الَّتِي بِفَتْحَتَيْنِ وَاحِدُ الْأَنْفَاسِ وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنْ الْحَيِّ حَالَ التَّنَفُّسِ وَمِنْهُ لَكَ فِي هَذَا (نَفَسٌ) أَيْ سَعَةٌ (وَنُفْسَةٌ) أَيْ مُهْلَةٌ (وَنَفَّسَ اللَّهُ كُرْبَتَكَ) أَيْ فَرَّجَهَا وَيُقَالُ (نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ) إذَا فَرَّجَ عَنْهُ (وَنَفَّسَ عَنْهُ) إذَا أَمْهَلَهُ عَلَى تَرْكِ الْمَفْعُولِ (وَأَمَّا قَوْلُهُ) فِي كِتَابِ الْإِقْرَارِ لَوْ قَالَ نَفِّسْنِي فَعَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى أَمْهِلْنِي أَوْ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَيْ نَفِّسْ كَرْبِي أَوْ غَمِّي (وَشَيْءٌ نَفِيسٌ وَمُنْفِسٌ) . [المغرب :النون مع الفاء] .

ويجوز أن يكون معنى ذلك إنك تعلم ما أخفيه ، ولا أعلم ما تخفيه عني ، وجعل النفس عبارة عن هذا المعنى ؛ لأن ما يخفيه الإنسان يخفيه في نفسه ؛ فأخرج الكلام على العرف ، ويجوز أن يكون المعنى تعلم غيبي ، ولا أعلم غيبك ؛ لأن ما في النفس غيب فلما ذكر النفس قابله بمثله ليحسن نظم الكلام ، والمعنى معروف .

الثاني : قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٨] ، أي : منكم .

الثالث : مجيء الأنفس بمعنى الإخوان ، قال الله : ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أي : على إخوانكم ، وهو قريب من الأول : ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، لأن الله بينها ، : ﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، أي : يبقى أجرها وطيبها لكم ، والبركة البقاء والثبات .

الرابع : مجيئها بمعنى الإنسان ، قال الله : ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٥] ، أي : الإنسان بالإنسان ، وفي هذا دليل على أن الحر يقتل بالعبد ؛ لأن شرائع من قبلنا ثابتة الحكم علينا ، ما لم يثبت نسخها ، ودليل هذا قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٦] .

وقال رسول الله صلى الله عليه : "المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وقد استوى الحر والعبد في الإيمان "(١) .

وعند أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وزفر : أنه لا قصاص بين الحر والعبد إلا في النفس .

وعند ابن أبي ليلى : أنه يجب بينهما في النفس وفي جميع الجراحات التي تستطاع فيها القصاص .

(١) أخرجه النسائي من حديث علي بن أبي طالب (٤٧٤٦) ، وفي السنن الكبرى (٨٦٢٨) ، وأحمد في مسنده (٩٦٢) ، وله شاهد من حديث أم المؤمنين عائشة أخرجه الدارقطني (٣٢٢٢) .

وعند مالك : أنه لا قود بين الحر والعبد في شيء من الجراح ، والعبد يقتل بالحر ، والحر لا يقتل بالعبد .

وقال الشافعي : من جرى عليه قصاص في نفس جرى عليه القصاص في الجراح ، ولا يقتل الحر بالعبد ، ولا نقيض منه فيما دون النفس ، وقول الله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، يوجب القصاص على المؤمن في كل قتيل العموم لفظه ، فإن قال فقوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، يدل على أن المراد القتلى من المؤمنين ، لأن الكافر لا يكون أخا للمؤمن ، قلنا : يحتمل أن يذكر لفظا عاما ثم يعطف عليه بحكم خاص ، كما قال : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِن ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، وهو عام في المطلقة ثلاثا ، وما دونها ، ثم قال : ﴿وَبُعُولَتُهُن أَحَق بِرَدِهِن فِي ذَلِكَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، فعطف عليه بحكم يختص بعض المطلقات على أن يكون العبد أخا للحر في الإيمان ، فإن قيل : ﴿الْحُر بِالْحُرِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، يدل على ما ذكرنا ، قلنا : لا خلاف أن الحكم ليس بمقصور على هذا دون غيره ، لاتفاق الجميع على جواز قتل العبد بالحر ، وقال : ﴿وَلا تَقْتُلُوا النفْسَ التِي حَرمَ اللهُ إِلا بِالْحَق﴾ [سورة الأنعام آية : ١٥١] ، يعني : الإنسان ، لأن النفس على الحقيقة لا تقتل ، والحق هاهنا القصاص ، أي : لا تقتلوه قصاصا .

الخامس : الروح ، قال : ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [سورة الأنعام آية : ٩٣] ، أي : أرواحكم ، والمعنى إنا نخرجها ، كما تقول للرجل وأنت تقتله : أنزع الآن روحك ، وليس نزع روحه إليه .

السادس : آدم عليه السلام ، قال الله : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة النساء آية : ١ ، الأعراف : ١٨٩ ، الزمر : ٦] ، فأنت على اللفظ ، وهو الوجه ، وأنت تقول : أتاني إنسان واحد يعني : امرأة ، وشربت شرابا طيبا ، وأنت تريد الخمر .

النصيب[1]

أصله ما يخص الإنسان عن مقاسمة كأنه تصد له ليأخذه ، ثم استعمل في غير ذلك ، والفرق بينه وبين الحظ ، أن الحظ ما يرتفع به الإنسان ، ولهذا يقال : لفلان حظ في التجارة ، ولا يقال : له نصيب فيها .

والنصيب في القرآن على وجهين :

الأول : الحصة من الثلث ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ [سورة النساء آية : ٣٣] ، قد تم الكلام عند ذلك ، : ﴿وَلِكُلٍّ﴾ يعني : التركات ، والموالي : أقارب الميت ، لأنهم أولى بالميراث ، وفي الآية حذف ، فالمراد : لكل شيء من الميراث أصحابهم أولى فأقصروه عليه ثم ابتدأ ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [سورة النساء آية : ٣٣] ، يعني : من الثلث ، ويريد الحلفاء ، وهو مثل قوله : ﴿إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٦] ، وقيل : يعني : نصيبهم من النصر والموآزرة .

الثاني : الجزاء ، قال : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [سورة النساء آية : ٣٢] ، أي : لهم جزاء بما عملوا ونحوه ، : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٢] ، يعني : الثواب ، وقوله : ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٧] ، يعني : العقاب ، وفي هذه الآية وجوه أخرى ذكرناها في التفسير .

---

(١) الفرق بين النصيب والقسط : أن النصيب يجوز أن يكون عادلا وجائرا وناقصا عن الاستحقاق وزائدا يقال نصيب مبخوس وموفور ، والقسط الحصة العادلة مأخوذة من قولك أقسط إذا عدل ويقال قسط القوم الشئ بينهم إذا قسموه على القسط ، ويجوز أن يقال القسط إسم للعدل في القسم ثم سمي العزم على القسط قسطا كما يسمى الشئ بإسم سببه وهو كقولهم للنظر رؤية ، وقيل القسط ما استحق المقسط له من النصيب ولابد له منه ولهذا يقال للجوهر قسط من المساحة أي لابد له من ذلك . [الفروق اللغوية :١/ ٥٤١] .

النكاح(١)

أصل النكاح الجماع ، ومنه قول العرب في بعض أمثالها : أنكح من خوات أي : أكثر مجامعه ، وله حديث معروف ويروى عن بعض نسائها أنه كان يقال لها خطب ، فيقول نكح يريد الجماع ، ثم استعمل في التزويج ، ومنه قول حكيمها المناكح :

الكَرِيمة مُدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ

ويقال : أنكح الرجل المرأة إذا جامعها ، ونكحت المرأة الرجل إذا تزوجته من قوله : ﴿ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٢] ، وجاء في القرآن على وجهين :-

فأما ما جاء بمعنى التزويج ، فقوله تعالى : ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٩] ، أي : تزوجتموهن ؛ لأنه ذكر عدم الدخول

---

(١) (ن ك ح) : (أَصْلُ النِّكَاحِ) الْوَطْءُ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّجَاشِيِّ (وَالنَّاكِحِينَ) بِشَطَّيْ دِجْلَةَ الْبَقَرَا وَقَوْلُ الْأَعْشَى (وَمَنْكُوحَةٍ) غَيْرِ مَمْهُورَةٍ وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا فَادِهَا يَعْنِي الْمَسْبِيَّةَ الْمَوْطُوءَةَ ثُمَّ قِيلَ لِلتَّزَوُّجِ (نِكَاحًا) مَجَازًا لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِلْوَطْءِ الْمُبَاحِ قَالَ الْأَعْشَى (لَا تَنْكِحَنَّ) جَارَةً إنَّ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ (فَانْكِحَنْ) أَوْ تَأَبَّدَا أَيْ فَتَزَوَّجْ أَوْ فَتَوَحَّشْ وَتَعَفَّفْ وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ أَنَا مِنْ نِكَاحٍ وَلَسْت مِنْ سِفَاحٍ ﴾ وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلَّا زَانِيَةً ﴾ أَيْ لَا يَتَزَوَّجُ وَقِيلَ لَا يَطَأُ قَالَ وَهَذَا يَبْعُدُ لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ النِّكَاحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إلَّا عَلَى مَعْنَى التَّزْوِيجِ وَأَيْضًا فَالْمَعْنَى لَا يَقُومُ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُمْ (النِّكَاحُ) الضَّمُّ مَجَازٌ أَيْضًا إلَّا أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْمُسَبَّبِ بِاسْمِ السَّبَبِ وَالْأَوَّلُ عَلَى الْعَكْسِ وَمِمَّا اسْتَشْهَدُوا بِهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي (أَنْكَحْتُ) صُمَّ حَصَاهَا خُفَّ يَعْمَلَةٍ تَغَشْمَرَتْ بِي إلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا (يَقُولُ) انْكِحُوا الْحَصَا أَخْفَافَ الْإِبِلِ إذَا سَارُوا (وَالْيَعْمَلَةُ) النَّاقَةُ النَّجِيبَةُ الْمَطْبُوعَةُ عَلَى الْعَمَلِ (وَالتَّغَشْمُرُ) الْأَخْذُ قَهْرًا يَعْنِي أَخَذَتْ بِي فِي طُرُقِ السُّهُولَةِ وَالْحُزُونَةِ وَيُقَالُ (نَكَحَ) الرَّجُلُ وَنَكَحَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ بَابِ ضَرَبَ (وَأَنْكَحَهَا) وَلِيُّهَا وَفِي الْمَثَلِ (أَنْكَحْنَا الْفَرَا فَسَنَرَى) قَالَ رَجُلٌ لِامْرَأَتِهِ حِينَ خَطَبَ إلَيْهِ ابْنَتَهُ رَجُلٌ وَأَبَى أَنْ يُزَوِّجَهُ إيَّاهَا وَرَضِيَتْ الْأُمُّ بِتَزْوِيجِهِ فَغَلَبَتْ الْأَبَ حَتَّى زَوَّجَهَا إيَّاهُ بِكُرْهٍ مِنْهُ وَقَالَ أَنْكَحْنَا فَسَنَرَى ثُمَّ أَسَاءَ الزَّوْجُ الْعِشْرَةَ فَطَلَّقَهَا يُضْرَبُ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ الْعَاقِبَةِ وَإِنَّمَا قُلِبَ الْهَمْزَةُ أَلِفًا لِلازْدِوَاجِ (وَالْفَرَا) فِي الْأَصْلِ الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ فَاسْتَعَارَهُ لِلرَّجُلِ اسْتِخْفَافًا بِهِ وَفِي الْحَدِيثِ ﴿ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكِحُ ﴾ وَهَذَا خَبَرٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ وَفِي حَدِيثِ الْخَنْسَاءِ انْكِحِي مَنْ شِئْتِ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَامْرَأَةٌ نَاكِحٌ فِي بَنِي فُلَانٍ أَيْ ذَاتُ زَوْجٍ . [المغرب :النون مع الكاف] .

فلا نشك في أنه أراد التزويج ، وقال : ﴿ فَانْكِحُوهُن بِإِذْنِ أَهْلِهِن ﴾[سورة النساء آية : ٢٥] أي : تزوجوهن لأن الزوج لا يلزم أن يجامع امرأته بإذن أهلها .

والوجه الآخر : قوله : ﴿ وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النسَاءِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(١) [سورة النساء آية : ٢٢] ، أراد الجماع ، وذلك أن الرجل إذا مات وله امرأة قال وارثه : قد ورثت امرأته كما ورثت ماله وألقى عليه ثوبا فيملك بذلك نكاحها على الصداق الأول بغير عقد ثان ، والتزويج إنما هو اسم ، وكان الولد الذي يكون بينهما يقال له : المقتى . وقال الله تعالى : ﴿إِنهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ [سورة النساء آية : ٢٢] ، والمقت اسم يجمع للبغض والاستقباح ، ومقت فلان نفسه إذا ذمها على قبيح ، والمعنى أن ذلك معصيته يمقتها الله .

وقال أبو الحسن : جميع ما في القرآن من ذكر النكاح فهو التزويج إلا حرفا واحدا في سورة النور وروى عن بعضهم أنه أراد الجماع ، وهو عند غيره أراد التزويج .

قال أبو هلال رحمه الله هو قوله : ﴿ الزانِي لا يَنْكِحُ إِلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [سورة النور آية : ٣] ، قال أبو بكر : لا تخلوا الآية من أن تكون خبرا أو نهيا ، وقد علمنا أنه ليس بخبر ؛ لوجودنا رأينا بتزويج غير الزانية فثبت أنه أراد النهي ثم لا تخلوا أن تكون نهيا عن الوطء أو العقد أو عنهما جميعا ، ولا يجوز أن يكون المراد العقد ، لأن حقيقة النكاح الوطء .

ولا يجوز حمل الكلام على المجاز دون الحقيقة من غير دلالة فثبت أن المراد الوطء على ما يقوله ابن عباس ، ومن تابعه أو تكون الآية منسوخة على ما يقوله سعيد بن المسيب ، وغيره ، وقال في قوله : ﴿ وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٢] ، حقيقة النكاح الوطء ، فكأنه قال : ولا تنكحوا ما وطئ آباؤكم في كل وط حراما كان أو حلالا ؛ كما أن الضرب والقتل ولا يختص بالحلال من ذلك دون الحرام .

---

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نكح ءابَاؤُكُم مّنَ النساء﴾ نهى عما كانت عليه الجاهلية من نكاح نساء آبائهم إذا ماتوا ، وهو شروع في بيان من يحرم نكاحه من النساء ومن لا يحرم . ثم بين سبحانه وجه النهي عنه ، فقال : ﴿إِنَّهُ كَانَ فاحشة وَمَقْتاً وَسَاء سَبِيلاً﴾ هذه الصفات الثلاث تدل على أنه من أشدّ المحرمات وأقبحها ، وقد كانت الجاهلية تسميه نكاح المقت . قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي ، عن نكاح المقت ، فقال : هو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها ، أو مات عنها ، ويقال لهذا الضيزن ، وأصل المقت البغض ، من مقته يمقته مقتاً ، فهو ممقوت ، ومقيت . [فتح القدير :١٠٨/٢] .

ويدل على أن الاسم حقيقة في الوطيء ، ومجاز في العقد ، أن سائر العقود من البياعات والهبات ولا يسمى نكاحا ، وإن كان قد يتوصل بها إلى وطئ الجارية ، إذ لم تختص هذه العقود بإباحة الوطئ ؛ لأنها تصح فيمن يحظر وطؤها كالأخت من الرضاعة ، ومن السبب وكأم الزوجة ، وسمي العقد المختص بإباحة الوطئ نكاحا إذ من لا يحل للرجل وطؤها ؛ لا يحل له نكاحها .

ويدل على هذا ما قاله غلام ثعلب ، قال : الذي حصلناه عن ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أن النكاح من الجمع بين الشيئين ، تقول العرب : أنكحنا الفراء فسنرى ، وهو مثل ضربوه في الأمر يجتمعون على المشورة فيه ، ثم ينظر عن ماذا يصدرون منه ، والمعنى جمعنا بين الحمار والأتان لننظر ما ينتج هذا الجمع إذا كان اسما للجمع ، فهو حقيقة في الوطئ ؛ لأنه هو الجمع حقيقة دون العقد .

النظر[1]

أصله في العربية المقابلة ، يقال : داري ينظر إلى دارك ، أي : يقابلها ، والدار أن يتناظران أي : يتقابلان ، والنظر بالعين الإقبال بها حيال المرئي ، ونظر القلب الإقبال إلى أحوال ما تطلب معرفته .

وقال علي بن عيسى : النظر طلب ظهور الشيء ، والناظر الطالب لظهور الشيء ، والله ناظر لعباده بظهور رحمته إياهم ، ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة البصر أو غيرها من حواسه ، ويكون الناظر إلى لين هذا الثواب من لين غيره .

والنظر بالقلب نظر العلم من جهة الفكر والتأمل لأحوال الأشياء ، ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لابد من أن يكون مفكرا ؛ إذا المفكر على هذا الوجه سمي ناظرا ، وهو معنى غير الناظر والمنظور فيه ، ألا ترى أن الإنسان يفصل بين كونه ناظرا وكونه غير ناظر ، ولا يوصف القديم بالنظر ؛ لأن النظر لا يكون إلا مع فقد العلم ، ومعلوم أنه لا يصح النظر في الشيء ليعلم إلا وهو مجهول ، والنظر يشاهد ، ولهذا نفرق بين نظر الغضبان ونظر الراضي .

والنظر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النظر بالعين ، وهو قوله : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، وقوله : ﴿ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، فكأن موسى يعلم أن الله لا يرى بالإبصار ، ولكن سأل ذلك ليجيء الجواب من الله ؛ لتكون أوكد للحجة على قوم من أمته سألوه ذلك .

---

(١) [نظر] : نَظَرَ إليه ينظرُ نَظَراً ، ويجوز التخفيف في المصدر تحمله على لفظ العامّة في المصادر ، وتقول : نَظَرْتُ إلى كذا وكذا من نَظَر العين ونَظَر القلب .

وقوله تعالى : " ولا ينظُرُ إليهم يوم القيامة ، أي لا يَرحَمُهم .

وقد تقول العرب : نَظَرت لكَ ، أي عطفت عليك بما عندي ، وقال الله - عزّ وجَلّ : " لا ينظُرُ إليهم " ، ولم يَقُل : لا ينظُرُ لهم فيكون بمعنى التَّعَطُّف .

ورجلٌ نَظُورٌ : لا يغفَلُ عن النظر إلى ما أهَمّه . [العين :نظر] .

الثاني : الإمهال والتأخير ، وهو قوله : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٠] ، وناظرة هاهنا مصدر وفاعله في المصادر كثير مثل العافية والعاقبة والكاذبة في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [سورة الواقعة آية : ٢- ٣] ، والواقعة ورفع ناظرة على إضمار كأنه قال : فالواجب ناظرة أو فعلتكم ناظرة ، ومثله : ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٤] ، وقرئ : ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٠] ، وهي التأخير ، وقد أنظرته أخرته لينظر في أمره ؛ أي : إن كان الذي عليه أصل المال معسرا ، فالواجب عليه تأخيره إلى أن يوصى ، وأن تصدقوا بالمال على المعسر خيرا لكم ، قال مجاهد : كانوا إذا جل دينهم وصادفوا المديون معسرا أزادوا فيه وأنظروه فأمره الله بالإنظار ، وأبطل الزيادة .

الثالث : النظر بمعنى الرحمة ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٧] ، أي : لا يرحمهم ، كقول العربي انظر إلي نظر الله إليك ، أي : ارحمني رحمك الله ، وعدى النظر بإلى ، وإن كان بمعنى الرحمة فكذلك عداه بإلى في قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة آية : ٢٣] ، وإن كان بمعنى الانتظار .

النجم[1]

أصل النجم الطلوع ، نجم القرآن إذا طلع ، وسمي النجم نجما لطلوعه ، والنجم من النبات ما ليس له ساق تبقى في الصيف ، والشجر ما له ساق يبقى في الصيف ، وأصل الكلمة الظهور والبروز ، ومنه أنجم السحاب إذا أقلع فظهر أديم السماء ومنجما الفرس ، العظمان الناتيان دون العرقوبين ، وسميا بذلك لظهورهما .

والنجم في القرآن على وجهين :

الأول : الكوكب ، قال الله : ﴿ النجْمُ الثاقِبُ ﴾ [سورة الطارق آية : ٣] ، والثاقب المضيء مأخوذ من ثقوب النار ، وهو ضوءها ، وقيل : ثاقب كأنه يثقب الأفق ؛ فيطلع ، وقوله : ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٦] ، والعلامات الجبال والرمال والروابي ، وما شاكل ذلك ، وقوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النجُومِ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٥] ، أي : أقسم برب مواقع النجوم ؛ وهي مساقطها في المغرب ، ومنه : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٩] ، معناه لأن لا يعلموا ولا يدخل في هذا الموضوع توكيدا ؛ كأنه قال : أقسم قسما بعد قسم ولأن لا يعلم أهل الكتاب علما بعد علم ، هذا قول وأجود منه أن يقال : لا يأتيه ، والمعنى أن الأمر الذي ذكره أمر ظاهر ثابت في العقول ؛ إلا أحتاج أن أقسم عليه ، وستكلم في قوله : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٩] ، وقيل : ﴿ وَبِالنجْمِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٦] ، أي : وبالنجوم هم يهتدون ، ويجوز أن يكون أراد الثريا ، واسمها عند العرب النجم ، وربما قالوا لها : النظم قال بعض المفسرين : أراد نجوم القرآن ، وذلك أنه كان تنزل الآية ، والإتيان .

---

(١) (ن ج م) : (النَّجْمُ) هُوَ الطَّالِعُ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ الْوَقْتُ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَقَلُّ (التَّأْجِيلِ) نَجْمَانِ أَيْ شَهْرَانِ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ مَا يُؤَدَّى فِيهِ مِنْ الْوَظِيفَةِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَطَّ مِنْ مُكَاتَبٍ لَهُ أَوَّلَ نَجْمٍ حَلَّ عَلَيْهِ أَيْ أَوَّلَ وَظِيفَةٍ مِنْ وَظَائِفِ بَدَلِ الْمُكَاتَبَةِ ثُمَّ اشْتَقُّوا مِنْهُ فَقَالُوا نَجَّمَ الدِّيَةَ أَدَّاهَا نُجُومًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ (التَّنْجِيمُ) لَيْسَ بِشَرْطٍ وَدَيْنٌ (مُنَجَّمٌ) جُعِلَ نُجُومًا وَأَصْلُ هَذَا مِنْ نُجُومِ الْأَنْوَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْحِسَابَ وَإِنَّمَا يَحْفَظُونَ أَوْقَاتَ السَّنَةِ بِالْأَنْوَاءِ (وَالنَّجْمُ) خِلَافُ الشَّجَرِ . [المغرب :النون مع الجيم] .

قال : ومثله : ﴿وَالنجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [سورة النجم آية : ١] يعني : نجوم القرآن إذا هوى به جبريل صلى الله عليه أي : نزل وليس هذا بوجه مختار ؛ لأن الظاهر لا يترك لغير علة .

الثاني : النبت ، قال الله : ﴿وَالنجْمُ وَالشجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن آية : ٦] أي : يدلان على خالقهما بآثار الصنعة فيهما فكأنما يسجدان له ، وقيل : سجودهما دوران الظل معهما كما قال : ﴿يَتَفَيأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشمَائِلِ سُجدًا لله﴾[سورة النحل آية : ٤٨] ، وإنما ذكر السجود ؛ لأنه أبين أحوال الخضوع وهو مشاهد ، ومن عادة العرب أن يشبه الشيء الذي بما يقع عليه البصر بما يقع عليه البصر حتى يكون السامع به كالرائي له ، وعلى هذا جاء ، قوله تعالى : ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٦] أي هو بمنزلة من قد استمسك بالعروة الشديدة المأمونة الانقطاع ، ومن ذلك قولهم : فلان من شجرة صالحة لما كانت الشجرة على أصل يتشعب منه غصونها ، شبه أبو العشيرة التي تجمعها بها وجعلت أغصانها كولده ، ونحوه قوله : ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[سورة هود آية : ٨٠] وتأويله العز والمنعة كما يفعل الأركان .

النشوز(١)

أصل النشوز الارتفاع ، والنشز الأرض المرتفع ، وقرئ : ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾[سورة البقرة آية : ٢٥٩] أي : ترفع بعضها على بعض حتى تستوي القامة ، فكأن المرأة إذا نشزت عن زوجها كأنها ارتفعت عنه ، فلم ينلها الزوج .

والنشوز في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : نشوز المرأة على زوجها ، وهو عصيانها له ، قال : ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُن﴾[سورة النساء آية : ٣٤] وقد تكلمنا في هذه الآية .

الثاني : الأثرة ، قال الله : ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾[سورة النساء آية : ١٢٨] وهو أن يؤثر عليها غيرها من نسائه يقول : لا إثم عليها أن يتصالحا على أمر يتفقان عليه مثل أن يصطلحا على إيثار غيرها عليه ولا يفترقا : ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشح﴾ [سورة النساء آية : ١٢٨] أي : المرأة تشح على نصيبها من زوجها ، ويشح الزوج بنصيبه من الأخرى .

قال أبو علي رحمه الله : الصلح أن تدفع المرأة إلى زوجها شيئا ترضاه به وله أن يأخذ ذلك إذا لم يكن في الأصل ظالما لها .

وقال غيره : أراد الاصطلاح على مال يدفعه الرجل إلى امرأته الكبيرة ليترك حظها منه للشابة .

وقال غيره : أراد النشوز إذا وقع من الرجل استكثارا للصداق فلا جناح عليهما أن يصطلحا على بعضه ، وقيل : هي المرأة يكرهها الرجل فتقول : لا تطلقني وأنت في حل من أمري .

---

(١) (ن ش ز) : (النَّشَزُ) بِالْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ وَالْجَمْعُ نُشُوزٌ وَأَنْشَازٌ وَقَوْلُهُ لَوْ كَانَ عَلَى مَوْضِعٍ (نَشْزٍ) ضَعِيفٌ سَوَاءٌ وَصَفْتَ أَوْ أَضَفْتَ وَمِنْهُ رَأَى قُبُورًا مُسَنَّمَةً (نَاشِزَةً) أَيْ مُرْتَفِعَةً مِنْ الْأَرْضِ وَمِنْهُ (نَشَزَتْ الْمَرْأَةُ) عَلَى زَوْجِهَا فَهِيَ نَاشِزَةٌ إذَا اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ وَأَبْغَضَتْهُ وَعَنْ الزَّجَّاجِ (النُّشُوزُ) يَكُونُ مِنْ الزَّوْجَيْنِ وَهُوَ كَرَاهَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . [المغرب :النون مع الشين] .

والنشوز يكون من المرأة يمنع البضع ومن الرجل حنو الطرف ومنع النفقة والامتناع من المباشرة ، والصلح خير يعني أنه خير له من الفرقة ، وقد استقصينا بيان هذا في التفسير .

الثالث : النهوض من المجلس ، قال الله : ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾[سورة المجادلة آية : ١١] أي : إذا قيل لكم : انهضوا فانهضوا ، كما قال تعالى : ﴿وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[سورة الأحزاب آية : ٥٣] وقيل : معناه إذا قيل مكنوا لإخوانكم في المجلس فافعلوا ، ويقال : فرس نشز إذا كان فارسه لا يكاد يستقر عليه .

النور[1]

قد ذكرنا أن أصل النار والنور واحد وهو البياض ، وإنما غير البناء لاختلاف المعنى .

وهو في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : الإسلام ، قال الله : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٢] .

وقوله : ﴿ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النور آية : ٣٥] والهداية هاهنا بمعنى الألطاف يعطيها الله من يشاء على قدر المصالح ، وكذلك قوله : ﴿ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ ﴾ [سورة المائدة آية : ١٦] .

الثاني : بمعنى المنور ، قال تعالى : ﴿ اللهُ نُورُ السمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة النور آية : ٣٥] أي : منورهما بالهداية إلى الدين فلما كان أهل السماوات والأرض يهتدون بالله في ذلك كما

---

(١) (ن و ر) : النُّورُ الضَّوْءُ وَهُوَ خِلَافُ الظُّلْمَةِ وَالْجَمْعُ أَنْوَارٌ وَأَنَارَ الصُّبْحُ إنَارَةً أَضَاءَ وَنَوَّرَ تَنْوِيرًا وَاسْتَنَارَ اسْتِنَارَةً كُلُّهَا لَازِمَةٌ بِمَعْنًى وَنَارَ الشَّيْءُ يَنُورُ نِيَارًا بِالْكَسْرِ وَبِهِ سُمِّيَ أَضَاءَ أَيْضًا فَهُوَ نَيِّرٌ وَهَذَا يَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ وَنَوَّرْتُ الْمِصْبَاحَ تَنْوِيرًا أَزْهَرْتُهُ وَنَوَّرْتُ بِالْفَجْرِ تَنْوِيرًا صَلَّيْتُهَا فِي النُّورِ فَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ مِثْلُ أَسْفَرْتُ بِهِ وَغَلَّسْتُ بِهِ . [المصباح المنير :النون مع الواو] .

و عند ابن فارس (ن و ر) : النون والواو والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إضاءةٍ واضطراب وقِلّة ثبات. منه النور والنار، سمِّيا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأنَّ ذلك يكون مضطرِباً سريعَ الحركة. وتنوَّرْتُ النّار: تبصَّرتُها. قال امرؤ القيس:

تنوَّرتُها من أذرعات وأهلُها *** بيثربَ أدنى دارِها نظرٌ عالي

ومنه النَّور: نَور الشَّجر ونُوّارُهُ. وأنارت الشَّجرةُ: أخرجَتْ النَّور. والمَنَارة: مَفعلة من الاستنارة، والأصل مَنْوَرة. ومنه مَنَار الأرض: حُدودها وأعلامها، سمِّيت لبيانها وظُهورها.

والذي قُلناه في قِلّة الثبات امرأةٌ نَوَارٌ، أي عفيفة تنُورُ، أي تَنفِر من القَبيح، والجمع نُورٌ. ونارت: نَفَرت نَوْراً . قال:

* أنَوْراً سَرْعَ ماذا يا فَروقُ *

ونُرت فلاناً: نَفَّرته. والنَّوار: النِّفار.

ومما شذَّ عن هذا الأصلَ النَّؤور: دُخانُ الفَتيلة يتخذُهُ كُحلاً وَوشماً. ونَوَّرت اللِّثة : غَرَزتها بإبرةٍ ثم جعلت في الغَرز الإثمد.

يهتدون بالنور قال أنه : ﴿ نُورُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ على وجه المجاز ، وقد دلت العقول على أنه ليس بنور على الحقيقة ؛ لأنه خالق الأنوار ، ولو كان الله نورا على الحقيقة لما أظلمت الدنيا أبدا ؛ لأن الله موجود ومع وجود النور لا تكون الظلمة ثم شبه نوره بمصباح أي : مثل دلالاته الخلق في وضوحها كمثل المصباح ، ولا يجوز أن يشبه نفسه بالمصباح ؛ لأنه لا شبيه له .

الثالث : النهار ، قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الظلُمَاتِ وَالنورَ ﴾[سورة الأنعام آية : ١] يعني : الليل والنهار .

الرابع : ضوء القمر ، قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِن نُورًا ﴾[سورة نوح آية : ١٦] .

وقال أهل العربية : يجوز أن يكون : ﴿ فِيهِن نُورًا ﴾ وهو في السماء الدنيا ؛ لأنهن كالشيء الواحد .

وجاء في التفسير أن وجه الشمس تضيء لأهل الأرض وظهرها لأهل السماء ، وقال بعضهم : ﴿ فِيهِن نُورًا ﴾ أي : معهن ضياء يستضيء به أهل الأرض .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾[سورة الحديد آية : ١٣] ، وقوله : ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾[سورة الحديد آية : ١٢] وهو نور يجعله الله للمؤمنين يمشون فيه إلى الموقف وعلى الصراط .

السادس : بيان الحلال والحرام ، قال الله : ﴿ إِنا أَنْزَلْنَا التوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[سورة المائدة آية : ٤٤] ، ومثله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلناسِ ﴾[سورة الأنعام آية : ٩١] .

السابع : القرآن ، قال : ﴿ وَالنورِ الذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [سورة التغابن آية : ٨] ، وقال : ﴿ اتبَعُوا النورَ الذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٧] ، وقوله : ﴿ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾[سورة الشورى آية : ٥٢] وسمي نور اللبيان الذي فيه ؛ لأنه يهتدي به كما يهتدي بالنور .

الثامن : العدل ، قال الله : ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بنورِ رَبِهَا﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩] أي : يعدله ، وإذا كان الظلم وغيره من الشدائد يشبه بالظلمة فنقول : هذا يوم مظلم إذا كان فيه شر ، والوجه أن يشبه العدل بالنور ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[1] .

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر ، أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٨٢) ، والترمذي (٢٠٣٠) ، وأحمد (٥٧٨٩) ، وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (٢٥٨١) .

الباب السادس والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله واو

الوكيل(١)

أصله التوكيل جعل الأمر إلى الغير ، ورجل وكل أي ضعيف يتكل في أموره على غيره ، والوكيل في أسماء الله بمعنى الكافي وبمعنى الحافظ ، وقيل : هو على التشبيه له بالوكيل منا ، وذلك أن جميع ما يفعله من الخير إنما يفعله منفعة للعباد ما أن جميع سعي الوكيل إنما هو للموكل .

والوكيل في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الحافظ ، قال الله : ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾(٢) [سورة النساء آية : ١٠٩] أي : إن حفظوا وذب عنهم في الدنيا فمن الذي يحفظهم ويذب عنهم في الآخرة ، ومعنى لفظ الاستفهام هاهنا أنه ليس للعصاة يوم القيامة ناصر يذب عنهم ، وقال : ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٥] أي : حفيظا .

الثاني : بمعنى الرب ، قال : ﴿لا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا﴾[سورة الإسراء آية : ٢] ، وقال : ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا﴾ [سورة المزمل آية : ٩] وهو يرجع إلى الحفظ ؛ لأن رب الشيء يحفظه .

---

(١) (و ك ل) : (الْوَكِيلُ) الْقَائِمُ بِمَا فُوِّضَ إلَيْهِ وَالْجَمْعُ الْوُكَلَاءُ وَكَأَنَّهُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ لِأَنَّهُ مَوْكُولٌ إلَيْهِ الْأَمْرُ أَيْ مُفَوَّضٌ إلَيْهِ (وَالْوِكَالَةُ) بِالْكَسْرِ مَصْدَرُ الْوَكِيلِ وَالْوَكَالَةُ بِالْفَتْحِ لُغَةٌ وَمِنْهُ (وَكَّلَهُ) بِالْبَيْعِ فَتَوَكَّلَ بِهِ أَيْ قَبِلَ الْوَكَالَةَ لَهُ وَقَوْلُهُ لِلْمَأْذُونِ لَهُ أَنْ يَتَوَكَّلَ لِغَيْرِهِ أَيْ يَتَوَلَّى الْوَكَالَةَ وَهُوَ قِيَاسٌ عَلَى التَّكَفُّلِ مِنْ الْكَفَالَةِ وَقَوْلُهُمْ (الْوَكِيلُ) الْحَافِظُ (وَالْوَكَالَةُ) الْحِفْظُ فَذَاكَ مُسَبَّبٌ عَنْ الِاعْتِمَادِ وَالتَّفْوِيضِ وَمِنْهُ (رَجُلٌ وَكَلٌ) ضَعِيفٌ جَبَانٌ يَكِلُ أَمْرَهُ إلَى غَيْرِهِ وقَوْله تَعَالَى ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أَيْ عَلَيْكَ التَّبْلِيغُ وَالدَّعْوَةُ وَأَمَّا الْقِيَامُ بِأُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ فَلَيْسَ إلَيْكَ . [المغرب :الواو مع الكاف] .

(٢) قال الرازي : قال تعالى : ﴿أَمْ مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ فقوله : ﴿أَمْ مَّن يَكُونُ﴾ عطف على الاستفهام السابق ، والوكيل هو الذي وكل إليه الأمر في الحفظ والحماية ، والمعنى : من الذي يكون محافظاً ومحامياً لهم من عذاب الله ؟ [مفاتيح الغيب :٥/ ٣٧٤] .

الثالث : المسلط ، قال : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٧] أي المسلط .

الرابع : الشهيد ، قال : ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣] ، وقال : ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة هود آية : ١٢] .

الوحي(١)

أصل الوحي الإشارة ، يقال : وحيت إليه بطرفي أي : أشرت ، قال الله : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[سورة مريم آية : ١١] ثم صار كل شيء دللت به على شيء وحيا ، وحييت الكتاب وأوحيته إذا كتبته ؛ لأنك تشير بالكتابة إلى المعاني التي تريدها ، وهو بمعنى الإلهام ، وبمعنى الإرسال وبمعنى الرؤيا ، ويجوز أن يكون أصله السرعة ، ومنه الوحي يقصر ويمد يقال : الوحا الوحا يراد السرعة ، ويقال : من الوحي وحا ، وأوحى .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الإرسال ، قال : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [سورة النساء آية : ١٦٣] ، وقوله : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٩] أي : أرسل به إلي .

الثاني : الإلهام ، قال الله : ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾[سورة المائدة آية : ١١١] أي : ألهمتهم الإيمان ، ومثله : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [سورة النحل آية : ٦٨] جمع واحدة نحلة مثل : نحل ونحلة ، والمعنى أنه ألهمها اتخاذ المساكن وادخار العسل كما في غيرها من الحيوان التصرف في وجوه منافعها واجتناب أسباب مضارها ، ومثله قوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [سورة الزلزلة آية : ٥] .

الثالث : الإشارة ، قال الله : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم آية : ١١] أي : أومأ ودليل هذا ، قوله : ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[سورة آل عمران آية : ٤١] والرمز تحريك الشفتين والحاجبين والعينين ، وقال بعضهم : الوحي هاهنا الكتاب أي : كتب إليهم وقال ذلك لأن الإشارة لا تنبي عن الصلاة بكرة وعشيا .

---

(١) (و ح ي) : الْوَحْيُ الْإِشَارَةُ وَالرِّسَالَةُ وَالْكِتَابَةُ وَكُلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إلَى غَيْرِكَ لِيَعْلَمَهُ وَحْيٌ كَيْفَ كَانَ قَالَهُ ابْنُ فَارِسٍ وَهُوَ مَصْدَرُ وَحَى إلَيْهِ يَحِي مِنْ بَابِ وَعَدَ وَأَوْحَى إلَيْهِ بِالْأَلِفِ مِثْلُهُ وَجَمْعُهُ وُحِيٌّ وَالْأَصْلُ فُعُولٌ مِثْلُ فُلُوسٍ وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقُولُ وَحَيْتُ إلَيْهِ وَوَحَيْتُ لَهُ وَأَوْحَيْتُ إلَيْهِ وَلَهُ ثُمَّ غَلَبَ اسْتِعْمَالُ الْوَحْيِ فِيمَا يُلْقَى إلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَلُغَةُ الْقُرْآنِ الْفَاشِيَةُ أَوْحَى بِالْأَلِفِ . [المصباح المنير :الواو مع الحاء] .

الرابع : الأمر ، قال الله : ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [سورة فصلت آية : ١٢] أي : أمر أهلها بما يصلح الأمر به .

الخامس : الوسوسة ، قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢١] أي : يوسوسون إليهم ، ومثله : ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الأنعام آية : ١١٢] وقال بعضهم : تقدير هذا بمعنى الأمر ، أي : يأمر بعضهم بعضا بذلك .

الولي

الولي خلاف العدو ، والاسم الولاية بالفتح والولاية بالكسر ولاية الأعمال وقد مضى من كلامنا في هذا الحرف ما فيه كفاية .

والولي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الولد ، قال : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيا ﴾(١) [سورة مريم آية : ٥] أي : ولدا ، وسمي الولد وليا لقربه من أبيه في النسب ، وأصل هذه الكلمة القرب ، ومنه ولي الشيء يليه إذا قرب منه .

الثاني : الصاحب ، قال الله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِي مِنَ الذل ﴾ [سورة الإسراء آية : ١١١] قالوا : معناه صاحب ينتصر به فيعز ، ومثله : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيا مُرْشِدًا ﴾ [سورة الكهف آية : ١٧] ، وقوله : ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٧] أي : أصحابا ، ويجوز أن يكون المعنى في ذلك كله خلاف العدو .

الثالث : القريب ، قال : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة هود آية : ٢٠] قالوا : يعني : الأقرباء ، وهذا والأول عندي سواء .

الرابع : بمعنى رب ، : ﴿ قال قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَخِذُ وَلِيا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] أي : ربا ، ومثله كثير .

الخامس : خلاف العدو ، قال الله : ﴿ لا تَتخِذُوا الْيَهُودَ وَالنصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥١] ، وقال : ﴿ لا تَتخِذُوا عَدُوي وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ١] أي : اتخذوهم أعداء حتى لا تناصحوهم ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَتخِذِ الشيْطَانَ وَلِيا مِنْ دُونِ الله ﴾

---

(١) قال الشوكاني : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً ﴾ أي أعطني من فضلك ولياً ، ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه بأنه قد صار هو وامرأته في حالة لا يجوّز فيها حدوث الولد بينهما وحصوله منهما . وقد قيل : إنه كان ابن بضع وتسعين سنة ، وقيل : بل أراد بالوليّ الذي طلبه هو الولد ، ولا مانع من سؤال من كان مثله لما هو خارق للعادة ، فإن الله سبحانه قد يكرم رسله بما يكون كذلك ، فيكون من جملة المعجزات الدالة على صدقهم . [فتح القدير :٤/ ٤٤٠] .

[سورة النساء آية : ١١٩] ، وهم لم يتولوا الشيطان على الحقيقة ، ولكن لما كانت أعمالهم أعمال من يتولى الشيطان قال : إنهم أولياؤه ، وأنت تقول لصاحبك : أنت ولي الشيطان وأنت تعلم أنه ليس بوليه ولكن تقول ذلك ؛ لأنه يفعل ما يريده .

السادس : بمعنى الناصر ، قال الله : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٥] فهو في الله بمعنى الناصر وفي الرسول بمعنى الهادي المرشد ؛ لأن الولي ينصر وليه ويهديه ، وقال : ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٧] أي : ناصرهم ومرشدهم ومتكفل بأمورهم كولي الطفل يكفيه أموره ، وأما قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٤] فمعناه أنه أي : شيء لهم في رفع العذاب عنهم يوم القيامة وهم يصدون عن المسجد الحرام أراد أمر الحديبية ، وما كانوا أولياء المسجد ما أولياؤه إلا المتقون وهم النبي والمؤمنون ، وذلك أن الله لم يجعل ولايته إليهم وإنما جعلها للمتقين ، وولي البيت من يلي إصلاحه وعمارته كولي الطفل يلي إصلاح أمره وتثمير ماله ثم شرح ذلك بقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [سورة التوبة آية : ٢٨] وفي هذا دليل على أن ما يجعله الله لبعض عباده يجوز أن يغلبه عليه غيره ؛ لأنهم كانوا يتصرفون في المسجد الحرام ولم يجعله الله لهم .

الوجه[1]

أصله التقدم ، يقال : توجهت في الشيء إذا تقدمت فيه ووجه كل شيء أوله ، ومنه وجه النهار أي : أوله ثم كثر حتى قيل : وجه الشيء لنفسه ، تقول : هذا وجه الرأي أي : هو الرأي .

والوجه في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : مجيئه بمعنى الشيء نفسه ، قال : ﴿كُل شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص آية : ٨٨] أي : إلا هو ، ولو كان له وجه غيره على ما يوجبه ظاهر الآية وعلى ما يقوله المشبهة لكان ينبغي أن يفنى جميعه ويبقى وجهه وليس هذا قولا لأحد إلا لبيان بن سمعان ، وليس هو مما يعتد به لبيان بطلانه ودلالة العقل والإجماع على خلافه ، ومثله : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ [سورة الإنسان آية : ٩] أي : لله .

الثاني : مجيئه بمعنى الأول ، وهو قوله : ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٢] أي : أوله ، وإنما قيل ذلك ؛ لأن أول ما يلقاه من الشيء وجهه .

الثالث : بمعنى الدين ، قال : ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾ [سورة النساء آية : ١٢٥] أي : أخلص دينه ، وقوله : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ﴾[سورة لقمان آية : ٢٢] ، والإسلام الإخلاص على ما تقدم ذكره ، ويجوز أن يكون : ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي : استسلم كما نقول : أعطى يده إذا استسلم ، وقيل : الوجه العمل ، و : ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي : أخلص عمله ، وقالوا : الوجه في قوله : ﴿إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِهِ الأَعْلَى﴾ [سورة الليل آية : ٢٠] وهو الثواب

---

(١) (و ج هـ) : وَجُهَ بِالضَّمِّ وَجَاهَةً فَهُوَ وَجِيهٌ إذَا كَانَ لَهُ حَظٌّ وَرُتْبَةٌ وَالْوَجْهُ مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ وَرُبَّمَا عُبِّرَ بِالْوَجْهِ عَنْ الذَّاتِ وَيُقَالُ وَاجَهْتُهُ إذَا اسْتَقْبَلْتَ وَجْهَهُ بِوَجْهِك وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَوَجَّهْتُهُ إلَى الْقِبْلَةِ فَتَوَجَّهَ إلَيْهَا وَالْوِجْهَةُ بِكَسْرِ الْوَاوِ قِيلَ مِثْلُ الْوَجْهِ وَقِيلَ كُلُّ مَكَان اسْتَقْبَلْتَهُ وَتُحْذَفُ الْوَاوُ فَيُقَالُ جِهَةٌ مِثْلُ عِدَةٍ وَهُوَ أَحْسَنُ الْقَوْمِ وَجْهًا قِيلَ مَعْنَاهُ أَحْسَنُهُمْ حَالًا لِأَنَّ حُسْنَ الظَّاهِرِ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الْبَاطِنِ وَشَرِكَةُ الْوُجُوهِ أَصْلُهَا شَرِكَةٌ بِالْوُجُوهِ فَحُذِفَتْ الْبَاءُ ثُمَّ أُضِيفَتْ مِثْلُ شَرِكَةِ الْأَبْدَانِ أَيْ بِالْأَبْدَانِ لِأَنَّهُمْ بَذَلُوا وُجُوهَهُمْ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَبَذَلُوا جَاهَهُمْ . [المصباح المنير :الواو مع الجيم] .

أي : لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه إلا طلبا لثواب الله ، والآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين أعتق بلالا .

الرابع : قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ١١٥] أي : الوجه الذي يريده الله ، وجاء في التفسير أنه أراد فثم القبلة وخص المشرق والمغرب في هذه الآية ؛ لأنهما أشهر الجهات ، وأراد ما بين المشرق والمغرب وذلك الدنيا كلها ، والمراد أن الجهات وما فيها لله فأيهما تستقبلوا من الوجوه المأمور باستقبالها فثم الوجه الذي تتقربون به إلى الله ، وقيل : أراد فأينما وليتم وجوهكم وكونوا قاصدين للوجه الذي أمركم الله تعالى به فإذا عرفتم الكعبة فلتكن العرض ، وإن لم تفعلوا به في ظلمة أو غيرها فالتحدي لإصابتها ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١١٥] أي : موسع على عباده غير مضيق عليهم ، وهذا على مذهب الكوفيين ، وقال الشافعي : من اجتهد فصلى إلى جهة ثم عرف أن القبلة غيرها استأنف ، وفي هذه الآية كلام كثير وليس ذا موضع ذكره .

الباب السابع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله هاء

الهدي(١)

أصله التقدم ومن ثم قيل للعنق : الهادي لتقدمه الجسد ثم استعمل في الإرشاد ثم جعل من الإرشاد في الدين والإرشاد في الطريق فرق في المصدر ، فقالوا : في الدين هدى وفي الطريق هداية ، وسمي الهدي هديا ؛ لأنه تقدم للنحر ، والهدية تقدم أمام الحاجة ، والعروس هدى ؛ لأنها تقدم إلى زوجها ويتبعها أهلها ، والفرق بين الهدى والإرشاد أن الهدى يكون في الخير والشر يقال : هداه إلى السوء والمكروه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] ، ولا يكون الإرشاد إلا إلى الخير .

والهدي في القرآن على اثني عشر وجها :

الأول : البيان ، قال : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٥] أي : على بيان ، وقال : ﴿ وَأَما ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [سورة فصلت آية : ١٧] أي : بينا لهم ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٠] ، وقوله : ﴿ فَإِما يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ [سورة طه آية : ١٢٣] أي : بيان والمعنى به الكتاب والرسول ، ومثله : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٤] أي : البيان والمعني به القرآن ، ومثله كثير .

---

(١) (هـ د ي) : (الْهَدْيُ) السِّيرَةُ السَّوِيَّةُ (وَالْهُدَى) بِالضَّمِّ خِلَافُ الضَّلَالَةِ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ " رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ﴿ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ سُنَنِ الْهُدَى ﴾ وَرِوَايَةُ مَنْ رَوَى بِفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ لَا تَصِحُّ (وَفِي) حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ ﴿ فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ﴾ أَيْ يَمْشِي بَيْنَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا لِضَعْفِهِ (وَالْهَدْيُ) مَا يُهْدَى إلَى الْحَرَمِ مِنْ شَاةٍ أَوْ بَقَرَةٍ أَوْ بَعِيرٍ الْوَاحِدَةُ هَدْيَةٌ كَمَا يُقَالُ جَدْيٌ فِي جَدْيَةِ السَّرْجِ وَيُقَالُ (هَدِيٌّ) بِالتَّشْدِيدِ عَلَى فَعِيلٍ الْوَاحِدَةُ هَدِيَّةٌ كَمَطِيَّةٍ وَمَطِيٍّ وَمَطَايَا . [المغرب :الهاء مع الدال] .

الثاني : الطريق ، قال : ﴿ إِنكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الحج آية : ٦٧] أي : على طريق قويم وهو الإسلام ، ومثله : ﴿ قُلْ إِن هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٠] أي : السبيل الذي أمر الله سلوكها هو السبيل المرضي ، وهو مثل ومعناه الإسلام أيضا كذا جاء عن السلف وهو عندنا والأول سواء ؛ لأنه يقال : أنه لعلى هدى ، أي : على بيان .

الثالث : اللطف ، قال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [سورة محمد آية : ١٧] أي : الذين اهتدوا إلى الإيمان بألطافنا زدناهم ألطافا ثوابا لأعمالهم ليزدادوا إيمانا .

الرابع : الإيمان ، قال الله : ﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٤٩] أي : مؤمنون .

الخامس : الهادي وهو المرشد ، قال : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [سورة الرعد آية : ٧] أي : مرشد يريده أنك هاد ومرشد لكل أحد ، وفيه وجه آخر وهو أنك مرشد ولكل قوم مرشد ، وقوله : ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النارِ هُدًى ﴾ [سورة طه آية : ١٠] أي : رشدا ، ويجوز أن يكون بيانا فيكون من القسم الأول ، ومثله : ﴿ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] أي : لترشد .

السادس : الدعاء ، قال الله : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨١] أي : يدعون ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [سورة السجدة آية : ٢٤] ، وقال : ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨١] ، أي : يدعون وقال : ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [سورة الجن آية : ٢] أي : يدعوا ، وقوله : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] أي : ادعوهم ، ويجوز أن يكون المعنى فودوهم ، ويجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ أي : يرشدون بالقول الحق ، وكذلك قوله : ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٣] .

السابع : المعرفة ، قال الله : ﴿ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٤١] أي : تعرف ، ونحوه : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل آية : ١٦] أي : يعرفون الطرق .

الثامن : أمر محمد صلى الله عليه ، قال : ﴿إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٩] ، ومثله : ﴿وَشَاقوا الرسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [سورة محمد آية : ٣٢] يعني : ما بين الله في التوراة والإنجيل من أمر محمد عليه السلام .

التاسع : الدين ، قال : ﴿إِنْ نَتبعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ [سورة القصص آية : ٥٧] يعني : دينه وهو راجع إلى البيان ، وقيل : هو التوحيد وكانوا لا يسمونه هدى ، وإنما قالوا ذلك على ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، أي : الهدى بزعمك ، وكذلك قالوا في قوله : ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَق﴾[سورة الفتح آية : ٢٨] أي : بالتوحيد ، ويجوز أن يكون الهدى هاهنا البيان بربك المعجز .

العاشر : الاستنان بسنن الماضين ، قال الله : ﴿وَإِنا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٢] أي : مستنون .

الحادي عشر : الإصلاح ، قال : ﴿أن اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٢] أي : لا يصلحه بمعنى أنه لا يخبر بأنه صلاح .

الثاني عشر : الإلهام ، قال : ﴿الذِي أَعْطَى كُل شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُم هَدَى﴾ [سورة طه آية : ٥٠] قالوا : صور الخلق وألهمه أمر معاشه ، وعندنا أنه أراد إلهام المعاش لمن يلهم ذلك وإعلامه من يعلم ، وقد دخل ذلك في قوله : ﴿أَعْطَى كُل شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ ومعنى هدى : أنه هدى المكلفين أي : بينه لهم .

هل

يكون للاستفهام ويدخلها معنى التقرير ، والتقرير على ضربين :

تقرير على فعل يوجبه المقرر كقوله : هل أكرمتك ؟ وهل أحسن إليك ؟ وهل أوثرك وأقضي حاجتك ؟ .

وتقرير على فعل لنفيه كقولك : هل كان من شيء كرهته ، وهل عرفت مني غير الجميل .

وقد يتضمن هذان الوجهان معنى التوبيخ أيضا في بعض الأحوال .

وجاء في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : مجيئه بمعنى ما ، قال تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] و : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ [سورة النحل آية : ٣٣] و : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٦٦] قال أهل التفسير : هذا كله بمعنى ما ينظرون إلا ذلك ، وهو عند أهل العربية بمعنى الزجر والتهديد .

الثاني : بمعنى قد ، قال الله : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [سورة النازعات آية : ١٥] ، وقال : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ [سورة الإنسان آية : ١] قال الزجاج : معناه قد أتى أي : لم يأت على الإنسان ، وقوله : ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[سورة الإنسان آية : ١] معناه أنه كان شيئا غير مذكور أي : كان ترابا ونطفة ، وقال بعضهم : أتى على آدم الدهر وهو لا شيء ولا يجوز أن يكون لا شيء يأتي عليه الدهر .

وقال المبرد : هل في هذا الموضع بمعنى قد ، وكذلك في قوله : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾[سورة ص آية : ٢١] .

قال سيبويه : قد تكون حروف الاستفهام لغير الاستفهام إلا الألف وأم لا تدخل على الألف ؛ لأنها الأصل ويدخل على هل ؛ لأنها قد تكون لغير الاستفهام ، وأنشد :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرتــــه ... أثر إلا حبه يوم البين مشكــــور

الثالث : بمعنى ألا ، قال الله : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [سورة طه آية : ١٢٠] ، و : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ﴾ [سورة الصف آية : ١٠] معناه : ألا أدلكم .

الرابع : بمعنى التوبيخ ، قال الله : ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الروم آية : ٤٠] ، وقوله : ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[سورة الروم آية : ٢٨] ومعنى هذه الآية : الرد على عبدة الأوثان يقول : جعلتم الذي هو ملك الله مثله ، وأنتم لا تجعلون مماليككم أمثالكم .

الهلاك(١)

يقال : هلك الرجل إذا وقع في أمر شديد وإذا مات أيضا ، والمستقبل يهلك بالكسر ولا يجوز الفتح ، وإن كانت العامة قد أولعت به وهو الهلك والهلاك .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الموت ، قال الله : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٧٦] .

الثاني : الفناء ، قال الله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص آية : ٨٨] .

الثالث : العذاب ، قال الله : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ [سورة الكهف آية : ٥٩] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٠٨] ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة هود آية : ١١٧] ، ومثله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى ﴾ [سورة القصص آية : ٥٩] .

الرابع : الذهاب ، قال الله : ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٩] .

الخامس : الفساد ، قال الله : ﴿ وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٥] ، وقال : ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا ﴾ [سورة البلد آية : ٦] ، وقال أهل التفسير : أي : أفسدت ، ويجوز أن يكون بمعنى الإتلاف .

---

(١) (هـ ل ك) : (الْهَلَاكُ) السُّقُوطُ وَقِيلَ الْفَسَادُ وَقِيلَ هُوَ مَصِيرُ الشَّيْءِ إلَى حَيْثُ لَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ (وَالْهَلَكَةُ) مِثْلُهُ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ لَا يُغَادِرُ رُسُلِي فَهَلَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ ﴾ أَيْ اسْتَهْلَكُوهُ يُقَالُ هَلَكَ الشَّيْءُ فِي يَدِهِ إذَا كَانَ بِغَيْرِ صُنْعِهِ (وَهَلَكَ عَلَى يَدِهِ) إذَا اسْتَهْلَكَهُ قُلْتُ كَأَنَّهُ قَاسَهُ عَلَى قَوْلِهِمْ قُتِلَ فُلَانٌ عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَمَاتَ فِي يَدِهِ وَلَا يُقَالُ مَاتَ عَلَى يَدِهِ وَيُقَالُ لِمَنْ ارْتَكَبَ أَمْرًا عَظِيمًا (هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ) (وَفِي) حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ﴿ لَا تَسْتَعْمِلُوا الْبَرَاءَ عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ هُلَكَةٌ ﴾ مِنْ الْهَلَكِ رُوِيَ بِالتَّحْرِيكِ بِوَزْنِ هُمَزَةٍ وَلُمَزَةٍ أَيْ يُهْلِكُ أَتْبَاعَهُ لِجُرْأَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَرُوِيَ بِالسُّكُونِ أَيْ يَهْلِكُونَ مِنْهُ يَعْنِي بِسَبَبِهِ كَالضُّحْكَةِ لِمَنْ يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَفِي نُسْخَةِ سَمَاعِي هَلَكَةٌ بِفَتْحَتَيْنِ كَأَنَّهُ جَعَلَ جُمْلَتَهُ هَلَاكًا مُبَالَغَةً فِي ذَلِكَ وَكُلُّ ذَلِكَ تَصْحِيحٌ لِلرِّوَايَةِ وَتَخْرِيجٌ لَهَا وَلَمْ يُذْكَرْ فِي أُصُولِ اللُّغَةِ إلَّا الْهِلْكَةُ بِكَسْرِ الْهَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ فُلَانٌ هِلْكَةٌ مِنْ الْهِلَكِ أَيْ سَاقِطَةٌ مِنْ السَّوَاقِطِ يَعْنِي هَالِكٌ وَهَذَا إنْ صَحَّ غَرِيبٌ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ جَرِيءٌ مِقْدَامٌ يُقْدِمُ بِالْمُسْلِمِينَ فِي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ . [المغرب :الهاء مع اللام] .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر لا

لا(١)

إذا أدخلتها على نكرة رفعتها ونونتها ونصبتها بلا تنوين تقول : لا رجل في الدار فإن نعت النكرة لا رجل ظريف نصب بلا تنوين ، ويجوز أن يقال : لا رجلا ظريفا ، وإن شئت قلت : لا رجل ظريف والرفع مع التنوين لا غير فإن دخلت على الاسم المعرفة لم يكن فيه إلا الرفع ، تقول : لا زيد في الدار ولا عمرو ، فإن عطف بلا على اسم قد تقدمه لا كان ذلك على خمسة أوجه كقولك : لا رجل في الدار ولا امرأة ، نصب بغير تنوين ولا رجل في الدار ولا امرأة ترفعهما جميعا ، ورفع الأول ونصب الثاني لا رجل ولا امرأة ، ونصب الأول بغير تنوين ونصب الثاني بتنوين لا رجل في الدار ولا امرأة .

ولا في القرآن على وجهين :

الأول : مجيئه بمعنى لم ، قال : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ﴾ [سورة القيامة آية : ٣١] أي : لم يصدق ولم يصل ، وقال : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [سورة البلد آية : ١١] أي : لم يقتحم ، وقال قائل للنبي صلى الله عليه : أرأيت من لا شرب ولا أكل ، وقال الراجز :

وَأي فِعْلٍ سَيءٍ لا فَعَلَه

أي لم يفعله ، والأصل في هذا أن الأحرف تنفي الماضي كما تنفي المستقبل ، إذا قلت : لا أقوم ولا أذهب .

الثاني : مجيئه على الأصل ، قال الله : ﴿ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١٠١] ، وأما قول من قال : أن لا تجيء زائدة في مثل قوله : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا

---

(١) " لا " : حَرْفٌ يُجْحَدُ ويُنْفَى به . وتكونُ زائدةً . وهذه لاءٌ مَكْتُوبَةٌ يَمُدُّونَها ، وتَصْغيرُها لُيَيَّةٌ . ولَوَّيْتُ لاءً حَسَنَةً ، ولاءٌ مُلَوّاةٌ . وقَوْلُهم : كَلاّ ولاَ : مَعْنَاه السُّرعةُ . و " لا " يكُونُ بمعنى " لَمْ " نَحو قَوْلِكَ : لا خَرَجَ زَيْدٌ : أي لم يَخْرُجْ زَيْدٌ . [المحيط في اللغة :ما أوله اللام] .

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٩] فإن ذلك عندنا غلط ، ومعناه لأن لا يعلم أهل الكتاب أن المسلمين لا يقدرون على شيء من فضل الله ، أي : هم قادرون على ذلك ، وإنما جاء بنفيين ليثبت ، ونفي النفي إثبات ، وأما قول الشاعر :

في بِئْرٍ لَا حُورٍ سَرى وَمَا شَعَر

فليس لا فيه زائدة ، وإنما معناه في بئر لا رجوع أي : من وقع فيها ، لا ترجع وجوز فعل من جاز يجوز .

الباب التاسع والعشرون

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ياء

اليسير(١)

أصل اليسير السهولة ونقيضه العسير وهو الصعوبة ، واليسار الغني ؛ لأن صاحبه في سهولة من العيش والفقر العسر ؛ لأن صاحبه في صعوبة ، وياسرت الرجل ساهلته ، واليد اليسرى ؛ لأنها لا تعاني ما تعانيه اليمنى ، وكأن اليمنى في صعوبة واليسرى في سهولة ، أو لأن الذمي والطعن والضرب على اليسار أسهل منها على اليمين وإن كانت باليسار أصعب وميسور الأمر ما ينسهل منه ومعسور ما يتصعب ويكون الميسور المصدر مثل المعقول ، وهو بمعنى اليسر سواء .

وجاء اليسير في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : مجيئه بمعنى الهين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج آية : ٧٠] .

الثاني : قوله : ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٦] قالوا : يعني : خفيا ، ويجوز أن يكون معناه السهولة ، أي : قبضا سهلا لا صعوبة فيه علينا .

الثالث : قوله تعالى : ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [سورة يوسف آية : ٦٥] قالوا : معناه سريع .

---

(١) (ي س ر) : (الْيُسْرُ) خِلَافُ الْعُسْرِ وَبِتَصْغِيرِهِ سُمِّيَ وَالِدُ سُلَيْمَانَ بن يُسَيْرٍ فِي كِتَابِ الصَّرْفِ وَرُوِيَ أُسَيْرٌ وَبُشَيْرٌ تَصْحِيفٌ (وَالْيَسَارُ) اسْمٌ مِنْ أَيْسَرَ إِيسَارًا إذَا اسْتَغْنَى (وَبِهِ) سُمِّيَ وَالِدُ مَعْقِلِ بن يَسَارٍ أَخُو عَطَاءِ بن يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ وَسُلَيْمَانُ بن يَسَارٍ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَالتَّيْسِيرُ التَّسْهِيلُ (وَمِنْهُ) قَوْلُهُ فِي الدَّعْوَى لَيْسَتْ بِمُهَيَّأَةٍ أَوْ بِمُيَسَّرَةٍ وَمُصَيَّرَةٌ رَكِيكٌ وَبِغَيْرِ الْهَاءِ (الْمُيَسَّرُ) الزُّمَاوَرْدُ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ نُوَالِهِ كَأَنَّهُ مُوَلَّدٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ اتِّخَاذَهُ سَهْلٌ مُيَسَّرٌ وَعَلَيْهِ مَسْأَلَةُ الْوَاقِعَاتِ حَلَفَ لَا يَأْكُلُ بُسْرًا فَأَكَلَ مُيَسَّرًا (وَالْيَسَارُ وَالْيُسْرَى) خِلَافُ الْيَمِينِ وَالْيُمْنَى وَمِنْهُ رَجُلٌ (أَعْسَرُ يَسَرٌ) يَعْمَلُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَبِهِ كُنِّيَ أَبُو الْيَسَرِ كَعْبُ بن عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَأَخُوهُ الْحُبَابُ بن عَمْرٍو (وَالْمَيْسِرُ) قِمَارُ الْعَرَبِ بِالْأَزْلَامِ وَتَفْسِيرُهُ فِي الْمُغْرِبِ . [المغرب :الياء مع السين] .

قال أبو هلال رحمه الله : معنى ذلك أن الملك يكيل لنا بيسر وسهولة ولا يحبسنا كما يحبس غيرنا ، وفيه وجه آخر ، وهو أن الذي حملناه من الميزة يسير في جنب ما تحملنا إذا نفذ معنا أخونا . وقوله : ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[سورة يوسف آية : ٦٥] يعني : البعير الذي يركبه أخوهم يوفر لهم ، والمراد ما يكال ويحمل على البعير ، والبعير من الإبل تقع على الذكر والأنثى ، مثل الإنسان من الناس .

اليوم[1]

ذكر بعضهم أصل اليوم أعجمي معرب ، ولا أدري ما صحة ذلك ، ولا أعرف له اشتقاقا ، وأظنه اسما أول .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : اليوم من أيام السنة ، قال الله : ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت آية : ٩] ، ويوم القيامة يجري مجراه .

الثاني : الحين ، قال الله : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [سورة النحل آية : ٨٠] يعني : حين ذلك ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الظعن ليلا ، وإنما أراد حين الظعن فذكر اليوم ؛ لأن اليوم حين .

---

(١) (ي و م) : الْيَوْمُ أَوَّلُهُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَلِهَذَا مَنْ فَعَلَ شَيْئًا بِالنَّهَارِ وَأَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَقُولُ فَعَلْتُهُ أَمْسِ لِأَنَّهُ فَعَلَهُ فِي النَّهَارِ الْمَاضِي وَاسْتَحْسَنَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقُولَ أَمْسِ الْأَقْرَبَ أَوْ الْأَحْدَثَ وَالْيَوْمُ مُذَكَّرٌ وَجَمْعُهُ أَيَّامٌ وَأَصْلُهُ أَيْوَامٌ وَتَأْنِيثُ الْجَمْعِ أَكْثَرُ فَيُقَالُ أَيَّامٌ مُبَارَكَةٌ وَشَرِيفَةٌ وَالتَّذْكِيرُ عَلَى مَعْنَى الْحِينِ وَالزَّمَانِ وَالْعَرَبُ قَدْ تُطْلِقُ الْيَوْمَ وَتُرِيدُ الْوَقْتَ وَالْحِينَ نَهَارًا كَانَ أَوْ لَيْلًا فَتَقُولُ ذَخَرْتُكَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَيْ لِهَذَا الْوَقْتِ الَّذِي افْتَقَرْتُ فِيهِ إلَيْكَ وَلَا يَكَادُونَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ يَوْمَئِذٍ وَحِينَئِذٍ وَسَاعَتَئِذٍ . [المصباح المنير :الياء مع الواو] .

اليد[1]

أصل اليد يدي والدليل على ذلك قولهم : أيد لأن قولهم أيدا فعل وأفعل جمع فعل ، مثل : فلس وأفلس في النسبة إلى اليد يديهن ترد ما ذهب ، وهو الياء ثم تحرك موضع العين ، وإنما دعاك إلى تحريكه أنك تفرق بينهما وبين ما لم يتحرك قط نحو : باطني وميم رمي فيقول في طي : طيي ، وفي رمي رميي ، وكذا في ثدي ثديي ، وأما اليد قد تحركت عينها بالحركات الثلاث فقيل : هذه يد ، ومررت بيد ورأيت يدا .

واليد في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى النعمة ، قال الله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٤] ، وهو جواب قول اليهود : ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[سورة المائدة آية : ٦٤] أي : هو بخيل ولم يريدوا أنها مغلولة على الحقيقة ، وهذا مثل قوله : ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا

---

(١) اليَدُ : الجَارِحَةُ ؛ مَعْرُوفَة ، وجَمْعُه أَيْدٍ ، ويُقال : يَدَاً - بوَزْنِ رَحاً - وَيد - بوَزْنِ يَم - . والنَعْمَةُ السابِغَةُ ، وجَمْعُها أيادٍ ويَدِي . ويُثنَى يَدَيَانِ على الأصْلِ . وَيدُ الفَاسِ : نِصَابُها ، والقَوْسِ : سِيَتُها . وَيدُ الدهْرِ : أي مَدى زَمَانِه . وأنصارُ الرَّجُلِ وجَمَاعَةُ قَوْمِه . وجاهُهُ وقَدْره . ويَدُ الشمَالِ : مِلْكُها . وهذه الضَّيْعَةُ في يَدي : أي مِلكي . وَيدِيَ فلان من يَدِه : أي شَلتْ . ورَجُل مَيْدِي : مَقْطُوْعُ اليَدِ . وأيْدَيْت على فلانٍ يَداً بَيْضاءَ : أي مِنةً . وهو ذُو مالٍ يَيْدي به وَيبُوْعُ : أي يَبْسطُ به يَدَيْه وباعَهُ .
و " ذَهَبَ القَوْمُ أيدِي سَبَا " و " أيادِي سَبَا : أي مُتَفَرِّقِيْنَ في كُل وجه . والنسْبَةُ إلى اليَدِ : يَدِي .
وثَوْبُ الصبَا يَدِي : أي واسِع ، وقيل : جَدِيْد كأنما رُفِعَتْ عنه الأيدِي ساعَتَئِذٍ ، وقيل : بل الأيْدي تَتَعَاوَرُه .
وتُجْمَعُ اليَدُ أيْدِيْنَ . ولا يَدَ لي بفلانٍ : أي لا طاقَةَ . وما لي به يَدَانِ . وقَوْلُه : يُوْدِي الكَرِيْمَ فَيَحْيى بَعْدَ إيْدَاءِ يُوْدِي : يَصْطَنِعُ يَداً من المَعْرُوْفِ ، يُقَال : أيدى يُوْدِي وَيدى يَيْدي . ويادَيْتُه مُيَادَاةً : أي جازَيْته يَداً بيَدٍ .
فأما قَوْلُه : فإنكَ قد مَلأتَ يَداً وشاما يُرِيْدُ : اليَمَنَ . وأخَذَ بهم يَدَ البَحْرِ : أي طَرِيْقَه . ويقولونَ : ابْتَعْتُها اليَدَيْنِ : أي بثَمَنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ أرْخص وأغلى .
ولَقِيْتُه أولَ ذاتِ يَدَيْنِ أي أولَ شَيْءٍ . وخُذْه آثِرَ ذي يَدَيْنِ وذاتِ يدين .
وفي المَثَل : " لأنْتَ أضعفُ من يَدٍ في رَحِمٍ " . و " سُقِطَ في يَدِه " : نَدِمَ .
وهو أطْوَلُ يَداً من فلانٍ : أي أسْخى منه . وَيدِي لِمَنْ شاءَ أنْ يُخَاطِرَني . وألْقى يَداً في عَمَلِ كذا : إذا أخَذَ فيه فابْتَدَأ . وقَوْلُه عَز وجَلَّ : " حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عن يَدٍ وهُمْ صاغِرُوْنَ " أي يُعْطُونَها كَمَلاً لا يَقْطَعُوْنَها .
ورَجُلٌ يَدِي : رَفِيْقُ اليَدَيْنِ . وَيدُ القَمِيْصِ : كُمُّه . وقَوْلُه عزوجَل : " فَرَدُّوا أيْدِيَهم في أفْوَاهِهِم " أي عَضوا عليها غَيْظاً . [المحيط في اللغة :ما أوله الياء] .

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٩] يأمره عز وجل بالتوسط في النفقة والعطية ولم يرد الغل ولا البسط على الحقيقة فقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي : نعمتاه الظاهرة والباطنة ، أو نعمته في باب الدين ونعمته في باب الدنيا مبسوطتان على الخلق ينفق كيف يشاء يتوجه إلى نعمته في الدنيا أي : يرزق منها من يشاء ما يشاء .

الثاني : بمعنى التوكيد ، وهو قوله تعالى : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص آية : ٧٥] أي : خلقت أنا ، كما تقول : هذا ما كسبت يدك فتذكر اليد توكيدا ، والمعنى : أنت كسبت .

الثالث : بمعنى الجارحة ، قال الله : ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٢] .

الرابع : بمعنى القدرة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٣] أي : هو القادر عليه : ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧٣] أي : يعطيه من يريده إذا كان يصلح له ، وقيل : الفضل هاهنا النبوة ، وقيل : هو الإحسان والنعمة ، والله أعلم ، واليد أيضا في غير القرآن السلطان في قولهم : ليس لك عليه يد ، ويجوز أن يكون هذا بمعنى القدرة ، وجاءت أيضا كناية عن الملك ، في قولهم : هذا في يدي أي : في ملكي ، ويستعمل في ابتداء العمل في قولهم : وضع يده في العمل أي : ابتدأه .

واليد البركة في قوله عليه السلام " يد الله على الشريكين "(١) . أي : بركته ، وتجيء صلة في قولهم : لا كلمتك يد الدهر ، واليد الحفظ والكلاء في قوله عليه السلام " لا تزال هذه الأمة تحت يد الله ما لم يبال في كذا شيء "(٢) ذكره وقد أنسيته .

---

(١) أخرجه الدارقطني في السنن مرسلا من حديث سعيد بن حيان التيمي (٢٩١١) .

(٢) أخرجه ابن المبارك مرسلا من حديث الحسن البصري (٨٢١) ، وابن أبي الدنيا في العقوبات (٤) ، والداني في السنن الواردة في الفتن (٣٣١) .

اليقين[1]

أصله العلم يقع بالشيء بعد إن لم يكن واقعا به ، ولهذا لا يقال : لله أنه متيقن ، وهو اليقين واليقن ، ولا يقال إلا علما يثلج معه الصدر ، ولهذا يقال : ثلج اليقين ، ولا يقال : ثلج العلم ، ومن أجل ذلك أيضا لا يوصف الله به وهو أبلغ من العلم ، ألا تراهم يقولون : أعلم وأيقن ومن عادتهم أن يؤخروا الأبلغ .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : العلم ، قال الله : ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٣] أي : يعلمون .

الثاني : الموت ، قال الله : ﴿حَتى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر آية : ٩٩] يعني : الموت .

قالوا الثالث : القرآن ، قال الله : ﴿حَتى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر آية : ٩٩] وأضاف الحق إلى اليقين لاختلاف اللفظين ، وهما واحد كما قال : ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق آية : ١٦] وهذا مذهب بعض أهل العربية ، وهو عند المحققين منهم خطأ ، والصواب أن يقال : معناه أنه لمحض اليقين كما تقول : هذا حق الشيء ، ولو كان اليقين هنا لم يجز أن يضاف إليه كما لا يقال : هذا رجل الظريف إنما هو كقوله : ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [سورة التكاثر آية : ٧] كما قال الله تعالى : ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ .

---

(١) (ي ق ن) : الْيَقِينُ الْعِلْمُ الْحَاصِلُ عَنْ نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ وَلِهَذَا لَا يُسَمَّى عِلْمُ اللهِ يَقِينًا وَيَقِنَ الْأَمْرُ يَيْقَنُ يَقَنًا مِنْ بَابِ تَعِبَ إذَا ثَبَتَ وَوَضَحَ فَهُوَ يَقِينٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَيُسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا أَيْضًا بِنَفْسِهِ وَبِالْبَاءِ فَيُقَالُ يَقِنْتُهُ وَيَقِنْتُ بِهِ وَأَيْقَنْتُ بِهِ وَتَيَقَّنْتُهُ وَاسْتَيْقَنْتُهُ أَيْ عَلِمْتُهُ . [المصباح المنير :الياء مع القاف] .

اليمين(١)

أصلها القوة ، وقيل : اليد اليمنى لقوتها على اليسرى ، واليمين القسم ؛ لأنه قوة لدفع الدعوى وأصلها أنهم إذا تحالفوا تصافقوا بأيمانهم فسمي الحلف يمينا ، وهي في اللغة توكيد القول بذكر عظيم عند القائل كقولك : بأبي وأمك ، وهي في الشريعة توكيد القول بذكر الله أو بإيجاب قربه في المآل أو على النفس بدلالة قوله عليه السلام " إذا حلفتم فاحلفوا بالله واصدقوا "(٢) ، واليمين تدخل فيما ينوي فيه الصدق ، والكذب من الكلام دون غيره .

وهي في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى القسم ، قال الله : ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللغْوِ فِي أَيمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٥] .

الثاني : القوة ، قال الله : ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [سورة الحاقة آية : ٤٥] أي : لانتقمنا منه بقوة ، ومعنى ذلك : أنا قادرون عليه ، ومنه قول الشماخ :

إذَا مَا رَايةٌ رُفِعَت لَمجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرابةُ باليَمِينِ

ومنه قوله تعالى : ﴿وَالسمَوَاتُ مَطْوِياتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٧] أي : بقدرته ، ويجوز أن يكون المعنى باليمين المبالغة كما قال : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَي﴾ [سورة ص آية : ٧٥] .

---

(١) اليمين : في اللغة : القوة ، وفي الشرع : تقوية أحد طرفي الخبر بذكر الله تعالى أو التعليق ، فإن اليمين بغير الله ذكر الشرط والجزاء ، حتى لو حلف أن لا يحلف ، وقال : إن دخلت الدار فعبدي حر ، يحنث ، فتحريم الحلال يمين ، كقوله تعالى : " لم تحرم ما أحل الله لك " إلى قوله تعالى : " قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم " .
ويمين الصبر : هي التي يكون الرجل فيها معتمداً الكذب ، قاصداً لإذهاب مال مسلم ، سميت به لصبر صاحبه على الإقدام عليها ، مع وجود الزواجر من قبله . واليمين الغموس : هو الحلف على فعل أو ترك ماضٍ كاذباً .
واليمين اللغو : ما يحلف ظاناً أنه كذا وهو خلافه ، وقال الشافعي رحمه الله : ما لا يعقد الرجل قلبه عليه . كقوله : لا والله ، وبلى والله . واليمين المنعقدة : الحلف على فعل أو ترك آت . [التعريفات :١/ ٨٥] .
(٢) له شاهد من حديث قتيلة بنت صيفي الأنصارية بلفظ من حلف فليحلف برب الكعبة ، أخرجه أحمد (٢٦٥٥٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٣/ ٢١٦ .

الثالث : بمعنى الاحتواء والملك ، قال الله : ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٠] يعني : ما حصل لك من الغنائم ، ونحوه : ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء آية : ٣٦] .

قد آتينا على الأبواب التي تقدم بها الشرط في أول الكتاب ، وشرحنا من مضمونها ما احتاج إلى الشرح في غير إكثار ولا إقلال ، ورغبنا إلى الله عز وجل في النفع بها عاجلا وآجلا ، وهو ولي المنة بذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلواته على نبيه محمد وآله المختارين .

وكتب عبد ذليل المولي فقد فرغ منه في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وأربع مائة ، حامدا الله تعالى ومصليا على نبيه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى الأخيار من أمته .

وفرغ من تحريره محمد بن الحسن بن محمد الحافظ النخعي غفر الله له ولأبويه ولمن قال : آمين في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة حامدا ومصليا .

ثبت المصادر

- - المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥ - تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- - الجامع الصحيح سنن الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
- - الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب - الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري - دار الحكمة ،مكتبة الاستقامة - بيروت ،سلطنة عمان - ١٤١٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد إدريس ، عاشور بن يوسف .
- - الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله - دار الشعب - القاهرة - ١٣٧٢ - الطبعة الثانية - تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني .
- - السنن الكبرى - أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١ - الطبعة الأولى - تحقيق : د .عبد الغفار سليمان البنداري ،سيد كسروي حسن .
- - السيرة النبوية لابن هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد - دار الجيل - بيروت - ١٤١١ - الطبعة الأولى - تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .
- - الضعفاء الكبير - أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي - دار المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - الطبعة الأولى - تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي .
- - الفهرست - محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .
- - المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم - أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٦ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .
- - المسند للشاشي - أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤١٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله .

- المصنف - أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ - الطبعة الثانية - تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
- المعجم الكبير - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣ - الطبعة الثانية - تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
- أدب الاملاء والاستملاء - عبدالكريم بن محمد بن منصور أبو سعد التميمي السمعاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠١ - ١٩٨١ - الطبعة الأولى - تحقيق : ماكس فايسفايلر .
- إثبات عذاب القبر - أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر - دار الفرقان - عمان الأردن - ١٤٠٥ - الطبعة الثانية - تحقيق : د. شرف محمود القضاة .
- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم - محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي - دار العاصمة - الرياض - ١٤١٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . عبد الله أحمد سليمان الحمد .
- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ .
- تهذيب الأسماء واللغات - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام - دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦ - الطبعة الأولى .
- تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ - الطبعة الأولى .
- تهذيب الكمال - يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . بشار عواد معروف .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ .
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل - أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦ - الطبعة الثانية - تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي .

- - ذيل تذكرة الحفاظ - أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي - دار الكتب العلمية - بيروت - تحقيق : حسام الدين القدسي .
- - سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام - محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٧٩ - الطبعة الرابعة - تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي .
- - سنن الدارقطني - علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي - دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦ - ١٩٦٦ - تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني .
- - سنن الدارمي - عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧ - الطبعة الأولى - تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي .
- - سنن البيهقي الكبرى - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤ - تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
- - سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي - دار الفكر - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
- - سنن سعيد بن منصور - سعيد بن منصور - دار العصيمي - الرياض - ١٤١٤ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد .
- - سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣ - الطبعة التاسعة - تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي .
- - شعب الإيمان - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
- - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣ - الطبعة الثانية - تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
- - صحيح ابن خزيمة - محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠ - ١٩٧٠ - تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمي .

- - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- - صحيح مسلم بشرح النووي - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢ - الطبعة الثانية .
- - طبقات الحفاظ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣ - الطبعة الأولى .
- - علل الترمذي الكبير - أبو طالب القاضي - عالم الكتب ،مكتبة النهضة العربية - بيروت - ١٤٠٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : صبحي السامرائي ، أبو المعاطي النوري ، محمود محمد الصعيدي .
- - غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة - خلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين .
- - فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩ - - تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، محب الدين الخطيب .
- - كتاب الوفيات - أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب - دار الأفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٨ - الطبعة الثانية - تحقيق : عادل نويهض .
- - كتاب دلائل النبوة - إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني - دار طيبة - الرياض - ١٤٠٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمد محمد الحداد .
- - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢ .
- - لسان الميزان - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ - الطبعة الثالثة - تحقيق : دائرة المعرف النظامية - الهند - .
- - مسند ابن الجعد - علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي - مؤسسة نادر - بيروت - ١٤١٠ - ١٩٩٠ - الطبعة الأولى - تحقيق : عامر أحمد حيدر .

- - مسند الإمام أبي حنيفة - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني أبو نعيم - مكتبة الكوثر - الرياض - ١٤١٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : نظر محمد الفاريابي .
- - مسند الإمام أحمد بن حنبل - أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني - مؤسسة قرطبة - مصر .
- - مسند الروياني - محمد بن هارون الروياني أبو بكر - مؤسسة قرطبة - القاهرة - ١٤١٦ - الطبعة الأولى - تحقيق : أيمن علي أبو يماني .
- - مسند الشافعي - محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- - مسند الشاميين - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٤ - الطبعة الأولى - تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
- - مسند الشهاب - محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦ - الطبعة الثانية - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .
- - مسند المقلين من الأمراء والسلاطين - الإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الدمشقي - دار الصحابة - مصر - ١٩٨٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : مجدي فتحي السيد .
- - مسند أبي داود الطيالسي - سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي - دار المعرفة - بيروت .
- - مسند أبي عوانة - أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني - دار المعرفة - بيروت - ١٩٩٨ - الطبعة الأولى - تحقيق : أيمن بن عارف الدمشقي .
- - مسند أبي يعلى - أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي - دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ - الطبعة الأولى - تحقيق : حسين سليم أسد .
- - مسند إسحاق بن راهويه - إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي - مكتبة الإيمان - المدينة المنورة - ١٩٩٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : د .عبدالغفور عبدالحق حسين بر البلوشي .

- - مسند بلال بن رباح المؤذن - الحافظ أبو علي الحسن بن محمد الصباح - دار الصحابة - مصر - ١٤٠٩ - ١٩٨٩ - الطبعة الأولى - تحقيق : مجدي فتحي السيد .
- - مسند سعد بن أبي وقاص - أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي أبو عبد الله - دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٧ - الطبعة الأولى - تحقيق : عامر حسن صبري .
- - مسند عبد الله بن أبي أوفى - يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد - مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٨ - تحقيق : سعد بن عبد الله آل الحميد .
- - مسند عبد الله بن عمر - محمد بن إبراهيم الطرسوسي أبو أمية - دار النفائس - بيروت - ١٣٩٣ - الطبعة الأولى - تحقيق : أحمد راتب عرموش .
- - مشاهير علماء الأمصار - محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٥٩ - تحقيق : م . فلايشهمر .
- - معجم الشيوخ - محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي أبو الحسين - مؤسسة الرسالة ،دار الإيمان - بيروت ، طرابلس - ١٤٠٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري .
- - معجم الصحابة - عبد الباقي بن قانع أبو الحسين - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - ١٤١٨ - الطبعة الأولى - تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي .
- - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد - عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣ - الطبعة الثالثة - تحقيق : مصطفى السقا .
- - موطأ الإمام مالك - - مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي - دار إحياء التراث العربي - مصر - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- - ميزان الإعتدال في نقد الرجال - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ - الطبعة الأولى - تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود .

- - نزهة الحفاظ - محمد بن عمر الأصبهاني المديني أبو موسى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٦ - الطبعة الأولى - تحقيق : عبد الرضى محمد عبد المحسن .
- - وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥ - إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال أبو إسحاق - دار العاصمة - الرياض - ١٤٠٨ - الطبعة الأولى - تحقيق : محمود بن محمد الحداد .
- الأمثال من الكتاب والسنة - أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي - ١ - دار إبن زيدون - بيروت - ١٩٨٥ - الأولى - د .السيد الجميلي - الأمثال من الكتاب والسنة - الحكيم الترمذي . .
- كتاب جمهرة الأمثال - أبي هلال العسكري - دار الفكر - دار الفكر - ١٩٨٨ - الثانية - محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش - كتاب جمهرة الأمثال - أبي الهلال العسكري .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي - ٣٥٠ - ٤٢٩ - ١ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٥ - الأولى - محمد أبو الفضل إبراهيم - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - الثعالبي .
- كتاب الأمثال في الحديث النبوي - أبي محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان - ٣٦٩ - ١ - الدار السلفية - بومباي الهند - ١٩٨٧ - الثانية - د .عبدالعلي عبدالحميد حامد - كتاب الأمثال في الحديث النبوي - أبي الشيخ الأصبهاني .
- المستقصى في أمثال العرب - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - ٤٦٧ - ٥٣٨ - دارالكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ - الثانية - المستقصى في أمثال العرب - الزمخشري .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - أبو عبيد البكري - ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣ - الثالثة - د .إحسان عباس و د .عبدالمجيد عابدين - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال - أبوعبيد البكري .
- معجم السفر - أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي - ٥٧٦ - ١ - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - عبدالله عمر البارودي - معجم السفر - أبو طاهر السلفي .

- أدب الكاتب - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري - ٢١٣ - ٢٧٦ - ١ - المكتبة التجارية - مصر - ١٩٦٣ - الرابعة - محمد محيى الدين عبدالحميد - أدب الكاتب - إبن قتيبة .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - أحمد بن محمد المقري التلمساني - دار صادر - بيروت - ١٩٦٨ - د .إحسان عباس - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - المقري التلمساني .
- قرى الضيف - عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس - ٢٠٨ - ٢٨١ - ١ - أضواء السلف - الرياض - ١٩٩٧ - الأولى - عبدالله بن حمد المنصور - ١ - الأدب - قرى الضيف - إبن أبي الدنيا .
- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي - ١٣٩ - ٢٣١ - دار المدني - جدة - محمود محمد شاكر - ١ - الأدب - طبقات فحول الشعراء - إبن سلام الجمحي .
- خزانة الأدب وغاية الأرب - تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري - ٧٦٨ - ٨٣٧ - ٢ - دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧ - الأولى - عصام شعيتو - ١ - الأدب - خزانة الأدب - إبن حجة الحموي .
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة - أحمد زكي صفوت - ٣ - المكتبة العلمية - بيروت - ١ - الأدب - جمهرة خطب العرب - أحمد زكي صفوت .
- المستطرف في كل فن مستظرف - شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي - ٧٩٠ - ٨٥٠ - ٢ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٦ - الثانية - د .مفيد محمد قميحة - ١ - الأدب - المستطرف في كل فن مستظرف - الأبشيهي .
- البيان والتبيين - أبي عثمان عمرو بن بحر - ١٥٩ - ٢٥٥ - ٢ - دار صعب - بيروت - ١٩٦٨ - الأولى - المحامي فوزي عطوي - ١ - الأدب - البيان والتبيين - الجاحظ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي - ٦٣٧ - ٢ - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٩٥ - محمد محيي الدين عبدالحميد - ١ - الأدب - المثل السائر - إبنُ الأثير .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - أحمد بن علي القلقشندي - ٨٢١ - ٨ - دار الفكر - دمشق - ١٩٨٧ - الأولى - د .يوسف علي طويل - ١ - الأدب - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - القلقشندي .
- الأغاني - أبي الفرج الأصفهاني - ٣٥٦ - ٢٤ - دار الفكر - بيروت - الثانية - سمير جابر - ١ - الأدب - الأغاني - الأصفهاني .
- مسائل خلافية في النحو - أبي البقاء العكبري - ١ - دار الشرق العربي - بيروت - ١٩٩٢ - الأولى - محمد خير الحلواني - ١ - الأدب - مسائل خلافية في النحو - العكبري .
- الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - ١٩٤ - ٢٥٦ - ١ - دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩ - الثالثة - محمد فؤاد عبدالباقي - ١ - الأدب - الأدب المفرد - البخاري .
- دلائل الإعجاز - أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني - ٤٧١ - ١ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٩٥ - الأولى - د .محمد التنجي - ١ - الأدب - دلائل الإعجاز - الجرجاني .
- إتفاق المباني وافتراق المعاني - أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدين المصري - ٦١٤ - ١ - دار عمار - عمان - ١٩٨٥ - الأولى - يحيى عبدالرؤوف جبر - ١ - الأدب - إتفاق المباني وافتراق المعاني - سليمان بن بنين الدقيقي النحوي .
- إصلاح المنطق لابن السكيت - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق - ١٨٦ - ٢٤٤ - ١ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٤٩ - الرابعة - أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون - ١ - الأدب - إصلاح المنطق - إبن السكيت .
- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام - علي بن بالي القسطنطيني - ٩٣٤ - ٩٩٢ - ١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣ - الثانية - د .حاتم صالح الضامن - ١ - الأدب - خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام - علي بن بالي القسطنطيني .

- المدهش - أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي - ٥٠٨ - ٥٩٧ - ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٥ - الثانية - د .مروان قباني - ١ - الأدب - المدهش - إبن الجوزي .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - ٩١١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨ - الأولى - فؤاد علي منصور - ١ - الأدب - المزهر في علوم اللغة وأنواعها - السيوطي .
- الإيضاح في علوم البلاغة - جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني - ١ - دار إحياء العلوم - بيروت - ١٩٩٨ - الرابعة - ١ - الأدب - الإيضاح في علوم البلاغة - الخطيب القزويني .
- الفوائد - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - ٦٩١ - ٧٥١ - ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣ - الثانية - ١ - الأدب - الفوائد - ابن القيم الجوزية .
- النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - ٥٤٤ - ٦٠٦ - ٥ - المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي - ١ - الأدب - النهاية في غريب الأثر - ابن الأثير .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - محمد بن حبان البستي أبو حاتم - ٣٥٤ - ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٧ - ١٩٧٧ - محمد محي الدين عبد الحميد - ١ - الأدب - روضة العقلاء - ابن حبان .
- مجمع الأمثال - أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري - ٠ - ٥١٨ - ٢ - دار المعرفة - بيروت - محمد محيى الدين عبد الحميد - ١ - الأدب - مجمع الأمثال - أبو الفضل النيسابوري

الفهرس